NURUOSMANIYE
2582

مختصر الاخضري ٢٥٨

KÜTÜPHANESİ
٢٧٣
٥٨٦

NURUOSMANIYE KÜTÜPHANESİ

Kısmı: N.O

Yeni Kayıt No: 2459

Eski Kayıt No: 2582

Tasnif No.

٢٥٨٢

الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله

هذا وقف ظل الله الممدود والنور اللامع المشهود السلطان ابن السلطان
السلطان الغازي عثمان خان ابن السلطان مصطفى خان وفقه الله
في حل رموز الأنام وجعل ظله ممدودا على العالم والسلام
وأنا الداعي الحاج إبراهيم حنيف المفتش بأوقاف
الحرمين الشريفين
غفرا

إبراهيم حنيف

بسم الله الرحمن الرحيم وصلى الله على سيدنا

الحمد لله منور قلوب اهل الايمان بحقايق الاسرار ومزين سرايرهم
بانواع الانوار وكاشف الغطاء برفع الحجب عنها والاستار حتى صار وامن
اولو البصاير والابصار والصلوة والسلام على نبيه محمد المختار وعلى
آله واصحابه الاخيار وبعد فاني لما رايت كتاب احياء علوم الدين غريبا
في تاليفه وترتيبه وعجيبا في تصنيفه وتهذيبه حاويا للحقايق والاسرار
جامعا للحكايات والاخبار والاثار هاديا الى طريق النبيين والصديقين
كاشفا لمناهج السلف الصالحين لا يسع طالب علم الآخرة اهمال غرره
واهمال درره وقد وجدت الناس تركوا المواظبة على الاشتغال به لعظم
حجمه واطنابه واختصرته بعون الله وتوفيقه على وجه يحوز جميع
مقاصده ويحوي عميم فوايده وسئلت الله ان يوفقني للعمل بما فيه كما
وفقني للعلم والدراية على ما يحويه وانه مؤسس على اربعة انواع ربع
العبادات وربع العادات وربع المهلكات وربع المنجيات وانما
اسس على اربعة اقسام لان هذا العلم انقسم الى شطرين ظاهر وباطن
والشطر الظاهر المتعلق بالجوارح انقسم الى عبادة وعادة والشطر

الباطن المتعلق باحوال القلب انقسم الى محمود ومذموم فكان المجموع اربعة
اقسام كل قسم منها مشتمل على عشرة كتب اما قسم العبادات ففيه كتاب
العلم كتاب العقيدة كتاب اسرار الطهارة كتاب اسرار الصلوة
كتاب اسرار الزكوة كتاب اسرار الصوم كتاب اسرار الحج كتاب
تلاوة القرآن كتاب الاذكار والدعوات كتاب الاوراد فهذه كتب قسم
ربع العبادات التي فيها ذكر خفايا ادابها ودقايق سننها الى آخره
واما قسم العادات ففيه كتاب اداب الاكل والشرب كتاب
اداب النكاح كتاب الكسب والمعاش كتاب الحلال والحرام كتاب
اداب الصحبة كتاب اداب العزلة كتاب اداب السفر كتاب
اداب السماع كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر كتاب
اخلاق النبوة فهذه كتب قسم ربع العادات التي فيها ذكر اسرار المعاملات
الجارية بين الخلق الى آخره واما قسم المهلكات ففيه كتاب عجايب القلب
كتاب رياضة النفس كتاب كسر الشهوات البطن والفرج كتاب
افة اللسان كتاب الغضب والحسد كتاب حب الدنيا كتاب
المال كتاب الجاه والريا كتاب العجب والكبر كتاب الغرور فهذه
كتب قسم ربع المهلكات التي فيها ذكر كل خلق مذموم ورد القرآن
ما باماطته الى آخره واما قسم المنجيات ففيه كتاب التوبة كتاب

البصر والشكر كتاب الخوف والرجاء كتاب الفقر والزهد
كتاب التوحيد والتوكل كتاب المحبة والشوق والرضاء
كتاب النية والاخلاص كتاب المحاسبة والمراقبة كتاب
التفكر كتاب ذكر الموت وما بعده فهذه كتب هذا الكتاب
مع كونه حاويا لجامع هذه العلوم التي هي علم طريق الآخرة وما
درج عليه السلف الصالح فيما سماه الله تعالى في كتابه فقها
وحكمة ورشدا وهداية وضياء ونورا وعلما وقد اصبح من بين
الخلق مندرسا وظل في الاقطار منطمسا وظنوا لا علم الا فتوي
لفصل الخصام اوجدل للغلبة والافحام او سجع مزخرف
لوعظ العوام اذ لم يروا سوي هذه الثلاثة مصيدة للحرام
وشبكة للحطام فهذه مصيبة عظيمة في الاسلام ونسئل
الله تعالي ان يرينا الحق حقا ويرزقنا اتباعه ويشعرنا الباطل
باطلا ويرزقنا اجتنابه انه تعالي ولي الفضل والانعام
وخفي اللطف والاكرام كتاب العلم فيه ستة ابواب
الباب الاول في فضيلة العلم الباب الثاني في بيان العلم
المحمود الباب الثالث ما تعده العامة من العلوم المحمودة
وليس منها الباب الرابع في اداب المتعلم والمعلم الباب الخامس

في بيان علامات علماء الآخرة وعلماء الدنيا الباب السادس في
بيان العقل وشرفه الباب الاول في فضيلة العلم
والتعلم والتعليم وفيه فصول الفصل الاول في فضيلة
العلم اعلم ان الله تعالي شرف العلم وفضله وعظم اهله واجله
وشواهده من النقل والعقل اما النقل فقد قال الله سبحانه
وتعالي شهد الله انه لا اله الا هو والملائكة واولوا العلم
بدأ بنفسه الكريمة وثني بملائكته عليهم السلام وثلث
باهل العلم وقال ابن عباس رضي الله عنه في قوله تعالي
يرفع الله الذين امنوا منكم والذين اوتوا العلم درجات ان للعلماء
درجات فوق المؤمنين بسبعمائة درجة ما بين الدرجتين مسيرة
خمسمائة عام وقيل في قوله تعالي يا بني آدم قد انزلنا عليكم
لباسا يواري سوآتكم يعني العلم وريشا يعني اليقين ولباس
التقوي اي الحياء وقال الحسن رضي الله عنه في قوله تعالي
ربنا آتنا في الدنيا حسنة هي العلم والعبادة وفي الآخرة
حسنة هي الجنة وقال تعالي قل هل يستوي الذين يعلمون
والذين لا يعلمون وقال انما يخشي الله من عباده العلماء
وقال تعالي قل كفي بالله شهيدا بيني وبينكم ومن عنده علم

الكتاب وقال تعالي وتلك الامثال نضربها للناس وما يعقلها
الا العالمون وقال تعالي ولو ردوه الي الرسول والي اولي الامر
منهم لعلمه الذين يستنبطونه منهم رد حكمه في الوقايع الي
استنباطهم والحق رتبتهم برتبة الانبياء عليهم السلام في كشف
حكم الله تعالي **الاخبار** قال النبي صلى الله عليه وسلم العلماء
ورثة الانبياء ومعلوم انه لا رتبة فوق النبوة ولا شرف فوق
الورثه لتلك الرتبة وقال يستغفر للعالم ما في السموات والارض
واي منصب يزيد علي منصب من يشتغل ملايكة السموات والارض
بالاستغفار له وهو مشغول بنفسه وهم مشغولون بالاستغفار له
وقال ان العلم يزيد الشريف شرفا ويرفع المملوك مواضع الملوك
وقد نبه صلى الله عليه وسلم بهذا علي ثمرته في الدنيا ومعلوم ان
الاخرة خير وابقي وقال يوزن يوم القيمة مداد العلماء ودماء
الشهداء وقال يشفع يوم القيمة الانبياء ثم العلماء ثم الشهداء
فاعظم برتبة هي تلو النبوة وفوق الشهادة مع ما ورد في فضل الشهادة
وقال اذا اتي علي يوم ولا ازداد فيه علما يقربني الي الله تعالي
فلا بورك لي في صحبة ذلك اليوم وقال فضل العالم علي العابد كفضلي
عليكم ولولاه لم تكن عبادة وقال انكم في زمان كثير فقهاؤه

قليل خطباؤه كثير معطوه قليل سائله العمل فيه خير من العلم و
سياتي علي الناس زمان قليل فقهاؤه كثير خطباؤه قليل معطوه
كثير سائله العلم فيه خير من العمل وقال النظر الي خمس عبادة
الي الابوين والمصحف والكعبة وزمزم والعالم وقال اكرم
البيوت علي وجه الارض خمسة الكعبة والمسجدي والمسجد
الاقصي والمساجد وبيت يسكن فيه العالم **الاثار** قال
علي رضي الله عنه العلم خير من المال لان العلم يحرسك وانت
تحرس المال والعلم يزكوا علي الانفاق والمال تنقصه النفقة
وقال ايضا العالم افضل من الصايم القايم المجاهد واذا مات
العالم ثلم في الاسلام ثلمة لا يسدها الا خلف منه وقال ابو
الاسود رضي الله عنه ليس شيء من العلم لان الملوك حكام علي
الناس والعلماء حكام علي الملوك وقال ابن عباس رضي الله عنه
خير سليمان بن داود عليهما السلام بين العلم والمال فاختار
العلم فاعطي المال والملك معه وسئل عبد الله بن المبارك
رحمه الله من الناس فقال العلماء قيل فمن الملوك قال الزهاد
قيل فمن السفلة قال الذي ياكل بدينه فانظر لم يجعل غير
العالم من الناس لان الخاصية العظيمة التي بها تميز الناس

علي سائر البهايم هو العلم والانسان انسان بما هو شريف
لاجله وليس ذلك بقوة شخصه فان الجمل اقوي منه ولا بعظمه
فان الفيل اعظم منه ولا بشجاعته فان السبع اشجع منه
ولا بالاكل فان الثور اوسع بطنا منه ولا بالجماع فان العصفور
اقوي علي الفساد منه بل لم يخلق الا للعلم وقال الاحنف بن
قيس كل عز لم يؤكد بالعلم فالى الذل مصيره **وقال** زبير بن
ابي كعب لابنه عليك بالعلم فانك ان افتقرت كان لك مالا وان
استغنيت كان لك جمالا فهذه من الشواهد المنقولة في فضل العلم
واما شواهد العقل فاعلم ان الشيء النفيس المرغوب فيه ينقسم
الي ما يطلب لذاته والي ما يطلب لغيره وما يطلب لذاته اشرف
وافضل مما يطلب لغيره والمطلوب لغيره الدراهم والدنانير فانهما
حجران لا منفعة لهما ولولا ان الله تعالى يسر قضاء الحاجات بهما
لكانتا هما والحصاة بمثابة واحدة والذي يطلب لذاته فالسعادة
في الاخرة ولذة النظر الي وجه الله تعالى والذي لذاته ولغيره
فكسلامة البدن فان سلامة الرجل مطلوبة من حيث انه
سلامة عن الالم ومطلوبة للمشي بها والتوصل الي المآرب والحاجات
اذا عرفت هذا فاعلم ان فضل الشيء علي غيره عبارة عن زيادة

عليه فيما هو كمال له ففضل العلم علي غيره يظهر بامرين احدهما
انه لذيذ في ذاته والثاني انه وسيلة الي سعادة اخروية
وذريعة الي القرب من الله تعالى ولا يتوصل اليه الا به واعظم
الاشياء رتبة في حق الادمي السعادة الابدية وافضل
الاشياء ما هو وسيلة اليه ولن يتوصل اليه الا بالعلم
فاصل السعادة في الدنيا والاخرة هو فهو اذا افضل الاعمال

الفصل الثاني في فضيلة التعلم وشواهده ايضا من المنقول

اما المنقول فقد قال الله تعالى فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم
لا تعلمون وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم طلب العلم فريضة
علي كل مسلم ومسلمة لان تغدو فتعلم بابا من العلم خير من ان
تصلي مائة ركعة وقال ابو بكر الرازي نكتة في شرف العلم واهله
وهي انه ليس في الدنيا والاخرة اشرف من المؤمنين وليس في المخلوقات
اخس من الكلب ثم ان الله تعالى اباح صيد الكلب الخسيس للمؤمن
الشريف لعلمه علم الصيد وقال الله تعالى وما علمتم من الجوارح
مكلبين الاية فلما كان فضل العلم في الكلب يرفع من قدره حيث
يبيح صيده للمؤمن فكيف اذا وجد العلم من المؤمن فلا يعرف احد
قدره الا الله سبحانه وتعالى وان تعلم علما في ساعة واحدة

خيرلك من ان تصلي مائة ركعة من النافلة وقال من اراد ان
ينظر الي عتقاء الله فلينظر الي المتعلمين وقال متعلم كسلان
افضل عند الله من الف عابد وقدام الله تعالي الجاهل
بالسؤال فقال فاسئلوا اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون وامر العالم
بحسن الرد علي الجاهل فقال واما السائل فلا تنهر وقال
العلم خزاين ومفاتيحه السؤال فاسئلوا فانه يوجر فيه اربعة
السائل والعالم والمستمع والمحب لهم وقال يعاتب الله تعالي
يوم القيمة العالم لسكوته عن علمه ويعاتب الجاهل لسكوته
عن جهله ولا ينبغي للجاهل ان يسكت علي جهله ولا للعالم
ان يسكت علي علمه وفي حديث ابي ذر رضي الله عنه حضور
مجلس علم افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض
وشهود الف جنازة فقيل يا رسول الله ومن قراءة القرآن
فقال وهل ينفع القرآن الا بالعلم الاثار قال ابن عباس رضي
الله عنه ذللت طالبا فعززت مطلوبا وقال رزقت
العلم بلسان سؤل وقلب عقول لهذا قيل مثل العالم كشجرة
مثمرة كلها حركتها اكثرت قطافها وقال الخليل رحمه الله
جعلت عمري اربعة اقسام اما ان اجالس من هو اعلم مني

فذاك

فذاك يوم فايدتي واما ان اجالس من هو مثلي فذاك يوم
مذاكرتي واما ان اجالس من هو دوني فذاك يوم تعليمي
واما ان اكون وحيدا فذاك يوم ذكري وفكري وقال
عبد الله ابن المبارك رحمة الله لو ان الله تعالى اوحي الي انك
تموت العشي ما انت صانع اليوم قال كنت اتعلم العلم واعلمه
وقال بعض الحكماء ان الله تعالي وضع دليلا من نفسك علي ان
من يكون اعلم يكون مرتبة ارفع واعظم عند الله تعالي
فجعل الحواس خمسة عندك اليد والفم والانف والاذن
والعين فكل حس علمه اكثر جعله ارفع وكل حس وقع علمه
اقل جعل علمه اوضع رتبة فجعل اليد تحت الحواس كلها وارفع
من الرجل لان اليد تعرف الخشن من اللين والحر من البارد ولم
يكن للرجل هذا لهذا جعل الله اليد فوق الرجل وجعل الفم
فوق اليد لزيادة علمه ان يعرف به الحلو والحامض وخلق
الانف فوق الفم لزيادة علمه لان الفم لا يعرف شيئا حتي
يدخل فيه والانف يجد الريح من مكان بعيد وخلق الاذن
فوق الانف لزيادة علمه لانه يسمع الاصوات من الموضع
البعيد وخلق فوق ذلك كله العين لزيادة علمه لانها

ترى الاشياء من موضع ابعدها يسمع الاذن فهذا نسبة
عظيمة على شرف العلم وقال بعض الحكماء لا ارحم رجالا كرحمتي
لاحد رجلين رجل يطلب العلم ولا يفهم ورجل يفهم ولا يطلب
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه لان اتعلم مسئلة من العلم
احب الي من قيام ليلة وقال فتح الموصلي اليس المريض اذا منع
الطعام والشراب والدواء يموت قالوا نعم قال كذلك
القلب اذا منعت عنه الحكمة والعلم ثلثة ايام يموت
ولقد صدق فان غذاء القلب العلم والحكمة وبه حيوته
كما ان غذاء الجسد الطعام ومن فقد العلم فقلبه مريض
وموته لازم ولكنه لا يشعر به اذ حب الدنيا وشغله بها ابطل
احساسه كما ان غلبة الخوف يبطل احساس الم الجرح
في حال الحرب وان كان واقعا فاذا حط الموت عنه اعباء الدنيا
احس بهلاكه وتحسر تحسرا لا ينفعه وذلك كاحساس المفيق
عن سكره بما اصابه من الجراحات في حالة السكر والخوف فنعوذ
بالله من يوم يكشف الغطاء فان الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه كن عالما او متعلما او مستمعا ولا
تكن الرابع فتهلك وقال عمر رضي الله عنه موت الف عابد قايم بالليل

صايم بالنهار اهون من موت عالم وقال الشافعي رضي الله عنه
طلب العلم افضل من النافلة وقال عطاء رحمة الله عليه مجلس
ذكر يكفر سبعين مجلسا من مجالس اللهو فهذا من الشواهد المنقولة
في فضل التعليم وروي ان واحدا اراد خدمة ملك فقال الملك
اذهب وتعلم حتى تصلح لخدمتي فلما شرع في التعلم وذاق لذة العلم
بعث الملك اليه وقال امسك عن التعلم فقد صرت اهلا لخدمتي
فقال كنت اهلا لخدمتك حين لم اعلم شيئا فلما تعلمت رايت نفسي
اهلا لخدمة الله تعالى وذلك لاني كنت اظن ان الباب بابك بجهلي
فلما تعلمت علمت ان الباب باب الله تعالى واما المعقول فظاهر مما ذكرنا
في شرف العلم فان العلم اذا كان افضل الامور كان تعلمه طلبا للافضل
وبيانه ان مقاصد الخلق مجموعة في الدين والدنيا ولا نظام للدين
الا بنظام الدنيا فان الدنيا مزرعة الاخرة وهي الالة الموصلة
الى الله تعالى لمن اتخذها الة ومنزلا ولم يتخذها مستقرا ووطنا
وليس ينتظم امر الدنيا الا بالاعمال الادميين واعمالهم وحرفهم و
وصناعاتهم منحصرة في ثلثة اقسام احدها اصول لا قوام للعالم
دونها وهي اربعة الاول الزراعة للمطعم والثاني الحياكة للملبس
والثالث البناء للمسكن والرابع السياسة للتالف والاجتماع

والتعاون علي اسباب المعيشة وضبطها الثاني ما هي مهيئة
لكل واحد من هذه الصناعات وخادمة لها كالحدادة فانها تخدم
الزراعة وجملة من الصناعات الة باعداد آلتها كالحلاجة والغزل
فانها تخدمة الحياكة باعداد محلها القسم الثالث ما هي متممة للاصول
ومرتبة كالطحن والخبز للزراعة وكالعصارة والخياطة للحياكة
واشرف هذه الصناعات اصولها واشرف اصولها السياسة
بالتالف والاستصلاح ولذلك تستدعي هذه الصناعة من
الكمال فمن يتكلف بها ما لا يستدعيه ساير الصناعات ولذلك
يستخدم لا محالة صاحب هذه الصناعة ساير الصنايع والسياسة
في اصلاح الخلق وارشادهم الي الطريق المستقيم اربعة الاولي
سياسة الانبياء عليهم السلام وحكمهم على الخاصة والعامة
في ظاهرهم وباطنهم والثانية الخلفاء والملوك والسلاطين
وحكمهم علي الخاصة والعامة جميعًا ولكن علي ظاهرهم لا علي باطنهم
والثالث العلماء بالله وبدينه الذين هم ورثة الانبياء وحكمهم
وعلي باطن الخاصة ولا يرتفع فهم العامة الي الاستفادة منهم
ولا تنتهي قوتهم الي التصرف في ظواهرهم الا بالالزام والمنع والرابع
الوعاظ وحكمهم علي بواطن العوام فقط واشرف هذه السياسة

الاربعة بعد النبوة واستفادة افادة العلم الفصل الثالث
في فضيلة التعليم وشواهده ايضًا من المنقول والمعقول اما
المنقول فمن القرآن قوله تعالي فلولا نفر من كل فرقة منهم طايفة
ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون
والمراد هو التعليم والارشاد وقوله تعالي واذ اخذ الله ميثاق
الذين اوتوا الكتاب ليبيننه للناس ولا يكتمونه وهو ايجاب التعليم
وقوله تعالي وان فريقا منهم ليكتمون الحق وهم يعلمون وهو تحريم الكتمان
كما قال في الشهادة ومن يكتمها فانه اثم قلبه الاخبار قال النبي صلي
الله عليه وسلم لمعاذ بن جبل رضي الله عنه لما بعثه الي اليمن لان
يهدي الله بك رجلًا واحدًا خير لك من الدنيا وما فيها وقال من
تعلم بابا من العلم ليعلم الناس اعطي ثواب سبعين نبيًا وقال
من تعلم علما فكتمه الجم يوم القيمة بلجام من نار وقال نعم العطية
ونعم الهدية كلمة حكمة تسمعها فتنطوي عليها ثم تحملها الي اخ
لك مسلم تعلمه اياها تعدل عبادة سنة وقال الدنيا ملعونة
ملعون ما فيها الا ذكر الله وما والاه او متعلما او عالما او معلما وقال
عليه السلام علي خلفاي رحمة الله قيل ومن خلفاؤك قال الذين
يحيون سنتي ويعلمونها عباد الله وقال ما من شيء احب الي الله

تعالى من دعوة العبد عباده اليه وقال كان داود عليه السلام
يعظ الناس ويذكرهم فتركه مليا واعتزل عنهم واشتغل بطاعة
الله تعالى فاوحى الله تعالى اليه يا داود لان تاتيني بعبد آبق احب
الي من عبادة الثقلين الانس والجن **الاثار** قال عمر رضي الله عنه من حدث بحديث
فعمل به فله مثل اجر ذلك العمل وقال ابن عباس رضي الله معلم الخير
يستغفر له كل شيء حتى الحوت في البحر والنملة في الحجر والطير في الوكور
قال بعض الحكماء العالم يدخل فيما بين الله وبين خلقه فلينظر كيف
يدخل وقال عطاء رحمة الله عليه دخلت على سعيد بن المسيب
وهو يبكي فقلت ما يبكيك فقال ليس احد يسئلني عن شيء وانما
ابكي لفوت فضل التعليم وقال بعضهم العلماء سراج الازمنة كل واحد
مصباح زمانه يستضيء به اهل عصره وقال الحسن رضي الله عنه
لولا العلماء لصار الناس مثل البهايم اي انهم بالتعليم يخرجون
الناس عن حد البهيمية الى الحد الانسانية قال عكرمة رضي الله عنه
ان لهذا العلم ثمنا قيل وما هو قال ان تضعه فيمن يحسن حمله ولا
يضيعه وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه العلماء ارحم بامة
محمد من ابائهم وامهاتهم قيل كيف ذلك قال لان ابائهم وامهاتهم
يحفظونهم من نار الدنيا وهم يحفظونهم من نار الآخرة وقيل

علم علمك من يجهل وتعلم ممن يعلم فانك اذا فعلت ذلك علمت ما جهلت
وحفظت ما علمت وقال معاذ رضي الله عنه تعلموا العلم فان
تعلمه لله حسنة وطلبه عبادة ومدارسة تسبيح والبحث
عنه جهاد وتعليمه لمن لا يعلمه صدقة وبذله لاهله قربة
وهو الانس في الوحدة والصاحب في الخلوة والقريب عند الغرباء
والوزير عند الاخلاء والتفكر فيه يعدل بالصيام ومدارسته
بالقيام به يطاع الله وبه يعبد وبه يوحد وبه يتورع وبه
يوصل الارحام هو الامام والعمل تابعه ويلهمه السعداء ويحرمه
الاشقياء فهذا من شواهد المنقول **واما المعقول** فقد ذكرنا
ان العلم افضل الامور فاذا كان هذا هو افضل الامور كان تعلمه
طلبا للافضل وتعليمه ايضا افادة للافضل ولان التعليم والتعلم
اشرف الحرف والصناعات لان شرف الصناعة يعرف بثلاثة امور
الاول بالالتفات الى الغريزة التي بها يتوصل الى معرفتها كفضل
العلوم العقلية على اللغوية اذ تدرك الحكمة بالعقل واللغة
بالسمع والعقل اشرف من السمع والثاني اما بالنظر الى عموم
النفع كفضل الزراعة على الصناعة والثالث اما بملاحظة
المحل الذي فيه التصرف كفضل الصياغة على الدباغة اذ كل احدهما

الذهب ومحل الآخر الميتة وليس يخفي ان العلوم الدينية وهي
فقه طريق الآخرة اما ان تدرك بكمال العقل وصفاء الذكاء
والعقل اشرف صفات الانسان كما سياتي انشاء الله تعالى بيانه
قبل امانة الله عز وجل وبه يصل الي جواره واما عموم النفع
فلا يستراب فيه فان نفعه وثمرته سعادة الآخرة واما
شرف المحل فكيف يخفي والمعلم متصرف في قلوب البشر ونفوسهم
واشرف موجود علي الارض جنس الانس واشرف جزء من جوهر
الانسان قلبه والمعلم مشتغل بتكميله وتحليته وتطهيره
وسياقته الي القرب من الله تعالى فتعليم العلم من وجه عبادة
الله تعالي ومن وجه خلافة لله سبحانه وتعالي فاي رتبة
اجل من هذا **الباب الثاني** في العلم المحمود والمذموم واقسامها
واحكامها اعلم ان العلم ينقسم الي ما هو محمود الي ما هو مذموم والي
ما هو فرض عين والي ما هو فرض كفاية اما ما هو محمود فعلم الشريعة
اي مستفادة من الانبياء عليهم السلام فهي اربعة اضرب اصول
وفروع ومقدمات ومتممات الضرب الاول وهي الاصول
الاربعة كتاب الله وسنة رسوله واجماع الامة واثار الصحابة
والاجماع اصل من حيث انه يدل علي السنة فهو اصل في الدرجة

الثانية وكذلك الاثر فانه يدل ايضا علي السنة لان الصحابة
رضي الله عنهم قد شاهدوا الوحي والتنزيل وادركوا بقراين
الاحوال ما غاب عن غيرهم عيانه فمن هذا الوجه راي العلماء
الاقتداء بهم والتمسك باثارهم والضرب الثاني الفروع
وهو ما فهم من هذا الاصول لا بموجب الفاظها بل بمعان فنبهت
لها العقول فاتسع بسببها الفهم حتي فهم من اللفظ الملفوظ
وغيره كما فهم من قوله لا يقضي القاضي وهو غضبان وانه لا يقضي
اذا كان حاقنا او جايعا او متالما بمرض وهذا علي ضربين احدهما
يتعلق بمصالح الدنيا ويحويه فن الفقه والمتكفل به الفقهاء
وهم علماء الدنيا والثاني ما يتعلق بالآخرة وهو علم الاحوال
القلب في اخلاقه المذمومة والمحمودة والضرب الثالث المقدمات
وهو الذي يجري مجري الآلات كعلم اللغة والنحو وانهما آلة لعلم
كتاب الله وسنة رسوله وليس اللغة والنحو من العلوم الشرعية
في انفسهما والضرب الرابع المتممات وذلك في علم القرآن فيقسم الي
ما يتعلق باللفظ كعلم القراءات ومخارج الحروف والي ما يتعلق
بالمعني كالتفسير والي ما يتعلق باحكامه كمعرفة الناسخ والمنسوخ
والعام والخاص والنص والظاهر وكيفية استعمال البعض منه مع

البعض وهو العلم الذي يسمى اصول الفقه فهذه هي العلوم
الشرعية وكلها محمودة واما ماهو مذموم فمنها علم السحر و
الطلسمات وعلم الشعبذة والتلبيسات واما علم الاشعار
وتواريخ الاخبار وعلم الطب والحساب والهندسة والنجوم
فمباح الان اكثر الممارسين لهذه العلوم قدخرجوا منها الى البدع
فيصان الضعيف عنه لا لعينه كما يصان الصبي الطفل عن
شاطئ النهر خيفة من الوقوع في النهر واما المنطق فهو بحث
عن وجه الدليل وشروطه ووجه الحد وشروطه وهما داخلان
في الكلام واما الالهيات فهو بحث في ذات الله تعالى وصفاته
وهو داخل في الكلام والفلاسفة لم ينفردوا فيها بنمط واحد
من العلم بل انفردوا بمذاهب بعضها كفر وبعضها بدعة واما
الطبيعيات فبعضها مخالف للشرع وهو بحث عن صفات الاجسام
وخواصها وكيفية استحالتها وتغيرها والاحوط تركها واما
ماهو فرض عين فقد اشار اليه النبي عليه السلام فقال طلب العلم
فريضة على كل مسلم فاختلف الناس فيه قال المتكلمون هو علم
الكلام اذ به يدرك التوحيد وبه يعلم ذات الله تعالى وصفاته
وقال الفقهاء هو علم الفقه اذ به تعرف العبادات والحلال والحرام

من المعاملات وقال المفسرون والمحدثون هو علم الكتاب والسنة
اذ بهما يتوصل الى العلوم كلها فالحاصل ان كل طريق تنزل الوجوب
على العلم الذي هو بصدده ونحن نقول هو علم الاخرة وهو فرض
على العين عند علماء الاخرة وعلم الاخرة نوعان علم معاملة وعلم
مكاشفة وعلم المعاملة فهو العلم بالعبادات والعادات والمهلكات
والمنجيات التي نشير اليها وعلم المكاشفة عبارة عن نور يظهر
في القلب عند تطهيره وتزكيته من صفاته المذمومة انكشفت له
في ذلك النور امور كان يسمع من قبل اسمائها حتى تحصل له معرفة
حقيقة ذات الله تعالى وصفاته وافعاله واحكامه وحكمته
في خلق الدنيا والاخرة والمعرفة بمعنى النبوة والوحي ومعنى لفظ
الملائكة والشياطين وكيفية ظهور الملائكة للانبياء عليهم السلام
وكيفية وصول الوحي اليهم وكيفية تصادم جنود الملائكة و
الشياطين في القلب ومعرفة الفرق بين لمة الملك ولمة الشيطان
ومعرفة الاخرة والجنة والنار وعذاب القبر والصراط والميزان
والحساب وهذه هي العلوم التي لا يتسطر في الكتب ولا يتحدث بها
الا بالرمز والايماء على سبيل التمثيل والاجمال لقصور افهام الخلق
عن الاحتمال وعلم المعاملة طريق اليه والانبياء عليهم السلام

لم يتكلموا مع الخلق الا في علم الطريق والارشاد اليه والعلماء ورثة
الانبياء فما لهم سبيل الي العدول عن نهج التأسي والاقتداء
فاعلم فالعلم بحدود علم المعاملة التي هي العبادات والعادات
والمهلكات والمنجيات والمعرفة بحقايقها وثمرتها وعلاجها هو علم
الاخرة وهو فرض عين في فتوي علماء الاخرة والمعرض عنها هالك بسطوة
مالك الملوك في الاخرة كما ان المعرض عن الاعمال الظاهرة هالك بسيف
سلاطين الدنيا بحكم فتوي فقهاء الدنيا فنظر الفقهاء في فروض
العين بالاضافة الي صلاح الاخرة فان قيل علم الفقه من علوم
الدنيا ام علوم الاخرة قلنا هو من علوم الدنيا وبيانه ان الله تعالي
اخرج ادم من التراب واخرج ذريته من سلالة من ماء دافق
واخرجهم من الاصلاب الي الارحام ومنها الي الدنيا ثم الي القبر ثم
الي العرض ثم الي الجنة او الي النار فهذه مبدائهم وهذه غايتهم
وهذه منازلهم وخلق الدنيا دار التزود للمعاد ليتناول منها
ما يصلح للتزود فلو تناولها الناس بالعدل انقطعت الخصومات
وتعطل الفقهاء ولكنهم تناولوها بالشهوات فتولدت منها الخصومات
فمست الحاجة الي سلطان يسوسهم واحتاج السلطان الي قانون
يسوسهم به فالفقيه هو العالم بالسياسة وطريق التوسط

بين الخلق

بين الخلق اذا تنازعوا بحكم الشهوات فكان الفقيه معلم السلطان
ومرشده الي طريق سياسة الخلق وضبطهم لتنتظم امورهم في الدنيا
فتبين ان الفقه من علوم الدنيا لا من علوم الاخرة لان نظر الفقه
مقصور علي ما يتعلق بامر العبد فيما يرجع الي معاشه واحواله
الظاهرة واقرب ما يتوهم انه من علوم الاخرة الفقه باربعة
اشياء الاسلام والصلوة والزكوة والحلال والحرام واذا تاملت
منتهي نظر الفقه علمت انه لا يجاوز حدود الدنيا الي الاخرة
واذا عرفت هذا في هذه الاربعة فهي في غيرها اظهر اما
الاسلام فيتكلم الفقيه فيما يصح منه وما يفسد وفي شروطه وليس
يلتفت الا الي اللسان واما القلب فخارج عن ولايته فلا ينفع في
الاخرة الاقوال بل انوار القلوب واسرارها واما الصلاة فالفقيه
يفتي بالصحة اذا اتي بصورة الاعمال مع ظاهر الشروط وان كان غافلا
في جميع صلاته من اولها الي اخرها مشغولا بالتفكر في حساب
معاملته في السوق وهذه الصلاة لا ينفع في الاخرة فاما الخشوع
واحضار القلب الذي عمل الاخرة وبه ينفع العمل الظاهر لا يتعرض له
الفقيه ولا يشترطه واما الزكوة فالفقيه ينظر الي ما يقطع به
طالبة السلطان عنه انه اذا امتنع اخذ السلطان قهرا حكم

بانه برئت حرمته واما الحلال والحرام فالفقيه يأمر بالاحتراز
عن الحرام الظاهر وهو الذي يخرج به الانسان عن العدالة و
اهلية الشهادة والقضاء والولاية لم يتعرض للتوقي من الشبهات
التي يتقابل فيها الاحتمالات قال النبي صلي الله عليه وسلم
دع ما يريبك الي ما لا يريبك وقال صلي الله عليه وسلم لا يبلغ
العبد ان يكون من المتقين حتي يدع ما لا باس به حذرا لما به البأس
وذلك مثل التورع عن التحدث باحوال الناس خيفة من الغيبة
فهذه وامثالها خارجة عن نظر الفقيه وكلها فرض علي العين والفقيه
لا يتكلم في حزازات القلوب وكيفية العلم بها بل فيما يقدح في العدالة
والقيام بذلك لا يغني الاثم في الاخرة قال صلي الله عليه وسلم
لوابصة رضي الله عنه استفت قلبك وان افتوك وان افتوك
وان افتوك فبالجملة ان الفقيه لا يشترط الخشوع في الصلوة
والاختيار في اداء الزكوة وكسر النفس في الصوم وانما يراعي الامور
الظاهرة فقط وذلك لا يكفي في حصول النفع في الاخرة فان قيل
قد اشتهر ان الفقهاء والمتكلمين هم افضل الخلق عند الله تعالي
وما ذكرتم يخالف ذلك قلنا من عرف الحق بالرجال حار في متاهات
الضلال فاعرف الحق تعرف اهله ولا تكن الي التقليد وقلنا اذا

نظرنا الي سيرة الفقهاء الذين يقتدي بهم اكثر الخلق وهم خمسة
ابو حنيفه والشافعي ومالك واحمد بن حنبل وسفيان الثوري
رضي الله عنهم وانفصنا ظهر لنا ان كل واحد منهم كان مستجمعا
لخمس خصال الزهد والعبادة والمعرفة بعلوم الاخرة والفقه
المتعلق بمصالح الخلق في الدنيا والاخرة وارادة الفقه بمرضات
الله تعالي وفقها زماننا تبعوهم في خصلة واحدة فقط واما ما هو
فرض كفاية من العلوم فهي ليست بمستفادة من الانبياء عليهم السلام
بل يرشد العقل اليها كالحساب والتجربة كالطب بل كل علم ليس بشرعي
لكنه يحتاج اليه في قوام امور الدنيا فهو فرض علي الكفاية وكل علم
لم يتعلق بمصالح الدنيا والدين فهو مذموم فان قيل العلم هو معرفة الشيء
علي ما هو به وهو من صفات الله تعالي فكيف يكون الشيء مع كونه علما
مذموما اعلم ان العلم لا يذم لعينه وانما يذم في حق العباد بان يكون
مؤديا الي ضرر اما بصاحبه او بغيره كما يذم علم السحر في الطلسمات
وكذلك علم النجوم فانه في نفسه غير مذموم وحاصله يرجع الي
الاستدلال علي الحوادث بالاسباب وهو يضاهي استدلال الطبيب
بالنبض علي ما يحدث من المرض وهو معرفة لمجاري سنة الله تعالي
وعادته في خلقه ولكنه ذمه الشرع وقال صلي الله عليه وسلم

اذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر
اصحابي فامسكوا وانما زجر عنه الشرع لان اكثر الخلق اذا القي
اليهم ان هذا الاثار تحدث عقيب سير الكواكب وقع في نفوسهم
ان الكواكب هي المؤثرة وانها الالهة المدبرة لعظم وقعها في القلوب
وينمحي ذكر الله سبحانه وتعالى عن القلوب فان الضعيف يقصر
نظره عن الوسايط ومثال نظر الضعيف مثال النملة لو خلق لها
عقل وكان على سطح قرطاس وهو ينظر الى سواد الخط فتعتقد انه
فعل القلم ولا يترقى نظرها الى مشاهدة الاصبع ثم منه الى اليد
ثم منه الى الارادة المحركة لليد ثم منه الى الكاتب القادر المريد
ثم منه الى خالق اليد والقدرة والارادة فاكثر نظر الخلق مقصور
عن الاسباب القريبة السافلة مقطوع عن الترقي الى مسبب الاسباب
وهذا آخر الكلام في هذا الباب الباب الثالث في بيان ما تعده
العامة من العلوم المحمودة وليس منها وفيما بدلته من الفاظ العلوم
اعلم ان منشأ التباس العلوم المذمومة بالعلوم الشرعية تحريف
الاسامي المحمودة وتبديلها ونقلها بالاغراض الفاسدة الى معان
غير ما ارادة السلف الصالح رضوان الله عليهم اجمعين والقرن الاول
وهو خمسة الفاظ الفقه والعلم والتوحيد والتذكير والحكمة

مطلب معاني الحكمة

فهذه اسامي محمودة ولكنها فقلت الآن الى معاني مذمومة اللفظ
الفقه وقد تصرفوا فيه بالتخصيص لا بالنقل والتحويل فان الفقه
عندهم معرفة الفروع في الفتاوي وقد كان الفقه في العصر الاول
يطلق على علم طريق الآخرة ومعرفة دقايق افات النفوس ومفسدات
الاعمال وبغض الدنيا وحب الآخرة واستيلاء الخوف على القلب
ويدلك عليه قوله تعالى ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم
اذا رجعوا اليهم لعلهم يحذرون وما به الانذار والتخويف هو
هذا الفقه دون تفريعات الطلاق واللعان والسلم والاجارة
فذلك لا يحصل به انذار ولا تخويف بل التجرد له على الدوام يقسي
القلب كما يشاهد المتجردين له وروي ان فرقد السبخي سال الحسن
البصري رحمة الله عليه عن شيء فاجابه فقال ان الفقهاء يخالفونك
فقال الحسن ثكلتك امك يا فريقد وهل رايت فقيها بعينك انما الفقيه
الزاهد في الدنيا الراغب في الآخرة البصير بذنبه المداوم على طاعته
الورع الكاف عن اعراض المسلمين العفيف عن اموالهم الناصح لجماعتهم
ولم يقل في ذلك الحافظ لفروع الفتاوي ولست اقول ان اسم الفقيه
لم يكن متناولا للفتاوي في الاحكام الظاهرة ولكن بطريق العموم والشمول
او بطريق الاستتباع وكان اطلاقهم على علم الآخرة اكثر فسادا من هذه

التخصيص تلبيس بعض الناس علي التجرد له والاعراض عن علم الاخرة
واحوال القلب اللفظ الثاني العلم وقد كان يطلق ذلك على العلم
بالله تعالي وباياته وافعاله في عبادة وخلقه حتي انه لما مات عمر
رضي الله عنه قال ابن مسعود مات تسعة اعشار العلم يعني العلم
بالله وصار الآن يطلق علي علم المناظرة والجدل اللفظ الثالث التوحيد
وكان عندهم عن عبارة ان يرى الامور كلها من الله عز وجل رؤية
تقطع التفاته عن الاسباب والوسايل فلا يرى الخير والشر الا منه
فهذا مقام شريف احدي ثمراته التوكل وقد جعل الآن عبارة عن صناعة
الكلام ومعرفة طريق المجادلة والممارات واعلم ان التوحيد جوهر
نفيس وله قشران احدهما ابعد عن اللب من الآخر فخص الناس الاسم
بالقشر وبصنعة الحراسة للقشر واهملوا اللب بالكلية فالقشر الاول
ان تقول بلسانك لا اله الا الله والثاني ان لا يكون في القلب مخالفة
وانكار لمفهوم هذا القول بل يشتمل ظاهر القلب على اعتقاد ذلك
والتصديق والثالث وهو اللباب ان يرى الامور كلها من الله تعالي
رؤية تقطع التفاته عن الوسايط وان يعبده عبادة تفرده بها فلا يعبد
غيره ويخرج عن هذا التوحيد اتباع الهوي وكل متبع هواه فقد
اتخذ هواه معبوده ويخرج من هذا التوحيد التسخط علي الخلق و

والالتفات اليهم فان من يرى الكل من الله تعالي كيف يتسخط علي غيره فقد
كان التوحيد عبارة عن هذا المقام وهو من مقامات الصديقين
فانظر الي ما حول اللفظ الرابع الذكر والتذكير وقد ورد في الثناء
علي مجالس الذكر اخبار كثيرة فنقل ذلك الي ما ترى اكثر الوعاظ في هذا
الزمان يواظبون عليه وهو القصص والاشعار والشطح والطامات
اما القصص فهي بدعة وورد نهي السلف عن الجلوس الي القصاص
وقالوا لم يكن ذلك في زمن رسول الله صلي الله عليه وسلم ولا في
زمان ابي بكر وعمر رضي الله عنهما روي ان عمر خرج من المسجد وقال
ما اخرجني الا القصاص ولولاهم ما خرجت وقال احمد اكثر الناس
كذبا القصاص والسؤال واخرج علي رضي الله عنه القصاص من مسجد
البصرة ولما سمع كلام الحسن البصري رضي الله عنه لم يخرجه اذ كان
يتكلم في علم الآخرة والتذكير بالموت والتنبيه على عيوب النفس و
تعريف حقارة الدنيا وعيوبها وتصرمها وقلة عهدها وخطر
الآخرة واهوالها فهذا هو التذكير المحمود شرعا الذي ورد الحث
عليه في حديث ابي ذر رضي الله عنه قال حضور مجلس علم
افضل من صلاة الف ركعة وعيادة الف مريض وشهود الف جنازة
وقد اتخذ المزخرفون مثل هذا الحديث حجة علي تزكية انفسهم

ونقلوا اسم التذكير الي خرافاتهم وذهلوا عن طريق الذكر المحمود واشتغلوا
بالقصص التي يتطرق اليها الزيادة والنقصان فان كانت القصة
من قصص الانبياء عليهم السلام فيما يتعلق بدينهم وكان صحيح
الرواية فلست اري به باسًا واما الاشعار فكثيرها في الواعظ
مذموم وكثير الوعاظ يذكرون منها ما يتعلق بالعشق وروح الوصال
والم الفراق واكثر من يحضرهم العوام وليس لهم قوة صرف اللفظ
عن ظاهره فيرغبهم ذلك في الفساد واليه الاشارة بقوله تعالي
والشعراء يتبعهم الغاوون فلا ينبغي ان يستعمل من الشعر الا ما
فيه موعظة وحكمة واما الشطح فهو المبالغة في الدعاوي الفريضة
في العشق مع الله تعالي والوصول المغني عن الاعمال الظاهرة حتي
ينتهي قوم الي دعوي الاتحاد وارتفاع الحجاب والمشاهدة بالروية
والمشافهة بالخطاب فيقولون قيل لنا كذا وكذا ويتشبهون بالحسين
الحلاج حيث قال انا الحق وبابي يزيد حيث قال سبحاني وضرر
مثل هذا الكلام عظيم في العوام واما ابو يزيد والحلاج فلا يصح
عنهما ما حكي وان سمع ذلك منهما فلعلهما كانا يحكيانه عن الله
تعالى في الكلام يرددهما في انفسهما كما لو سمعا وهما يقولان انني انا
الله لا اله الا انا فاعبدني فانه ما كان ينبغي ان يفهم ذلك منهما

الا علي سبيل

الا علي سبيل الحكاية واما الطامات فهي صرف الفاظ الشرع عن ظواهرها
المالوفة المفهومة الي امور باطنة لا يسبق منها الي الافهام شي كداب
الباطنية في التاويلات وهذا ايضا حرام وضرره عظيم لان ذلك
يقتضي بطلان الثقة بالالفاظ وتسقط به منفعة كلام الله
ورسوله ويهدم جميع الشرايع فان ما يسبق منه الي الفهم لا يوثق به
والباطن لا ضبط له بل يتعارض فيه الخواطر ويمكن تنزيله علي وجوه
شتي وهذه ايضا من البدع الشايعة العظيم ضررها ومثال
تاويلات اهل الطامات قول بعضهم في تاويل قوله تعالي اذهب
الي فرعون انه طغي انه اشار الي قلبه والمراد بفرعون نفسه
قلبه وهو الطاغي علي كل انسان وفي قوله والق عصاك اي كلما
تتوكا وتعتمد فيما سوي الله تعالي فينبغي ان يلقيه وفي قوله عليه
السلام تسحروا فان في السحور بركة اراد به الاستغفار في الاسحار
وامثال ذلك حتي تحرفوا القران الكريم من اوله الي اخره عن ظاهره وعن
تفسيره المنقول عن ابن عباس وساير العلماء رضي الله عنهم
وكل ذلك ضلالة وفساد في الدين لم ينقل من ذلك شي عن الصحابة
والتابعين رضوان الله عليهم اجمعين وهذا هو المراد بقوله عليه
السلام من فسر القران برايه فقد كفر اللفظ الخامس الحكمة وقد كان

مطلقا باعتبار امر معظم ممدوح قال الله تعالى ومن يؤت
الحكمة فقد اوتي خيرا الآية وقال عليه السلام كلمة من الحكمة
يتعلمها الرجل خير له من الدنيا وما فيها وقد صار الان مطلقا
بازاء علم النجوم والطب واقاويل الطريقة فان اسم الحكيم صار
يطلق على الطبيب والشاعر والمنجم والحكمة هي التي اثنى الله
سبحانه وتعالى عليها فقال ومن يؤت الحكمة فقد اوتي خيرا كثيرا
وقال عليه السلام كلمة من الحكمة يتعلمها الرجل خير له من الدنيا
فانظر ما الذي كانت الحكمة عبارة عنه والى ما ذا نقل وقس بقية
الالفاظ واحترز عن الاغترار بتلبيسات علماء السوء فان
شرهم اعظم على الدين من شر الشياطين ولهذا لما سئل رسول الله
صلى الله عليه وسلم عن شر الخلق فقال هم علماء السوء فقد عرفت
العلم المحمود والمذموم ومثار الالتباس واليك الخيرة في ان
تنظر لنفسك فتقتدي بالسلف او تتدلى بحبل الغرور وتتشبه
بالخلق فكل ما ارتضاه السلف من العلوم قد اندرس وما انكب
الناس عليه اليوم فاكثره مبتدع محدث وقد صح قول النبي
صلى الله عليه وسلم ان الاسلام بدا غريبا وسيعود غريبا كما
بدا فطوبى للغرباء وفي خبر اخر الغرباء ناس قليلون صالحون

بين ناس كثير من يبغضهم اكثر ممن يحبهم وقد صارت تلك العلوم
غريبة بحيث يمقت ذاكرها وكذلك قال سفيان الثوري رحمه الله
اذا رايت العالم كثير الاصدقاء فاعلم انه مخلط لانه ان نطق بالحق ابغضوه
والسلام الباب الرابع في اداب المتعلم والمعلم وفيه
فصلان الفصل الاول في اداب المتعلم وهي سبعة الاول تقديم طهارة
النفس عن رذايل الاخلاق ومذموم الاوصاف اذ العلم عبادة القلب
وصلاة السر وقربة الباطن الى الله تعالى فكما لا يصح الصلوة التى
هي وظيفة الجوارح الظاهرة الا بتطهير الظاهر عن الاحداث والاخباث
فكذلك لا تصح عبادة الباطن وعمارة القلب الا بعد طهارته عن
الاحداث والاخباث وانجاس الاوصاف قال صلى الله عليه وسلم
بني الدين على النظافة وهو كذلك ظاهرا وباطنا وقال الله تعالى
انما المشركون نجس تنبيها للعقول على ان الطهارة والنجاسة غير مقصورة
على الظواهر المدركة بالحس فالمشرك قد يكون نظيف الثوب مغسول البدن
ولكنه نجس الجوهر اي باطنه ملطخ بالخبائث والنجاسة عبارة
عما يجتنب ويطلب البعد منه من خبائث صفات الباطن اهم بالاجتناب
فانها مع خبثها في الحال مهلكات في المال ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا تدخل الملائكة بيتا فيه كلب ولسنا نعني به اراد بالبيت القلب

وبالكلب الصفات المذمومة كما تقوله الباطنية بل نقول وهو منبه
عليه فالقلب بيت هو منزل الملائكة عليهم السلام ومحل استقرارهم
والصفات الردية مثل الغضب والشهوة والحقد والحسد والكبر
والعجب واخواتها كلاب نابحة فاني تدخله الملائكة وهو مشحون بالكلاب
ونور العلم لا يقذفه الله تعالى في القلب الا بواسطة الملائكة قال
الله تعالى وما كان لبشر ان يكلمه الله الا وحيا او من وراء حجاب
او يرسل رسولا فاعتبر انت ايضا من البيت الذي هو بناء الخلق الي
البيت الذي هو من بناء الله تعالى ومن الكلب الذي ذم لصفته
لا لصورته وهو ما فيه من السبعية والنجاسة الي روح الكلبية
وهو السبعية واعلم ان القلب المشحون بالغضب والشره الي
الدنيا والتكلب عليها والحرص على التمزيق لاعراض الناس كلب في
المعني وقلب في الصورة ونور البصيرة يلاحظ المعاني وتغلب
المعاني فلذلك يحشر كل شخص علي صورته المعنوية فيحشر الممزق
لاعراض الناس كلبا ضاريا والشره باموالهم ذئبا والمتكبر عليهم نمرا
وطالب الرياسة في صورة اسد وقد ورد بذلك الاخبار وشهد به
الاعتبار عند ذوي البصاير والابصار والثاني ان يقلل علايقه
من اشغال الدنيا ويبعد عن الاهل والوطن فان العلايق شاغلة

دون الصورة والصورة فهذا العالم غالبة على المعاني والمعاني باطنة فيها وفي الاخرة تتبع الصورة المعاني

وكل شخص على صورته المعنوية

وصارفة وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه ومهما توزعت الفكرة
قصرت عن درك الحقايق ولذلك قيل العلم لا يعطيك بعضه حتي تعطيه
كلك فاذا اعطيته كلك فانت من اعطائه اياك بعضه علي خطر
والفكرة المتوزعة علي امور متفرقة كجدول تفرق ماؤه فنشفت
الارض بعضه واختطفت الهواء بعضه ولا يبقي منه ما يجتمع
ويبلغ المزرعة الثالث ان لا يتكبر علي المعلم ولا يتامر عليه بل
يلقي اليه زمام امره بالكلية القاء المريض نفسه الي الطبيب وقد
نبه الله تعالي بقصة خضر وموسي عليهما السلام قال خضر انك لن
تستطيع معي صبرا ثم شرط عليه السكوت والتسليم فقال فان
اتبعتني فلا تسئلني عن شيء حتي احدث لك منه ذكرا وبالجملة
كل متعلم استبقي لنفسه رايا واختيارا وراء اختيار المعلم فاحكم
عليه بالاخفاق والخسران فان قلت فقد قال الله تعالي فاسئلوا
اهل الذكر ان كنتم لا تعلمون فالسؤال مامور به فاعلم انه كذلك
ولكن فيما ياذن المعلم في السؤال عنه فان السؤال عما لم يبلغ رتبتك
الي فهمه مذموم ولذلك منع الخضر موسي عليهما السلام عن السؤال
اي دع السؤال قبل اوانه فالمعلم اعلم بما انت اهله وبأوان الكشف
وما لم يدخل وان الكشف في كل درجة من مراقي الدرجات لا يدخل

اوان السؤال الرابع ان يحترز في مبداء امره عن الاصغاء الى اختلاف
الناس فان ذلك يحير ذهنه ويغتر رايه ويدهش عقله عن الادراك
بل ينبغي ان يتقن اولا الطريقة الواحدة المرضية عند استاده ثم بعد
ذلك يصغي الى المذاهب والشبهة وان لم يكن استاده مستقلا
باختيار راي واحد وانما عادته نقل المذاهب وما قيل فيها فليحترز
منه فان اضلاله له اكثر من ارشاده ولا يصلح الاعمى لقود العميان
وارشادهم ولذلك يمنع العاجز عن التهجم على صف الكفار ويندب
الشجاع اليه ومن الغفلة عن هذه الدقيقة ظن بعض الضعفاء
ان الاقتداء بالاقوياء فيما ينقل عنهم من المساهلات جاير ولم يدر
ان وظايف الاقوياء يخالف وظايف الضعفاء ولذلك قال
بعضهم من راني في البداية صار صديقا ومن راني في النهاية
صار زنديقا اذ النهاية ترد الاعمال الى الباطن وتسكن الجوارح
الا عن الفرايض فيترايا الى الناظر انه بطال وكسل وهيهات
فذلك مرابطة القلب في عين الشهود والحضور وملازمة الذكر
الذي افضل الاعمال على الدوام وتشبه الضعيف بالقوي في
ما يرى في ظواهره انه هفوة يضاهي اعتذار من يلقي نجاسة
يسيرة في كوز ماء بان اضعاف هذه النجاسات قد تلقى في البحر

والبحر اعظم من الكوز فما جاز في البحر فهو في الكوز اجوز ولا يدري
المسكين ان البحر بقوته يحيل النجاسة فتنقلب النجاسة باستيلائه
الى صفته والقليل من النجاسة يقلب الكوز ويحيل الى صفتها
ولمثل هذا جوز للنبي عليه السلام ما لم يجوز لغيره حتى ابيح له
تسع نسوة اذ كان له من القوة ما يتعدى منه صفة العدل
الى نسائه وان كثرن واما غيره فلا يقدر على العدل بل يتعدى اما
بينهن من الضرار اليه حتى ينجر الى معصية الله تعالى في طلب
رضاهن الخامس ان ياخذ من كل شيء احسنه ويصرف جمام
قوته في الميسور من علمه الى استكمال العلم الذي هو اشرف العلوم
وهو علم الاخرة اعني قسمي المعاملة والمكاشفة فغاية المعاملة
المكاشفة وغاية المكاشفة معرفة الله تعالى ولست اعني به الاعتقاد
العامي ولا طريق الكلام والمجادلة في تحصين ذلك عن مراوغات
الخصوم كما هو غاية المتكلم بل ذلك نوع يقين هو ثمرة نور يقذفه
الله في قلب طهر بالمجاهدة باطنه عن الخبائث ينتهي الى رتبة
ايمان ابي بكر رضي الله عنه الذي لو وزن بايمان العالمين لرجح
السادس ان يكون قصد المتعلم في الحال تحلية باطنه وتجميله
بالفضيلة وفي المال القرب من الله تعالى والترقي الى جوار الملاء

الاعلي من المقربين ولا يقصد به الرياسة والمال والمباهات و
الاقران واذا كان هذا مقصده طلب لا محالة الاقرب الي مقصده
وهو علم الاخرة ومع هذا فلا ينبغي ان ينظر بعين الحقارة الي
ساير العلوم اعني علم الفتاوي والنحو واللغة المتعلقة بالكتاب
والسنة وغير ذلك مما اوردنا في المقدمات والمتممات من
ضروب العلوم التي هي من فروض الكفايات فالمتكلفون بالعلوم
كالمتكلفين بالثغور والمرابطين لها والغزاة مجاهدون في
سبيل الله ومنهم المقاتل ومنهم الردء ومنهم من يسقي الماء
ومنهم من يحفظ دوابهم ويتعاهدها ولا ينفك واحد منهم
عن اجر اذا كان قصده اعلاء كلمة الله تعالي دون حيازة
الغنايم فكذلك العلماء السابع ان يصرف جملة قوته الي
تحصيل المهم ومعني المهم ما لا يهمك الا شانك في الدنيا
والآخرة واذا لم يمكن الجمع بين ملاذ الدنيا ونعيم الاخرة كما
نطق به القران فالاهم ما يبقي ابد الابد وعند ذلك يصير الدنيا
منزلا والبدن مركبا والاعمال سعيا الي المقصد ولا مقصد
الا لقاء الله تعالي ففيه النعيم كله وهذا العلم وراء علم المكاشفة
الذي هو وراء علم المعاملة الذي وراء سلامة البدن

التي تحصل

التي تحصل بعلم الطب وعدل السلطان بواسطة استعمال الفقه
فالطب والفقه نسبتها الي علم الاخرة والسعادة الاخروية
كنسبة اصلاح الراحلة الي تحصيل الحج بيانه بمثال وهو ان
العبد الذي علق عتقه وتمكينه من الملك بالحج وقيل له ان
حججت وتممت وصلت الي العتق والملك جميعا وان ابتدات بطريق
الحج والاستعداد له وعاقك في الطريق مانع ضروري فلك العتق
والخلاص من شقاء الرق فقط دون سعادة الملك فله ثلثة
اصناف من الشغل الاول تهيئة الاسباب بشري الناقة
وخرز الراوية واعداد الزاد والراحلة والثاني السفر و
مفارقة الوطن بالتوجه الي الكعبة الشريفة منزلا بعد
منزل والثالث الاشتغال باعمال الحج ركنا بعد ركن ثم بعد
النزوع عن هيئة الاحرام وطواف الوداع استحق التعرض
للملك والسلطنة وله في كل مقام منازل من اول اعداد
الاسباب الي آخرها ومن سلوك البراري الي اخرها وليس قرب
من ابتداء باركان الحج من السعادة كقرب من هو بعد في اعداد
الزاد والراحلة ولا كقرب من ابتداء بالسلوك بل اقرب منه
فالعلوم ايضا ثلثة اقسام يجري مجري اعداد الزاد والراحلة

وشري الناقة وهو علم الطب والفقه وما يتعلق بمصالح البدن
في الدنيا وقسم يجري مجرى سلوك البراري وقطع العقبات
وهو تطهير الباطن عن كدورات الصفات الذميمة وطلوع
تلك العقبات الشامخة التي عجز عنها الاولون والآخرون الا
الموفقون فهذا سلوك الطريق وتحصيل علمه كتحصيل علم جهات
الطريق ومنازله وكما لا يغني علم المنازل فطريق البراري دون
سلوكها لا يغني علم تهذيب الاخلاق دون مباشرة التهذيب
لكن المباشرة دون العلم غير ممكنة وقسم الثالث يجري مجرى نفس
الحج واركانه وهو العلم بالله تعالى وصفاته وملائكته عليهم
السلام وافعاله عز وجل وجميع ما ذكرناه في تراجم علم المكاشفة
وههنا نجاة وفوز بالسعادة الكاملة والنجاة حاصلة
لكل سالك للطريق اذا كان مقصده السلامة واما الفوز
بالسعادة لا ينالها الا العارفون فهم المقربون المنعمون في جوار
الله تعالى بالروح والريحان وجنة النعيم واما الممنوعون
دون ذروة الكمال فلهم النجاة والسلامة كما قال سبحانه وتعالى
فَأَمَّا إِنْ كَانَ مِنَ الْمُقَرَّبِينَ فَرَوْحٌ وَرَيْحَانٌ وَجَنَّةُ نَعِيمٍ وَأَمَّا إِنْ
كان من اصحاب اليمين فسلام لك من اصحاب اليمين وكل من لم

يتوجه

يتوجه الى المقصد ولم ينهض له او انهض الى جهة لا على قصد
الامتثال والعبودية بل لغرض عاجل فهو من اصحاب الشمال
ومن الضالين فله نزل من حميم وتصلية جحيم واعلم ان هذا هو
حق اليقين عند العلماء الراسخين اعني انهم ادركوه بمشاهدة
من الباطن ومشاهدة الباطن اقوى واجلى من مشاهدة الابصار
وترقوا فيه عن حد التقليد لمجرد السماع وحالهم حال من اخبر
فصدق ثم شاهد فتحقق وحال غيرهم حال من قبل بحسن التصديق
والايمان ولم يحظ بالمشاهدة والعيان وعلم طريق اعتدال الاخلاط
طب وعلم طريق احوال الناس في المعاملة فقه وكل ذلك بحفظ
البدن الذي هي مطية الروح الساعية الى الله تعالى فالبدن
لها في طريق الله تعالى كالناقة للبدن في طريق الحج وكالراوية الحاملة
للماء الذي يفتقر اليه البدن فكل علم مقصده مصلحة البدن فهو
من جملة مصالح المطية فالمتجرد لعلم الفقه او الطب اذا لم يجاهد
نفسه ولم يصلح قلبه كالمتجرد بشري الناقة وعلفها او شري
الراوية وخرزها اذا لم يسلك بادية الحج فتامل تبلغ ان شاء الله تعالى

الفصل الثاني في بيان اداب المرشد المعلم اعلم ان الانسان في
علمه اربعة احوال كحاله في اقتناء الاموال اذ لصاحب المال

استفادة فيكون مكتسبا وحال ادخار لما اكتسبه فيكون
غنيا عن السؤال وحال انفاق على نفسه فيكون به منتفعا وحال
بذل لغيره فيكون به سخيا متفضلا وهو اشرف احواله فكذلك
العلم يقتنى كالمال فله حال طلب واكتساب وحال تحصيل يغني
عن السؤال وحال استبصار وهو التفكر في المحصل وحال تبصير
وهو اشرف الاحوال فمن علم وعمل فهو يدعى عظيما في ملكوت السموات
وروي ان عليا رضي الله عنه رجع عن بعض الغزوات فكان
حصته من الغنيمة ما يملأ به ذيله فاتاه سائل فدفعه
اليه فلما رجع دخل على النبي صلى الله عليه وسلم مستبشرا
فقال النبي عليه السلام ما فعلت فقال نصرت وتصدقت
بحصتي من الغنيمة فقال عليه السلام ظننت بانك ازلت صاحب
مشبهة عن شبهته وهذا يدل على ان من تعلم وعلم ثم اشتغل
بالتعليم كان هذا خيرا من ان صار غنيا واعطى وبذل المال حتى
اغنى لان فائدة اعطاء المال في الدنيا وفائدة اعطاء العلم في
الآخرة ابد الابد فانه كالشمس تضيء لغيرها وهي مضيئة وكالمسك
الذي يطيب وهو طيب والذي يعلم ولا يعمل كالدفتر الذي يفيد
غيره وهو خال عن العلم وكالمسن الذي يشحذ غيره ولا يقطع

والابرة التي تكسو غيرها وهي عارية وذبالة المصباح تضيء للناس
وهي تحترق ومهما اشتغل بالتعليم فقد تقلد امرا عظيما وخطرا
جسيما فليحفظ آدابه **الاول** الشفقة على المتعلمين وان
يجريهم مجرى بنيه قال صلى الله عليه وسلم انما انا لكم
مثل الوالد لولده فان قصده انقاذهم من نار جهنم وهو اهم من
انقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا ولذلك صار حق المعلم اعظم
من حق الابوين قال عليه السلام الآباء ثلثة اب رباك
واب ولدك واب علمك فان الاب سبب الحياة الفانية والمعلم
هو المفيد للحياة الدايمة اذ لولا المعلم لساق ما حصل من جهة
الاب الى الهلاك الدايم وكما ان حق ابناء الرجل الواحد ان يتحابوا
ويتعاونوا على المقاصد فحق تلامذة الرجل الواحد التحاب وهذا
اذا كان على قصد الآخرة وان كان على قصد الدنيا ولا يكون الا
التحاسد والتباغض فان العلماء وابناء الآخرة مسافرون
الى الله تعالى وسالكون اليه في الطريق والدنيا وسنونها وشهورها
منازل الطريق والترافق بين المسافرين في الطريق الى الامصار سبب
التواد والتحاب فكيف السفر الى الفردوس الاعلى والترافق في طريقه
ولا ضيق في سعادات الآخرة فلذلك لا يكون في ابناء الآخرة تنازع

ولا سعة في سعادات الدنيا فلذلك لا ينفك عن ضيق التزاحم و
العادلون الى طلب الرياسة بالعلوم خارجون عن موجب قوله
تعالى انما المؤمنون اخوة وداخلون في مقتضى قوله تعالى الاخلاء
يومئذ بعضهم لبعض عدو الا المتقين **الثاني** ان يقتدي بصاحب
الشرع صلوات الله عليه وسلامه فلا يطلب على افاضة العلم
اجرا ولا يقصد به جزاء ولا شكرا بل يعلم لوجه الله تعالى وطلبا
للتقرب اليه ولا يرى لنفسه منة عليهم وان كانت المنة لازمة
عليهم بل يرى الفضل لهم اذ هذبوا قلوبهم لان تتقرب الى الله
بزراعة العلوم فيها كالذي يعيرك الارض لتزرع فيها لنفسك
زراعة منفعتك بها تزيد على منفعة صاحب الارض فكيف تقلده
منة وثوابك في التعليم اكثر من ثواب المتعلم عند الله تعالى ولولا المتعلم
ما نلت هذا الثواب فلا تطلب الاجر الا من الله تعالى وقال الله
تعالى قل لا اسئلكم عليه اجرا الا المودة في القربى فان المال وكل
ما في الدنيا خادم للبدن والبدن مركب النفس ومطيتها والمخدوم
هو العلم اذ به شرفت النفس فمن طلب المال بالعلم كان كمن مسح اسفل
مداسه ونعله بمحاسنه لينظفه فجعل المخدوم خادما والخادم
مخدوما وذلك هو الانتكاس على ام الراس ومثله هو الذي يقوم

في العرض

في العرض الاكبر مع المجرمين ناكسي رؤسهم عند ربهم **الثالث**
ان لا يدخر من نصح المتعلم شيئا وان يكون زجره المتعلم عن الصفات
المذمومة بطريق التعريض ما امكن لا بالتصريح وبطريق الرحمة
لا بطريق التوبيخ فان التصريح يهتك حجاب الهيبة ويورث الجرأة
على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الاصرار قال صلى الله عليه وسلم
وهو مرشد كل معلم لو منع الناس عن فت البعر لفتوه وقالوا
ما نهينا عنه الا وفيه شيء وتنبهك على هذا قصة آدم عليه السلام
وحوا وما نهيا عنه فما ذكرت القصة معك لتكون سمرا بل
لتنبيه على سبيل العبرة ولان التعريض ايضا يميل النفوس والاذهان
الذكية الى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة
في العمل ليعلم ان ذلك مما لا يعزب عن فطنته **الرابع** ان المتكفل ببعض
العلوم لا ينبغي له ان يقبح في نفس المتعلم الذي وراءه كمعلم اللغة
اذ عادته تقبيح الفقه ومعلم الفقه عادته تقبيح علم الحديث
والتفسير وان ذلك نقل محض وسماع مجرد وهو شان العجائز ولا
نظر للعقل فيه ومعلم الكلام ينفر عن الفقه ويقول ذلك فروع
وهو كلام في حيض النسوان فاين ذلك من الكلام في صفة الرحمن
فهذا اخلاق مذمومة للمعلمين ينبغي ان يجتنب عنها بل المتكفل بعلم

واحد ينبغي ان يوسع علي المتعلم في غيره وان كان متكفلا بعلوم
فينبغي ان يراعي التدريج في ترقية المتعلم من رتبة الي رتبة
الخامس ان يقتصر بالتعلم علي قدر فهمه فلا يلقي عليه ما لا يبلغه
عقله فينفره او يخبط عليه عقله اقتداء بسيد البشر عليه
الصلاة والسلام حيث قال نحن معاشر الانبياء امرنا ان ننزل
الناس منازلهم ونكلم الناس علي قدر عقولهم وقال علي رضي الله عنه
واشار الي صدره ان ههنا علوما جمة لو وجدت لها حملة وصدق
رضي الله عنه قلوب الابرار قبور الاسرار فلا ينبغي ان يفشي العالم
كل ما يعلمه الي احد هذا اذا كان يفهمه المتعلم ولم يكن اهلا للانتفاع به
فكيف فيما لا يفهمه وقوله الله سبحانه تعالي لا تؤتوا السفهاء اموالكم
تنبيه علي ان حفظ العلم ممن يفسده ويضره اولي وليس الظلم في اعطاء
غير المستحق باقل من الظلم في منع المستحق كما قيل فمن منح الجهال علما اضاعه
ومن منع المستوجبين فقد ظلم السادس ان المتعلم القاصر ينبغي
ان يلقي اليه الجلي اللايق به ولا يذكر له ان وراء هذا تدقيقا وهو
يدخره عنه فان ذلك يفتر رغبته في الجلي ويشوش قلبه ويوهم
اليه البخل به عليه اذ يظن كل احد انه اهل لكل علم دقيق فما من احد
الا وهو راض من الله تعالي في كمال عقله واشدهم حماقة واضعفهم عقلا

كال

هوا فرحهم

هو افرحهم بكمال عقله السابع ان يكون المعلم عاملا بعلمه فلا يكذب
قوله بفعله لان العلم يدرك بالبصاير والعمل يدرك بالابصار
وارباب الابصار اكثر من ارباب البصاير فاذا خالف العمل العلم منع
الرشد وكل من تناول شيئا وقال للناس لا تتناولوه فانه سم مهلك
سخر الناس به وزاد حرصهم عليه فيقولون لولا انه اعظم الاشياء
والذها لما كان يستاثر به ومثل المعلم المرشد من المتعلم المسترشد
مثل النقش من الطين والعود من الظل وكيف ينقش الطين بما لا
نقش فيه ومتي استوي الظل والعود اعوج ولذلك قيل لا تنه
عن خلق وتاتي مثله ۝ عار عليك اذا فعلت عظيم وقال آخر
يا معشر القراء يا ملح البلد ۝ ما يصلح الملح اذا الملح فسد ۝ وقال الله
تعالي اتامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم وكذلك كان وزر العالم
في معاصيه كثيرا اذ يزل بزلته عالم كثير فيقتدون به ومن سن
سنة حسنة فله اجرها واجر من عمل بها ومن سن سنة سيئة
فعليه وزرها ووزر من عمل بها وكذلك قال علي رضي الله عنه
قصم ظهري رجلان عالم متهتك وجاهل متنسك فالجاهل يغر الناس
بتنسكه والعالم ينفرهم بتهتكه

الباب الخامس

في بيان علامات علماء الآخرة وعلماء السوء اعلم ان من المهلكات العظيمة

معرفة العلامة الفارقة بين علماء الدنيا وعلماء الآخرة ونعني
بعلماء الدنيا العلماء السوء الذين قصدهم من العلم التنعم بالدنيا
والتوصل الى الجاه والمنزلة عند اهلها وقد ورد في علماء السوء
من الاخبار والاثار تشديدات عظيمة اما الاخبار فكثيرة
وقد قال صلى الله عليه وسلم اشد الناس عذابا يوم القيمة عالم
لم ينفعه الله بعلمه وقال لا يكون المرء عالما حتى يكون بعلمه عاملا
وقال يكون في اخر الزمان عباد جهال وعلماء فساق وقال
لا تتعلموا العلم لتباهوا به العلماء ولتماروا به السفهاء ولتصرفوا
وجوه الناس اليكم فمن فعل ذلك فهو في النار وقال من ازداد
علما ولم يزدد هدى لم يزدد من الله الا بعدا قال عيسى عليه السلام
الى متى تصفون الطريق للمدلجين وانتم مقيمون مع المتحيرين فهذا
وامثاله من الاخبار يدل على خطر العلم وان العالم اما متعرض
لهلاك الابد او لسعادة الابد وانه بالخوض في العلم قد حرم السلامة
ان لم يدرك السعادة واما الاثار فقد قال عمر رضي الله عنه
ان اخوف ما اخاف على هذه الامة المنافق العليم قالوا وكيف يكون
منافقا عليما قال عليم اللسان جاهل القلب والعمل وقال
الحسن رضي الله عنه لا تكونن ممن يجمع علم العلماء وطرائف الحكماء

ويجري في

ويجري في العمل مجرى السفهاء وقيل لابراهيم بن عيينة اي الناس
اطول ندامة فقال اما في عاجل الدنيا فصانع المعروف الى من لا يشكره
واما عند الموت فعالم مفرط وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه
يهتف العلم بالعمل فان اجابه والا ارتحل وقال ابن المبارك رحمة
الله عليه لا يزال المرء عالما ما طلب العلم فاذا ظن انه علم فقد جهل
وقال الفضيل رحمة الله عليه بلغني ان الفسقة من العلماء تبدأ بهم
النار يوم القيمة قبل عبدة الاوثان وقال ابو الدرداء رحمة الله
عليه ويل لمن لا يعلم مرة وويل لمن يعلم ولا يعمل سبع مرات وسبب
تضعيف عذاب العلماء امران احدهما انه يقتدي بهم غيرهم كما
قال عمر رضي الله عنه اذا زل عالم والثاني انهم عصوا عن علم ولهذا
تقول ان امر اليهود اشد من امر النصارى وان كانوا لا يقولون ثالث
ثلثة لانهم كفروا عن علم قال الله تعالى يعرفونه كما يعرفون ابناءهم
فبهذه الاخبار والاثار تبين ان العالم الذي هو من ابناء الدنيا
اخس حالا واشد عذابا من الجاهل وان الفائزين المقربين هم
علماء الاخرة ولهم علامات عشر احديها ان لا يطلب الدنيا بعلمه
فان اقل درجات العالم ان يدرك حقارة الدنيا وخستها وكدورتها
وانصرامها وعظم الاخرة ودوامها ويعلم انهما متضادتان

وانهما كضرتين ان ارضيت احديهما اسخطت الاخري وانهما
كفتي الميزان مهما رجحت احديهما خفت الاخري وانهما كالمشرق
والمغرب مهما قربت من احديهما بعدت من الاخري وانهما كقدحين
احديهما مملوء والاخر فارغ فبقدر ما تصبه منه في الاخر يفرغ
الاخر فان من لا يعلم حقارة الدنيا وكدورتها وامتزاج لذتها
بالمها ثم انصرام ما يصفوا منها فهو فاسد العقل فان المشاهدة
والتجربة ترشد الي ذلك فكيف يكون من العلماء من لا عقل له ومن
لا يعلم عظم امر الاخرة ودوامها فهو كافر مسلوب الايمان فكيف يكون
من العلماء من لا ايمان له ومن لا يعلم مضادة الدنيا للاخرة وان
الجمع بينهما طمع في غير مطمع فهو جاهل بشريعة الانبياء عليهم السلام
كلهم بل هو كافر بالقرآن من اوله الي آخره فكيف يعد من زمرة العلماء
ومن علم هذا كله ولم يوثر الاخرة علي الدنيا فهو اسير الشيطان
قد اهلكته شهوته وغلبت عليه شقوته فكيف يعد من العلماء
من هذه درجته وقال مالك بن دينار رحمة الله عليه قرات
في بعض الكتب ان الله تعالي يقول ان اهون ما اصنع بالعالم
اذا احب الدنيا ان اخرج حلاوة مناجاتي من قلبه وحكي
ان ابليس مشي الي دار فرعون وهو في المستراح فقرع الباب فقال

من انت

من انت وهل يخفي علي رب الخلق ما وراء الباب فلما دخل عليه ابليس
قال فرعون من شر منا قال ابليس انت قال لم قال لاني اطوف الشرق
والغرب في ساعة واحدة مع هذا لا اكون له عبدا وانت مع نقصك
وقصورك تقول انا ربكم الاعلي فكيف اكون شرا منك ثم خاف ابليس
ان يرجع فرعون عن طريقته بسبب هذه المناظرة فقال وهل تعرف
من اشر منا قال لا قال الذي يستعمل علم الاخرة لكسب الدنيا وروي
ان الحسن البصري رضي الله عنه انصرف من مجلسه فحمل اليه رجل من
خرسان كيسا فيه خمسة الاف درهم وعشرة اثواب من دقيق البز
وقال يا ابا سعيد هذه نفقة وهذه كسوة فقال الحسن رضي الله
عنه عافاك الله ضم اليك كسوتك ونفقتك فلا حاجة لنا بذلك
انه من جلس مثل مجلسي هذا وقبل من الناس مثل هذا لقي الله تعالي
يوم القيمة ولا خلاق له وروي عن جابر مرفوعا الي رسول الله
صلي الله عليه وسلم انه قال لا تجلسوا عند كل عالم الا عالم يدعوكم
من خمس الي خمس من الشك الي اليقين ومن الرياء الي الاخلاص ومن
ومن الرغبة الي الزهد ومن الكبر الي التواضع ومن العداوة الي النصيحة
وقال الحسن رحمة الله عليه عقوبة العلماء موت القلب وموت
القلب طلب الدنيا بعمل الاخرة وثانيها ان لا يخاف فعله قوله

بل لا يأمر بالشيء ما لم يكن هو اول عامل به قال الله تعالي
كبر مقتا عند الله ان تقولوا ما لا تفعلون وقال الله تعالي
لعيسي عليه السلام عظ نفسك فان اتعظت فعظ الناس والا
فاستحيي مني وقال النبي صلى الله عليه وسلم مررت ليلة
اسري بي بقوم كان يقرض شفاههم بمقاريض من نار فقلت
من انتم فقالوا كنا نامر بالخير ولا نفعله وقال رحمة الله عليه
شكت النواويس ما تجد من نتن جيف الكفار فاوحي الله تعالي
اليها بطون علماء السوء انتن مما انتم فيه وروي مكحول عن عبد
الرحمن بن غنم رحمهما الله قال حدثني عشرة من اصحاب
رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضي عنهم انا كنا ندرس العلم
في مسجد قبا فخرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال
تعلموا ما شئتم فلن يأجركم الله حتي تعملوا وقال حاتم الاصم ليس
في القيمة اشد حسرة من رجل علم الناس علما يعملوا به ولم يعمل
هو به وقال ابن السماك كم من مذكر بالله ناسي لله وكم من
مخوف بالله جرئ علي الله وكم من مقرب الي الله بعيد من الله وكم
من داع الي الله فار عن الله وكم من تال لكتاب الله منسلخ من ايات
الله وقال ابرهيم بن ادهم رحمة الله عليه مررت بحجر مكتوب

عليه اقلبني تعتبر فقلبته فاذا عليه مكتوب انت بما تعلم لا تعمل
فكيف تطلب علم ما لا تعلم وفي الانجيل لا تطلبوا علم ما لا تعملوا حتي
تعملوا بما علمتم وقال عيسي عليه السلام مثل الذين يتعلم العلم ولا
يعمل به كمثل امراة زنت في السر فحبلت فافتضحت فكذلك من لا يعمل
بعلمه يفتضح يوم القيمة على رؤس الاشهاد وثالثها ان يكون
عنايته بتحصيل العلم النافع في الآخرة المرغب في الطاعة متجنبا
للعلوم التي يقل نفعها ويكثر فيها الجدال والقيل والقال فمثال
من يعرف عن علم الاعمال ويشتغل بالجدال مثال رجل مريض به علل
كثير وقد صادف طبيبا حاذقا في وقت ضيق يخشي فواته فاشتغل
بالسؤال عن ساير الادويه وغرايب الطب وترك مهمه الذي هو
مؤاخذ به وذلك محض السفه بل ينبغي ان يكون التعليم من جنس ما
روي عن حاتم الاصم تلميذ شقيق البلخي رحمهما الله انه قال له شقيق
منذ كم صحبتني قال منذ ثلاث وثلثين سنة فقال وما علمت مني
في هذه المدة قال ثماني مسايل قال شقيق انا لله وانا اليه راجعون ذهب
عمري معك ولم تتعلم الا ثماني مسائل قال يا استاد لم اتعلم غيرها ولا احب
ان اكذب فقال هات هذه الثمان مسايل حتي اسمعها قال حاتم الاولى
نظرت الي هذه الخلق فرايت كل واحد يحب محبوبا فهو مع محبوبه الي القبر

فاذا وصل القبر فارقه فجعلت الحسنات محبوبي فاذا دخلت القبر
دخل محبوبي معي فقال احسنت يا حاتم الثانية نظرت في قول الله
تعالي واما من خاف مقام ربه ونهي النفس عن الهوي فان الجنة
هي الماوي فعلمت ان قوله هو الحق فاجهدت نفسي في دفع الهوي حتي
استقرت علي طاعة الله تعالي الثالثة اني نظرت الي هذا الخلق فرايت
كل من معه شي له قيمة عنده ومقدار رفعه وحفظه ثم نظرت
في قول الله تعالي ما عندكم ينفد وما عند الله باق فكلما وقع معي
شي له مقدار وقيمة وجهته اليه ليبقي لي عنده الرابعة اني
نظرت الي هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يرجع الي المال والحسب
والشرف والنسب فنظرت فاذا هي لا شي ثم نظرت الي قوله تعالي
ان اكرمكم عند الله اتقاكم فعملت في التقوي حتي اكون عند الله
كريما الخامس نظرت الي هذا الخلق وهم يطعن بعضهم في بعض ويلعن
بعضهم بعضا واصل هذا كله الحسد ثم نظرت الي الله تعالي
نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحيوة الدنيا فتركت الحسد
واجتنبت الخلق وعلمت ان القسم من عند الله تعالي وتركت
عداوة الخلق عني السادسة نظرت الي هذا الخلق يبغي بعضهم
علي بعض ويقاتل بعضهم بعضا فرجعت الي قوله تعالي ان الشيطان

لكم

لكم عدو فاتخذوه عدوا فعاديته وحده واجتهدت في اخذ
حذري منه لان الله شهد عليه انه عدوي فتركت عداوة
الخلق السابعة نظرت الي هذا الخلق فرايت كل واحد منهم يطلب
هذه الكسرة فيذل نفسه ويدخل فيما لا يحل له ثم نظرت الي
قوله تعالي وما من دابة في الارض الا علي الله رزقها فعلمت
اني واحد من هذه الدواب التي علي الله رزقها فاشتغلت بما
هو لله تعالي علي وتركت ما هو لي عنده الثامنة نظرت الي هذا
الخلق فرايتهم متوكلين هذا علي صنعته وهذا علي ضيعته و
هذا علي تجارته وهذا علي صحة بدنه وكلهم متوكلين علي
مخلوق فرجعت الي قوله تعالي ومن يتوكل علي الله فهو حسبه
فتوكلت علي الله فهو حسبي قال الشقيق يا حاتم وفقك الله فقد
استعملت الكتب الاربعة المنزلة من الله تعالي وبامثال هذه
العلوم بعث الانبياء كلهم عليهم السلام ورابعها ان يكون
غير مايل الي الترفه في المطعم والتنعم في الملبس والتجمل في الاثاث
والمسكن بل يوثر الاقتصار في جميع ذلك ويتشبه فيه بالسلف
وانهم يلبسون ما يجدون من غير تكلف واختيار ويقتصرون
علي ما يودون به الغرض من ستر العورة وما يدفع القر والحر

وعن عايشة رضي الله عنها انها قالت ما ملك رسول الله
صلى الله عليه وسلم من شيء زوجين وقال رسول الله صلى
الله عليه وسلم ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل غسل
ثوبه فلم يجد خلقا ورجل لم ينصب على مستوقده قدرين و رجل
دعا بشرابه ولم يقل له ايهما تريد وروي ان عمر رضي الله عنه
كان يخطب وعليه ثوبان فلما قال اسمعوا عباد الله قال ابو ذر
رضي الله عنه لا نسمع منك وقد خالفت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ولبست ثوبين فقال والله احدهما استعرته وقد
اخذوا ثوبي للغسل فقال اذا قل حتى نسمع وحكي عن الحريري رحمه
الله عليه انه كان ببعدا وفقير لا يجده الا ثوب واحد شتاء وصيفا
فسئل عن ذلك فقال كنت مولعا بكثرة الثياب فرايت في المنام
كاني دخلت الجنة فرايت جماعة من اصحابنا على مايدة فقصدتهم
فجاءت ملايكة فمنعوني وقالوا هولاء اصحاب ثوب واحد ولك اثواب
فانتبهت ونذرت ان لا البس الا ثوبا واحدا الى ان اموت وقد نهى
صلى الله عليه وسلم عن لبس الشهوة حتى قال بعضهم خير اللباس
ما خدمني وشرها ما خدمته وخامسها ان يكون منقطعا عن
السلاطين لا يدخل عليهم البتة ما دام يجد الى الفرار عنهم سبيلا

بل ينبغي

بل ينبغي ان يحترز عن مخالطتهم وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
شرار العلماء الذين ياتون الامراء وخيار الامراء الذين ياتون العلماء
وقال سفيان الثوري رحمه الله في جهنم واد لا يسكنه الا
القراء الزوارون للملوك فالداخل عليهم اما ان يلتفت الى تجملهم
فيزدري نعم الله تعالى عليه او يسكت عن الانكار عليهم فيكون مداهنا
ويتكلف في كلامه لمرضاتهم وذلك هو البهت الصريح او يطمع في ان ينال
دنياهم وذلك هو السحت وعلى الجملة فمخالطتهم لشرور عدة وعلماء
الاخرة طريقهم الاحتياط وسياتي في كتاب الحلال والحرام ما يشبعك
من هذا الباب ان شاء الله تعالى وسادسها ان لا يكون مسارعا
الى الفتوى بل يكون متوقفا ومحترزا ما وجد الى الخلاص سبيلا
فان سئل عما يعلمه تحقيقا بنص الكتاب او بنص حديث صحيح
او اجماع او قياس جلي افتى وان سئل عما يشك فيه قال لا ادري
ودفع عن نفسه واحال على غيره هذا هو الحزم وفي الخبر العلم
ثلثة كتاب ناطق وسنة قايمة ولا ادري وقال الشعبي لا ادري
نصف العلم قال عليه السلام لا ادري اعزير نبي ام لا وما ادري
اتبع ملعون ام لا وما ادري ذو القرنين نبي ام لا وقال
ابن مسعود رضي الله عنه ان الذي يفتي في كل ما يستفتونه لمجنون

ولهذا سئل صلى الله عليه وسلم عن خير البقاع وشرها فقال
لا ادري حتى نزل جبرئيل عليه السلام فسئله عن رسول عن ذلك
فقال لا ادري حتى اعلمه الله تعالى ان خير البقاع المساجد
وشر البقاع الاسواق وقيل كانت الصحابة رضي الله عنهم
يتدافعون اربعة اشياء الامانة والوديعه والوصية و
والفتوى فلم يزل السكوت ذاب اهل العلم الا عند الضرورة
وفي الخبر اذا رايتم الرجل قد اوتي صمتا وزهدا فاقتربوا
منه فانه يلقن الحكمة وقال بعضهم اذا كثر العلم قل الكلام
قل الكلام وسابعها ان يكون عنايته بتحصيل علم المكاشفة
والمعاملة بالمراقبة والمجاهدة فان المجاهدة تفضي الى المشاهدة
في دقايق علم القلوب وتتفجر به ينابيع الحكمة من القلب فان ذلك
تحصل ما لا تحصل بالكتب وكذلك قال صلى الله عليه وسلم
من عمل بما علم اورثه الله علم ما لا يعلم وفي بعض الكتب السالفة
يا بني اسرائيل لا تقولوا العلم في السماء من ينزل به ولا في تخوم
الارض من يصعد به ومن وراء البحار من يعبر ياتي به العلم
مجعول في قلوبكم تادبوا بين يدي باداب الروحانيين وتخلقوا
الى باخلاق الصديقين اظهر العلم من قلوبكم حتى يغطيكم ويغركم

وقال علي رضي الله عنه القلوب اوعية وخيرها اوعاها وثامنها
ان يكون شديد العناية بتقوية اليقين فانه هو راس مال الدين
قال صلى الله عليه وسلم تعلموا اليقين ومعناه جالسوا
الموقنين واسمعوا منهم علم اليقين وواظبوا على الاقتداء بهم
ليقوي يقينكم كما يقوي يقينهم وقليل من اليقين خير من كثير العمل
قال صلى الله عليه وسلم لما قيل له رجل حسن اليقين كثير الذنوب
ورجل مجتهد في العبادة قليل اليقين قال ما من ادمي الا وله ذنوب
ولكن من كانت غريزته العقل وسجيته اليقين لم يضره الذنوب لانه
كلما اذنب تاب واستغفر وندم فيكفر ذنوبه ويبقى له الفضل
يدخل به الجنة ولذلك قال صلى الله عليه وسلم من اقل ما اوتيتم
اليقين وعزيمة ومن اوتي حظه منهما لم يبل ما فاته من قيام الليل
وصيام النهار فان قلت ما معنى اليقين وما معنى قوته وضعفه
فلا بد من فهمه اولا ثم الاشتغال بطلبه وتعلمه فان من لا يفهم صورته
لا يفهم طلبه فاعلم ان اليقين عبارة عن عدم الشك واثبات
الصدق فمهما مال النفس الى التصديق بالشيء وغلب ذلك على القلب
واستوى حتى صار هو المستحكم والمتصرف في النفس بالتحريض والمنع
سمي ذلك يقينا واذا فهمت هذا علمت المراد من قولنا اذا قلنا

ان اليقين ينقسم الي ثلثة اقسام بالقوة والضعف والقلة و
الكثرة والخفاء والجلاء فاما القوة والضعف فذلك في الغلبة
والاستيلاء على القلب ودرجات اليقين في القوة والضعف
لا تتناهي وتفاوت الخلق في استعدادهم للموت بحسب تفاوت اليقين
بهذه المعاني واما التفاوت بالخفاء والجلاء فلا ينكر ايضا فانك
تدرك تفرقة بين تصديقك بوجود مكة شرفها الله ووجود
فدك مثلا وبين تصديقك بوجود موسى ووجود يوشع عليهما
السلام مع انك لا تشك في الامرين جميعا اذ مستندهما التواتر
ولكن تري احدهما اجلى واوضح من الثاني لان السبب في احدهما
اقوي وهو كثرة المخبرين واما القلة والكثرة فذلك بكثرة متعلقات
اليقين وهي المعلومات التي وردت بها الشرايع فلا مطمع في
احصائها ولكني اشير الي بعض امهاتها فمن ذلك التوحيد ان
تري الاشياء كلها من مسبب الاسباب ولا يلتفت الي الوسايط
بل يري الوسايط مسخرة لا حكم لها فالمصدق بهذا مؤمن فان
انتفي عن قلبه مع الايمان امكان الشك فهو موقن ومهما تحقق
هذا استولي عليه التوكل والرضي والتسليم وصار موقنا بريا
من الغضب والحقد والحسد وسوء الخلق فهذا احد ابواب اليقين

ومن ذلك

ومن ذلك الثقة بضمان الله تعالي للرزق في قوله تعالي وما من دابة
في الارض الا علي الله رزقها واليقين بان ذلك ياتيه وان ما قدر له
سيساق اليه ومهما غلب ذلك علي قلبه كان مجملا في الطلب ولم يشتد
حرصه وشرهه وتاسفه علي ما يفوته واثمر هذا اليقين ايضا
جملة من الطاعات والاخلاق الحميدة ومن ذلك ان يغلب علي قلبه ان
من يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره وهو
اليقين بالثواب والعقاب حتي يري نسبة الطاعات الي الثواب كنسبة
الخبز الي الشبع ونسبة المعاصي الي العقاب كنسبة الافاعي الي الهلاك
فكما يحرص علي تحصيل الخبز طالبا الشبع فيحفظ قليله وكثيره
فكذلك يحرص علي الطاعات كلها قليلها وكثيرها وكما يجتنب قليل
السموم وكثيرها فيجتنب قليل المعاصي وكثيرها وصغيرها وكبيرها
فكلما كان اليقين اغلب كان الاحتراز اشد والتشمر ابلغ ومن ذلك
اليقين ان الله تعالي مطلع عليك في كل حال ومشاهد لهواجس ضميرك
وخفايا خواطرك وفكرك ومهما تحقق ذلك علي قلبه كان في خلوته
متادبا في جميع احواله واعماله ومحترزا عن كل حركة تخالف الادب
وهذا المقام في اليقين يورث الحياء والخوف والانكسار والا ستكانة
وهذه الاخلاق تورث انواعا من الطاعات رفيعة فاليقين في كل باب

من هذه الابواب مثل الشجرة وهذه الاخلاق في القلب كالاغصان
المتفرعة والطاعات الصادرة من الاخلاق كالثمار والانوار
المتفرعة من الاغصان فاليقين هو الاساس والاصل وله مجاري
وابواب اكثر مما عددناه وسيأتي ذلك في ربع المنجيات ان شاء
الله تعالي **وتاسعها** ان يكون حزينا منكوسا صامتا يظهر اثر
الخشية علي هيئة وسكوته وحركته وسكونه ونطقه وسكوته
ولا ينظر اليه ناظر الا وهو نظره مذكرا لله تعالي وكانت صورته
دليلا علي عمله فعلماء الآخرة يعرفون بسيماهم في السكينة والذلة
والتواضع **قال** عمر رضي الله عنه ما اتاه عبدا علما الا اتاه
معه حلما وتواضعا وحسن خلق ورفقا فذلك هو العلم النافع
وفي الخبر ان من خيار امتي قوم يضحكون جهرا من سعة رحمته
ويبكون سرا من خوف عذابه ابدانهم في الارض وقلوبهم في السماء
ارواحهم في الدنيا وعقولهم في الآخرة يمشون بالسكينة ويتقربون
بالوسيلة **وقال** ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا برهة
من الدهر وان احدنا يؤتي الايمان قبل القرآن وتنزل السورة
فنعلم حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها وما ينبغي ان يتوقف عنه
منها ولقد رايت رجالا يؤتي احدهم القرآن قبل الايمان فيقراء

ما بين الفاتحة الي خاتمته لا يدري ما امره وما زاجره وما ينبغي
ان يتوقف عنده وينثره نثر الدقل وفي خبر اخر بمثل معناه كنا
اصحاب رسول الله عليه السلام اوتينا الايمان قبل القرآن وسياتي
بعدكم قوم يؤتون القرآن قبل الايمان يقيمون حروفه ويضيعون
حدوده يقولون قرانا علمنا فمن اقرا منا وعلمنا فمن اعلم منا
اولئك شر هذه الامة **عاشرها** ان يكون اكثر بحثه في علم
الاعمال عما يفسدها ويشوش القلب ويهيج الوسواس ويثير
الشر فان اصل الدين التوقي من الشر ولذلك قيل عرفت الشر لا
للشر لكن لتوقيه ٥ ومن لا يعرف الشر من الناس يقع فيه ٥ ولقد كان
الحسن البصري اشبه الناس كلاما بكلام الانبياء واقربهم هديا من
الصحابة اتفق العلماء في حقه علي ذلك وكان اكثر كلامه في خواطر
القلوب وفساد الاعمال ووساوس النفوس والصفات الخفية
قيل له يا ابا سعيد انك تتكلم بكلام ليس يسمع من غيرك فمن اين
اخذته فقال من حذيفة بن اليمان وقيل لحذيفة نراك تتكلم
بكلام لا يسمع من غيرك من الصحابة فمن اين اخذته فقال خصني
به رسول الله صلي الله عليه وسلم كان الناس يسئلونه عن الخير
وعن افضل الاعمال وكنت اسئاله عن الشر وعن افات الا

ومفسداتها خصني بها وخصه بها ايضا بعلم المنافقين وكان
يسئله عن نفسه هل تعلم شيئا من النفاق فبرأه من ذلك وكان
عمر رضي الله عنه اذا دعي الى جنازة نظر فان حضر حذيفة رضي
الله عنه صلي عليها والا ترك وكان يسمي صاحب السر فالعناية
بمقامات القلب واحواله هو داب علماء الاخرة لان القلب هو
الساعي الي قرب الله تعالي هذه عشر علامات من علامات علماء
الاخرة تجمع كل واحد منها جملا من اخلاق علماء السلف الصالح
فكن احد رجلين اما متصفا بهذه الصفات او معترفا بالتقصير
مع الاقرار به واياك ان تكون الثالث فتلبس علي نفسك بان
تلقب آلة الدنيا بالدين وسيرة البطالين بسيرة العلماء
الراسخين وبجهلك وانكارك بزمرة الهالكين ونعوذ بالله
من خدع الشياطين

الباب السادس

في العقل وشرفه وحقيقته واقسامه اما شرفه فلا يحتاج
الي تكلف في اظهاره لاسيما وقد ظهر شرف العلم من قبل والعقل
منبع العلماء ومطلعه واساسه والعلم يجري منه مجري الثمرة
من الشجرة والنور من الشمس والرؤية من العين وكيف لا
يشرف ما هو وسيلة السعادة في الدنيا والاخرة وكيف يستراب

فيه والبهيمة

فيه والبهيمة مع قصور تمييزها تحتشم العقل حتي ان اعظم البهائم بدنا
واشدها ضراوة واقواها سطوة اذا راي صورة الانسان احتشمه
وهابه لشعوره باستيلائه عليه بما خصه به من ادراك الحيل ولذلك
قال عليه السلام الشيخ في قومه كالنبي في امته وليس ذلك لكثرة
ماله ولا لكبر شخصه ولا لزيادة قوته بل لزيادة تجربته التي هي ثمرة
عقله ولذلك تري الاتراك والاكراد والاجلاف الخلق مع قرب رتبتهم
من البهائم يوقرون المشايخ بالطبع وشرف العقل يدرك بالضرورة
وانما القصد ان نورد ما وردت به الايات والاخبار في ذكر شرفه
اما الايات فقوله تعالي الله نور السموات والارض سماه نورا وسمي العلم
المستفاد منه روحا فقال وكذلك ارسلنا اليك روحا من امرنا وقال
او من كان ميتا فاحييناه وحيث ذكر النور والظلمة اراد به العلم والجهل
لقوله تعالي يخرجهم من الظلمات الي النور واما الاخبار فقد قال
صلي الله عليه وسلم اعلموا ان العاقل من اطاع الله وان كان دميم المنظر
حقير الخطر دني المنزلة رث الهيئة فان الجاهل من عصي الله وان كان
جميل المنظر عظيم الخطر شريف المنزلة حسن الهيئة فصوحا نطوقا و
القردة والخنازير اعقل عند الله ممن عصاه ولا تغتروا بتعظيم اهل
الدنيا اياهم فانهم من الخاسرين وقال لكل شي عامة ودعامة المؤمن

عقله فبقدر عقله تكون عبادته ماسمعتم قول الفاجر لو كنا نسمع
او نعقل ما كنا في اصحاب السعير **وعن عايشة** رضي الله عنها قلت يا
رسول الله باي شيء يتفاضل الناس في الدنيا قال بالعقل قلت
وفي الاخرة قال بالعقل قلت اليس انما يجزون باعمالهم يا عايشه وهل
عملوا الا بقدر ما اعطاهم الله من العقل فبقدر ما اعطوا من العقل
كانت اعمالهم وبقدر ما عملوا يجزون **وقال** عليه السلام اتمكم
عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم لله عبادة **وقال** العاقل من امن
بالله وصدق رسله وعمل بطاعته فهذه من الاخبار علي شرف العقل
واما بيان حقيقته واقسامه **فاعلم** ان العقل اسم يطلق با
الاشتراك علي اربعة معاني كما يطلق اسم العين مثلا على معاني عدة
وما يجري هذا المجري فلا ينبغي ان يطلب لجميع اقسامه حد واحد
بل يفرد كل قسم بالكشف عنه فالاول ما قال الحارث المحاسبي
في العقل انه غريزة يتهيا بها درك العلوم النظرية وتدبير الصناعات
الخفية الفكرية التي بها يتميز الانسان من البهايم وكانه نور يقذف
في القلب به يستعد لادراك الاشياء الثاني هي العلوم التي تخرج
الي الوجود في ذات الطفل المميز لجواز الجايزات واستحالة المستحيلات
كالعلم بان الاثنين اكثر من الواحد والشخص الواحد لا يكون في مكانين

وهو الذي عناه بعض المتكلمين حيث قال في حد العقل انه بعض العلوم
الضرورية بجواز الجايزات واستحالة المستحيلات وهو ايضا صحيح في
نفسه لان هذه العلوم موجود وتسميتها عقلا ظاهر الثالث
علوم تستفاد من التجارب بمجاري الاحوال فان من حنكته التجارب
وهذبته المذاهب يقال له عاقل في العادة ومن لا يتصف به يقال
انه غبي جاهل فهذا نوع اخر من العلوم يسمي عقلا الرابع ان تنتهي قوة
تلك الغريزة الي ان يعرف عواقب الامور ويقمع الشهوة الداعية الي اللذة
العاجلة ويقهرها فاذا حصلت هذه القوة يسمي صاحبها عاقلا
من حيث ان اقدامه واحجامه بحسب ما يقتضيه النظر في العواقب
لا بحكم الشهوة العاجلة وهذا ايضا من خواص الانسان التي بها
يتميز عن ساير الحيوانات فالاول هو الاس والسنخ والمنبع والثاني
هو الفرع الاقرب اليه والثالث هو الفرع الاول والثاني اذ بقوة الغريزة
والعلوم الضرورية يستفاد علوم التجارب الرابع هو الثمرة الاخيرة
وهي الغاية القصوي فالاولان بالطبع والاخران بالاكتساب ولذلك
قال علي رضي الله عنه **شعر** رايت العقل عقلين فمطبوع ومسموع ○
ولا ينفع مسموع اذا لم يك مطبوع ○ كما لا ينفع الشمس وضوء العين
ممنوع ○ والاول هو المراد بقوله عليه السلام ما خلق الله خلقا اكرم

عليه من العقل والاخر هو المراد بقوله عليه السلام اذا تقرب الناس
بابواب البر فتقرب انت بعقلك وهو المراد بقوله عليه السلام
لابي الدرداء ازدد عقلا تزدد من ربك قربا فقال بابي انت وامي
وكيف لي بذلك فقال اجتنب محارم الله وادّ فرايض الله تكن
عاقلا وتنفل من الصالحات من الاعمال تزدد في الدنيا رفعة
وكرامة وتنل بها من ربك القرب والعز ويشبه ان يكون الاسم
في اصل اللغة لتلك الغريزة وكذا في الاستعمال وانما اطلق على العلوم
من حيث انها ثمرتها كما يعرف الشيء بثمرته فيقال العلم هو الخشية
والعالم من خشي الله تعالى فان الخشية ثمرة العلم فيكون كالمجاز لغير
تلك الغريزة ولكن ليس الغرض والبحث عن اللغة والمقصود ان هذا
الاقسام الاربعة موجودة والاسم يطلق علي جميعها ولا خلاف في
وجودها جميعا الا في القسم الاول والصحيح وجودها بل هي الاصل
وهذه العلوم كلها مضمنة في تلك الغريزة بالفطرة ولكن تظهر الي
الوجود اذا جري سبب يخرجها الى الوجود حتي كان هذه العلوم
ليست بشيء وارد عليها من خارج وكانها كانت مستكنة فيها
فظهرت كالدهن في اللوز وماء الورد وهذا القدر كاف في بيان
والله اعلم بالصواب. كتاب

قواعد العقايد وفيه فصول الفصل الاول في ترجمة
عقيدة اهل السنة في كلمتي الشهادة التي هي احد مباني الاسلام
وهي اربعه اركان الاول في معرفة الذات فنقول انه واحد لا شريك
له فرد لا مثل له اول لا بداية له آخر لا نهاية له لم يزل ولا يزال موصوف
بنعوت الجلال وانه ليس بجسم مصور وجوهر محدود مقدر ولا
بعرض ولا تحله الاعراض بل لا يماثل وجودا ولا يمثله موجود وليس كمثله
شيء ولا هو مثل شيء وانه مستوي علي العرش علي الوجه الذي قاله
وبالمعني الذي اراده استواء منزها عن المماسة والاستقرار والتمكن
والحلول والانتقال لا يحمله العرش وحملته محمولون بلطف قدرته
ومقهورون في قبضته وهو فوق العرش وفوق كل شيء الي تخوم الثري
فوقية لا تزيده قربا الي العرش والسماء وهو مع ذلك قريب من كل موجود وهو
اقرب الي العبد من حبل الوريد وهو علي كل شيء شهيد الثاني في معرفة
الصفات فنقول انه حي قادر قاهر لا يعتريه قصور ولا عجز ولا تاخذه
سنة ولا نوم ولا يعارضه فناء ولا موت ولا تحصي مقدوراته
ولا تتناهي معلوماته وانه تعالي عالم بجميع المعلومات محيط
بما يجري من الثري الي اعلي السموات لا يعزب عن علمه مثقال ذرة
في الارض ولا في السماء بل يعلم دبيب النملة السوداء علي الصخرة الصما

في الليلة الظلماء يدرك حركة الذر في جو الهواء وانه مريد للكاينات
مدبر للحادثات فلا يجري في الملك والملكوت قليل وكثير صغير وكبير
خير وشر نفع وضر ايمان وكفر عرفان ونكر ربح وخسر زيادة
ونقصان طاعة وعصيان الا بقضايه وقدرته وحكمه ومشيته
فما شاء كان وما لم يشاء لم يكن ولو اجتمع الانس والجن والملايكة
والشياطين على ان يحركوا في العالم ذرة دون ارادته ومشيته
عجزوا عنه وانه تعالى سميع بصير يسمع ويرى لا يعزب عن سمعه
مسموع وان خفي ولا يغيب عن رويته مرى وان دق لا يحجب
عن سمعه بعد ولا يدفع رويته ظلام وانه تعالى متكلم امر ناهي
واعد متوعد بكلام ازلي قديم قايم بذاته لا يشبه كلامه كلام
الخلق فليس بصوت ولا حرف ينقطع باطباق شفة او تحريك
لسان الثالث في الافعال فنقول انه لا موجود سواه الا وهو حادث
بفعله وفايض من عدله على احسن الوجوه واكملها وانه تعالى
حكيم في الظلم افعاله عادل في اقضيته ولا يقاس عدله بعدل
العباد اذ العبيد يتصور منه الظلم بتصرفه في ملك الغير ولا يتصور
الظلم من الله تعالى فانه لا يصادف لغيره ملكا حتى يكون تصرفه
فيه ظلما فكل ما سواه من جن وانس وملك وشيطان وارض

وسماء ونبات وحيوان حادث اخترعه بقدرته بعد العدم
وانه تعالى متفضل بالخلق والاختراع لا عن وجوب ومتطول
بالانعام لا عن لزوم فلم يصب على عباده انواع العذاب ويبتليهم
بضروب الالام والاوصاب ولو فعل ذلك لكان منه عدلا ولم يكن
قبيحا ولا ظلما وانه تعالى يثيب عباده على الطاعات بحكم الكرم
والوعد لا بحكم الاستحقاق واللزوم اذ لا يجب عليه فعل ولا
يجب عليه لاحد حق بعث الانبياء وارسل محمدا صلى الله عليه وسلم
وايده بالمعجزات الرابع في السمعيات فنقول انه تعالى بعث
محمدا صلى الله عليه وسلم برسالته الى كافة العرب والعجم والجن
والانس فنسخ بشرعه الشرايع وفضله على ساير الانبياء وجعله
سيد البشر والزم الخلق تصديقه في جميع ما اخبر عنه في الدنيا
والاخرة وانه لا يتقبل ايمان عبد حتى يوقن بما اخبر عنه بعد
الموت واوله سوال منكر ونكير وهما شخصان مهيبان هايلان
يقعدان العبد في قبره سويا ذا روح وجسد فيسالانه عن
التوحيد ويقولان من ربك ومن نبيك وما دينك وان يومن
بعذاب القبر والحشر والنشر والميزان والصراط والجنة وساير
ما صح في الاخبار من امور الاخرة وسياتي ذلك في كتاب الموت

ان شاء الله تع **الفصل الثاني** في وجه التدريج الي الارشاد
وبيان علم الباطن اما وجه التدريج الي الارشاد فاعلم ان ما
ذكرناه من ترجمة العقيدة ينبغي ان يقدم الي الصبي في اول نشوه
ليحفظ حفظا ثم لا يزال ينكشف له معناه في كبره شيا فشيا
ولا بد من تقويته واثباته في نفس الصبي والعاصي حتي يترسخ
ولا يتزلزل وليس الطريق في تقويته ان يعلم صنعة الكلام والجدل
بل يشتغل بتلاوة القران وتفسيره وقرات الحديث وفوايدها
بما يسطع عليه من انوار العبادات ووظايفها وبما يسري اليه من
مشاهدة الصالحين ومجالستهم وهيااتهم في الخضوع لله تعالى
والخوف منه وينبغي ان يحرس نفسه من الجدل والكلام غاية
الحراسه فانما يفسده الجدل اكثر مما يصلحه وهو الاغلب والمشاهدة
تكفيك في بيانه فناهيك بالعيان برهانا فقس عقيدة اهل
الصلاح والتقي من عوام الناس بعقيدة المتكلمين والمجادلين فترى
اعتقاد العامي في الثبات كالطود الشامخ لا تحركه الدواهي و
الصواعق وعقيدة المتكلم الحارس كخيط مرسل في الهوي تقلبه
الريح مرة هكذا ومرة هكذا **قال** الشافعي رحمة الله حكمي في
اصحاب الكلام ان يضربوا بالجرايد ويطاف بهم في العشاير والقبايل

ويقال

ويقال هذا جزاء من ترك الكتاب والسنة واخذ في الكلام **وقال**
احمد بن حنبل رحمة الله علماء الكلام زنادقه **وقال** مالك رحمة
الله لا تجوز شهادة البدع والاهواء فقال بعض اصحابه في تاويله انه
اراد باهل الاهواء اهل الكلام علي اي مذهب كانوا **وقال** ابو يوسف
رحمة الله من طلب العلم بالكلام تزندق **وقال** الحسن رحمة الله لا
تجالسوا اهل الاهواء ولا تجادلوهم ولا تسمعوا منهم وقد اتفق
اهل الحديث من السلف رحمهم الله علي هذا ولا ينحصر ما نقل عنهم من
التشديدات فيه واما بيان علم الباطن فاعلم ان لنا علما ظاهرا وعلما
باطنا والباطن لا يناقض الظاهر وعلم الباطن يقع علي خمسة اضرب
الاول ان يكون الشيء دقيقا في نفسه يكل اكثر الافهام عن دركه
فيختص بدركه الخواص وعليهم ان لا يفشوه الي غير اهله اذ يصير
ذلك فتنة عليهم حيث تقصر افهامهم عن الدرك لذلك **قال**
ابن عباس رضي الله عنه في قول الله الذي خلق سبع سموات ومن الارض
مثلهن يتنزل الامر بينهن لو ذكرت تفسيره لرجمتموني وفي رواية
لقلتم انه كافر **وقال** سهل التستري رحمة الله عليه للعالم ثلثة
علوم ظاهر يبذله لاهل الظاهر وعلم باطن لا يسوغ اظهاره الا لاهله
وعلم هو بينه وبين الله تعالى لا يظهره لاحد هذا قيل افشاء سر

مطلب علم الباطن

الربوبية كفر وافشاء سر الروح واسرار صفات الله تعالى من هذا القسم
ولعل الاشارة الى مثله في قوله عليه السلام ان الله سبعين حجابا
من نور لو كشفها لاحرقت سبحات وجهه كل من ادركه بصره ولا تظنن
ان ذلك لم يكن مكشوفا لرسول الله صلى الله عليه وسلم بل البعض الاو لياء
والعلماء ولم يذكروا منها الا الظواهر للافهام من العلم والقدرة وغيرهما
حتى فهمها الخلق بنوع مناسبة توهموها الى علمهم وقدرتهم اذ كانت
لهم من الاوصاف ما يسمى علما وقدرة فيتوهمون ذلك بنوع مقايسة
ولو ذكر من صفاته عز وجل ما ليس للخلق مما يناسبه بعض المناسبة
شيء لم يفهموه بل لذة الجماع اذا ذكرت للصبي والعنين لم يفهمها
الا بمناسبة الى لذة للطعوم الذي يدركه ولا يكون ذلك فيهما
على التحقيق والمخالفة بين علم الله تعالى وقدرته وعلم الخلق و
وقدرتهم اكثر من المخالفة بين لذة الجماع والاكل الثاني ما هو
مفهوم في نفسه لا يكل الفهم عنه ولكن ذكره مضر باكثر المستمعين
ولا يضر بالانبياء والصديقين عليهم السلام كما يضر نور الشمس
بابصار الخفافيش وكما يضر رياح الورد بالجعل وسر القدر الذي
منع اهل العلم من افشائه من هذا القسم وقولنا ان الكفر والزنا
والمعاصي والشرور بقضاء الله تعالى وارادته ومشيته حق

في نفس

في نفسه وقد اخر سماعه بقوم اذ اوهم ذلك عندهم دلالة على
السفه ونقيض الحكمة والرضا بالقبيح الثالث ان يكون الشيء
بحيث لو ذكر صريحا لم يكن فيه ضرر ولكن يكنى عنه سبيل الاستعارة
والرمز ليكون وقعه في قلب المستمع اغلب وله مصلحة في ان يعظم
وقع ذلك الامر في قلبه كما قال قائل رايت فلانا يقلد الدر في اعناق
الخنازير وكنى به على افشاء العلم وبث الحكمة الى غير اهلها فالمستمع
قد يسبق الى فهمه ظاهره والمحقق اذا نظر وعلم ان ذلك الانسان
لم يكن معه در ولا كان في موضعه خنزير تفطن لدرك السر والباطن
فتفاوت الناس بذلك ومنه قوله عليه السلام ان المسجد لينزوي
عن النخامة كما تنزوي الجلدة في النار وانت ترى ان ساحة المسجد
لا تنقبض بالنخامة ومعناه ان روح المسجد كونه معظما ورمي النخامة
فيه تحقير فيضاد معنى المسجدية مضادة النار لاتصال اجزاء الجلدة
وكذلك قوله عليه السلام اما يخشى من يرفع راسه قبل الامام ان
يحول الله راسه راس حمار وذلك لا من حيث الصورة بل من حيث
المعنى هو كاين اذ راس الحمار لم يكن بحقيقته لكونه وشكله بل لخاصيته
وهي البلادة والحمق ومن رفع راسه قبل الامام فقد صار راسه
راس حمار في معنى البلادة والحمق وهو المقصود دون الشكل الذي

هو قالب المعنى اذ من غاية الحمق ان يجمع بين الاقتداء وبين التقدم
فانهما متناقضان وانما يعرف هذا السر على خلاف الظاهر اما
بدليل عقلي او شرعي اما العقلي بان يكون حمله على الظاهر غير ممكن
لقوله عليه السلام قلب المؤمن بين اصبعين من اصابع الرحمن
اذا فتشنا عن صدور المؤمنين فليست فيها اصابع فعلم انها كناية
عن القدرة التي هي سر الاصبع وروحها الخفي وكنى بالاصبع عن
القدرة لان ذلك اعظم وقعا في تفهيم تمام الاقتدار واما شرعي
فهو ان يكون اجراؤه على الظاهر ممكنا ولكن يروى انه اريد به
غير الظاهر كما ورد في تفسير قوله تعالى انزل من السماء ماء فسالت
اودية بقدرها فاحتمل السيل زبدا رابيا الاية ه ان معنى الماء
القران ومعنى الاودية القلوب وان بعضها احتملت شيئا
كثيرا وبعضها قليلا وبعضها لم تحمل والزبد مثل الكفر فانه وان
ظهر على راس الماء فانه لا يثبت والهداية التي تنفع الناس تمكث
وفي هذا القسم تعمق جماعة فاولوا ما ورد في الاخرة من الميزان والصراط
وغيرها وهو بدعة فيجب اجراؤه على الظاهر الرابع ان يدرك الانسان
الشيء جملة ثم يدركه تفصيلا بالتحقيق والذوق بان يصير حالا
ملابسا فيتفاوت العلمان ويكون الاول كالقشر والثاني كاللب

وذلك

وذلك كما يتمثل الانسان في عينه شخص في الظلمة او على البعد
فيحصل له نوع علم فاذا راه بالقرب او بعد زوال الظلمة ادرك
تفرقة بينهما ولا يكون الاخير ضد الاول بل هو استكمال له فكذلك
في العلم والايمان والتصديق اذ قد يصدق الانسان بوجود العشق
والمرض والموت قبل وقوعه ولكن تحققه به عند الوقوع اكمل
من تحققه قبل الوقوع بل للانسان في الشهوة والعشق وساير الاحوال
ثلثة احوال متفاوتة الاول تصديقه بوجوده قبل وقوعه
والاخر عند وقوعه والاخر بعد تصرمه وانقضائه ففي هذه
الاقسام الاربعة يتفاوت الخلق وليس في شيء منه باطن يناقضه
الظاهر بل يتممه ويكمله كما يتمم اللب القشر الخامس ان يعبر بلسان المقال
عن لسان الحال فالقاصر الفهم يقف على الظاهر ويعتقده نطقا والبصير
بالحقايق يدرك السر فيه وهكذا كقول القايل قال الجدار للوتد لم تشقني
قال سل من يدقني ولم يتركني وانظر الحجر الذي ورائي فهذا تعبير عن لسان
الحال بلسان المقال ومن هذا قوله تعالى فقال لها وللارض ائتيا طوعا
او كرها قالتا اتينا طائعين وقوله تعالى وان من شيء الا يسبح بحمده
فكذلك ما من شيء الا وهو محتاج في نفسه الى موجد يوجده ويبقيه
ويديم اوصافه ويردده في اطواره فهو لحاجته يشهد لخالقه

بالتقديس فهذا الفن ايضا مما يتفاوت ارباب الظواهر وارباب البصائر
في علمه وتظهر مفارقة الباطن للظاهر والله سبحانه وتعالي اعلم بالصواب

الفصل الثالث في الايمان والاسلام وما بينهما من الاتصال والانفصال
والزيادة والنقصان ووجه الاستثناء السلف فيه اما بيان ما يقال
في الايمان والاسلام فاعلم ان العلماء اختلفوا في ان الاسلام هو الايمان
او غيره وان كان غيره فهو منفصل يوجد دونه او مرتبط به يلازمه
فقيل انهما شيء واحد وقيل انهما اثنان لا يتواصلان وقيل انهما
شيئان ولكن يرتبط احدهما بالاخر ونحن نبين الحق فنقول في هذا
ثلثة مباحث بحث عن موجب اللفظين في اللغة وبحث عن المراد بهما
في اطلاق الشرع وبحث عن حكمهما في الدنيا والاخرة فالبحث الاول لغوي
والثاني تفسيري والثالث فقهي شرعي **فالبحث** الاول في موجب اللغة
والحق فيه ان الايمان عبارة عن التصديق قال الله تعالي وما انت بمؤمن
لنا اي بمصدق والاسلام عبارة عن التسليم والاستسلام بالاذعان
والانقياد وترك التمرد والاباء والعناد وللتصديق محل خاص وهو
القلب واللسان ترجمانه واما التسليم فانه عام في القلب واللسان والجوارح
فان كل تصديق بالقلب هو تسليم وترك الاباء والجحود وكذلك الاعتراف
باللسان وكذلك الطاعة والانقياد بالجوارح فموجب اللغة ان الاسلام

اعم والايمان

اعم والايمان اخص وكان الايمان عبارة عن اشرف اجزاء الاسلام فاذا كل
تصديق تسليم وليس كل تسليم تصديق **البحث** الثاني عن اطلاق الشرع
والحق فيه ان الشرع قد ورد باستعمالهما علي سبيل الترادف والتوارد و
ورد علي سبيل الاختلاف وورد علي سبيل التداخل اما الترادف ففي
قوله تعالى فاخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين
ولم يكن بالاتفاق الا بيت واحد وقال ان كنتم امنتم بالله فعليه توكلوا ان
كنتم مسلمين **وقال** صلي الله عليه وسلم بني الاسلام علي خمس وسئل مرة
عن الايمان فاجاب بهذا الخمس واما الاختلاف فقوله تعالى قالت الاعراب
امنا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا اسلمنا ومعناه استسلمنا في الظاهر فاراد
بالايمان ههنا تصديق القلب فقط وبالاسلام الاستسلام ظاهرا
باللسان والجوارح **وفي حديث** جبريل لما ساله عليهما السلام عن الايمان
فقال ان تؤمن بالله وملائكته ورسله وبالبعث بعد الموت وبالحساب
وبالقدر خيره وشره فقال ما الاسلام فذكر الفصال الخمس فعبر بالاسلام
عن تسليم الظاهر بالقول والعمل **وفي حديث** سعد انه صلي الله عليه وسلم
اعطي رجلا عطاء ولم يعط الاخر فقال سعد يا رسول الله تركت فلانا لم
تعط وهو مؤمن فقال عليه السلام او مسلم وقيل له عليه السلام اي
الاعمال افضل فقال الاسلام فقيل اي الاسلام افضل فقال الايمان وهذا

دليل علي الاختلاف والتداخل وهو اوفق الاستعمالات للغة لان الاسلام
عمل من الاعمال وهو افضلها والاسلام هو تسليم اما بالقلب وباللسان واما
بالجوارح وافضلها الذي بالقلب وهو التصديق الذي يسمي ايمانا والاستعمال
لها علي سبيل الاختلاف وعلي سبيل التداخل وعلي سبيل الترادف كله غير
خارج عن طريق التجوز في اللغة اما الاختلاف فهو ان يجعل الايمان عبارة
عن التصديق بالقلب فقط وهو موافق فان التسليم ببعض محال التسليم ينطلق
عليه اسم التسليم فليس من شرط حصول الاسم عموم المعني لكل محل يمكن ان يوجد
المعني فيه فان من لمس غيره ببعض بدنه سمي لامسا وان لم يستغرق جميع بدنه
فاطلاق اسم الاسلام علي التسليم الظاهر عند عدم الباطن مطابق اللسان وعلي
هذه الوجه جري قوله تعالي قالت الاعراب امنا وقوله عليه السلام في
حديث سعد او مسلم لانه فضل احدهما علي الاخر واما التداخل فموافق ايضا
للغة وهو ان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا
والايمان عبارة عن التسليم بالقلب والقول والعمل جميعا والايمان عبارة
عن بعض ما دخل في الاسلام وهو القلب وهو الذي عنيناه بالتداخل
وهذا موافق للغة في خصوص الايمان وعموم الاسلام للكل وعلي هذا اخرج
قوله الايمان وعموم الاسلام وعلي هذا اخرج قوله الايمان في جواب قول السائل اي
الاسلام افضل لانه جعل الايمان خصوصا من الاسلام فادخله فيه واما

استعماله علي سبيل الترادف فان يجعل الاسلام عبارة عن التسليم بالقلب
والظاهر جميعا فان كل ذلك تسليم وكذا الايمان ويكون التصرف في الايمان
علي الخصوص بتعميمه وادخال الظاهر في معناه وهو جايز لان التسليم
الظاهر بالقول والعمل ثمرة تصديق الباطن ونتيجته وقد يطلق اسم الشجر
ويراد به الشجر مع ثمرة علي سبيل التسامح فيصير بهذا القدر من التعميم موافقا
لاسم الاسلام ومطابقا له فلا يزيد عليه ولا ينقص وعليه خرج قوله تعالي
فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين **البحث** الثالث عن الحكم الشرعي الايمان
والاسلام حكمان اخروي ودنيوي اما الاخروي فهو الاخراج من النار ومنع
التخليد اذ **قال** صلي الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال
ذرة من الايمان وقد اختلفوا في ان هذا الحكم علي ما ذا يترتب وعبروا عنه
بان الايمان ما ذا فمن قايل يقول انه مجرد العقد ومن قايل يقول انه عقد
بالقلب وشهادة باللسان ومن قايل يزيد ثالثا وهو العمل بالاركان ونحن
نكشف الغطاء ونقول من جمع بين هذه الثلاثة فلا خلاف في ان مستقره
الجنة وهذه درجة الثانية ان يوجد اثنان وبعض الثالث وهو القول
والعقد وبعض الاعمال ولكن ارتكب صاحبه كبيرة او بعض الكبايرقالت
المعتزلة خرج بهذا عن الايمان ولم يدخل في الكفر بل اسمه الفاسق وهو
علي منزلة بين المنزلتين وهو مخلد في النار وهو باطل كما سنذكره ان

شاء الله تعالى الثالثة ان يوجد التصديق بالقلب والشهادة باللسان
دون الاعمال بالجوارح وقد اختلفوا في حكمه والحق انه لا يصير كافرا
الرابعة ان يوجد التصديق بالقلب فقبل ان يطلق باللسان او يستقبل
بالاعمال مات فهل نقول مات مؤمنا بينه وبين الله تعالى فهذا مما اختلف
فيه ومن شرط القول لتمام الايمان يقول هذا مات قبل الايمان وهو فاسد
اذ قال صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من
الايمان وهذا قلبه طافح بالايمان فكيف يخلد ولم يشترط في حديث
جبرئيل عليه السلام الايمان التصديق بالله تعالى وملائكته عليهم السلام
كما سبق الخامسة ان يصدق بالقلب ويساعده من العمر مهلة النطق
بكلمتي الشهادة وعلم وجوبها ولكنه لم ينطق بها فيحتمل ان يجعل امتناعه
عن النطق كامتناعه عن الصلوة ونقول هو مؤمن غير مخلد في النار
اذ الايمان هو التصديق المحض واللسان ترجمان الايمان وقد قال
صلى الله عليه وسلم يخرج من النار من كان في قلبه مثقال ذرة من الايمان
ولا ينعدم الايمان من القلب بالسكوت عن النطق الواجب كما لا ينعدم
بالسكوت عن الفعل الواجب السادسة ان يقول بلسانه لا اله الا الله
محمد رسول الله ولكن لم يصدق بقلبه فلا نشك في ان هذا في حكم الآخرة
من الكفار وانه يخلد في النار ولا نشك في انه في حكم الدنيا الذي يتعلق

بالائمة

بالائمة والولاة من المسلمين لان قلبه لا يطلع عليه فان قلت فقد
مال الاختيار الى ان الايمان حاصل دون العمل وقد اشتهر عن السلف
رحمهم الله بان الايمان عقد وقول وعمل فما معناه قلنا لا يبعد ان
يعد العمل من الايمان لانه مكمل له كما يقال الراس واليدان من الانسان
ومعلوم انه يخرج عن كونه انسانا بعدم الراس ولا يخرج عنه
بقوله مقطوع اليدين وكذلك يقال التسبيحات والتكبيرات
من الصلوة وان كانت لا تبطل بفقدها فالتصديق بالقلب من الايمان
كالقلب من وجود الانسان اذ ينعدم بعدمه وبقية الطاعات كالاطراف
وبعضها اعلى من بعض وقد قال صلى الله عليه وسلم لا يزني الزاني
حين يزني وهو مؤمن والصحابة رضي الله عنهم ما اعتقدوا مذهب
المعتزلة في الخروج عن الايمان بالزنا ولكن معناه غير مؤمن حقا ايمانا
تاما كاملا كما يقال للعاجز المقطوع الاطراف هذا ليس بانسان اي ليس
الكمال الذي وراء حقيقة الانسانية واما بيان زيادة الايمان
ونقصانه فاعلم ان السلف رحمهم الله قد اتفقوا على ان الايمان يزيد
وينقص يزيد بالطاعات وينقص بالمعصية فان قيل فان كان
التصديق هو الايمان فلا يتصور فيه زيادة ولا نقصان فاقول
السلف رحمهم الله هم الشهود والعدول وما لاحد عن قولهم عدول فما

ذكره حق وانما الشان في فهمه فاعلم ان الايمان اسم مشترك يطلق من ثلثة
اوجه الاول انه يطلق علي التصديق بالقلب علي سبيل الاعتقاد والتقليد
من غير كشف وانشراح صدر وهو ايمان العوام بالخلق كلهم الا الخواص وهذا
الاعتقاد عقدة علي القلب تارة تشتد وتقوي وتارة تضعف وتسترخي
كالعقدة علي الخيط مثلا والعمل يوثر في نماء تشديد تلك العقدة زيادتها
كما يوثر سقي الماء نماء الاشجار ولذلك قال تعالى فزادتهم ايمانا وذلك بتاثير
الطاعات في القلب وهذا لا يدركه الا من راقب احوال نفسه في اوقات المواظبة
علي العبادة والتجرد لها بحضور القلب مع اوقات الفتور وادراك التفاوت
في السكون الي عقايد الايمان في هذه الاحوال حتي يزيد عقده استعصاء
علي من يريد حله بالتشكيك فهذا وجه زيادة الايمان بالطاعة بموجب هذا
الاطلاق الثاني ان يراد به التصديق والعمل في مقتضي لفظ الايمان جميعا
كما قال الايمان بضع وسبعون بابا واذا دخل العمل في مقتضي لفظ الايمان لم
تخف زيادته ونقصانه وهل يوثر ذلك في زيادة الايمان الذي هو مجرد
التصديق هذا فيه نظر وقد اشرنا الي انه موثر فيه الثالث ان يراد به
التصديق اليقيني علي سبيل الكشف وانشراح الصدر والمشاهدة بنور
البصيرة وقد ظهر في جميع الاطلاقات ان ما قالوه من زيادة الايمان ونقصانه
حق واما وجه قولهم انا مومنون ان شاء الله اعلم ان هذا الاستثناء

مطلب

صحيح

صحيح وله اربعة اوجه وجهان يستندان الي شك لا في اصل الايمان ولكن
في خاتمته او في كماله ووجهان لا يستندان الي شك الاول الذي لا يستند الي
الشك احتراز من الجزم خيفة ما فيه من تزكية النفس قال الله تعالى ولا تزكوا
انفسكم وقال الم تر الي الذين يزكون انفسهم ثم قال انظر كيف يفترون علي الله
الكذب وكفي به اثما مبينا والجزم به تزكية مطلقة وصيغة الاستثناء لاخراج
نفسه عن التزكية لا للتشكيك كما يقال للانسان انت طبيب او فقيه مفسر
فيقول نعم ان شاء الله الوجه الثاني التادب بذكر الله تعالي في كل حال واحالة
الامور كلها الي مشية الله تعالى فقد ادب الله سبحانه وتعالى نبيه عليه الصلاة
والسلام فقال ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غدا الا ان شاء الله ثم لم يقتصر
علي ذلك فيما يشك فيه بل قال لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله وكان تعالى عالما
بانه يدخل لا محالة وانه شاءه ولكن المقصود تعليمه ذلك فتادب صلى الله
عليه وسلم في كل ما كان يخبر عنه معلوما كان او مشكوكا حتي قال لما دخل
المقابر السلام عليكم دار قوم مومنين ان شاء الله بكم لاحقون واللحوق بهم
غير مشكوك فيه ولكن يقتضي الادب ذكر الله تعالى وربط الامور به عز وجل
الوجه الثالث ومستنده الشك ومعناه انا مومن حقا ان شاء الله تعالى
اذ قال لقوم مخصوصين باعيانهم اولئك هم المومنون حقا فانقسموا الي
قسمين ويرجع هذا الي الشك في كمال الايمان لا في اصله وكل انسان شاك

في كمال ايمانه و ذلك وهو خفي لا يتحقق البراة في كمال الايمان حق من وجهين
احدهما من حيث النفاق يزيل كمال الايمان وهو خفي لا يتحقق البراءة منه
والثاني انه يكمل باعمال الطاعات ولا يدري وجودها علي الكمال الوجه الرابع
وهو ايضا مستند الي الشك و ذلك من خوف الخاتمة فانه لا يدري ايسلم
الايمان عند الموت ام لا فان ختم بالكفر حبط الايمان السابق لانه موقوف
علي سلامة الاخر ولو سئل الصايم ضحوة النهار عن صحة صومه فقال اني
صايم قطعا فلو افطر بعد ذلك تبين كذبه اذ كانت الصحة موقوفة علي التمام
الي غروب الشمس وكما ان النهار ميقات تمام الصوم فالعمر ميقات تمام الصحة
للايمان و وصفه بالصحة قبل اخره بقاء علي الاستصحاب وهو مشكوك مطلب بعض العارفين
فيه والعاقبة مخوفة وقد قال الله تعالي والله عاقبة الامور وقال بعض
العارفين لو عرضت علي الشهادة عند باب الدار والموت علي التوحيد
عند باب الحجرة لاخترت الموت علي الشهادة لاني لا ادري ما يعرض لقلبي
من التغير عن التوحيد الي باب الدار فمهما كان الشك بهذه المثابة كان الاستثناء
واجبا والله اعلم بالصواب كتاب

اسرار الطهارة وفيه فصول الطهارة **الفصل الاول** في مراتب الطهارة
وفضيلتها الفصل الثاني في الطهارة عن الخبث الفصل الثالث في الطهارة
عن الحدث الفصل الرابع عن فضلات البدن **اما فضيلتها** فقد قال

الله تعالي فيه رجال يحبون ان يتطهروا والله يحب المتطهرين **وروي** عن عثمان
رضي الله عنه انه قال كنت مع النبي صلي الله عليه وسلم وعنده رجل يتوضاء
فضحك صلي الله عليه وسلم فقلت ما اضحك يا رسول الله قال كرامات الله
لعبده عند وضوئه فكل عند توضاء وغسل اعضاء كلها غسل عضوا
تساقطت الذنوب من ذلك العضو بالماء **وقال** صلي الله عليه وسلم
الطهور نصف الايمان ففهم ذوا البصاير بهذه الاية والخبر ان اهم الامور تطهير
السراير اذ كيف يكون شطر الايمان تطهير الظواهر بالماء والبواطن مشحونة
بالاخباث والاقذار هيهات فالطهارة لها اربع مراتب الاولي تطهير الجوارح
عن الجرايم والاثام والثانية تطهير القلب عن الاخلاق المذمومة والاوصاف
المقوتة والثالثة تطهير السر عما سوي الله تعالي وهي طهارة الانبياء و الصديقين بيقين
عليهم السلام والطهارة في كل رتبة نصف العمل الذي فيها فان الغاية القصوي
في عمل السر ان ينكشف له جلال الله وعظمته ولن تحل معرفة الله تعالي بالحقيقة
في السر ما لم يرتحل ما سوي الله تعالي ولذلك قال تعالي قل الله ثم ذرهم لانهما لا يجتمعان
في قلب واحد وما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه واما عمل القلب فالغاية
القصوي عمارته بالاخلاق المحمودة بالعقايد المشروعة ولن يتصف بها
ما لم يتنظف عن نقايضها من العقايد الفاسدة والرذايل المذمومة فتطهيرها
احد الشطرين الاول وهو الشطر الاول الذي هو شطر في الثاني فكان الطهور

شطر الايمان بهذا المعني وكذلك تطهير الجوارح عن المناهي احد الشطرين وعمارتها
بالطاعات الشطر الثاني وهذه مقامات الايمان ولكل مقام طبقة ولن ينال
العبد الطبقة العالية الا ان يجاوز الطبقة السافلة فلا يصل الي طهارة
السر عن الصفات المذمومة وعمارته بالمحمودة ما لم يفرغ عن طهارة القلب
عن الخلق المذموم وعمارته بالمحمود ولن يصل الي ذلك ما لم يفرغ عن طهارة
الجوارح عن المناهي وعمارتها بالطاعات وكلما عز المطلب وشرف صعب مسلكه
وطال طريقه وكثرت عقباته ولا تظنن ان هذا الامر يدرك بالمني وينال
بالهوينا ومن عميت بصيرته عن تفاوت هذه الطبقات لم يفهم من مراتب
الطهارة الا الدرجة الآخرة التي سنذكرها وهي كالقشر الاخير بالاضافة
الي اللب المطلوب فضيع اوقاته في الاستنجاء وطلب المياه الجارية الكثيرة
ظنا منه بحكم الوسوسة وخبل العقل ان الطهارة المطلوبة المشرفة هي
هذه فقط وجهلا بسيرة الاولين هيهات وقد قال الله تعالی ما يريد الله
ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهركم فان اهم الامور تطهير السرائر قبل
تطهير الظواهر والرابعة تطهير الظواهر عن الاحداث والاخباث والفضلات
اعلم ان للطهارة الظاهرة تاثيرا في اشراق نور القلب **قال**
عليه السلام الوضوء علي الوضوء نور علي نور والعقل لا يستحيل ذلك
فان العلاقة ثابتة بين عالم الشهادة وعالم الملكوت فكما يفيض

من نور

من معارف القلب اثار علي الجوارح وكذلك قد يفيض من طهارة اثر علي الباطن
وقد عرف بالتجربة ان المجامع في حال مباشرته اذا ادمن النظر الي بياض مشرق
او حمرة قانية حتي غلبت تلك الصورة علي نفسه مال لون المولود الي ذلك وان
الجنين وقت ما يتحرك في البطن تميل صورته الي الحسن ان كانت الام مشاهدة
في تلك الحالة لصورة حسنة غلبت علي نفسها ونظر هذا فيضان النور بواسطة
المرآة المحاذية للشمس علي بعض الاجسام المحاذية للمرآة والي قريب من هذا يرجع
سر الشفاعة في الآخرة وطهارة الظاهر لا تحصل الا بالتطهير عن الحدث والخبث
وعن فضلات البدن **الفصل الثاني** في بيان الطهارة عن الخبث فالنظر فيه
يتعلق بالمزال والمزال به والازالة فالاول وهي النجاسات والاعيان ثلثة جمادات
وحيوانات واجزاء الحيوانات اما الجمادات فطاهرة كلها الا الخمر وكل مشتد مسكر
والحيوانات طاهرة الا الكلب والخنزير وما تولد منهما فاذا ماتت فكلها نجس
الا خمسة الادمي والسمك والجراد ودود التفاح وفي معناه كل ما ليس له
نفس سائلة كالذباب والخنفساء والعقرب وغيرها فلا ينجس الماء بوقوع
شيء فيه منها واما اجزاء الحيوانات فقسمان احدهما ما يقطع منه وحكمه
حكم الميت والشعر لا ينجس بالجز والموت والعظم ينجس الثاني الرطوبات
الخارجة من باطنه فكل ما ليس مستحيلا ولا له مقر فهو طاهر كالدمع والعرق
واللعاب والمخاط وما له مقر فهو مستحيل فنجس الا ما هو مادة الحيوان كالمني

مطلب حسن الولد

والبيض والقيح والدم والروث والبول نجس من الحيوانات ولا يعفى عن شيء
من هذه النجاسات قليلها وكثيرها الا عن خمسة الاول اثر النجو بعد الاستجمار
بالاحجار يعفى عنه مالم يعد المخرج والثاني طين الشوارع وغبار الروث
في الطريق يعفى عنه مع تيقن النجاسة بقدر ما يتعذر الاحتراز عنه وهو
الذي لا ينسب المتلطخ به الى تفريط او سقطة عادة الثالث على ما اسفل من
الخف من نجاسته لا تخلو الطريق عنها فيعفى عنه بعد الدلك للحاجة الرابع
دم البراغيث ما قل منه او كثر اذا جاوز العادة سواء كان في ثوبك او ثوب
غيرك فلبسته الخامس دم البثرات وما ينفصل منها من قيح وصديد وفي
معناه ما يترشح من لطخات الدماميل التي تدوم غالبا وكذا اثر الفصد
الا ما يقع نادرا من جرح وغيره فيلتحق بدم الاستحاضة ولا يكون في معنى البثرات
التي لا يخلو الانسان عنها في احواله الثاني في المزال به وهو اما جامد او مايع
اما الجامد فحجر الاستنجاء وهو مطهر تطهيرا خفيفا بشرط ان يكون صلبا
طاهرا منشفا غير محترم واما المايعات فلا يزال النجاسة بشيء منها الا
بالماء ولا كل ماء بل الطاهر الذي لم يتفاحش تغيره بمخالطة ما يستغنى
عنه ويخرج الماء عن الطهارة بان يتغير بملاقات النجاسة طعمه او
لونه او ريحه فان لم يتغير كان قريبا من مائتين وخمسين منا وهو خمس مائة
رطل برطل العراق لم ينجس لقوله عليه السلام اذا بلغ الماء قلتين لم يحمل خبثا

وان كان دونه صار نجسا الثالث هذا في الماء الراكد اما الجاري اذا تغير
بالنجاسة فالجرية المتغيرة نجسة دون ما فوقها وما تحتها الثالث في
كيفية الازالة والنجاسة ان كانت حكمية وهي التي ليس لها جرم محسوس
فيكفي اجراء الماء على جميع مواردها وان كانت عينية فلا بد من ازالة العين
وبقاء الطعم يدل على بقاء العين وكذا بقاء اللون والرايحة الا اذا كانا
عسر الازالة والمزيل للوسواس ان يعلم ان الاشياء خلقت طاهرة بيقين فما
لا يشاهد عليه نجاسة ولا يعلمها يقينا يصلي معه ولا ينبغي ان يتوصل
بالاستنباط الى تقدير النجاسات **الفصل الثالث** في الطهارة عن
الحدث وفيها الوضوء والغسل والتيمم ويتقدمها الاستنجاء وسبب الوضوء
قضاء الحاجة ولكل واحد منها اداب وسنن اما اداب قضاء الحاجة فهي
عشرة الاول هو ان يبعد عن اعين الناظرين في الصحراء وان يستتر براحلته
في الصحراء جاز وكذا بدابته وذيله او غير ذلك الثاني ان لا يكشف
عورته قبل الانتهاء الى موضع الجلوس الثالث ان لا يستقبل الشمس ولا القمر
والقبلة ولا يستدبرها الا اذا كان في بناء والعدول عنها في البناء ايضا احب
الرابع ان يتقي الجلوس في متحدث الناس والجحرة وتحت الشجرة المثمرة والموضع الصلب
ومهاب الريح في البول استنزاها من رشاشه والخامس ان لا يبول في الماء الراكد
السادس ان يتكئ في جلوسه على الرجل اليسرى السابع ان يقدم الرجل اليسرى في

في الدخول واليمني في الخروج الثامن ان لا يبول ايضا في المغتسل التاسع ان لا
يستصحب معه شيئاً عليه اسم الله واسم رسوله العاشر ان لا يدخل بيت الماء
حاسر الراس الحادي عشر ان يقول عند الدخول بسم الله اعوذ بالله من الخبيث
المخبث من الشيطان الرجيم وعند الخروج الحمد لله الذي اذهب عني ما يؤذيني
وابقي علي ما ينفعني الثاني عشرة ان لا يستنجي بالماء في موضع قضاء الحاجة ومن
الرخصة ان الانسان قريبا من صاحبه مستترا عنه فعل ذلك رسول الله
صلى الله عليه وسلم مع شدة حيائه ليبين للناس فهذا اداب مجامع قضاء
الحاجة واما اداب الوضوء فاولها السواك ينبغي انه اذا فرغ من الاستنجاء
اشتغل بالوضوء فلم يُرَ رسول الله صلى الله عليه وسلم قط خارجا من الغائط
الا توضاء ويبتدئ بالسواك فقد قال صلى الله عليه وسلم صلاة بسواك
افضل من خمس وسبعين صلوة بغير سواك وقال عليه السلام ان افواهكم
طرق القرآن فطيبوها بالسواك فينبغي ان ينوي عند السواك تطهير فمه لقراءة
القرآن وذكر الله في الصلوة وقال علي رضي الله عنه السواك يزيد في الحفظ
ويذهب البلغم والثاني اذا جلس للوضوء يقول بسم الله الرحمن الرحيم اعوذ بك
من همزات الشيطان واعوذ بك رب ان يحضرون والثالث اذا غسل يديه
ثلثا يقول اللهم اني اسئلك اليمن والبركة واعوذ بك من الشوم والهلكة والرابع
ينوي رفع الحدث واستباحة الصلوة ويستديم النية الي غسل الوجه و

الخامس اذا تمضمض ثلثا يقول اللهم اعني علي تلاوة كتابك وكثرة الذكر لك والسادس
اذا استنشق ثلثا يقول اللهم ارحني رايحة الجنة وانت عني راض واذا
استنثر يقول اللهم اني اعوذ بك من روايح النار واعوذ بك من سوء الدار لان
الاستنشاق ايصال والاستنثار ازالة والسابع اذا غسل وجهه يقول
اللهم بيض وجهي بنورك يوم تبيض وجوه اوليائك ولا تسود وجهي يوم تسود
وجوه اعدائك ويخلل اللحيه عند غسل الوجه والثامن اذا غسل يده اليمني
يقول اللهم اعطني كتابي بيميني وحاسبني حسابا يسيرا واذا غسل يده اليسري
يقول اللهم اني اعوذ بك ان تعطيني كتابي بشمالي ومن وراء ظهري والتاسع
اذا استوعب راسه بالمسح يقول اللهم غشني برحمتك وانزل علي من بركاتك واظلني
تحت عرشك يوم لا ظل الا ظلك واذا مسح اذنيه ظاهرا وباطنا بماء جديد
يقول اللهم اجعلني من الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه اللهم اسمعني
منادي الجنة مع الابرار واذا مسح رقبته يقول اللهم فك رقبتي من النار واعوذ بك
من السلاسل والاغلال والعاشر اذا غسل رجله اليمني يقول اللهم ثبت قدمي
علي الصراط يوم تزول الاقدام في النار ويقول عند غسل رجله اليسري اللهم اني
اعوذ بك ان تزل قدمي عن الصراط يوم تزل الاقدام المنافقين ويرفع الماء الي
الساقين فاذا فرغ رفع راسه الي السماء وقال اشهد ان لا اله الا الله وحده
لا شريك له واشهد ان محمدا عبده ورسوله سبحانك وبحمدك لا اله الا انت عملت

سوء وظلمت نفسي استغفرك واتوب اليك فاغفر لي وتب علي انك انت التواب
الرحيم اللهم اجعلني من التوابين واجعلني من المتطهرين واجعلني من عبادك الصالحين
واجعلني شكورا واجعلني اذكرك كثيرا واسبحك بكرة واصيلا ومن ادابه ايضا
ان لا يتكلم في اثناء وضوئه واذا فرغ اقبل الي الصلوة ويخطر بباله ان طهر ظاهره
وهو مطرح بطن الخلق فينبغي ان يستحي من مناجات الله تعالى من غير تطهير قلبه وهو
موقع نظر الرب تعالى وليتحقق ان طهارة القلب بالتوبة والخلو عن الاخلاق
الذميمة فان من اقتصر عن طهارة الظاهر كمن اراد ان يدعو ملكا الي بيته فتركه
مشحونا بالقاذورات واشتغل بتجصيص ظاهر الباب البراني من الدار وما اجدره
بالتعرض للمقت والبوار وقد اخبر النبي عليه السلام عن فضايل الوضوء **وقال**
من توضا فاسبغ الوضوء وصلي ركعتين لم يحدث فيهما نفسه بشيء من الدنيا
خرج من ذنوبه كيوم ولدته امه وفي لفظ آخر لم يسه فيهما غفر له ما تقدم
من ذنبه **وقال** ايضا الا انبئكم بما يكفر الله به الخطايا ويرفع الدرجات اسباغ
الوضوء في المكاره ونقل الاقدام الي المساجد وانتظار الصلوة فذلكم الرباط
ثلث مرات **واما** الغسل والتيمم وادابهما فمعروف **الفصل الرابع**
في بيان الطهارة عن فضلات البدن وهي نوعان اوساخ واجزاء النوع الاول
الاوساخ والرطوبات المترشحة وهي ثمانية الاول ما يجمع في شعر الراس
من الدرن والقمل فالتنظيف عنه يستحب بالغسل والترجيل والتدهين

ازالة الشعث تطهر التفث وكان صلي الله عليه وسلم يدهن الشعر ويرجله
ويامر به ويقول ادهنوا غبا واكتحلوا وترا **وقال** من كانت له شعرة فليكرمها
اي ليصنها عن الاوساخ **الثاني** ما يجتمع من الوسخ في معاطف الاذن والمسح
يزيل ما يظهر منه وما يجتمع في قعر الصماخ فينبغي ان ينظف برفق عند الخروج
من الحمام فان كثرة ذلك مما يضر بالسمع الثالث مما يجتمع في داخل الانف
من الرطوبات المنعقدة الملتصقة بجوانبها ويزيلها الاستنشاق والاستنثار
الرابع ما يجتمع علي الاسنان واطراف اللسان من القلح ويزيله السواك والمضمضة
الخامس ما يجتمع في اللحية من الوسخ والقمل اذا لم يتعهد به ويستحب ازالة ذلك
بالغسل والتسريح بالمشط في الخبر المشهور انه عليه السلام كان لا يفارقه
المشط والمدري في سفر ولا حضر السادس وسخ البراجم وهي معاطف ظهور
الانامل السابع تنظيف الرواجب وهي رؤس الانامل وما تحت الاظفار من الوسخ
الثامن الدرن الذي يجتمع علي البدن برشح العرق وغبار الطريق وذلك
يزيله الحمام ولا باس بدخول الحمام وقد دخلها اصحاب رسول الله صلي الله عليه وسلم
بالشام رضي الله عنهم **وقال** بعضهم نعم البيت بيت الحمام يطهر البدن ويذكر
النار روي ذلك عن ابي الدرداء وابي ايوب الانصاري **وقال** بعضهم بئس
البيت بيت الحمام يبدي العورة ويذهب الحياء فهذا تعرض لافته وذلك لحضلته
ولا باس بطلب فايدته عند التحرز من افاته ولكن علي داخل الحمام وظايف

من السنن والواجبات فعليه واجبان في عورته وهو ان يصونها عن نظر
الغير ويصونها عن مس الغير فلا يتعاطي امرها وازالة وسخها الا بيده ويمنع الدلاك
من مس الفخذ ومابين السرة الي العانة وفي اباحة مس ماليس سوءة لازالة
الوسخ احتمال ولكن الاقيس التحريم اذ الحق مس السوءتين في التحريم بالنظر فكذلك
يكون بقية العورة والواجبات في عورة غيره ان يغض بصره عنها وان ينهي عن
كشفها لان النهي عن المنكر واجب وعليه ذكر ذلك لايسقط عنه الا بخوف
ضربا وشتم اوما يجري عليه مما هو حرام في نفسه فليس عليه ان ينكر حراما
يرهق المنكر عليه الا مباشرة حرام آخر ولمثل هذا صار الحزم ترك دخول
الحمام في هذه الاوقات اذ لايخلوا عن عورات مكشوفة لاسيما ماتحت السرة
الي فوق العانة اذ الناس لايعدونها عورة وقد الحقها الشرع بالعورة
وجعلها كالحريم لها ولهذا يستحب تخلية الحمام لذلك قال بعضهم لايجوز
دخول الحمام الا بازارين ازار للعورة وازار للراس يتقنع به ويحفظ عينه
اما السنن فعشرة الاول ان يكون قصده بالدخول التنظيف للصلوة لالاجل
هوآه وللتنعيم الثاني ان يعطي الاجرة قبل الدخول فان ما يستوفيه مجهول
وكذلك ماينتظره الحامي فتسليم الاجرة دفع للجهالة من احد العوضين
وتطييب لنفسه الثالث ان يقدم الرجل اليسري الرابع ان يتعوذ كما في
دخول الخلاء الخامس ان لايرد السادس ان لايكثر الكلام السابع

ان يعجل دخول بيت الحار حتي يعرق في الاول الثامن ان لايستعمل الماء
الا قدر الحاجة التاسع ان يتذكر حر نار جهنم بحرارة الحمام العاشر ان لايدخل
الحمام بين العشائين وقريبا من الغروب فان ذلك وقت انتشار الشياطين
ولا باس ان يدلكه غيره ولايقراء القرآن فيه الا سرا واما دخول المرأة الحمام
فحرام الا اذا كانت نفساء او حايضا او مريضة ودخلت عايشة رضي الله عنها
حمام من سقم وقالوا يكره للرجل ان يعطيها اجرة الحمام فيكون معينا لها علي
المكروه **النوع الثاني** مايحدث من البدن من الاجزاء وهي ثمانية الاول
شعر الراس ولا باس بحلقه لمن اراد التنظيف ولا بتركه لمن يدهن ويرجل
الثاني شعر الشارب وقد قال عليه السلام قصوا الشارب ولا باس بترك
سباليه وهما طرف الشارب الثالث شعر الابط ويستحب نتفه وحلقه
في كل اربعين يوما مرة وذلك سهل علي من تعود في الابتداء نتفه فاما من تعود
الحلق فيكفيه الحلق اذ في النتف تعذيب وايلام والمقصود النظافة وان
لايجتمع الوسخ في خللها ويحصل ذلك الرابع شعر العانة ويستحب ازالة
ذلك اما بالحلق او بالنورة ولاينبغي ان يتاخر عن اربعين يوما الخامس الاظفار
وقلمها مستحب لقباحة صورتها اذا طالت ولما يجتمع فيها من الوسخ ولو كان
تحت الظفر وسخ فلا يمنع ذلك صحة الوضوء فيبداء بمسبحة اليمني ويختم
بالابهام اليمني ويبداء في اليسري بالخنصر الي الابهام السادس زيادة السرة

فيقطع في اول الولادة السابع الختان فعادة اليهود اليوم السابع من
الولادة ومخالفتهم بالتاخير الى ان يثغر الولد احب وابعد عن الخطر الثامن
ما طال من اللحية وانما اخرناها لنلحق بها ما في اللحية من السنن والبدع
وقد اختلفوا فيما طال منها فقيل ان قبض الرجل على لحيته واخذ ما تحت
القبضة فلا باس به وقد فعله ابن عمر رضي الله عنهما وجماعة من التابعين
واستحسنه الشعبي وابن سيرين وكرهه الحسن رضي الله عنه وقتاده وقالا
تركها عافية احب لقوله صلى الله عليه وسلم اعفوا اللحى والامر في هذا قريب
اذا لم ينته الى تقصيص اللحية وتدويرها من الجوانب فان الطول المفرط قد يشوه
الخلقة ويطلق السنة المغتابين بالنسبة اليه فلا باس بالاحتراز عنه على
هذه النية فان التوسط في كل شيء حسن ولذلك قيل كلما طال تشمس الفعل
واعلم ان في اللحية عشر خصال مكروهة وبعضها اشد من بعض الاول خضابها
بالسواد وهو منهي عنه وتزوج رجل على عهد عمر رضي الله عنه وكان قد خضب
بالسواد فنصل خضابه وظهرت شيبته فرفعه اهل المراة الى عمر رضي الله عنه
فرد نكاحه واوجعه ضربا وقال غررت القوم بالشباب والبست عليهم
شيبتك الثاني الخضاب بالصفرة والحمرة وهو جايز تلبيسا للشيب على الكفار
في الغزو الثالث تبييضها بالكبريت استعجالا لاظهار علو السن توصلا
الى التوقير وقبول الشهادة والتصديق بالرواية عن الشيوخ وترفعا على

الشباب ظنا بان كثرة الايام تعطيه فضلا هيهات فلا يزيد كبر السن للجاهل
الا جهلا والعلم ثمرة العقل وهي غريزة لا يؤثر الشيب فيها ومن كانت غريزته
الحمق فطول المدة يؤكد حماقته والشيب نور من الله تعالى والرغبة عنه رغبة
عن النور وقال صلى الله عليه وسلم العالم كبير ولو كان حدثا والجاهل صغير
ولو كان شيخا وقال ابن عباس رضي الله عنهما ما اتى الله عبدا علما الا شابا
والخير كله في الشباب ثم قوله تعالى وآتيناه الحكمة صبيا ويقال ان يحيى بن
اكثم ولي القضاء وهو ابن احد وعشرين سنة فقال له رجل في مجلسه يريد
ان يخجله بصغر سنه كم سن القاضي ايده فقال مثل سن عتاب بن اسيد حيث
ولاه النبي صلى الله عليه وسلم امارة مكة وقضاها فافحمه وروي
عن مالك رحمة الله عليه قال لا تغرنكم اللحى فان التيس له لحية وقال ابن عمرو
بن العلاء اذا رايت طويل القامة عريض اللحية (اصغر الهامة) فاقض عليه بالحمق الرابع
نتف بياضها من الشيبة وقد نهى عليه السلام عن نتف الشيبة وقال هو نور
المومن وهو في معنى الخضاب بالسواد وعلة فنيكتين الكراهة ما سبق الخامس
نتفها او نتف بعضها بحكم العبث والهوس وذلك مكروه ومشوه للخلقة
ونتف الفنيكين بدعة وهما جنبتا العنفقة شهد عند عمر بن عبد العزيز رجل
كان ينتف فنيكته فرد شهادته ورد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وابن ابي ليلى
قاضي المدينة رضي الله عنه من كان ينتف لحيته واما نتفها في اول الشباب

مطلب العالم

مطلب اللحى

تشبيها بالمرد فمن المنكرات الكبار فان اللحية زينة للرجال ولله ملائكة
والذي زين بني آدم باللحي وهي من تمام الخلق وبها يتميز الرجال عن النساء
وقال اصحاب الاحنف وددنا ان نشتري للاحنف لحية ولو بعشرين الفا
وقيل ان اهل الجنة مرد الا موسي عليه السلام فان له لحية الي سرته
تخصيصا له وتفضيلا فهذا ما اردنا ان نذكره من انواع التزين و
النظافة وقد حصل من ثلثة احاديث من سنن الجسد اثني عشر خمس
منها في الراس فرق شعر الراس والمضمضة والاستنشاق والسواك وقص
الشارب وثلثه في اليد والرجل وهي القلم وغسل البراجيم وتنظيف
الرواجب واربعة في الجسد وهو نتف الابط والاستحداد والختان والاستنجاء
بالماء فقد وردت الاخبار بمجموع ذلك وان كان غرض هذا الكتاب التعرض
للطهارة الظاهرة دون الباطنة فلنقتصر علي هذا ولنحقق ان فضلات
الباطن واوساخه التي يجب التنظيف منها اكثر من ان يحصى وسياتي
تفصيلها في ربع المهلكات مع تعريف الطريق في ازالتها وتطهير القلب
منها ان شاء الله تعالي كتاب اسرار
الصلوة وفيه ابواب خمسة الباب الاول في فضايل الصلوة الثاني
في تفضيل الاعمال الظاهرة من الصلوة عمل البدن الثالث في الشروط
الباطنة من اعمال القلب الرابع في فضل الجمعة وادابها والخامس في النوافل

الباب الاول في فضايل الصلوة بالجماعة وفضايل
السجود وفضايل الخشوع بالصلوة اما فضيلة الصلوة فقد
قال الله تعالي ان الصلوة كانت علي المؤمنين كتابا موقوتا وقد
قال صلي الله عليه وسلم خمس صلوات كتبهن الله علي العباد فمن جاء بهن لم
يضيع منهن شيئا استخفافا بحقهن كان له عند الله ان يدخله الجنة
ومن لم يات بهن فليس له عند الله عهد ان شاء عذبه وان شاء ادخله الجنة
وقال لعن الله بدنا لا يحضر المسجد في اوقات الصلوة وقال اذا رايتم
الرجل يتعاهد المسجد فاشهدوا له بالايمان وقال الصلوة علم الايمان
وقال من ترك الصلوة متعمدا فقد كفر اي قارب ان ينخلع عن الايمان بانخلاع
عروته وسقوط عماده كما يقال لمن قارب البلدة انه بلغها ودخلها يعني بسوء
تكون عاقبته علي الكفر وسئل رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن افضل الاعمال فقال اداء الفرايض واجتناب المحارم وقال لابي هريرة
رضي الله عنه اتريد ان لا يجري عليك القلم باثم فقال بلي قال كن لفرايض الله مؤديا
وعن محارم الله مجتنبا ودع الكلام فيما لا يعنيك وقال اول ما فرض
علي امتي الصلوة واول ما ترفع عن امتي الصلوة واول ما يحاسب العبد يوم
القيمة عن الصلوة وفرق بيننا وبين غيرنا الصلوة وقال مثل الصلوات
الخمس كمثل نهر عذب غمر بباب احدكم يقتحم فيه كل يوم خمس مرات فما ترون

ذلك يبقى من درنه قالوا لا قال فان الصلوة الخمس تذهب بالذنوب كما يذهب
الماء الدرن وقال مفتاح الجنة الصلوة وقال ان اول ما ينظر فيه
يوم القيمه من اعمال العبد الصلوة فان وجدت تامة قبلت منه وساير
عمله وان وجدت ناقصة ردت عليه وساير عمله وقال يا ابا هريرة
مر اهلك بالصلوة فان الله تعالى يايتك بالرزق من حيث لا تحتسب وقال
الصلوة مكيال فمن اوفى استوفي ومن طفف فقد علم ما قال الله في المطففين
وقال صلى الله عليه وسلم يقول الله بالفرايض نجاني عبدي وبالنوافل
تقرب الي عبدي واما فضيلة الجماعة فقال صلى الله عليه وسلم
صلوة الجماعة تفضل صلوة الفرد بسبع وعشرين درجة وقال
لو علم احدهم انه يجد عظما سمينا لشهدها يعني صلوة العشاء قال
صلى الله عليه وسلم حين فقد ناسا في بعض الصلوة قال تعالى والصافات
صفا اقسم بصفوف المصلي في الصلوة وقال فرق بيننا وبين المنافقين
شهود العشاء والفجر لا يستطيعونهما وقال سعد بن المسيب ما اذن
موذن منذ عشرين سنة الا وانا في المسجد وقال حاتم الاصم
فاتتني الجماعة فعزاني ابو اسحاق البخاري وحده ولو مات لي ولد
لعزاني اهل البلد لان مصيبة الدين اهون عند الناس من مصيبة
الدنيا وروي ان السلف رحمهم الله كانوا يعزون انفسهم ثلثة ايام

اذا فاتتهم التكبيرة الاولى وعزون سبعا اذا فاتتهم الجماعة وقال ابو هريرة
رضي الله عنه لان يملاء اذن احدكم رصاصا خير له من ان يسمع النداء
ثم لا يجيبه وقال كعب الاحبار رضي الله عنه اربعة لا اعذرهم رجل له
قدر ما يبلغه الي مكة فلم يحج ورجل بين يديه طعام موضوع وعلى بابه
سايل فرده خايبا ورجل ترك الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو قادر عليه
ورجل سمع النداء فلم يجيبه قيل في معنى قوله تعالى لا يملكون الشفاعة
الا من اتخذ عند الرحمن عهدا هو الصلوة في الجماعة وقال ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه خرج علينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ونحن سبعة
فقال هل تدرون ماذا قال ربكم قلنا الله ورسوله اعلم قال ان ربكم يقول
من طهر في بيته ثم مشي الي بيتي لعبادتي فله عندي عهد ان لا اعذبه
ابدا وقال اذا خرج العبد من بيته يريد المسجد جعل الله موضع اقدامه من
الارض الي التخوم السفلى في كفة حسناته يوم القيمة وقال صلى الله
عليه وسلم التكبيرة الاولى يدركها الرجل مع الامام خير له من الف
بدنة يهديها وقال من صلى اربعين يوما في جماعة لا تفوته فيها تكبيرة
الاحرام كتب له براتان براءة من النفاق وبراءة من النار وقال انه اذا كان
يوم القيمه يحشر قوم وجوههم كالكوكب الدري فيقول لهم الملايكة ما اعمالكم
فيقولون كنا اذا سمعنا الاذان قمنا الي الطاهرة لا يشغلنا غيرها ثم يحشر

مطلب الصلوة بالجماعة

طايفة وجوهم كالاقمار فيقولون بعد السؤال كنا نتوضاء قبل الوقت ثم
يحشر طايفة وجوههم كالشمس فيقولون كنا نسمع الاذان في المسجد
واما فضيلة السجود فقال تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود قيل
هو نور الخشوع فانه يشرق من الباطن علي الظاهر وقال صلي الله عليه وسلم
ما تقرب العبد الي الله بشيء افضل من السجود وهو معني قوله تعالى
واسجد واقترب وروي ان علي بن ابي طالب كتب ابي بكر الصديق رضي الله
عنهما اي شيء احب اليك حتي ابعثه اليك فاجابه ما من شيء احب
الي من عيش مكدر وقوت مقتر ووجه مصفر ودموع مقطر وقلب
منور وراس ساجد من يري الله الاكبر وروي انه لما امر الله الملائكة
بالسجود لادم عليه السلام كان اول من سجد هو اسرافيل عليه السلام فاكرمه
الله تعالى ان كتب القرآن علي جبهته وروي ان رجلا قال لرسول الله
صلي الله عليه وسلم ادع الله ان يجعلني من اهل شفاعتك وان يرزقني
مرافقتك في الجنة فقال اعني بكثرة السجود وقال صلي الله عليه وسلم
اذا قراء ابن ادم السجدة فسجد اعتزل الشيطان يبكي وقال ياويلاه
أُمر هذا بالسجود فسجد فله الجنة وامرت بالسجود فعصيت فلي النار
وفي الخبر ان ابليس عبد الله مائة الف وعشرين الف سنة لم يكن
في سبع سموات وسبع ارضين شبر الا سجد له فيها سجدة فلما لم يسجد

مطلب السجدة

فرد الله عمله كله وروي ان ابا حنيفة رحمه الله عليه لما علم وفاته سجد
فخرجت روحه وهو ساجد وروي ان موسي الرضي بن جعفر الصادق
نظر الي ابي حنيفة رضي الله عنهم فقال له انت النعمان فقال كيف عرفتني فقال
قال الله تعالى سيماهم في وجوههم من اثر السجود وروي ان اسمعيل بن احمد كان
امير المرض فلما دني وفاته امر خازنه فقال الصندوق الذي عليه قفل كذا
وختم كذا فظنوا ان فيه جواهر وشيئا له قيمة ففتحوه فاخرجوا الكيس وفيه
تراب فقالوا اما هذا قال هذا تراب موضع سجدتي وكلما سجدت الله تعالى
كنت اجمع ترابه فاذا مت فاتخذوا منه لبنة وضعوها تحت خدي في
قبري فلعل الله يرحمني ويرفع عني عذاب القبر ففعلوا كذلك فراوه في المنام
فسئلوه عن حاله فقال غفر لي ذنبي وصرف عني عذاب القبر بحرمة ذلك التراب
الذي سجدت عليه فضيلة الخشوع قال الله تعالى قد افلح المؤمنون
الذين هم في صلوتهم خاشعون فمدحهم بعد الايمان بصلوة مخصوصة
هي مقرونة بالخشوع ثم ختم اوصاف المفلحين بالصلوة ايضا فقال في آخرها
والذين هم علي صلوتهم يحافظون ثم قال في ثمرة تلك الصفات اولئك هم الوارثون
الذين يرثون الفردوس فوصفهم بالفلاح اولا وبوراثة الفردوس
آخرا وما اظن ان هذرمة اللسان مع غفلة القلب تنتهي درجته الي
هذا الحد بل ينتهي ذلك بمثل الصلوة التي اشار النبي صلى الله عليه وسلم

بقوله اذا صليت فصلي صلوة مودع اي مودع لنفسه مودع لهواه مودع
لعمره سايرا الي مولاه وقال عليه السلام من لم تنهه صلوته عن الفحشاء والمنكر
لم تزده من الله الا بعدا وقال لا ينظر الله الي صلوة لا يحضر الرجل فيها قلبه مع
بدنه فالدواء في احضار القلب هو دفع الخواطر ولا يدفع الشي الا بدفع
سببه فليعلم سببه وسبب توارد الخواطر اما ان يكون امرا خارجا
او امرا في ذاته باطنا اما الخارج فيما يقرع السمع او يظهر للبصر فان ذلك قد
يخطف الهم حتي يتبعه ويتصرف فيه ثم يجر الفكر الي غيره ويتسلسل ويكون
الاسماع والابصار سببا للافتكار ثم يصير بعض تلك الافكار سببا للبعض
ويتسلسل ومن قويت رتبته وعلت همته لم يلهه ما يجري علي حواسه كمسلم
بن يسار رحمة الله عليه روي انه كان يصلي في المسجد وسقطت اسطوانة
فعرف الناس ولم يشعر به ولكن الضعيف لا بد وان يتفرق فكره فعلاجه
قطع هذه الاسباب بان يغض بصره او يصلي في بيت مظلم او لا يترك بين
يديه ما يشغل خاطره ويقرب من حايط عند صلوته حتي لا تتسع مسافة
بصره ويحترز عما يشغل حسه ولا يصلي علي الشوارع وفي المواضع المنقوشة
وعلي الفرش المصبوغة وكذلك كان المتعبدون منهم من كان يتعبد في بيت
صغير مظلم سعته بقدر السجود ليكون ذلك اجمع للهم والاقوياء كانوا
يحضرون المساجد ويغضون البصر ولا يجاوزونه مواضع السجود

مطلب الخشوع

مطلب الخشوع

ويرون كمال

ويرون كمال الصلوة في ان لا يعرفوا من علي ايمانهم وشمائلهم وكان ابن عمر
رضي الله عنهما لا يدع في موضع الصلوة مصحفا ولا سيفا الا نزعه ولا
كتابا الا نحاه قال بعضهم الصلوة من الآخرة فاذا دخلت في الصلوة خرجت
من الدنيا وسيل حاتم عن صلوته فقال اذا جاءت الصلوة اسبغت الوضوء
واتيت الموضع الذي اريد الصلوة فيه فاقعد فيه حتي تجتمع جوارحي ثم
اقوم الي صلوتي فاجعل الكعبة بين حاجبي والصراط تحت قدمي والنار
عن يساري والجنة عن يميني وملك الموت ورائي واظنها آخر صلوتي ثم اقوم بين
الرجاء والخوف واكبر تكبيرا بتحنن واقرا قراءة بتضرع واركع ركوعا بتوا
واسجد سجودا بخشوع واقعد علي الورك اليسري وافرش ظهر قدمها
وانصب القدم اليمني علي الابهام واتبعها الاخلاص ثم لا ادري اقبلت
ام لا واما الاسباب الباطنة فهي اشد فان من تشعبت الهموم به في اودية
الدنيا لم ينحصر فكره في فن واحد بل لا يزال يطير من جانب وغض البصر لا يغنيه
فان ما وقع في القلب من قبل كاف للشغل فعلاجه تفكر امور الآخرة وخطرها
من الوقوف بين يدي الله تعالي وهول المطلع فان كان لا يسكن هايج افكاره
بهذه الدواء فلا ينجيه الا ترك الامور الشاغلة الصارفة له عن احضار
القلب ولا شك في انها تعود الي مهماته وانها انما صارت مهما بشهواته
فيعاقب نفسه بالنزوع عن تلك الشهوات وقطع تلك العلايق ومثاله

ضع

مثال رجل تحت شجرة اراد ان يصفو له فكره وكانت اصوات العصافير
تشوش عليه فلم يزل يطردها بخشبة ويعود الى فكره فتعود العصافير
فيعود بالتنفير الى الخشبة فقيل له ان هذا اسير السوافي لا ينقطع فان
اردت الخلاص فاقلع الشجرة فكذلك شجرة الشهوة اذا استعلت وتفرعت
اغصانها انجذبت اليها الافكار انجذاب العصافير الى الاشجار وانجذاب
الذباب الى الاقذار والشغل يطول في دفعها فان الذباب كلما ذب آب ولاجله
يسمي ذبابا فكذلك الخواطر وهذه الشهوات كثيرة وقلما يخلو العبد عنها ويجمعها
اصل واحد وهو حب الدنيا وذلك راس كل خطيئة

الباب الثاني

في الاعمال الظاهرة من الصلوة ووظايف الامام وبيان المثال للصلوة اما
الاعمال الظاهرة فينبغي للمصلي اذا فرغ من الوضوء وطهارة الخبث في البدن
والثياب والمكان وستر العورة من السرة الى الركبة ان ينتصب قايما متوجها
الى القبلة ويراوح بين قدميه فلا يضمهما فان ذلك مما كان يستدل به
على فقه الرجل وقد نهي عليه السلام عن الصفن والصفد في الصلوة
والصفد هو اقتران القدمين معا ومنه قوله تعالى مقرنين في الاصفاد
والصفن هو رفع احدي الرجلين ومنه قوله تعالى الصافنات الجياد هذا
ما يراعي في رجله عند القيام ويراعي في ركبتيه ومقعد نطاقه الانتصاب
واما راسه فان شاء تركه على استواء القيام وان شاء اطرق والاطراق

اقرب الى الخشوع واغض للبصر وليكن بصره محصورا على مصلاه الذي يصلي
عليه وليدم هذا القيام كذلك الى الركوع من غير التفات هذا ادب القيام
فاذا استوي قيامه واستقباله واطراقه كذلك فليقرا قل اعوذ برب الناس
تحصنا من الشيطان ثم ليات بالاقامة وان كان يرجو حضور من يقتدي به فليؤذن
اولا ثم ليحضر النية وهو ان ينوي في الظهر مثلا ويقول بقلبه اودي فريضة
الظهر لله تعالى ليميزها بقوله اودي عن القضاء وبالفريضة عن النفل وبالظهر عن
العصر وليكن معاني هذه الالفاظ حاضرة في قلبه فانها النية والالفاظ مذكرات
لحضورها ويجتهد ان يستديم ذلك الى آخر التكبير حتى لا يعزب ثم اذا فرغ
من التكبير يرسل يديه ارسالا خفيفا ويستانف وضع اليمين على الشمال بعد
الارسال وفي بعض الروايات انه اذا كبر ارسل يديه فاذا اراد ان يقرا وضع
اليمنى على اليسرى وان صح هذا فهو اولى لما ذكرناه ثم يبتدي بدعاء الاستفتاح
وحسن ان يقول بعد الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة واصيلا
وجهت وجهي الى قوله وما انا من المشركين وان صلوتي ونسكي الى قوله وما انا
من المشركين وسبحانك اللهم وبحمدك وتبارك اسمك وتعالى جدك ولا اله غيرك
ليكون جامعا بين الاخبار ثم يقرا في الصبح من السور الطوال من المفصل وفي المغرب
قصاره وفي الظهر والعصر والعشاء نحو والسماء ذات البروج ثم يركع
ويقول اللهم لك ركعت ولك خشعت وبك امنت ولك اسلمت وعليك توكلت

انت ربي خشع سمعي وبصري وعظمي ومخي وعصبي وما استقل به قدمي لك الحمد يارب
او يقول سبوح قدوس رب الملايكة والروح او يقول سبحان ربي العظيم ثلثا
والزيادة الى السبعة والعشرة حسن ان لم يكن اماما ثم يرفع من الركوع الى
القيام ويقول سمع الله لمن حمده ربنا لك الحمد ملء السموات والارض وملء ما شئت
ثم يسجد ويقول اللهم لك سجدت وبك امنت واليك اسلمت سجد وجهي لله
الذي خلقه وشق سمعه وبصره تبارك الله احسن الخالقين او يقول سبحان
ربي الاعلى ثلثا وان زاد فحسن الا ان يكون اماما ثم يطمان جالسا ويقول
رب اغفر لي وارحمني وارزقني واهدني وعافني واعف عني ويصلي الركوع
الثاني كالاولى ثم يتشهد ويسلم وينوي الخروج بالسلام من الصلوة واما
الامام فله وظايف قبل الصلوة ووظايف في القراءة وفي اركان الصلوة
وبعد السلام اما الوظايف قبل الصلوة فست اولها ان لا يتقدم على قوم
يكرهونه وفي الحديث ثلثة لا يجاوز صلوتهم رؤسهم العبد الابق وامراة
زوجها ساخط عليها وامام قوم وهم له كارهون وكما ينهى عن تقدمه مع
كراهيتهم فينهى عنه ان كان وراءه افقه منه واقرأ الا اذا امتنع من هو اولى
منه فله التقدم فان لم يكن شيء من ذلك فليتقدم مهما قدم وعرف من نفسه
القيام بشروط الامامة ويكره عند ذلك المدافعة الثانية اذا خير بين
الاذان والامامة يختار الامامة فان لكل واحد فضلا ولكن الجمع مكروه

بل ينبغي ان يكون الامام غير المؤذن واذا تعذر الجمع فالامامة اولى وقال
قايلون الاذان اولى لقوله عليه السلام اللهم ارشد الايمة واغفر للمؤذنين والمغفرة
اولى بالطلب فان الرشد يراد للمغفرة والصحيح ان الامامة افضل اذ واظب عليها
رسول الله صلى الله عليه وسلم وابو بكر وعمر والايمة رضي الله عنهم نعم فيها
خطر الضمان والفضيلة مع الخطر الثالثة ان يراعي اوقات الصلوات فيصلي
في اوايلها ليدرك فضل اول الوقت ويروى فضل اول الوقت على اخره
كفضل الاخرة على الدنيا ولا ينبغي ان يؤخر الصلوة لانتظار كثرة الجمع بل
عليهم المبادرة لحيازة اول الوقت فهي افضل من كثرة الجماعة ومن تطويل
السورة الرابعة ان لا ياخذ عليها اجرة فان اخذ رزقا من المسجد قد وقف
على من يقوم بامامته او من السلطان او من احاد الناس فلا نحكم بتحريمه ولكنه
مكروه والكراهة في الفرايض اشد منها في التراويح ويكون اجره له على مداومته
على حضور الموضع ومراقبة مصالح المسجد في اقامة الجماعة لا على نفس الصلوة الخامسة
ان لا يكبر حتى يستوي الصفوف فليلتفت يمينا وشمالا فان راى خللا امر
بالتسوية ولا يكبر حتى يفرغ المؤذن من الاقامة السادسة ان يرفع صوته
بتكبير الاحرام وساير التكبيرات ووظايف القراءة ثلثة اولها ان يسر بدعاء
الاستفتاح والتعوذ كالمنفرد والثانية ان يسكت سكتة بعد التكبير
وسكتة بعد الفاتحة وسكتة بعد القراءة ثم يركع الثالثة ان يقرا في الصبح

مادون المائة فان الاطالة فيه سنة ووظايف الاركان ثلثة اولها ان يخفف
الركوع والسجود فلا يزيد في التسبيحات على ثلثة الثانية ان يتاخر المأموم
عن الامام في الركوع والسجود ولا يهوي معه وقد اختلف في لز الامام في الركوع
هل ينظر في لحوق من دخل ام لا ولعل الاولى ان ذلك مع الاخلاص لا باس به
الثالثة ان لا يزيد في دعاء التشهد حذرا من التطويل ولا يخص نفسه في الدعاء
وظايف التحليل ثلثة اولها ان ينوي بالتسليمتين السلام على القوم والملائكة
الثانية ان يثبت عقيب السلام كذلك فعل النبي عليه السلام فيصلي
النافلة في موضع آخر فان كان خلفه نسوة لم يقم حتى ينصرفن الثالثة اذا
وثب ان يقبل على الناس بوجهه حيث يشاء من يمينه وشماله واليمين احسن
ويكره للمأموم القيام قبل انتقال الامام فهذا جامع اداب الامام ووظايفه
فهو لن الانسان لا يكون انسانا موجودا كاملا الا بمعنى باطن واما المثال
للصلوة فباطن واعضاء ظاهرة المعنى باطن هو الحياة والروح والظاهر اجسام
اعضائه ثم بعض تلك الاعضاء فيعدم الانسان بعدمه كالقلب والكبد
والدماغ وكل عضو تفوت الحيوة بفواته وبعضها لا تفوت بها الحيوة ولكن
تفوت بها مقاصد الحيوة كالعين واليد والرجل واللسان وبعضها لا تفوت
بها الحيوة ولا مقاصدها ولكن يفوت بها الحسن كالحاجبين واللحية والاهداب
وحسن اللون وبعضها لا تفوت بها اصل الجمال ولكن كماله كاستقواس

الحاجبين وسواد شعر اللحية وتناسب الاعضاء والامتزاج وبعضها الحمرة
بالبياض في اللون فهذه درجات متفاوتة فكذلك للعبادة صورة صورها ها
الشرع فروحها وحيوتها الباطن الخشوع والنية وحضور القلب والاخلاص
فالركوع والسجود والقيام وساير الاركان تجري منها مجرى القلب والراس
والكبد اذ يفوت وجود الصلوة بفواتها والسنن التي ذكرناها تجري
مجرى اليدين والرجلين لا تفوت الصحة بفواتها كما لا تفوت الحيوة بفوات
هذه الاعضاء ولكن يصير الشخص بسببه مشوه الخلق غير مرغوب فيه فكذلك
من اقتصر على اقل ما يجزي من الصلوة كان كمن اهدى الى ملك من الملوك عبدا حيا
مقطوع الاطراف واما الهيئات وما وراء السنن فيجري مجرى اسباب الحسن
من الحاجبين واللحية والاهداب وحسن اللون واما الطايف اداب في تلك
فهي مكملات الحسن كالستقواس الحاجبين واستدارة اللحية وغيرها فالصلوة
عندك قربة وتحفة تتقرب بها الى حضرة ملك الملوك كوصيفة يهديها طالب
القربة من السلاطين اليهم وهذه التحفة تعرض على الله يوم ترد عليك في يوم
العرض الاكبر فاليك الخيرة في تحسين صورتها وتقبيحها فان احسنت فلسا
فلنفسك وان اسأت فعليها فهكذا ينبغي ان تفهم مراتب السنن والهيئات
والاداب فكل صلوة لم يتم الانسان ركوعها وسجودها فهي الخصم الاول
على صاحبها تقول ضيعك الله كما ضيعتني

الباب الثالث

في الشروط الباطنة من اعمال القلب وفيه فصلان **الفصل** الاول في اعمال
القلب اعلم ان المعاني الباطنة التي بها تتم حيوة الصلوة ستة وهي حضور القلب
والتفهم والتعظيم والهيبة والرجاء والحياء فالاول حضور القلب وفراغ القلب
عن غير ما هو ملابس له ومتكلم به فيكون العلم بالفعل والقول مقرونا بهما ولا
يكون الفكر جاريا في غيرهما ومهما انصرف الفكر عن غير ما هو فيه وكان في قلبه
ذكر لما هو فيه ولم يكن فيه غفلة عن كل شي فقد حصل حضور القلب
وسببه الهمة فان قلبك تابع لهمك فلا يحضر الا في همك ومهما اهمك شاء حضر القلب
ام ابي هو مجبول عليه ومسخر فيه والقلب اذا لم يحضر في الصلوة لم يكن متعطلا
بل كان حاضرا فيما الهمة مصروفة اليه من امور الدنيا فلا حيلة ولا علاج
ولا حضار القلب الا بصرف الهمة الي الصلوة والهمة لا تنصرف اليها الا بحقيقة
العلم بحقارة الدنيا ومهماتها والثاني التفهم لمعني الكلام وهو اشتمال القلب
علي العلم بمعني اللفظ والتفهم امر وراء حضور القلب فربما يكون القلب حاضرا
مع اللفظ ولا يكون حاضرا مع معني اللفظ وهذا مقام يتفاوت الناس فيه
لتفاوتهم في تفهم المعني للقرآن والتسبيحات وسبب التفهم بعد حضور القلب
ادمان الفكر وصرف الذهن الي ادراك المعني وعلاجه ما هو علاج احضار
القلب مع الاقبال علي الفكر والتشمر لدفع الخواطر الشاغلة وعلاج دفع الخواطر
الشاغلة قطع موادها وهو النزوع عن تلك الاسباب التي تنجذب الخواطر

مطلب سبب حضور القلب

اليها وما لم تنقطع تلك المواد لا تنصرف عنها الخواطر فمن احب شيئا اكثر ذكره فذكر
المحبوب يهجم علي القلب بالضرورة فكذلك تري من احب غير الله تعالي لا تصفوا له
صلوة عن الخواطر والثالث التعظيم وهو امر وراء حضور القلب والفهم اذ الرجل
يخاطب عبده بكلام هو حاضر القلب فيه ومتفهم لمعناه ولا يكون معظما له فالتعظيم
زايد عليهما وهي حالة للقلب تتولد من معرفتين احديهما معرفة جلال الله تعالى
وعظمته وذلك من اصول الايمان فان من لا يعتقد عظمته لا تذعن نفسه
لتعظيمه عز وجل الثانية حقارة النفس وخستها وكونها مسخرة مربوبة
حتي تتولد من المعرفتين الاستكانة والانكسار والخشوع لله تعالى فيعبر عنه بالتعظيم
الرابع الهيبة وهي زائدة علي التعظيم بل هي عبارة عن خوف منشاه التعظيم
لان من لا يخاف لا يسمي هايبا والمخافة من العقرب وهو خلق العبد وما يجري مجراه
من الاسباب الخسيسة لا يسمي مهابة بل الخوف من السلطان المعظم يسمي مهابة فا لهيبة
خوف مصدره الاجلال وهي حالة للقلب تتولد من المعرفة بقدرة الله تعالي
وسطوته ونفوذ مشيته فيه مع قلة المبالاة به وانه لو اهلك الاولين
والآخرين لم تنقص من ملكه ذرة هذا مع مطالعة ما يجري علي الانبياء والاو لياء
عليهم السلام من المصايب وانواع البلايا مع القدرة علي الدفع علي خلاف
ما يشاهد من ملوك الارض وبالجملة كلما زاد العلم بالله تعالي زادت الخشية
والهيبة الخامس الرجاء وهو زايد علي التعظيم والمهابة فكم من معظم ملكا

من الملوك يهابه ويخاف سطوته ولكن ولا يرجو مبرّته والعبد ينبغي
ان يكون راجيا بصلوته ثواب الله تعالى كما انه خايف بتقصيره عقاب الله تع
وسبب الرجاء معرفة لطف الله تع وكرمه وعميم انعامه ولطايف صنعه ومعرفة
وصدقه وعده الجنّة بالصّلوة فاذا حصل اليقين بصدق وعده انبعث
الرجاء لا محالة السادس الحياء وهو زايد على الجملة لان مستنده استشعار تقصير
وتوهّم ذنب ويتصوّر التعظيم والخوف والرجاء من غير حياء حيث لا يكون توهّم
تقصير وارتكاب ذنب وسببه رؤية التقصير في العبادة وعلمه بالعجز عن
القيام بعظيم حق الله تع ويقوي على ذلك بالمعرفة بعيوب النفس وافاتها وقلة
اخلاصها وبالعلم مطّلع على السّراير وخطرات القلب وان دقّت وخفيت
وهذه المعارف اذا حصلت يقينا انبعث منها بالضرورة حالة يسمّي الحياء
فهذه اسباب هذه الصفات وكلما طلب تحصيله فعلاجه احضار سببه ففي
معرفة السّبب معرفة العلاج ورابطة جميع هذه الاسباب الايمان واليقين
اعني به هذه المعارف التي ذكرناها ومعني كونه يقينا انتفاء الشك واستيلاؤه
علي القلب كما سبق في بيان اليقين من كتاب العلم وبقدر اليقين يخشع القلب
فلذلك **قالت** عايشة رضي الله عنها كان عليه السلام يحدثنا ونحدثه
فاذا حضرت الصلوة فكانه لم يعرفنا ولا نعرفه **وقد روي** ان الله اوحي الي
موسي عليه السلام قل لعصاة امتك لا يذكروني فاني آليت علي نفسي ان من

ذكرني ذكرته فاذا ذكروني بالمعصية ذكرتهم باللعنة هذا في عاص غير
غافل فكيف اذا اجتمعت الغفلة والعصيان **وروي** ان بعضهم راي
غافلا علي طاعة الله تعالى فقال له ان كنت ربا فاين القدرة وان كنت عبدا
فاين الطاعة وباختلاف المعاني التي ذكرناها في القلوب انقسم الناس الي غافل
يتمّ صلوته ولم يحضر قلبه في لحظة والي من يتم صلوته ولم يغب قلبه في لحظة بل
ربما كان مستوعب الهمّ به بحيث لا يحسّ بما يجري بين يديه كمسلم بن يسار
لم يحس بسقوط اسطوانة في المسجد اجتمع عليها وبعضهم حضر الجماعة مدة
ولم يعرف من علي يمينه ويساره وقد كان وجيب قلب ابراهيم عليه السلام وجماعة
كان يصفر وجوههم وترعد فرايصهم وكل ذلك غير مستبعد فان اضعافه
تشاهد في همّ الدنيا وخوف ملوك الدنيا مع ضعفهم وعجزهم وخساسة الحظوظ
الحاصلة منهم حتي يدخل الواصل علي ملك او وزير ويحدثه بمهمة ويخرج من عنده

الفصل الثاني في بيان ما ينبغي ان يحضر في القلب عند كل ركن وشرط
من اعمال الصلوة **اعلم** انك ان كنت من المريدين للآخرة ان لا يغفل عن التنبيهات
في الصلوة فاذا سمعت نداء المؤذن فاحضر في قلبك هول نداء يوم القيمة
وتشمّر بظاهرك وباطنك للاجابة فاعرض قلبك علي هذا النداء فان وجدته
مملوءا بالفرح والاستبشار محشوا بالرغبة الي الابتدار فاعلم انه يأتيك
النداء بالبشري والفوز يوم القضاء وكذلك كان السلف اذا سمعوا النداء

ترك كل ذي شغل وابتدر الي اجابته اذا اتيت بالطهارة الي مكانك وظرفك
الابعد ثم في ثيابك وهو غلافك الاقرب ثم في بشرتك وهي قشرك الادني
فلا تغفل عن لبك الذي هو ذاتك وهو قلبك فطهره بالتوبة والاستغفار
فانه موضع نظر معبودك واذا استرت عورتك فاعلم ان معناه تغطية
مقابح بذلك عن ابصار الخلق فان ظاهر بدنك موقع نظر الخلق
فما رايك في عورات باطنك وفضايح سرك الذي لا يطلع عليه الا ربك
فاحضر تلك الفضايح ببالك وطالب نفسك بسترها وتحقق انه لا يستر
عن عين الله تعالى ساتر وانما يكفرها الندم والحياء والخوف فتستفيد
باحضارها في قلبك انبعاث جنود الخوف والحياء من مكامنها فتذل به
نفسك ويستكن تحت الخجلة قلبك وتقوم بين يدي الله تعالى قيام العبد
المسيئ الابق الذي ندم فرجع الي مولاه ناكسا راسه من الخوف والحياء
اذا استقبلت القبلة فاعلم ان الاستقبال صرف ظاهر وجهك الي وجهة
البيت الا بالصرف عن غيرها فلا ينصرف القلب الي الله تعالى الا بالتفريغ
عن من سواه واذا اعتدلت قائما فاذكر القيام بين يدي الله تعالى يوم القيمة
واذا نطق لسانك بالتكبير فينبغي ان لا يكذبه قلبك واذا كان في قلبك
شيء هو اكبر من الله تعالى فالله يشهد انك لكاذب وان كان الكلام صدقا
كما يشهد على المنافقين في قولهم صلى الله على رسوله فان كان هواك

اغلب عليك من امر الله تعالى وانت اطوع له منك واذا قلت اعوذ بالله من الشيطان
الرجيم فاعلم انه عدوك ومترصد الي صرف قلبك من الله تعالى حسدا لك على
مناجاتك مع الله تعالى وسجودك له مع انه لعن بسبب الامتناع عن سجدة
واحدة واياك والطاعة له فان في طاعته معصية واذا قرات فينبغي
ان تفهم ما تقراه ولا تغفل عن امره ونهيه ووعده ووعيده ومواعظه
واخبار الانبيائه عليهم السلام وذكر منته واحسانه فلكل واحد حق والاي
والاعتبار حق اخبار الانبياء حق والخوف حق الوعيد والعزم حق والامر والنهي
والاتعاظ حق الموعظة والشكر حق ذكر المنة والاعتبار حق اخبار الانبياء
عليهم السلام وتكون هذه المعاني بحسب درجات الفهم ويكون الفهم بحسب
وفور العلم وصفاء القلب وذلك لا ينحصر واذا ركعت فتشهد على حقارة
نفسك وعظمة ربك والله اعظم من كل عظيم وكرر تسبيح ربك للتاكيد
والتقرير على القلب واللسان واذا سجدت فمكن اعز اعضائك وهو الوجه
من الاشياء وهو التراب واذا وضعت وجهك على التراب فقد رددت
الفرع الي اصله فانك من التراب خلقت واليه رددت فعند هذا جدد على
قلبك عظمة الله تعالى وعلوه وقل سبحان ربنا الاعلى واذا جلست بالتشهد
وسلمت على عباد الله الصالحين فلتعلم ان الله يرد عليك سلاما وافرا
بعدد عباد الله الصالحين واذا سلمت على الملائكة والحاضرين فاشكر الله تعالى
على توفيقه لاتمام هذه الطاعة وتوهم انك مودع لصلوتك هذه فانك ربما

لا تعيش لمثلها ثم اشعر قلبك الوجل والحياء من التقصير في الصلوة وخف ان
لا تقبل صلوتك وترجو مع ذلك ان يقبلها بفضله وكرمه واعلم ان تخليص
الصلوة عن الافات واخلاصها لوجه الله تعالى واداءها بالشروط الباطنة
التي ذكرناها من الخشوع والتعظيم والحياء سبب لحصول انوار في القلب تكون
تلك الانوار مفاتيح لعلوم المكاشفة فاولياء الله المكاشفون بملكوت
السموات والارض واسرار الربوبية انما يكاشفون في الصلوة لا سيما في
السجود ان يقرب العبد بالسجود ولذلك قال الله تعالى وَاسْجُدْ وَاقْتَرِبْ
وتكون مكاشفة كل مصلي على قدر صفاته عن كدور الدنيا ويختلف ذلك
بالقوة والضعف والكثرة والقلة وبالجلاء والخفاء حتى ينكشف
لبعضهم الشيء بعينه وينكشف لبعضهم الشيء بمثال كما كوشف لبعضهم
الدنيا في صورة جيفة والشيطان في صورة كلب جاثم عليها يدعوا اليها
ولما كانت هذه الامور لا يتراءى الا في المرايا الصقيلة وكانت المراي
كلها صدية فاحتجب عنها الهداية لا لبخل من جهة المنعم بالهداية بل الخبث
متراكم على مصب الهداية تسارعت الالسنة الى انكار مثل ذلكا ذ الطبع
مجبول على انكار غير الحاضر كانه الجنين ولو كان له عقل لانكر امكان
وجود انسان في متسع الهواء وهكذا الانسان في كل طور يكاد ينكر ما
بعده وقد خلق الخلق اطوارا فلا ينبغي ان ينكر كل واحد ما وراء

درجته والله هو المرشد للصواب فهذا آخر كتاب الصلوة كتاب

الزكوة واسرارها وفيه فصلان الفصل الاول في فضل الصدقة
واداب اخذها واعطائها اما فضيلة الصدقة فمن الاخبار قال الله تعالى
مثل الذين ينفقون اموالهم في سبيل الله كمثل حبة انبتت سبع سنابل في كل
سنبلة مائة حبة والله يضاعف لمن يشاء وقال صلى الله عليه وسلم
تصدقوا ولو بتمرة فانها تسد الجايع وتطفي الخطيئة كما يطفي الماء النار
وقال اتقوا النار ولو بشق تمرة فان لم تجد فبكلمة طيبة وقال ما من عبد
مسلم يتصدق بصدقة الا كان الله تع يأخذها بيمينه فيربيها له كما يربي
احدكم فصيله حتى تبلغ التمرة مثل احد وقال لابي الدرداء اذا طبخت
مرقة فاكثر ماءها ثم انظر اهل بيت من جيرانك فاصبهم منه بمعروف و
قال ما احسن عبد الصدقة الا احسن الله الخلافة على بركته وقال كل امرئ
في ظل صدقته حتى يقضي بين الناس وقال انس ابن مالك رضي الله عنه كان
النبي صلى الله عليه وسلم لا يكل خصلتين الى غيره كان يضع طهوره بالليل
ويخمره ويناول المسكين بيده وقال ~~رسول الله صلى الله عليه وسلم~~ الصدقة
تسد سبعين بابا من الشر وقال صدقة السر تطفي غضب الرب وسئل
رسول الله صلى الله عليه وسلم اي الصدقة افضل قال ان تصدق وانت
صحيح شحيح تأمل البقاء وتخشى الفقر وتمهل حتى اذا بلغت الحلقوم قلت

مطلب مراتب العبادات

لفلان كذا ولفلان كذا **وقال** لو صدق السايل ما افلح من رده **وقال**
عيسى عليه السلام من رد سايلا خايبا لم تغش الملايكة ذلك البيت سبعة
ايام **وقال** ما من مسلم يكسوا مسلما الا كان في حفظ الله ما دامت عليه
منه رقعة **الاثار** قال عروة بن الزبير لقد تصدقت عايشة رضي
الله عنها بخمسين الفا وان درعها لمرقع وقال عبد العزيز بن عمير رحمة
الله عليه الصلوة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك
والصدقة تدخلك عليه **وقال** لقمان لابنه اذا اخطات خطيئة
فاعط صدقة **وقال** يحيى بن معاذ ما اعرف حبة تزن جبال الدنيا
الا الحبة من الصدقة **وقال** عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يتصدق بالسكر
ويقول سمعت الله تعالى يقول لن تنالوا البر حتى تنفقوا مما تحبون والله
يعلم اني احب السكر **وقال** عبيد الله بن عمير يحشر الناس يوم القيمة
اجوع ما كانوا قط واعطش ما كانوا قط فمن اطعم لله اطعمه الله ومن
سقى لله سقاه الله ومن كسا لله كساه الله **وروي** ان سفيان الثوري
رحمة الله عليه كان اذا راي سايلا يقول جاء الغسالون يغسلون
ذنوبنا **قال** السري السقطي رحمة الله عليه في الصدقة اربع خصال
الاولى اذا كان معك فهو قليل فاذا اعطيته يصير كثيرا قال الله تعالى
يمحق الله الربا ويربي الصدقات الثانية اذا كان معك فهو فان واذا

اعطيته

اعطيته يصير باقيا قال الله تعالى ما عندكم ينفد وما عند الله باق الثالثة
اذا معك فلس لك واذا اعطيته فصار لك قال عيسى عليه السلام ليس
لك من مالك الا ما اكلت فافنيت او لبست فابليت او تصدقت فامضيت
الرابعة اذا كان معك فانت حارسه واذا اعطيته هو يحرسك قال
عليه السلام الصدقة تدفع عن صاحبها سبعين بابا من البلاء **وقال**
الحسن رضي الله عنه لو شاء الله لجعلكم اغنياء لا فقير فيكم ولكنه ابتلاء
بعضكم ببعض **وقال** الشعبي رحمة الله عليه من لم ير نفسه الى ثواب الصدقة
احوج من الفقير الى صدقته فقد ابطل صدقته وضرب بها وجهه ويقال
ان الحسن رضي الله عنه مر به نخاس ومعه جارية فقال للنخاس اترضى
ثمنها الدرهم والدرهمين قال لا قال فاذهب فان الله رضي في حور العين
بالفلس واللقمة **واما** اخفاء اخذ الصدقة واظهارها **فاعلم** ان
طلاب الاخلاص قد اختلفوا في ذلك فقال قوم الاخفاء افضل وقوم الا (ظهار)
افضل ونحن نشير الى ما في كل واحد من المعاني والافات ثم نكشف
الغطاء عن الحق فيه اما الاخفاء ففيه معاني الاول انه ابقى للستر على
الاخذ فان اخذه ظاهرا هتك ستر المروة الثاني انه اسلم لقلوب الناس
ولالسنتهم فانهم ربما يحسدون او ينكرون عليه اخذه ويظنون انه اخذه
مع الاستغناء والحسد وسوء الظن والغيبة من الكباير وصيانتهم عن

مطلب في الصدقة اربع خصال

هذه الجرايم اولي الثالث اعانة المعطي علي الاسرار العمل فان فضل السر علي الجهر
في الاعطاء كثير واعطي رجل بعض العارفين شيا في الملاء فرده فقال لم
ترد علي الله ما اعطاك فقال انك اشركت غير الله فيما هو وحده ولم تقنع
بغير الله فرددت عليك شركك وقيل بعض العارفين في السر شيا كان
رده في العلانية فقيل له في ذلك فقال عصيت الله بالجهر فلم اكن عونا لك
علي المعصية واطعته بالاخفاء فاعنتك علي برك الرابع ان في اظهار
الاخذ ذلا وامتهانا وليس للمؤمن ان يذل نفسه الخامس الاحتراز عن
شبهة الشركة قال عليه الصلوة والسلام من اهدي له هدية وعنده
قوم فهم شركاوه فيها فاذا انفرد سلم من هذه الشبهة وبان تكون ورقا
اوذهبا لا يخرج عن كونه هدية واما الاظهار والتحدث به ففيه معاني
الاول اسقاط الجاه والمنزلة واظهار العبودية والتبري عن الكبر والثاني
هو ان العارف لا نظر له الا الي الله تعالي والسر والعلانية في حقه واحد
فاختلاف الحال شرك في التوحيد الثالث ان الاظهار اقامة لسنة الشكر
قال تعالي وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ والكتمان كفران للنعم وقد ذم الله تع
من كتم ما اتاه الله تعالي وقرنه بالبخل فقال الذين يبخلون ويامرون الناس
بالبخل ويكتمون ما اتاهم الله من فضله اذا عرفت هذه المعاني فاعلم ان ما نقل
من اختلاف الناس فيه ليس اختلافا في المسئلة بل هو اختلاف حال فكشف

مطلب الذكر

الغطاء في هذا انا لا نحكم حكما باتا بان الاخفاء افضل في كل حال او الاظهار
افضل بل يختلف ذلك باختلاف النيات وتختلف النيات باختلاف
الاحوال والاشخاص فينبغي ان يكون المخلص مراقبا لنفسه حتي لا يتدلي بحبل
الغرور ولا ينخدع بتلبيس الطبع ومكر الشيطان والمكر والخداع اغلب في
معاني الاخفاء منه في الاظهار مع ان له دخلا في كل واحد منهما فاما مدخل
الخداع في الاسرار من ميل الطبع اليه لما فيه من حفظ الجاه والمنزلة وسقوط
القدر عن اعين الناس ونظر الخلق اليه بعين الازدراء فهذا هو الداء
الدفين ويستكن في النفس والشيطان بواسطته يظهر معاني الخير حتي
يتعلل بالمعاني الخمسة التي ذكرناها ومعيار ذلك ومحكه امر واحد وهو ان
يكون تالمه بانكشاف اخذه للصدقة كتالمه بانكشاف صدقة اخذها
بعض اقرانه فان كان انكشاف امره اثقل عليه من انكشاف غيره فهو من مكر
الشيطان وخدعه واما جانب الاظهار فميل الطبع اليه من حيث انه تطييب
لقلب المعطي واستحثاث له علي مثله وهذا داء دفين في الباطن والشيطان
لا يقدر علي المتدين الا بان يروج هذا الخبث في معرض السنة ويقول
له الشكر من السنة والاخفاء من الرياء ويورد عليه المعاني التي ذكرناها
يحمله علي الاظهار ومعيار ذلك ومحكه ان ينظر الي ميل نفسه الي الشكر
حيث لا ينتهي الخبر الي المعطي ولا الي من يرغب في عطائه وبين يدي جماعة

يكرهون اظهار العطية ويرغبون في اخفائها وعادتهم انهم لا يعطون
الا من يخفي ولا يشكر فان استوت هذه الاحوال عنده فليعلم ان باعثه
هو اقامة السنة في الشكر والتحدث بالنعمة والا فهو مغرور والله اعلم
الفصل الثاني في دقايق ادابها الباطنة وهي سبعة الاول فهم
حكمة الوجوب ومعناه وهو ثلثة معاني احدها الابتلاء فان التلفظ
بكلمتي الشهادة والتزام للتوحيد وشهادة بافراد المعبود وشرط تمام الوفاء
به ان لا يبقي للموحد محبوب سواه فان المحبة لا تقبل الشركة وانما يمتحن
درجة الحب بمفارقة المحبوبات والمال محبوب عند الخلق لانها آلة تمتعهم
بالدنيا فاستبذل عنه ابتلاء وامتحانا في تحقيق التوحيد الا ان الله تع
اوجب قدر الزكوة لان اعم الناس يغلب حبهم للمال فخفف عنهم ولما فهم هذا
المعني في بذل الاموال فرجال صدقوا التوحيد ووفوا بعهده ونزلوا
عن جميع اموالهم فلم يدخروا دينارا ولا درهما حتي قيل لبعضهم كم
يجب من الزكوة في مائتي درهم فقال اما على العوام بحكم الشرع فخمسة دراهم
واما نحن فيجب علينا بذل الجميع ولهذا جاء ابو بكر الصديق رضي الله عنه
بجميع ماله وعمر رضي الله عنه بشطر ماله فقال صلى الله عليه وسلم ما
ذا ابقيت لاهلك يا عمر فقال مثله فقال لابي بكر ما ذا ابقيت لاهلك
فقال ابقيت الله ورسوله فقال صلي الله عليه وسلم بينكما ما بين

كلمتيهما وثانيها التطهر من صفة البخل فانه من المهلكات وسيأتي في
ربع المهلكات ان شاء الله تعالى وجه كونه مهلكا وانما تزول صفة البخل
بان يتعود بذل المال فحب الشيء لا ينقطع الا بقهر النفس علي مفارقته حتي
يصير ذلك اعتيادا فالزكوة بهذا المعني طهرة اي تطهر صاحبها عن خبث البخل
المهلك وانما طهارته بقدر بذله وبقدر فرحه باخراجها وثالثها شكر نعمة
المال فان الله تعالي علي عبيده نعمة في نفسه وفي ماله فالعبادة البدنية شكر
لنعمة البدن والمالية شكر لنعمة المال الثاني التعجيل قبل الوجوب اظهارا
للرغبة في الامتثال وايصالا للسرور الي قلوب الفقراء ومبادرة لعوايق
الزمان ان يعوق عن الخيرات وعلما بان في التاخير افات فينبغي ان يغتنم
الفرصة فيه ويعين لزكوته شهرا معلوما من افضل الشهور كشهر رمضان
والاشهر الحرم الثالث الاسرار فان ذلك ابعد عن الريا والسمعة
قال الله تعالي وان تخفوها وتؤتوها الفقراء فهو خير لكم **قال**
النبي صلى الله عليه وسلم ثلثة من كنوز البر كتمان المصايب وكتمان
الفقر وكتمان الصدقة **وفي الحديث** المشهور سبعة يظلهم الله
يوم لا ظل الا ظله احدهم رجل تصدق بصدقة فلم يعلم شماله ما ينفق يمينه
وقد بالغ قوم في قصد الاخفاء حتي اجتهدوا ان لا يعرف القابض
المعطي فكان بعضهم يلقي في كف اعمي وبعضهم كان يوصل الي الفقير

علي يد غيره بحيث لا يعرف المعطي كل ذلك توصلا الى اطفاء غضب الرب
عز وجل واحترازا من الريا والسمعة نعم لو كان اظهاره سببا للاقتداء
غيره به او كان السائل طلب منه على ملاء من الناس فله الاظهار قال الله تع
وانفقوا مما رزقناكم سرا وعلانية الرابع ان لا يفسد صدقته بالمن
والاذي وقال تعالى لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والاذي فقيل المن ان يذكرها
ويتحدث بها والاذي ان يظهرها وقال صلى الله عليه وسلم
لا يقبل الله صدقة منان وعندي المن له اصل هو من احوال القلب
وصفاته ثم يتفرع عليه افعال ظاهرة علي اللسان والجوارح واصله
ان يري نفسه محسنا اليه ومنعما عليه وحقه ان يري الفقير محسنا
الي نفسه بقبول حق الله تعالي منه الذي هو طهرته ونجاته من النار ويعلم
ان الفقير جعل كفه نايبا عن الله عز وجل في قبض حق الله تعالى قال
صلي الله عليه وسلم ان الصدقة تقع بيد الله قبل ان تقع في يد
السائل ويتحقق انه مسلم الي الله عز وجل حقه والفقير آخذ من الله
تعالى رزقه بعد صيرورته مسلما الي الله تعالى ولهذا كان يضع بعضهم
الصدقة بين يدي الفقير ويمثل قايما بين يديه يسأله قبوله حتى
يكون هو في صورة السائلين وروي عن انس رضي الله عنه ان عايشة
رضي الله عنها كانت تتصدق بدرهم وتغسله وتطيبه فقال لها رسول الله

صلي الله عليه وسلم اني اري منك العجب قالت يا رسول الله انه لا تقع في
يد السائل حتى يقع في يد الله فاحببت ان يكون متطيبا وكان بعضهم
يبسط كفه ليأخذ الفقير ويكون يد الفقير هي العليا ومهما عرف من المعاني
الثلثة التي ذكرناها في اول الفصل لم ير نفسه محسنا الا الي نفسه اما ببذل
ماله اظهارا لحب الله تعالى او تطهيرا لنفسه عن رذيلة البخل او شكرا على نعمة المال
طلبا للمزيد وكيف ما كان فلا معاملة بينه وبين الفقير حتى يري نفسه
محسنا اليه الخامس ان يستصغر العطية في نفسه وقيل لا يتم المعروف
الا بثلث تصغيره وتعجيله وستره فانه اذا استعظمها اعجب بها والعجب
من المهلكات وهو محبط الاعمال ويقال ان الطاعة اذا استصغرت
كبرت عند الله تعالي والمعصية كلما عظمت صغرت عند الله السادس
ان يخرج من ماله اجوده واحبه اليه واحله واطيبه فان الله طيب لا يقبل
الا طيبا ولذلك ذم الله قوما فقال ويجعلون لله ما يكرهون وقال
صلي الله عليه وسلم طوبي لمن انفق المال من فضله وامسك الفضل من قوله
واذا لم يكن المخرج من جيد المال فهو من سوء الادب اذ يمسك الجيد لنفسه
او لعبده واهله وقال تعالى انفقوا من طيبات ما كسبتم الآية السابع ان
يطلب لصدقته من تزكو به الصدقة ويجتهد في ذلك ويراعي فيه امورا
الاول ان يطلب الاتقياء المعرضين عن الدنيا قال صلي الله عليه وسلم

لاتاكل الاطعام تقي ولاتاكل طعامك الاتقي وهذا لان التقي يستعين به علي التقوي
فيكون شريكا له في طاعته باعانتك اياه **وقال** ايضا اطعموا طعامكم
الاتقياء واولوا معروفكم للمومنين الثاني ان يكون من اهل العلم خاصة فان
ذلك اعانة له علي العلم والعلم اشرف العبادات مهما صحت فيه النية والثالث
ان يكون ممن ذهبت نعمته وبقيت عادته فهو يتعيش في جلباب التجمل وهذا
ينبغي ان يطلب بالتفحص عن اهل الدين في كل محلة ويستكشف عن بواطن
احوال اهل الخير والتجمل فثواب صرف المعروف اليهم اضعاف ما يصرف الي المجاهدين
بالسوال والرابع ان يكون معيلا او محبوسا بمرض او سبب فيوجد فيه قوله
تعالي للفقراء الذين احصروا في سبيل الله اي حبسوا في طريق الاخرة لعلية
او ضيق معيشة او اصلاح حالة لا يستطيعون ضربا في الارض لانهم مقصوص
الجناح مقيد والاطراف بهذه الاسباب كان عليه السلام يعطي العطاء علي قدر
العيلة **وسيل** عمر رضي الله عنه عن جهد البلاء فقال كثرة العيال وقلة
المال والخامس ان يكون من الاقارب وذوي الارحام فيكون صدقة
وصلة ولاخوان الخير ايضا يتقدمون علي المعارف كما تتقدم الاقارب
علي الاجانب فليراعي هذه الدقايق وليطلب اعلاها فان وجد من
جمع جملة من هذه الصفات الحسنية فهي الذخيرة الكبري والغنيمة
العظمي وهذا اخر الكلام في كتاب الزكوة **كتاب**

اسرار الصيام ومهماته وفيه فصلان **الفصل الاول** في فضله
اعلم ان الصوم ربع الايمان بمقتضي قوله عليه السلام الصوم نصف
الصبر وبمقتضي قوله الصبر نصف الايمان ثم هو متميز بخاصية النسبة
الي الله من بين ساير الاركان اذ قال الله تعالي فيما حكي عنه نبيه عليه السلام
كل حسنة بعشر امثالها الي سبع مائة ضعف الا الصيام فانه لي وانا اجزي
به وقد قال الله تع انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب والصوم نصف
الصبر وقد جاوز ثوابه قانون التقدير والحساب وناهيك في معرفة
فضله **قوله** صلي الله عليه وسلم والذي نفسي بيده لخلوف فم الصايم
اطيب عند الله من ريح المسك وهو موعود عند الله تعالي في جزاء صومه
واجابة دعايه **قال** صلي الله عليه وسلم لكل شي باب للصايم
فرحتان فرحة عند الافطار وفرحة عند لقاء ربه **وقال** صلي الله
عليه وسلم لكل شي باب وباب العبادة الصوم **وقال** نوم الصايم عبادة
وقال الجنة مشتاق الي اربعة تالي القران ومطعم الجيعان وحافظ اللسان
وصايم شهر رمضان وعن ابن مسعود رضي الله عنه قال **قال** صلي الله
عليه وسلم لو يعلم العباد ما في شهر رمضان لتمنت ان تكون السنة
كلها رمضان **وعن** انس بن مالك رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله
عليه وسلم لو اذن الله للسموات والارض ان يتكلما لبشرتا من صام شهر

رمضان بالجنة وعن انس رضي الله عنه قال قال صلى الله عليه وسلم
يخرج الصوامون من قبورهم يعرفون بريح صيامهم افواههم اطيب من المسك
وقال نوم الصايم عبادة ونفسه تسبيح ودعاؤه مستجاب وعمله
مضاعف وروي ابو هريرة رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم
اذا دخل شهر رمضان فتحت ابواب الجنة وغلقت ابواب النار وصفدت
الشياطين ونادي منادي يا باغي الخير هلم ويا باغي الشر اقصر وقيل في قوله
تعالي فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة اعين جزاء بما كانوا يعملون قيل عملهم الصوم
لانه قال انما يوفي الصابرون اجرهم بغير حساب وجدير بان يكون كذلك لانه
اضافه الي نفسه وقال الصوم لي وانما خصه بالاضافة اليه لمعان احدها
ان الصوم سر ليس له عمل يشاهد فجميع الطاعات بمشهد من الخلق والصوم لا يراه
الا الله تعالي فانه في الباطن والثاني انه قهر لعدو الله فان وسيلة الشيطان
الشهوات وانما تقوي الشهوات بالاكل والشرب ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
ان الشيطان ليجري من بني ادم مجري الدم فضيقوا مجاريه بالجوع ولذلك قال
لعايشة رضي الله عنها داومي قرع باب الجنة قالت بماذا قال بالجوع فلما كان
الصوم علي الخصوص قمعا للشيطان وسدا لمسالكه وتضييقا لمجاريه استحق التخصيص
بالنسبة الي الله تعالى ففي قمع عدو الله تع نصرة الله عز وجل ونصرة الله تعالي
موقوفة علي النصر له قال الله تعالي ان تنصروا الله ينصركم ويثبت اقدامكم والثالث

لانه لا يعلم ثوابه الا الله تع والرابع خصه بالاضافة اليه لان لكل عمل جزاء الا الصوم
فان جزاؤه لقاؤه سبحانه وتعالى والخامس خصه لان كل تقصير يقع في الطاعات
يغفر الا في الصوم والسادس خصه بالاضافة لانه لا يدفع الي الخصماء يوم القيمة
كما جاء في الخبر اذا كان يوم القيمة يجيء العبد وله خصماء فياخذ واحد ثواب ٧٠
صلوته وواحد ثواب صومه فيقول تعالى يا خصماء صومه لي ولا اذن لكم
ان ياخذوه واذا عظمت فضيلته الي هذا الحد فلا بد من بيان شروطه الباطنة
والظاهرة **الفصل الثاني** في بيان شروطه الباطنة اعلم ان الصوم
ان الصوم بالاضافة الي مقداره علي ثلث درجات وبالاضافة الي اسراره
علي ثلث درجات ايضا اما درجات مقداره فاقلها الاقتصار علي شهر
رمضان واعلاها صوم داود عليه السلام وهو ان يصوم يوما ويفطر يوما
وهو افضل الصيام وافضل من صوم الدهر وهو سر قوله عليه السلام لعبد الله بن
عمر لما كان يسأله عن الصوم فقال صم يوما وافطر يوما فقال اريد افضل من هذا
فقال لا افضل من ذلك وسره انه ابلغ تاثيرا في النفس لان الاعتياد للدواء
مبطل اثره ويستحب الصوم في الايام الفاضلة وفواضل الايام بعضها يوجد في كل
سنة اما في السنة بعد ايام رمضان فيوم عرفة ويوم عاشوراء والعشر
الاول من ذي الحجة والعشر الاول من المحرم وجميع الاشهر الحرم مظان الصوم واما
ما يتكرر في الشهر فاوله واوسطه واخره ووسطه الايام البيض وهو

زكوته وواحد ثواب حجه
علي هذا وتبقي علي العبد مظالم
فيحيل الخصماء ثواب صح

مطلب افضل الصيام عند الله

الثالث عشر والرابع عشر والخامس عشر واما ما يتكرر في الاسبوع الاثنين
والخميس والجمعة وصوم الدهر شامل للكل ولكن اختلفوا في كراهيته ورسول
الله صلي الله عليه وسلم ما صام شهرا كاملا قط الا شهر رمضان واوسطها
صوم ثلث الدهر ومهما صمت الاثنين والخميس واضفت اليه رمضان فقد
صمت من السنة اربعة اشهر واربعة ايام وهي زيادة علي الثلث فلا ينبغي
ان تنقص من هذا القدر صومك فانه خفيف علي النفس وثوابه جزيل
واما درجات اسراره فثلاثة ايضًا صوم العموم وصوم الخصوص اما
صوم العموم كف البطن والفرج عن المفطرات وهو ادناها واما اعلاها
فصوم الخصوص وهو صوم القلب عن الهمم الدنية والافكار الدنياوية
وكفه عما سوي الله تعالي بالكلية ويحصل الفطر في هذا الصوم فيما سوى الله
تعالي واليوم الاخر واما صوم الخصوص وهو صوم الصالحين فهو
كف الجوارح عن الاثام وتمامه بستة امور الاول غض البصر وكفه عن
النظر الي كل ما يذم ويكره وروي جابر عن انس رضي الله عنهما عن
رسول الله صلي الله عليه وسلم انه قال خمس يفطرن الصايم الكذب
والغيبة والنميمة واليمين الكاذبة والنظر بشهوة الثاني حفظ اللسان
عن الكذب والغيبة والنميمة والفحش والجفاء والخصومة والزامه
السكوت او شغله بذكر الله تعالي وتلاوة القرآن فهذا صوم اللسان

وقال سفيان رحمة الله عليه الغيبة تفسد الصوم وفي الخبر ان امراتين
صامتا علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم فاجهدهما الجوع والعطش
فبعثا الي رسول الله صلي الله عليه وسلم تستاذنانه في الافطار فارسل
اليهما قدحا وقال لهما قيا فيه ما اكلتما فقاءت احداهما دمًا عبيطًا والاخرى لحما غريضا حتى
ملاتاه فعجب الناس من ذلك فقال صلي الله عليه وسلم كانتا تغتابان
الناس فهذا ما اكلتا من لحومهم الثالث كف السمع عن الاصغاء
الي كل مكروه لان كل ما حرم قوله حرم الاصغاء اليه ولذلك قال
صلي الله عليه وسلم المغتابان والمستمعان شريكان في الاثم الرابع
كف بقية الجوارح من اليد والرجل عن المكاره وكف البطن عن الشبهات
وقت الافطار فلا معني للصوم وهو الكف عن الطعام الحلال ثم الافطار
علي الحرام فمثال هذا الصايم مثال من يبني قصرا ويهدم مصرًا الخامس ان
لا يستكثر من الحلال وقت الافطار حتي يمتلي فروح الصوم وسره تضعيف
القوي التي هي وسايل الشيطان في العود الي الشرور ولن يحصل ذلك الا
بتقليل الطعام فعند ذلك يصفو قلبه ويستديم في ليلة القدر اذ ليلة
القدر عبارة عن الليلة التي تنكشف فيها شيء من الملكوت وهو المراد بقوله
عز وجل انا انزلناه في ليلة القدر فاما اذا جمع ما كان ياكل ضحوة الي ما ياكل

ليلا لم ينتفع من صومه السادس ان يكون بعد الافطار قلبه مترددا
بين الخوف والرجا اذ ليس يدري ايقبل صومه فهو من المقربين او يرد فهو
من الممقوتين فهذه هي المعاني الباطنة في الصوم فان قلت فمن اقتصر علي
كف شهوة البطن والفرج وترك هذه المعاني فقد قال الفقهاء صومه
صحيح فما معناه فاعلم ان فقهاء الظاهر يثبتون شروط الظاهر واما
علماء الآخرة فيعنون بالصحة القبول وبالقبول الوصول الي المقصود
ويفهمون ان المقصود من الصوم التخلق بخلق من اخلاق الله تعالى وهو
الصمدية والاقتداء بالملائكة عليهم السلام في الكف عن الشهوات بحسب
الامكان فانهم منزهون عن الشهوات والانسان رتبته فوق رتبة
البهايم لقدرته بنور العقل علي الكسر شهوته ودون رتبة الملائكة
لاستيلاء الشهوات عليه وكونه مبتليا بمجاهدتها وكلما انهمك في
الشهوات انحط الي اسفل السافلين والتحق بغمار البهايم وكلما قمع الشهوات
ارتفع الي اعلى عليين والتحق بافق الملائكة والملائكة عليهم السلام مقربون
من الله تعالى والذي يقتدي بهم ويتشبه باخلاقهم يقرب من الله تعالى
كقربهم وليس القرب ثمة بالمكان بل بالصفات واذا كان هذا سر الصوم
عند ارباب الالباب واصحاب القلوب فاي جدوى لتاخير اكلة وجمع
اكلتين عند العشاء بعد الانهماك في الشهوات والاخر طول النهار ولو

كان

كان لمثله جدوى فاي معنى لقوله صلى الله عليه وسلم كم من صايم
ليس له من صيامه الا الجوع والعطش ومن فهم معنى الصوم وسر علم
ان مثل من كف عن الاكل والجماع وافطر بمخالطة الاثام كمن مسح علي عضو
من اعضايه في الوضوء ثلث مرات فقد وافق في ظاهر العدد الا انه ترك
المهم وهو الغسل فصلوته مردودة عليه بجهله ومثل من افطر بالاكل
وصام بجوارحه عن المكاره كمن غسل اعضاءه مرة مرة فصلوته متقبلة
لاحكامه الاصل وان ترك الفضل ومثل من جمع بينهما كمن غسل كل عضو
ثلث مرات فجمع بين الاصل والفضل وهو الكمال وقد قال صلى الله
عليه وسلم الصوم امانة فليحفظ احدكم امانته ولما تلا رسول الله
صلى الله عليه وسلم قوله تع ان الله يامركم ان تودوا الامانات الي اهلها
وضع يده علي سمعه وبصره فقال السمع امانة والبصر امانة ولولا انه من
امانات الصوم لما قال فليقل اني صايم اي اني اودعت لساني لاحفظه
فكيف اطلقه بجوابك فاذا قد ظهر ان لكل عبادة ظاهرا وباطنا وقشرا
ولبا ولقشورها درجات ولكل درجة طبقات فاليك الخيرة الآن في ان
تقنع بالقشرة عن اللباب والسلام

كتاب الحج واسراره

وفيه فصول الفصل الاول في فضيلة الحج قال الله تعالى
ولله علي الناس حج البيت من استطاع اليه سبيلا وقال رسول الله

صلي الله عليه وسلم من خرج من بيته حاجا او معتمرا فمات اجره الله
اجر الحاج والمعتمر الي يوم القيمة وفي حديث مسند من طريق
اهل البيت اعظم الناس ذنبا من وقف بعرفة وظن الله لم يغفر له
وقال الحجاج والعمار وفد الله وزواره ان سالوه اعطاهم وان استغفروه
غفر لهم وان دعوه استجيب لهم وان يشفعوا شفعوا وقال اللهم اغفر
للحاج ولمن استغفر له الحاج وعن علي رضي الله عنه اربع يستانف
العمل المريض اذا بري والمشرك اذا اسلم والمنصرف من الجمعة والحاج و
عن ابي ذر الغفاري انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
اذا خرج الحاج من اهله فسار ثلثة ايام خرج من ذنوبه كيوم ولدته
امه وكان ساير ايامه له درجات وعن عايشة رضي الله عنها قالت
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا خرج من بيته كان في حرز الله
فان مات قبل ان ينقضي نسكه غفر الله ذنوبه وانفاقه الدراهم في ذلك
الوجه يعدل اربعين الف درهم فيما سواه من سبيل الله تعالي وعن عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما انه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا لقيت
الحاج فسلم عليه وصافحه ومره ان يستغفر لك قبل ان يدخل بيته فانه
مغفور له الاثار قال مجاهد رضي الله عنه ان الحاج اذا قدموا
مكة تلقتهم الملايكة فسلموا علي ركاب الابل وصافحوا ركبان الحمر

واعتنقوا

واعتنقوا المشاة اعتناقا وقال الحسن رضي الله عنه من مات عقيب
رمضان او عقيب غزو او حج مات شهيد ويروى عن علي بن موفق
رحمة الله عليه قال حججت سنة فلما كانت ليلة عرفة نمت بمنا في مسجد
الخيف فرايت في المنام كان ملكين نزلا من السماء عليهما ثياب خضر
فنادي احدهما صاحبه اتدري كم حج بيت ربنا في هذه السنة قال
حج ستمائة الف اتدري كم قبل منهم قال لا قال قبل منهم ستة انفس قال
ثم ارتفعا في الهواء فغابا عني فانتبهت فزعا واغتممت غما شديدا
واهمني امري فقلت اذا قبل ستة انفس فاين اكون انا في ستة انفس
فلما افضت من عرفة بت عند المشعر الحرام فجعلت افكر في كثرة الخلق وفي
قلة من قبل منهم فحملني النوم فاذا الشخصان قد نزلا علي هيئتهما فنادي
احدهما صاحبه فقال اتدري ماذا حكم ربنا في هذه الليلة فقال لا قال فانه
وهب لكل واحد من الستة مائة الف قال فانتبهت من النوم وبي من السرور
ما يجل عن الوصف وروي عنه ايضا انه قال حججت سنة فلما قضيت
مناسكي تفكرت فيمن لا يتقبل حجه فقلت اللهم اني وهبت حجتي وجعلت
ثوابها لمن لا يتقبل حجه قال فرايت رب العزة في النوم فقال يا علي تتسخي
علي وانا خلقت السخاء والاسخياء انا اجود الاجودين واكرم الاكرمين
وانا احق بالجود والكرم من العالمين وقد وهبت كل من لم اقبل حجه

مطلب

لمن قبلته واعلم ان المحتاطين كرهوا المقام بمكة لمعاني ثلاث
احدها خوف فتور الداعية بسبب الانس بالبيت والثانية ان
المفارقة تهيج داعية الشوق الي العود لهذا قال بعضهم تكون في
بلدة وقلبك شتاق الي مكة خير لك من ان تكون فيها وقلبك في بلد
آخر الثالث الخوف من ارتكاب الخطايا فيها قال ابن مسعود رضي الله عنه
ما من بلد يوخذ العبد بالهم قبل العمل الا مكة وتلا قوله تعالى ومن يرد
فيه بالحاد بظلم نذقه من عذاب اليم اي انه علي مجرد الارادة و
يقال السيئات تضاعف بها كما تضاعف الحسنات فهذه من فضايل
الحج والله اعلم الفصل الثاني في ظاهر اداب الحج وهي عشرون الاول
ينبغي ان يبتدي بالتوبة ورد المظالم وقضاء الديون واعداد
النفقة لكل من يلزمه نفقته الي وقت الرجوع ويرد ما عنده من الودايع
ويستصحب المال من الحلال ما يكفيه لذهابه علي وجه التوسع في الزاد
والرفق بالفقراء ويتصدق بشي قبل خروجه الثاني ان يلتمس رفيقا
صالحا معينا علي الخير ان نسي ذكره وان ذكر اعانه ويدعوا اخوانه
المقيمين ويلتمس ادعيتهم والسنة في الوداع ان يقول استودعك
الله دينك وامانتك وخواتيم عملك وكان صلي الله عليه وسلم يقول
لمن اراد السفر في حفظ الله وكنفه وزودك الله التقوي وغفر ذنبك

مطلب كراهة المقام بمكة

ووجهك

ووجهك الخير اينما توجهت الثالث ان يصلي ركعتين اذا هم بالخروج و
يقرا في الاولي بعد الفاتحة قل يا ايها الكافرون وفي الثانية الاخلاص
ثم يقول اللهم انت الصاحب في السفر وانت الخليفة في الاهل والمال والولد
والاصحاب احفظني واياهم من كل آفة وعاهة اللهم اني اسئلك في مسيري
هذا البر والتقوي ومن العمل ما ترضي وان ترزقني في سفري سلامة البدن
والبدن والمال وتبلغني حج بيتك الحرام وزيارة قبر نبيك محمد عليه السلام
اللهم اني اعوذ بك وعثاء السفر وكابة المنقلب وسوء المنظر في النفس
والاهل والمال والولد والاصحاب اللهم اجعلني واياهم في جوارك ولا تسلبنا
واياهم نعمتك ولا تغير ما بي وبهم من عافيتك الرابع ان يقول اذا خرج من
داره بسم الله توكلت علي الله لا حول ولا قوة الا بالله رب اعوذ بك ان ازل
او ازل واضل او اضل واظلم او اظلم واجهل او يجهل علي اللهم اني لم اخرج اشرا
ولا بطرا ولا رياء ولا سمعة بل خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك
وقضاء فرضك واتباع سنة نبيك وشوقا الي لقائك الخامس اذا
مشا قال اللهم لك انتشرت وعليك توكلت وبك اعتصمت واليك توجهت
اللهم انت ثقتي ورجاي فاكفني ما اهمني وما لا اهتم به وما انت اعلم به مني
عز جارك وجل ثناءك ولا اله غيرك اللهم زودني التقوي واغفر لي ذنبي
ووجهني للخيرات اينما توجهت ويدعوا بهذا الدعاء في كل منزل يرحل

عنه السادس ان يقول اذا ركب بسم الله وبالله والله اكبر توكلت على الله
ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم ما شاء الله كان وما لم يشاء لم يكن سبحان
الذي سخر لنا هذا وما كنا له مقرنين وانا الى ربنا لمنقلبون اللهم اني وجهت
وجهي اليك وفوضت امري اليك وتوكلت في جميع اموري عليك انت حسبي
ونعم الوكيل واذا استوى على الراحلة واستوت تحته قال سبحان الله
والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر سبع مرات ثم قال الحمد لله الذي هدانا الى
آخره اللهم انت الحامل على الظهر وانت المستعان على الامور السابع ان يقول
اذا نزل منزلا اللهم رب السموات السبع وما اظللن ورب الارضين وما
اقللن ورب الشياطين وما اضللن ورب الرياح وما ذرين ورب البحار
وما جرين اسئلك خير المنزل وخير اهله واعوذ بك من شر هذا المنزل
وشر اهله وما فيه اصرف عني شر شرارهم الثامن ان يقول اذا جن عليه الليل
يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك وشر ما دب
عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب ومن ساكن البلد
ووالد وما ولد وله ما سكن في الليل والنهار وهو السميع التاسع
ان يحتاط في الحراسة فاذا نام احدهما حرس الآخر فهو السنة فان قصده
عدو او سبع فليقرا اية الكرسي وشهد الله والاخلاص والمعوذتين
وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة الا بالله حسبي الله توكلت على الله

ماشاء الله

ماشاء الله لا يصرف السوء الا الله ماشاء الله لا ياتي بالخير الا الله حسبي الله
وكفى سمع الله لمن دعا ليس وراء الله منتهى ولا دون الله ملتجى كتب الله
لاغلبن انا ورسلي ان الله قوي عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي
الذي لا يموت اللهم احرسني بعينك التي لا تنام واكفني بركنك الذي لا يرام
وارحمني بقدرتك علي ولا تهلكني وانت رجائي اللهم اعطف علي قلوب
عبادك وامائك برأفة ورحمة انك ارحم الراحمين العاشر ان يقول اذا
احرم بعد الغسل والتنظيف باسراح الراس وتقليم الاظفار وقص الشارب
لبيك اللهم لبيك لبيك لا شريك لك لبيك ان الحمد لله والنعمة لك والملك لك
لا شريك لك اللهم اني اريد الحج فيسره لي وتقبله مني واعني على اداء فرضك
ويستحب ترديد التلبية برفع الصوت عند كل صعود وهبوط وركوب
ونزول الحادي عشر ان يغتسل لدخول مكة واذا وقع بصره على البيت قال
لا اله الا الله والله اكبر اللهم انت السلام ومنك السلام ودارك دار السلام
تباركت يا ذا الجلال والاكرام اللهم ان هذا بيتك عظمته وكرمته وشرفته
اللهم فزده تعظيما وزده تشريفا وتكريما وزده مهابة وزد من حجه برا
وكرامة اللهم افتح ابواب رحمتك واعذني من الشيطان الرجيم الثاني عشر
اذا دخل المسجد الحرام بسم الله وبالله ومن الله والى الله وفي سبيل الله
وعلى ملة رسول الله فاذا قرب من البيت قال الحمد لله وسلام على عباده

الذي اصطفي اللهم صل علي محمد عبدك ورسولك وعلي ابراهيم خليلك
وعلي جميع انبيائك ورسلك وليرفع يديه وليقل اللهم اني اسئلك
في مقامي هذا في اول مناسكي ان تقبل توبتي وتجاوز عن خطيئتي
وتضع عني وزري الحمد لله الذي بلغني بيته الحرام الذي جعله مثابة
للناس وامنا وجعله مباركا وهدى للعالمين اللهم اني عبدك والبلد
بلدك والحرم حرمك والبيت بيتك جئت اطلب رحمتك اسئلك مسئلة
المضطر الخائف لعقوبتك الراجي لرحمتك الطالب مرضاتك الثالث عشر
اذا دخل المسجد الحرام قصد الحجر الاسود ومسه بيده اليمني وقبله وقال
اللهم امانتي اديتها وميثاقي تعاهدته اشهد لي بالموافاة فان لم يستطع
التقبيل فليقف في مقابلته ويقول ذلك ثم لا يعرج علي شيء دون
الطواف وهذا طواف القدوم الا ان يجد الناس في المكتوبة فيصلي
معهم الرابع عشر ان يطوف طواف القدوم والطواف بالبيت صلوة
فلا يجوز الا بالطهارة ولكن ابيح فيه الكلام ويبتدي بطوافه من الحجر
ويجعل بينه وبين البيت قدر ثلث خطوات ويقول بسم الله والله
اكبر ايمانا بك وتصديقا بكتابك ووفاء بعهدك واتباعا لسنة
نبيك محمد صلي الله عليه وسلم ويطوف فاول ما يجاوز الحجر ينتهي
الي باب البيت يسبح لله ويحمده حتي يبلغ الركن العراقي ويقول اللهم

اللهم

اللهم اني اعوذ بك من الشك والشرك والكفر والنفاق والشقاق وسوء
الاخلاق وسوء المنظر في المال والاهل والولد فاذا بلغ الميزاب قال اللهم
اظلني تحت ظل عرشك يوم لا ظل الا ظل عرشك اللهم اسقني بكاس محمد
صلي الله عليه وسلم شربة لا اظماء بعدها ابدا فاذا بلغ الي الركن
الشامي قال اللهم اجعله حجا مبرورا وسعيا مشكورا وذنبا مغفورا
وتجارة لن تبور يا عزيز يا غفور رب اغفر وارحم وتجاوز عما تعلم انت
الاعز الاكرم فاذا بلغ الركن اليماني قال اللهم اني اعوذ بك من الكفر واعوذ
بك من الفقر ومن عذاب القبر ومن فتنة المحيا والممات واعوذ بك
من خزي الدنيا وعذاب الاخرة ويقول بين الركن اليماني والحجر الاسود اللهم
ربنا اتنا في الدنيا حسنة وفي الاخرة حسنة وقنا عذاب النار فاذا بلغ
الي الحجر فقد تم شوط واحد فيطوف كذلك سبعة اشواط ويدعو بهذه
الادعية في كل شوط ويرمل في ثلثة اشواط ويمشي علي هينته في
الاربعة الاخيرة الخامس عشر اذا تم الطواف بشرع سبعا فليات
الملتزم وهو موضع بين الباب والحجر تستجاب فيه الدعوة وليضع
عليه خده الايمن وليقل اللهم يا رب البيت العتيق اعتق رقبتي من النار
واعذني من الشيطان الرجيم واعذني من كل سوء وقنعني بما رزقتني
وبارك لي فيما اتيتني ثم ليصلي خلف المقام ركعتين بسورة الكافرين

والاخلاص وهما ركعتي الطواف وكل اسبوع طواف وليدع بعد ركعتي
الطواف وليقول اللهم يسر لي اليسرى وجنبني العسرى واغفر لي
في الاخرة والاولى اللهم اعصمني بالطافك حتى لا اعصيك واعني على
طاعتك بتوفيقك واجعلني ممن يحبك ويحب ملائكتك ورسلك
ويحب عبادك الصالحين اللهم حببني الى ملائكتك ورسلك والى
عبادك الصالحين اللهم فكما هديتني للاسلام فثبتني عليه بالطافك
واستعملني بطاعتك وطاعة رسولك واجرني من مضلات الفتن
السادس عشر اذا فرغ من الطواف فيسعى بين الصفاء والمروة سبع
مرات وعند رقيه على الصفا ينبغي ان يقبل على البيت ويقول الله اكبر
الله اكبر الحمد لله على ما هدانا الحمد لله بمحامده كلها على جميع نعمه كلها لا اله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت بيده الخير
وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله وحده صدق وعده ونصر عبده
واعز جنده وهزم الاحزاب وحده ويصلي على محمد بما شاء ثم ينزل
ويبتدي السعي ويدعوا بما شاء حتى ينتهي الى المروة فاذا انتهى صعدها
كما صعد صفا واقبل بوجهه على الصفا ودعا بمثل ذلك الدعا وقد
حصل السعي مرة واحدة فاذا عاد الى الصفا حصلت مرتان يفعل
ذلك سبعا فاذا فعل ذلك فقد فرغ عن طواف القدوم والسعي وهما

سنتان

سنتان والطهارة مستحبة للسعي ليست بواجبة بخلاف الطواف
ولا يعيد السعي بعد الوقوف السابع عشر اذا فرغ من ذلك استعد
للخروج الى منى يوم التروية والمبيت بها فاذا انتهى الى منى قال اللهم
هذا منى فامنن علي بما مننت به على اوليائك واهل طاعتك وليمكث
تلك الليلة بمنى فاذا اصبح يوم عرفة وطلعت الشمس سار الى عرفات
وجمع بين الظهر والعصر باذان واقامتين وقصر الصلوة وراح الى الموقف
بعد الغسل بالدعاء فانها موضع الدعاء الثامن عشر ان يقصد المزدلفة
بعد غروب الشمس من يوم عرفة فاذا بلغها اغتسل وجمع بين المغرب والعشاء
هناك في وقت العشاء فمكث هناك الى شطر الليل ثم يتاهب للرحيل
ويتزود بحصاتها ويأخذ سبعين حصاة ثم ليغلس بصلوة الصبح
وليأخذ في السير حتى اذا انتهى الى المشعر الحرام وهو آخر المزدلفة فيقف
ويدعوا الى الاسفار ثم يدفع منها قبل طلوع الشمس حتى ينتهي الى وادي محسر
فيستحب ان يحرك دابته حتى يقطع عرض الوادي ثم اذا اصبح يوم النحر ينتهي
الى منى ويرمي جمرة العقبة بعد طلوع الشمس ثم ليذبح ثم ليحلق ومهما حلق
بعد رمي الجمرة فقد حل له كل المحظورات الا النساء ثم ينفض الى مكة
ويطوف طواف الزيارة يوم النحر فاذا طاف حل له النساء وارتفع الاحرام
بالكلية ولم يبق الا رمي ايام التشريق والمبيت بمنى وهي واجبات بعد زوال

الاحرام والاحسن ان يرمي ثم يذبح ثم يحلق ثم يطوف **التاسع عشر**
ان يجعل آخر اشغاله وداع البيت اذا اراد الرجوع الي محلة وطنه ووداعه
بان يطوف سبعًا كما سبق من غير رمل واضطباع ويصلي ركعتين خلف المقام
ويشرب ماء زمزم ثم ياتي الملتزم ويدعوا ويتضرع **العشرون** ان يقصد
زيارة المدينة ويغتسل قبل دخولها فاذا دخلها قال بسم الله وعلي ملة
رسول الله رب ادخلني مدخل صدق واخرجني مخرج صدق الآية ثم يقصد
المسجد ويصلي بجنب المنبر ركعتين ثم ياتي الي قبر النبي صلى الله عليه وسلم
فيقف من بعد من غير لمس الجدار ولا تقبيله ويسلم عليه وعلي ضجيعيه
ويستحب ان ياتي احد يوم الخميس ويزور قبور الشهداء ويخرج كل يوم
الي البقيع ويزور قبر حسن بن علي وقبر فاطمة وابراهيم بن الرسول
وساير اهل البيت صلى الله عليه وسلم وياتي المساجد بالمدينة ويصلي
فيها ويشرب من بئر تفل فيها النبي صلى الله عليه وسلم وهي عند المسجد
ويتوضاء منها ويقصد ساير الابار التي كان عليه السلام يتوضاء
منها ويغتسل وهي سبعة ابار طلبا للشفاء وتبركا به صلى الله عليه وسلم
ثم اذا فرغ من اشتغاله وعزم علي الخروج من المدينة فيستحب ان ياتي
القبر ويودع رسول الله صلى الله عليه وسلم ويسال الله ان يرزقه
العود ويسال السلامة في سفره ويصلي ركعتين فينبغي ان يستعمل

هذه الاداب التي ذكرناها ثم لا ينبغي ان يطرق اهله ليلا فاذا دخل
البلد فليقصد المسجد اولا وليصلي ركعتين فاذا دخل بيته قال توبًا
توبًا لربنا اوبًا لا يغادر علينا حوبا فاذا استقر في منزله فلا ينسى ما انعم
الله عليه من زيارة بيته وزيارة قبر نبيه عليه الصلوة والسلام
فيكفر تلك النعمة بان يعود الي الغفلة واللهو والخوض في المعاصي فما ذلك
علامة الحج المبرور بل علامته ان يعود زاهدا في الدنيا راغبا في الاخرة
متأهبًا للقاء رب البيت سبحانه وتعالي والله اعلم **الفصل**
الثالث في الاداب الدقيقة والاعمال الباطنة **اما** الاداب
الدقيقة فعشرة **الاول** ان تكون النفقة حلالا وتكون اليد خالية
عن التجارة التي تشغل القلب وتفرق الهم حتي يكون الهم مجردًا لله تعالى
والقلب منصرفا الي ذكر الله عز وجل وتعظيم شعايره **وفي الخبر** اذا كان آخر
الزمان خرج الناس للحج اربعة اصناف امراءهم للنزهة واغنياءهم للتجارة
وفقراءهم للمسئلة وقراءهم للسمعة وكل ذلك مما يمنع فضيلة الحج لا سيما
اذا كان متجردًا بنفس الحج بان يحج لغيره باجرة فيطلب الدنيا بعمل الآخرة
وقد كره الورعون وارباب القلوب ذلك الا ان يكون قصده المقام
بمكة ولم يكن له ما يبلغه فلا باس ان ياخذ ذلك علي هذا القصد لا ليتوصل
بالدين الي الدنيا بل بالدنيا الى الدين وعند ذلك ينبغي ان يكون قصده

زيارة بيت الله تعالى ومعاونة اخيه المسلم باسقاط الفرض عنه وفي
مثله تنزل قوله عليه السلام يدخل الله تعالى بالحجة الواحدة ثلثة الي
الجنة الموصي بها والمنفذها ومن حج بها عن اخيه الثاني التوسع في الزاد
وطيب النفس بالبذل والانفاق من غير تقصير ولا اسراف بل على الاقتصاد
واعني بالاسراف التنعم باطايب الاطعمة على عادة المترفين فاما كثرة
البذل فلا سرف فيه اذ لا خير في السرف ولا سرف في الخير وقال رسول الله
صلى الله عليه وسلم الحج المبرور ليس له جزاء الا الجنة فقيل له يا رسول الله
ما بر الحج فقال طيب الكلام واطعام الطعام الثالث ترك الرفث والفسوق
والجدال كما نطق به القرآن العظيم والرفث اسم جامع لكل لغو وفحش الكلام
ويدخل فيه مغازلة النساء وملاعبتهن والتحدث بشان الجماع ومقدماته
فان ذلك يهيج داعية الجماع المحظور والداعي الى المحظور محظور والفسوق
اسم جامع لكل خروج عن طاعة الله تع والجدال هو الخصومة التي تناقض
حسن الخلق وليس حسن الخلق كف الاذي بل احتمال الاذي وقيل سمي
السفر سفرا لانه يسفر عن اخلاق الرجال ولذلك قال عمر رضي الله
عنه لمن زعم انه يعرف رجلا هل صحبته في السفر الذي يستدل به
علي مكارم الاخلاق قال لا قال ما اراك تعرفه الرابع ان يحج ماشيا
ان قدر عليه والا فالركوب افضل الخامس ان يكون رث الهيئة وقد

قيل

قيل زين الحجيج اهل اليمن لانهم علي هيئة التواضع والضعف وسيرة
السلف الصالح اشعث اغير متكثر من الزينة وكتب عمر رضي الله عنه
الى امراء الاجناد اخلولقوا واخشوشنوا اي البسوا الخلقان واستعملوا
الخشونة في الاشياء السادس ان يرفق بالدابة فلا يحملها ما لا
تطيق ويستحب ان ينزل عن دابته غدوة وعشية لترويح الدابة
وسرور قلب المكاري وكان بعض السلف رحمهم الله يكتري بشرط ان
لا ينزل ويوفي الاجرة ثم كان ينزل ليكون بذلك محسنا الى الدابة فيكون
في حسناته ويوضع في ميزانه لا في ميزان المكاري السابع ان يتقرب باراقة
دم وان لم يكن واجبا عليه ويجتهد ان يكون من سمين النعم ونفيسه
وليأكل منه ان كان تطوعا ولا يأكل ان كان واجبا الثامن ان يكون طيب
النفس بما انفقه من نفقة وبما اصابه من خسران ومصيبة في مال وبدن
فانها من دلايل قبول حجه التاسع ان يتهيأ رفيقا صالحا وقيل ان من
علامات قبول الحج ترك المعاصي واستبدال الاخوان البطالين بالصالحين
ومجالس اللهو والغفلة بمجالس الذكر واليقين العاشر ان لا يعين
الظلمة من امراء مكة وامراء العرب باعطاء مال فهذه ادابه الدقيقة
اما الاعمال الباطنة وطرق الاعتبار بالمشاهدة الشريفة وكيفية
الافتكار فيها والتذكر لاسرارها ومعانيها من اول الحج الى اخره فاولها

تصحيح العزم بالاخلاص ويعلم ان من افحش الفواحش ان يقصد بيت الملك وحرمه
والمقصود غيره ويصح مع نفسه العزم وتصحيحه باخلاصه واخلاصه
باجتنابه كل ما فيه رياء وسمعه وثانيها قطع العلايق فمعناه رد المظالم
والتوبة عن جميع المعاصي فكل مظلمة علاقة مثل غريم حاضر متعلق بذيله
ينادي عليه الى اين تتوجه اولا تستحيي من ان تقدم عليه وانت عاصي
وليتذكر عند قطع العلايق لسفر الحج قطع العلايق لسفر الآخرة فلا
ينبغي ان يغفل عن ذلك السفر عند الاستعداد لهذا السفر وثالثها
الزاد فليتذكر ~~عند الركوب~~ ان سفر الآخرة اطول من هذا السفر وان زاده
التقوى ورابعها الراحلة وليتذكر عند الركوب للدابه ركوب النعش
وخامسها الخروج من البيت وليتذكر عند الخروج من البيت الخروج من الدنيا
وسادسها ان يتذكر في تعب البادية تعب يوم القيمة وسابعها
اذا احرم تذكر عند الكفن ولفه وثامنها اذا وقع بصره على البيت احضر
بباله عظمة الرب وتاسعها اذا طاف بالبيت اعلم انك بالطواف متشبه
بالملائكة عليهم السلام المقربين الطايفين حول العرش ولا تظنن ان
المقصود طواف جسمك بالبيت بل المقصود طواف قلبك بذكر الرب عز
وجل وعاشرها السعي بين الصفا والمروة في فناء البيت يضاهي تردد
العبد بفناء الملك جائيا وذاهبا اظهارا للخلوص في الخدمة ورجاء

للملاحظة

للملاحظة بعين الرحمة وليتذكر تردد بين كفتي الميزان في عرصات القيمة
وليمثل الصفا بكفة الحسنات والمروة بكفة السيآت وليتذكر تردده
بين الكفتين ناظرا الى الترجح والنقصان مترددا بين العذاب والغفران
وحادي عشرها اذا وقف بعرفة يرى زحم الخلق بارتفاع الاصوات وارتفاع
اللغات تذكر الموقف واجتماع الامم مع الانبياء عليهم السلام على هذا
في ساير الاعمال فهذا وظيفة القلب في اعمال الحج تم كتاب الحج والله اعلم

كتاب آداب تلاوة القرآن

وفيه فصول الاول في فضله وفضل اهله وذم تلاوة
الغافلين اما فضله وفضل اهله فظاهر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
من قرأ القرآن ثم رأى ان احدا اوتي مثل ما اوتي فقد استصغر ما عظمه الله تعالى
وقال ما من شفيع اعظم منزلة عند الله يوم القيمة من القرآن لا نبي
ولا ملك ولا غيره وقال ان الله قرا طه ويس قبل ان يخلق الخلق بالف عام
فلما سمعت الملائكة القرآن قالت طوبى لامة ينزل عليهم هذا وطوبى لاجواف
تحمل هذا وطوبى لالسنة تنطق بهذا وقال خيركم من تعلم القرآن وعلمه
وقال اهل القرآن اهل الله وخاصته وقال ان القلوب تصدأ كما يصدأ
الحديد فقيل وما جلاؤها يا رسول الله قال تلاوة القرآن وذكر الموت
الآثار قال ابن مسعود رضي الله عنه اذا اردتم العلم فاثروا القرآن

فان فيه علم الاولين والآخرين وقال ايضًا اقرؤا القرآن فانكم تؤجرون
عليه بكل حرف عشر حسنات اما اني لا اقول الم حرف ولكن الالف حرف
واللام حرف والميم حرف وقال ابو هريرة رضي الله عنه ان البيت الذي
لا يتلي فيه كتاب الله ضاق باهله وقل خيره وخرجت منه الملائكة وحضرته
الشياطين وقال احمد بن حنبل رحمة الله عليه رايت الله عز وجل في المنام
فقلت يا رب بما يتقرب به المتقربون اليك قال بكلامي يا احمد قال يا رب
بفهم او بغير فهم فقال بفهم وبغير فهم وقال فضيل بن عياض ينبغي لحامل
القرآن ان لا يكون له الي احد حاجة ولا ينبغي له ان يلهو مع من يلهو ولا
يلغو مع من يلغوا وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه اذا قراء
الرجل القرآن قبّل الملك بين عينيه واما ذم تلاوة الغافلين قال
انس بن مالك رضي الله عنه رب تالي القرآن والقرآن يلعنه وقال ابو سليمان
الداراني رحمة الله عليه الزبانية اسرع الي حملة القرآن الذين يعصون
الله تع منهم الي عبدة الاوثان وقال بعضهم اذا قراء ابن آدم القرآن
ثم خلط قال الله تعالى له مالك وكلامي وانت معرض عني وقال بعضهم
ان العبد ليفتتح سورة فتصلي عليه حتي يفرغ منها وان العبد ليفتتح
سورة فتلعنه حتي يفرغ منها وقال ابن عمر رضي الله عنهما لقد عشنا
دهرا واحدنا يؤتي الايمان قبل القرآن فتنزل السورة علي محمد فنتعلم

مطلب القراءة بفهم او بغير فهم

حلالها

حلالها وحرامها وآمرها وزاجرها ثم رايت رجالا يؤتي احدهم القرآن
قبل الايمان فيقراء فاتحة الكتاب الي خاتمته لا يدري ما آمره ولا زاجره وقال
ابن مسعود رضي الله عنه انزل القرآن عليهم ليعملوا به فاتخذوا دراسته
عملا ان احدهم ليقراء القرآن من فاتحته الي خاتمته ما يسقط منه حرفا
وقد اسقط العمل به ولهذا السر مات رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن عشرين الفا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين ولم يحفظ القرآن
غير ستة واختلف منهم في اثنين منهم ابو بكر وعثمان وعلي وابي وزيد
وابن مسعود رضوان الله عليهم اجمعين واختلفوا في ابي بكر وعلي وقال
بعض القراء اقرات القرآن على بعض الشيوخ ثم رجعت لأقرا عليه ثانيا
فانتهرني وقال جعلت القرآن عملا اذهب فاقراء على الله تعالى فانظر
ماذا يامرك وماذا ينهيك الفصل الثاني في ظاهر اداب التلاوة
اعلم ان لتلاوة القرآن ادابا سبعة الاول في حال القاري وهو
ان يكون على الوضوء مستقبل القبلة اما قائما او جالسا غير متربع
ولا متكئ وتجلس علي هيئة الادب كجلوسه بين يدي الاستاد وان
قراء علي غير وضوء او كان مضطجعا فله ايضا فضل ولكنه دون ذلك
وافضل الاحوال ان يقرأ في الصلوة قائما وان يكون في المسجد فذلك من
افضل الاعمال قال علي رضي الله عنه من قراء القرآن وهو قائم في

الصلوة كان له بكل حرف خمسون حسنة ومن قرأ في غير صلوة وهو علي
وضوء فخمس وعشرون حسنة ومن قرأ علي غير وضوء فعشر حسنات
الثاني في مقدار القرآن واولي ما يرجع اليه في التقديرات قول
رسول الله صلي الله عليه وسلم من قرأ القرآن في اقل من ثلاث لم يفقهه
وذلك لان الزيادة عليه يمنع الترتيل **وقد قالت** عايشة رضي الله
عنها ما سمعت رجلا يهذ القرآن هذا ان هذا ما قرأ القرآن ولا سكت
وامر النبي صلي الله عليه وسلم عبد الله بن عمر رضي الله عنهما يختم القرآن
في سبع **ولذلك** كان جماعة من الصحابة رضي الله عنهم يختمون
القرآن في الاسبوع كعثمان وزيد بن ثابت وابن مسعود وابي بن كعب
ويقسمونه سبعة احزاب الاول من البقرة الي انعام الثاني من الانعام الي
يوسف الثالث من يوسف الي طه الرابع من طه الى العنكبوت الخامس من
العنكبوت الي زمر السادس منها الي الواقعة السابع منها الي آخر القرآن
وكانوا يفتتحون ليلة الجمعة ويختمون ليلة الخميس وابن مسعود رضي
الله عنه يقسمه ايضا سبعة اقسام على الترتيب فالاول ثلث سور
من خمسون سور ثم سبع سور ثم تسع سور ثم احدى عشر سورة ثم
ثلثة عشرة سورة ثم المفصل من ق فهكذا خربه الصحابة رضي الله
عنهم **الثالث** الترتيب في القراءة لانه معين على التدبر الموثر في التعظيم

والاحترام **قال** ابن عباس رضي الله عنهما لان اقرأ سورة البقرة
وآل عمران ارتلهما واتدبرهما احب الي من ان اقرأ القرآن كله هذرمة لهذا
ندب التحسين في الكتابة قالوا يستحب تحسين كتابة القرآن وتبيينه
ولا بالنقط والاعراب وعلامات الوقف والاخماس والعواشر والاجزاء
والاحزاب وان كانت محدثة هو حسن كاقامة التراويح بالجماعات
وقيل ان الحجاج هو الذي احدث ذلك واحضر القراء حتي عدوا كلمات
القرآن وحروفه وقسموه الي ثلثين جزوا **الرابع** البكاء مستحب مع القراءة
قال صلي الله عليه وسلم اتلوا القران وابكوا فان لم تبكوا فتباكوا **وقال**
صالح المري قرات القرآن علي النبي صلي الله عليه وسلم في المنام فقال لي يا صالح
هذه القراءة فاين البكاء **وقال** ابن عباس رضي الله عنهما اذا قرأتم سجدة سبحان
فلا تعجلوا بالسجود حتي تبكوا فان لم يبك عين احدكم فليبك وبكاء القلب
الحزن **وقال** صلي الله عليه ان القرآن نزل بحزن فاذا قرأتموه فتحازنوا
الخامس ان يراعي حق الايات فاذا مر باية سجود سجد ويدعوا في سجوده
بما يليق بالاية التي قراءها مثل ان يقراء قوله تعالي خروا سجدا وسبحوا
بحمد ربهم وهم لا يستكبرون فيقول اللهم اجعلني من الساجدين لوجهك
المسبحين بحمدك واعوذ بك ان اكون من المستكبرين عن امرك واذا قراء
قوله يخرون للاذقان يبكون ويزيدهم خشوعا فيقول اللهم اجعلني من

مطلب التراويح

البا كين اليك الخاشعين لك وكذلك في كل سجدة **السادس** ان يقول في
مبداء قراته اعوذ بالله من الشيطان الرجيم واذا ختم دعا الله وساله فانه
نعم الشفيع **وروي** ان مسلم الصفار رحمة الله عليه قال سمعت ابي يقول
بينا انا راكب في البحر اذ هاج البحر اخذتنا الامواج من جانب ففزع الخلائق
واستغاثوا فاخذ واحد المصحف وقام ورفع راسه الي السماء فقال
الهي اتغرقنا في البحر ومعنا كلامك قال فسكن البحر بقدرة الله تعالي
وفي هذه الحكايت بشارة لحامل القرآن بانه متي يجعل من كرمه ان يحرقه
وفي جوفه كلامه **السابع** ان يجهر بالقراءة الي حد يسمع نفسه
فان لم يسمع نفسه لم تصح صلاته فاما الجهر بحيث يسمع غيره فهو
محبوب علي وجه مكروه علي وجه ويدل علي الاستحباب الاسرار ما
روي انه صلى الله عليه وسلم قال فضل قراءة السر علي قراءة العلانية
كفضل صدقة السر علي صدقة العلانية **وفي** لفظ آخر الجاهر
بالقراءة كالجاهر بالصدقة والمسر بالقرآن كالمسر بالصدقة **وفي**
الخبر يفضل عمل السر علي عمل العلانية سبعين ضعفا ويدل علي
استحباب الجهر ما روى الله رسول صلى الله عليه وسلم مر علي ثلثة
من اصحابه مختلفي الاحوال فمر علي ابي بكر رضي الله عنه وهو يخافت
فساله عن ذلك فقال ان الذي اناجيه هو يسمعني ومر علي عمر رضي الله عنه

وهو

وهو يجهر فساله عن ذلك فقال اوقظ الوسنان واخر الشيطان
ومر علي بلال وهو يقراء آيا من هذه السورة وآيا من هذه السورة فسئله
عن ذلك فقال اخلط الطيب بالطيب فقال كلكم قد احسن واصاب فالوجه
بين الجمع بين هذه الاحاديث ان الاسرار ابعد من الرياء والتصنع فهو
افضل في حق من يخاف ذلك علي نفسه فان لم يخف ولم يكن في الجهر ما يشوش
الوقت علي مصل آخر فالجهر افضل لان العلم فيه اكثر وان فايدته تتعلق
ايضا بغيره والخير المتعدي افضل من اللازم ولانه يوقظ قلب القاري
ويجمع همه الي الفكر فيه ويصرف اليه سمعه ولانه يطرد النوم برفع الصوت
لانه يزيد في نشاطه للقراءة ويقلل من كسله ولانه يرجوا بجهره تيقظ
نايم فيكون هو سبب حياته ولانه قد يراه بطال غافل فينشط بسبب
نشاطه ويشتاق الي الخدمة فمهما حضره شيء من هذه النيات فالجهر
افضل وان اجتمعت هذه النيات يضاعف الاجر وبكثرة النيات يزكو عمل
الابرار وتتضاعف اجورهم فان في العمل الواحد عشر نيات كان فيه عشر اجور
ولهذا نقول قراءة القرآن في المصحف افضل اذ يزيد عمل البصر وتامل
المصحف وحمله فيزيد الاجر بسببه **وقيل** الترنم بالقرآن مستحب
الي ان لم يؤد الي تخليط وتغيير **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم
زينوا القرآن باصواتكم **وقال** ليس منا من لم يتغن بالقرآن قيل اراد به

مطلب ان العمل عشر نيات الواحد

الاستغناء وقيل اراد به الترنم وترديد ثم التدبر ثم التفهم ثم التخلي
عن موانع الفهم ثم التاثر ثم الترقي ثم التبري الاول حضور القلب وترك
حديث النفس وكان بعض السلف اذا قرا سورة لم يكن قلبه فيها اعادها
ثانيا وحرس بقوله تعالى لا يمسه الا المطهرون فالقاري ينبغي له انه
كما عظم ظاهر جلد المصحف وورقه كذلك باطنه عظم وحرس بان
لا يناله الا من طهر باطنه عن الرذايل والنقايص وكما لا يصح لمس جلد المصحف
كل يد فلا يصلح لتلاوة حروفه كل لسان ولا لنيل معانيه كل قلب ولمثل هذا
التعظيم كان عكرمه رضي الله عنه اذا انشر المصحف غشي عليه ويقول هذا
كلام ربي فتعظيم الكلام بتعظيم المتكلم الثاني التدبر والمقصود
من القراة التدبر ولذلك سن فيه الترتيل لان الترتيل في الظاهر
يمكن من التدبر بالباطن وبعض السلف رحمهم الله انه بقي في
سورة هود ستة اشهر يكررها ولا يفرغ من التدبر فيها التدبر
وراء حضور فانه قد لا يتفكر في غير القرآن ولكنه يقتصر على سماع
القرآن من نفسه وهو لا يتدبر وقال بعض العارفين لي كل جمعة
ختمة وفي كل شهر ختمة وفي كل سنة ختمة ولي ختمة منذ ثلثين
سنة ما فرغت منها وذلك لتدبره ولتفتيشه وعن ابي ذر الغفاري
رضي الله عنه انه قال قام فينا رسول الله صلى الله عليه وسلم ليلة

فقام

فقام باية يرددها وهي ان تعذبهم فانهم عبادك الآية وقال عبد الله
الهاشمي رحمة الله عليه قصد الحسن البصري رحمة الله عليه ان يختم القرآن
فلم يمكنه ختم القرآن في اربعين سنة وقيل لجعفر الخلدي رحمة الله عليه
ان فلانا له ختمة في كل ليله فظن ان الرجل استعظم ذلك فقال جعفر
الم تكن له اية من كتاب الله تعالى من اعذارا وانذارا وثوابا وعقابا ووعد
ووعيد ما يشغله ساعة في التفكر فيها هذا رجل غافل عن كتاب الله وليس
بقاري الكتاب فان الله لطف بخلقه في نزوله عن عرش جلاله الى درجة افهام
خلقه بالتدبر حتى اوصل معاني كلامه الذي هو صفة ذاته الكريمة الى
افهام الخلق وكيف تجلت تلك الصفة في طي حروف واصوات ولولا
استتار كنه جمال كلامه بكسوة الحروف لما ثبتت لسماع كلامه عرش ولا
ثري ولتلاشي ما بينهما من عظمة سلطانه وسبحات نوره ولولا تثبيت
الله سبحانه وتعالى لموسى عليه السلام لما طاق سماع كلامه كما لم يطق
الجبل مبادي تجليه حيث صار دكا الثالث التفهم وهو ان يستوضح
من كل آية ما يليق بها ولا يقتصر على ظاهر معناه بل ينزل الى جميع ما يتشعب منها
ولا يتاتي ذلك الا بمعرفة الاقسام العشرة التي تحصر اقسام القرآن فيها وان
الاية التي يقراها من ايها هي والاقسام العشرة هي ذكر الذات وذكر الصفات
وذكر الافعال وذكر المعاد وذكر الصراط المستقيم اعني جانب التخلية والتحلية

وهما قسمان وذكر احوال الاعداء وذكر الاولياء وذكر محاجة الكفار وذكر
حدود الاحكام اذا القرآن يشتمل علي ذكر ذات الله تع وصفاته وذكر
افعاله وذكر احوال انبياء عليهم السلام وذكر احوال المكذبين لهم وانهم كيف
اهلكوا وذكر اوامره وزواجره وذكر الجنة والنار كما ذكرنا اما ذات الله
تعالى فكقوله عز وجل ليس كمثله شيء وقوله قل هو الله احد واما صفات الله تعالى
فلقوله وهو السميع البصير ولقوله الملك القدوس السلام فليتامل معاني
هذه الاسماء والصفات لينكشف له اسرارها فتحتها معاني مدفونة
لا تنكشف الا للموفقين وقال ابن مسعود رضي الله عنه اعظم
علوم القرآن تحت اسماء الله تعالى وصفاته واما افعاله فكذكره
خلق السموات والارض وغيرها فليفهم ان الفعل يدل علي الفاعل فينبغي
ان يشهد في الفعل الفاعل دون الفعل فمن عرف الحق راه في كل شيء
اذ كل شيء منه واليه وبه وله فهو الكل علي التحقيق ومن لا يراه في كل
ما يراه فكانه ما عرفه ومن عرفه عرف كل شيء ما خلا الله باطل وان كل
شيء هالك الا وجهه واما احوال الانبياء عليهم السلام فاذا سمع منها
انهم كيف ضربوا وكذبوا وقتل بعضهم فليفهم منه صفات الاستغناء
لله تعالي عن الرسل عليهم وانه لو اهلك جميعهم لم يؤثر في ملكه واما احوال
المكذبين كعاد وثمود وما جري عليهم فليفهم منه الخوف من سطوته

مطلب معرفة الله

ونقمته ولكن حظه من الاعتبار في نفسه وان غفل واساء الادب واغتر
بما امهل فربما يدركه النقمة وكذلك اذا سمع وصف الجنة والنار **الرابع**
التخلي عن موانع الفهم فان اكثر الناس منعوا من فهم معاني القرآن القديم لاسباب
وحجب اسدلها الشيطان علي قلوبهم فعميت عليهم اسرار القرآن **قال**
صلي الله عليه وسلم لولا ان الشياطين يحومون علي قلوب بني آدم لنظروا
الي الملكوت ومعاني القرآن من جملة الملكوت وحروفه من هذا العالم وكل
ما غاب عن الحواس ولم يدرك الا بنور البصيرة فهو من الملكوت وحجب الفهم اربعة
اولها ان يكون الهم منصرفا الي تحقيق الحروف فاني ينكشف له المعاني فان لمع له
برق علي بعد وبدا له معني من المعاني التي تباين مسموعه وثانيها ان يكون مقلد
المذهب وثبت في نفسه التعصب له بمجرد الاتباع للمسموع فلا يمكنه من ان
يخطر بباله غير معتقده فصار نظره موقوفا علي مسموعه واراد بالعلم العقائد
التي استمر عليها اكثر الناس بمجرد التقليد او بمجرد كلمات جدلية حررها
المتعصبون للمذاهب والقوها اليهم فاما العلم الحقيقي الذي هو الكشف و
والمشاهدة بنور البصيرة فكيف يكون حجابا وهو منتهي المطلوب ويقبله ومثل
هذا قالت المتصوفة ان العلم حجاب وثالثها ان يكون مصرا علي ذنب فان ذلك
سبب ظلمة القلب وصداه وهو كالخبث علي المرآة فيمنع جليته الحق من ان يتجلي
فيه وهو اعظم حجاب القلب وبه حجب الاكثرون فكلما كانت الشهوات

مطلب من الملكوت

اشد ترا كما كان معاني الكلام اشد حجابا ومعاني القرآن مثل الصور التي تترائي
في المرآت والرياضة في القلب باماطة الشهوات مثل تصقيل الجلاء للمراة
ورابعها ان يكون قد قرا تفسيرا ظاهرا واعتقد ان لا معني للقرآن الا ما
نقل عن ابن عباس رضي الله عنهما فهذا ايضا من الحجب العظيمة وقد قال
علي رضي الله عنه لو شئت لاوقرت سبعين بعيرا من تفسير سورة الفاتحة
فبين ان اسرار القرآن لا تنقضي وعجايبه لا تحصي وذلك علي قدر طهارة
القلب ويدل علي ان التفسير ليس مسموعا منقولا كالتنزيل قوله عليه السلام
لابن عباس رضي الله عنهما اللهم فقهه في الدين وعلمه التاويل وقال تعالي
لعلمه الذين يستنبطونه منهم اثبت لاهل العلم استنباطه فيدل علي انه
لا يتوقف علي محض السماع الخامس التاثر وهو ان يتاثر قلبه بايات
مختلفة بحسب اختلاف الايات فيكون له بحسب كل فهم حال ووجد يتصف
به قلبه من الحزن والخوف والرجاء وغيره ومهما تمت معرفته كانت الخشية
اغلب الاحوال علي قلبه فان التضييق غالب علي ايات القرآن فلا يري ذكر
المغفرة والرحمة الا مقرونا بشروط يقصر العارف عن نيلها كقوله واني
لغفار لمن تاب وامن وعمل صالحا ثم اهتدي وقوله والعصر ان الانسان
لفي خسر الي آخرها وذكر اربع شروط وحيث اقتصر ذكر شرطا جامعا
فقال ان رحمة الله قريب من المحسنين والاحسان يجمع الكل ومن فهم ذلك

فجدير

فجدير بان يكون حالة الخشية والحزن حتي يكون داخلا تحت قوله تعالي
ومنهم اميون لا يعلمون الكتاب الا اماني يعني التلاوة المجردة وحركة اللسان
وقوله عز وجل فاعرض عمن تولي عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا ومثال
العاصي اذا قراء القرآن وكرره كتاب الملك في كل يوم مرات وقد كتب اليه في
عمارة مملكته وهو مشغول بتخريبها ويقتصر علي دراسته كتابه فلعله
لو ترك الدراسة عند المخالفة لكان ابعد عن الاستهزاء واستحقاق المقت
السادس الترقي واعني به ان يترقي الي ان يسمع الكلام من الله تعالي لا من نفسه
فدرجات القرآن ثلث ادناها ان يقدر العبد كانه يقراء علي الله تعالي وهو ناظر
اليه ومستمع منه فيكون حاله عند هذا التقدير التملق والسؤال والتضرع
والابتهال الثانية ان يشهد بقلبه كان ربه يخاطبه فمقامه الحياء
والتعظيم والاصغاء والفهم الثالثة ان يري في الكلام المتكلم ويري في
الكلمات الصفات فلا ينظر الي نفسه ولا الي قراته بل يكون مقصور الهم
علي المتكلم موقوف الفكر عليه كانه مستغرق بمشاهدة المتكلم عن غيره
فهذا درجة المقربين وما قبله درجات اصحاب اليمين وما خرج عن هذا فهو
درجات الغافلين وعن الدرجة العليا اخبر جعفر بن محمد الصادق رضي الله
عنهما فقال والله لقد تجلي الله لخلقه في كلامه ولكن لا تبصرون وقال
ايضا وقد سئلوه عن حالة لحقته في الصلوة حتي خر مغشيا عليه فلما

مثال لمن يكون نصيح

افاق قيل له في ذلك فقال ما زلت اردد الاية علي قلبي حتي سمعتها من
المتكلم بها فلم يثبت جسمي لمانية قدرته **السابع** التبري واعني به انه
يتبري من حوله وقوته والالتفات الي نفسه بعين الرضي والتزكية
ولذلك قيل ليوسف بن الاسباط اذا قرات القرآن بماذا تدعو قال بماذا
ادعو استغفر الله سبعين مرة فاذا راي نفسه بصورة التقصير في
القراة كان رويته ذلك سبب قربة ومهما كان مشاهدا نفسه بعين
الرضا صار محجوبا بنفسه واذا جاوز حد الالتفات الي نفسه ولم يشاهد
الا الله تعالي في قراته انكشف له الملكوت **قال** ابو حامد الكوفي رحمة
الله رايت شيخا في مسجد النبي صلي الله عليه وسلم بالمدينة يقرئ
القرآن فكما رايته يقراء فقلت له كم انت في هذا المسجد فقال منذ ستين
سنة فقلت له ما عملك قال قراة القرآن قال ختمت في هذا المسجد سبع
عشر الف ختمه ما طلبت علي شيء من ذلك ثوابا بالنفس فقلت ما اردت
قال جعلت ثوابه للنبي صلي الله عليه وسلم حتي يفرقه علي مذنبي امته
فعسي ان يغفر لهم فيستر به النبي صلي الله عليه وسلم **قال** بعض العلماء
رحمهم الله القرآن يحوي سبعة وسبعين الف علم ومائتي علم ثم يتضاعف
ذلك اربعا لكل واحد ظاهر وباطن وحد ومطلع واليه الاشارة بقوله
تعالي ولا رطب ولا يابس الا في كتاب مبين **كتاب**

الاذكار والدعوات اعلم انه ليس بعد تلاوة كتاب الله تعالى عبادة
يؤدي باللسان افضل من ذكر الله ودفع الحاجات بالادعية الي الله تعالى
فلا بد من شرح فضيلة الذكر والدعاء وادابه **اما فضيلة الذكر** فمن
الايات قوله تعالى اذكروني اذكركم **وقال** ثابت البناني رحمة الله عليه اني اعلم
متي يذكرني ربي ففزعوا منه فقالوا كيف تعلم فقال اذا ذكرته ذكرني فقرا
فاذكروني اذكركم **وقال** اذكروا الله ذكرا كثيرا **وقال** الذين يذكرون الله
قياما وقعودا وعلي جنوبهم **وقال** في ذم المنافقين ولا يذكرون الله الا
قليلا **وقال** ولذكر الله اكبر **وقال** ابن عباس رضي الله عنه له وجهان
احدهما ان ذكر الله تعالى لكم اكبر من ذكركم اياه والاخر ان ذكر الله تعالي اكبر
من كل عبادة سواه **الاخبار** قال صلى الله عليه وسلم ما عمل ابن آدم من
عمل انجا له من عذاب الله من ذكر الله قالوا يا رسول الله ولا الجهاد في سبيل الله
قال ولا الجهاد في سبيل الله الا ان تضرب بسيفك حتي ينقطع ثم تضرب به
حتي ينقطع **وسئل** صلى الله عليه وسلم اي الاعمال افضل قال ان تموت
ولسانك رطب بذكر الله تعالى **وقال** اصبح وامس بذكر الله تصبح وتمسي
وليس عليك خطيئة **وقال** سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر من
جملته رجلا ذكر الله في خلاء ففاضت عيناه من خشية الله تعالي وقال
ابو الدرداء **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم الا انبئكم بخير اعمالكم

مطلب الذكر

وازكاها عند مليككم وارفعها في درجاتكم وخير لكم من اعطاء الورق
والذهب وخير لكم من ان تلقوا عدوكم فتضربوا اعناق عدوكم ويضربون
اعناقكم قالوا وماذاك يارسول قال ذكر الله وروت عايشة رضي الله
عنها انه صلى الله عليه وسلم قال عليكم بالتسبيح والتهليل والتقديس
فلا تغفلن واعقدن بالانامل فانها متنطقات يعني بالشهادة
الاثار قال الفضيل رحمة الله عليه بلغنا ان الله تعالى قال ابن آدم اذكرني
بعد الصبح ساعة وبعد العصر ساعة اكفك ما بينهما وقال بعضهم ان الله
تعالى يقول ايما عبد اطلعت على قلبه فرايت الغالب عليه التمسك بذكري
توليت سياسته وكنت جليسه ومحادثه وانيسه وقال معاذ
بن جبل رضي الله عنه ليس يتحسر اهل الجنة على شي الا على ساعة مرت بهم
ولم يذكروا الله فيها وسنذكر انواع الاذكار والدعوات في كتاب الاوراد
ان شاء الله تعالى واما فضيلة الدعا فقد قال الله تعالى واذا
سئلك عبادي عني فاني قريب اجيب دعوة الداع اذا دعان فليستجيبوا لي
وليؤمنوا وروي النعمان بن بشير عن النبي صلى الله عليه وسلم
انه قال ان الدعاء هو العبادة ثم قرا ادعوني استجب لكم وفي رواية
الدعا مخ العبادة وقال صلى الله عليه وسلم سلوا الله من فضله
فانه يحب ان يسال وافضل العبادة انتظار الفرج بعد الصبر وقال

مطلب فائدة الانامل

مطلب الذكر

ان العبد لا يخطئه من الدعاء احدى ثلاث اما ذنب يغفر له واما خير
يعجل له واما خير يدخر له وعن على رضي الله عنه انه قال سمعت
ابا بكر الصديق رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم
يقول ما من عبد يذنب ذنبا فيحسن الطهور ثم يقوم فيصلي ركعتين ثم
يستغفر الله الا غفر الله له ثم تلا قوله تعالى والذين اذا فعلوا فاحشة
الاية وكان صلى الله عليه وسلم يقول في الاستغفار اللهم اغفر لي خطيئتي
وجهلي واسرافي في امري وما انت اعلم به مني اللهم اغفر لي جدي وهزلي
وخطائي وعمدي وكل ذلك عندي اللهم اغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت وما انت اعلم به مني انت المقدم وانت المؤخر لا اله
الا انت وينبغي للمريد لحرث الاخرة اذا اصبح وامسى ان يشتغل بالدعوات
الماثورة في اعقاب صلواته واعقاب الاثار المخصوصة واذا سمع اذان
المغرب فيقول اللهم هذا اقبال ليلك وادبار نهارك واصوات دعائك
وحضور صلواتك اسئلك ان تغفر لي وترحمني واذا سمع اذان الصبح
يستحب له جواب المؤذن وهو ان يقول مثل ما يقول الا في الحيعلتين فانه
يقول فيهما لا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم وفي قوله قد قامت
الصلوة اقامها الله وادامها ما دامت السموات والارض وفي التثويب
صدقت وبررت وعند فراغ المؤذن اللهم بحق هذه الدعوة التامة

والصلوة القائمة آت محمدا الوسيلة والفضيلة والمقام المحمود الذي وعدته
واذا قام من المجلس واراد دعاء يكفر لغو المجلس قال سبحانك اللهم وبحمدك
اشهد ان لا آله الا انت وحدك لا شريك لك واذا دخل السوق قال لا آله
الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت
بيده الخير وهو على كل شئ قدير بسم الله اللهم اني اسئلك خير هذا السوق
وخير ما فيه واعوذ بك من شره وشر ما فيه اللهم اني اعوذ بك ان اصيب فيه
يمينا فاجرة وصفقة خاسرة وان كان عليه دين فليقل اللهم اكفني
بحلالك عن حرامك واغنني بفضلك عمن سواك واذا لبس ثوبا جديدا
فليقل اللهم كسوتني هذا الثوب فلك الحمد اسئلك خيره وخير ما صنع له واعوذ بك
من شره وشر ما صنع له واذا راي شيئا من الطيرة فكره فليقل اللهم لا ياتي
بالحسنات الا انت ولا يذهب بالسيات الا انت لا حول ولا قوة الا بالله واذا راي
الهلال فليكبر ثلثا وليقل اللهم اهله علينا بالامن والايمان والسلامة
والاسلام ربي وربك الله آمنت بخالقك اللهم اني اسئلك خير هذا الشهر
وخير القدر واعوذ بك من شر الحشر واذا هبت الريح فليقل اللهم اني
اسئلك خير هذه الريح وخير ما فيها وخير ما ارسلت به واعوذ بك
من شرها وشر ما فيها اداب الدعاء فهي عشرة الاول ان يترصد
لدعائه في الاوقات الشريفة كيوم عرفة من السنة وشهر رمضان

مطلب ما يقرا في روية الهلال

ويوم الجمعة من الاسبوع ووقت السحر من الساعات قال الله تعالى وبالاسحار هم
يستغفرون وقال النبي صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى
سماء الدنيا حتى يبقى ثلث الليل الاخير فيقول من يدعوني فاستجيب له
من يسالني فاعطيه من يستغفرني فاغفر له وقيل ان يعقوب النبي
صلى الله عليه وسلم انما قال سوف استغفر لكم ربي ليدعوا وقت السحر
كان يدعوا واولاده يؤمنون خلفه فاوحى الله تعالى اليه اني قد غفرت
لهم وجعلتهم انبياء الثاني ان يغتنم الاوقات الشريفة كقوت الزحف وعقيب
الصلوات وبين الاذان والاقامة وعند نزول الغيث والاقطار قال
ابو هريرة رضي الله عنه ان ابواب السماء تفتح عند الزحف وعند نزول الغيث
وعند اقامة الصلوة المكتوبة فاغتنموا الدعاء فيها وقال مجاهد رحمة الله
عليه ان الصلوة جعلت في خير الساعات فعليكم بالدعاء خلف الصلوات
وقال النبي صلى الله عليه وسلم الدعاء بين الاذان والاقامة لا يرد وقال
ايضا الصايم لا ترد دعوته وبالحقيقة يرجع شرف الاوقات الى شرف
الاحوال اذ وقت السحر وقت صفاء القلوب واخلاصها وفراغها من المشوشات
ويوم عرفة والعيدين والجمعة وقت اجتماع الهمم وتعاون القلوب على
استدرار رحمة الله تعالى فهذا احد اسباب شرف الاوقات سوى ما فيها من
اسرار لا يطلع البشر عليها وحالة السجود ايضا جدير بالاجابة لانه قال

في اللغة تقارب القمع الى القدم

صلي الله عليه وسلم اقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد فاكثروا من الدعاء
الثالث ان يدعوا مستقبل القبلة ويرفع يديه بحيث يري بياض
ابطيه في الدعاء وقال سلمان رضي الله عنه قال صلي الله عليه وسلم
ان ربكم حي كريم يستحيي عبده اذا رفع يديه اليه ان يردهما صفرا ولا يرفع
بصره الي السماء ولا يشير باصبعه فاذا فرغ ينبغي ان يمسح بهما وجهه
الرابع ان يخفض صوته بين المخافتة والجهر وقد اثني الله تعالي علي نبيه عليه
السلام حيث قال اذ نادي ربه نداء خفيا وقال ادعوا ربكم تضرعا وخفية
وقال رسول الله صلي الله عليه وسلم لرجل يجهر انك لن تدعو باصم ولا
بغايب الخامس ان لا يتكلف السجع في الدعاء فان حال الداعي ينبغي ان
يكون حال المتضرع والمبتهل والتكلف لا يناسبه وقد قال صلي الله عليه وسلم
اياكم والسجع في الدعاء يحسب احدكم ان يقول اللهم اني اسئلك الجنة وما
قرب اليها من قول وعمل واعوذ بك من النار وما قرب اليها من قول وعمل
وقال بعضهم ادعوا بلسان الذلة والافتقار لا بلسان الفصاحة
والانطلاق واعلم ان المراد من السجع هو المتكلف من الكلام فان ذلك
لا يلايم الضراعة والذلة والا ففي الادعية المأثورة عن رسول الله صلي الله
عليه وسلم كلمات متوازية لكنها غير متكلفة لقوله عليه السلام
اسئلك الامن يوم الوعيد والجنة يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع

مطلب عدم رفع البصر الي السماء عند الدعاء

السجود

السجود والموفون بالعهود انك رحيم ودود انت تفعل ما تريد وامثال
ذلك السادس التضرع والخشية والرهبة قال الله تعالي انهم كانوا يسارعون
في الخيرات ويدعوننا رغبا ورهبا وقال صلي الله عليه وسلم اذا احب
الله عبدا ابتلاه حتي يسمع تضرعه السابع ان يوقن بالاجابة ويصدق
رجاءه فيه قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ادعوا الله وانتم موقنون
بالاجابة وقال سفيان بن عيينة رحمه الله عليه لا يمنعن احدكم
من الدعاء ما يعلم من نفسه فان الله اجاب شر الخلق ابليس اذ قال رب انظرني
الي يوم يبعثون الثامن ان يلح في الدعاء ويكرره قال ابن مسعود رضي الله
عنه كان النبي صلي الله عليه وسلم اذا دعا دعا ثلثا واذا سال سال
ثلثا وينبغي ان يستبطئ الاجابة لقوله عليه السلام يستجاب لاحدكم
ما لم يعجل فيقول دعوت الله فلم يستجب لي فاذا دعوت فاسئل الله كثيرا
فانك تدعوا كريما وقال بعضهم اني اسئال الله منذ عشرين سنة وما اجابني
واني ارجو الاجابة سالت الله ان يوفقني لترك ما لا يعنيني التاسع ان
يفتتح الدعاء بذكر الله تعالي فلا يبداء بالسؤال قبل الثناء وقد قال
صلي الله عليه وسلم من بداء بالدعاء قبل الثناء فمن ان لا يستجاب له
وينبغي ان تصلي علي النبي صلي الله عليه وسلم قبل الدعاء وبعده وقد
قال صلي الله عليه وسلم اذا سالتم الله حاجة فابدؤا بالصلوة علي

مطلب الدعاء

واختموا بها **الادب العاشر** وهو الادب الباطن وهو الاصل في الاجابة
التوبة ورد المظالم والاقبال على الله بكنه الهمة فذلك هو السبب القريب في
الاجابة **روي** عن كعب الاحبار رضي الله عنه انه قال اصاب الناس قحط
شديد على عهد موسى عليه السلام فخرج موسى ببني اسرائيل ليستسقي بهم
فلم يسقوا ثم خرج ثلث مرات فلم يسقوا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه
السلام اني لا استجيب لك ولمن معك وفيكم نمام فقال موسى عليه السلام
لبني اسرائيل يا رب وهو حتى نخرجه من بيننا فاوحى الله اليه يا موسى
انهاكم عن النميمة واكون نماما فقال موسى عليه السلام لبني اسرائيل توبوا
باجمعكم من النميمة فتابوا فارسل الله عليهم الغيث **وقال** سعد بن جبير
رضي الله عنه قحط الناس في زمن الملك من ملوك بني اسرائيل فاستسقوا
فقال الملك ليرسل الله علينا السماء او لنوذينه قيل له وكيف تقدر ان
توذيه وهو في السماء فقال اقتل اولياءه واهل طاعته فيكون ذلك
اذى له **وقال** سفيان الثوري رحمة الله عليه بلغني ان بني اسرائيل
قحطوا سبع سنين حتى اكلوا الميتة من المزابل واكلوا الاطفال وكانوا
كذلك يخرجون الى الجبال ويتضرعون فاوحى الله تعالى الى انبيائهم لو مشيتم
الى باقدامكم حتى تحفى ركبكم وتبلغ ايديكم عنان السماء وتكل السنتكم
عن الدعاء فاني لا اجيب لكم داعيا ولا ارحم منكم باكيا حتى تردوا المظالم الى

اهلها فردوا المظالم وامطروا من يومهم **وقال** مالك بن دينار رحمة الله عليه اصاب
الناس في بني اسرائيل قحط فخرجوا مرارا فاوحى الله تعالى الى نبيهم ان اخبرهم
انكم تخرجون الي بابدان نجسة وترفعون الي اكفا قد سفكتم بها الدماء
وملأتم بطونكم من الحرام الآن قد اشتد غضبي عليكم ولن تزدادوا الا بعدا
وقيل لمالك بن دينار ادع لنا ربك فقال انكم تستبطؤن المطر وانا استبطى
الحجارة **وقال** يحيى الغساني رحمة الله عليه اصاب الناس قحط على عهد
داود عليه السلام فاختاروا ثلثة من علمائهم فخرجوا يستسقون بهم
فقال احدهم اللهم انك انزلت في التورية ان نعفوا عمن ظلمنا اللهم انا
ظلمنا انفسنا فاعف عنا وقال الثاني اللهم انك انزلت في التورية ان
نعتق ارقاءنا اللهم انا ارقاءك فاعتقنا **وقال** الثالث اللهم انك انزلت
في التورية ان لا نرد المساكين اذا وقفوا بابوابنا اللهم انا مساكينك قد
وقفنا ببابك فلا تردنا خائبين **وقال** ابو الصديق الناجي رحمة الله
عليه خرج سليمان صلوات الله عليه يستسقي فمر بنملة ملقاة على
ظهرها رافعة قوايمها الى السماء وهي تقول اللهم انا خلق من خلقك
ولا غناء بنا عن رزقك فلا تهلكنا بذنوب غيرنا فقال سليمان عليه السلام
ارجعوا فقد سقيتم بدعاء غيركم **وروي** ان عيسى صلوات الله عليه
وسلامه خرج يستسقي فما سقوا فخرج ثانيا فما ازداد الا صحوا فقال

مطلب

عيسي عليه السلام من اصاب منكم ذنبا فليرجع فرجعوا كلهم فلم يبق في الصحرآء
الا رجل واحد ضرير فقال له عيسي عليه السلام اما لك ذنب فقال والله
ما اعلم من شيء غير اني كنت ذات يوم اصلي فمرت بي امراءة فنظرت اليها
فعيني فلما جاوزت ادخلت اصبعي في عيني فانتزعتها واتبعت المراءة
بها فقال له عيسي عليه السلام ادع حتي اومن علي دعائك فدعا فسقوا

وروي ان ابي علي الثقفي خرج للاستسقاء مع اهل نيسابور فما
سقوا فرجعوا وقال فقير لابي علي اين كنت يا ابا علي قال في الاستسقاء
فقال اي شيء حصل قال هبت الريح وظهرت السحاب وما اقطر فقال
يا ابا علي نبهك الرب فقال اتيتم الينا بالريح فخذوا الريح واتيتم بالنفس
لا بالقلب فخذوا السحاب ولو اتيتم بالقلب لاعطيناكم السحاب بالمطر

وروي ان في البصرة ظهر قحط فخرج الحسن البصري وشكف راسه
ولبس عباءً فقال الهي ان كان اهل البصرة آذوك فما ذنب الطيور في الهوآء
وان كان الخلق عصوك فما ذنب الوحوش في الصحرآء اللهم ان عبادك
هؤلآء استشفعوا بي اليك ولا يعرفون اني محتاج الي الشافعين و
يسئلونك المطر فامطر في ساعته بفضله وكرمه فان قيل فما فائدة
الدعاء والقضاء لا مرد له قلنا من القضاء كون الدعاء سببا لرد
البلاء واستجلاب الرحمة وصار كالجنة سببا لما كان لرد السهم كذلك الدعاء

مطلب القدر والقضاء

والتحقيق في ذلك ان ربط الاسباب بالمسببات هو الاول الذي هو كلمح
البصر وترتيب تفصيل المسببات علي تفاصيل الاسباب علي التدريج و
التقدير والذي قدر الخير قدره بسبب والذي قدر الشر لدفعه سببا
فلا تناقض بين هذه الامور والسلام

كتاب الاوراد

الاوراد اعلم ان الناس في هذا العالم في سفر واول منازلهم المسجد واخرها
اللحد والوطن هو الجنة والنار والعمر مسافة السفر فسنونه مراحله و
شهوره فراسخه وايامه امياله وانفاسه خطواته وطاعته بضاعته
واوقاته رؤس امواله وشهواته واغراضه قطاع طريقه وربحه الفوز
بلقاء الله تعالي في دار النعيم مع الملك الكبير والنعيم المقيم وخسرانه البعد من الله
تعالي مع الانكال والاغلال والعذاب الاليم في دركات الجحيم فالغافل عن نفس
من انفاسه حتي ينقضي في غير طاعة تقربه الي الله تعالي متعرض في يوم التغابن
لغفلته وحسرة ما لها منتهي ولهذا الخطر العظيم والخطب الهايل شمر الموفقون
عن ساق الجد ودعوا بالكلية ملاذ النفس واغتنموا بقايا العمر ورتبوا
بحسب تكرر الاوقات وظايف الاوراد وعلموا ان لا نجاة الا في لقاء الله تعالي
وانه لا سبيل الي لقاء الله تعالي الا محبة الله عز وجل ومعرفته وسبيل
ذلك دوام ذكر المحبوب والمواظبة عليه وان المعرفة لا تحصل الا بدوام
الفكر فيه وفي صفاته وافعاله وليس في الوجود شيء سوي الله تعالي

وافعاله ولن يتيسر دوام الذكر والفكر الا بوداع الدنيا وشهواتها والا
جتزاء منها بقدر البلغة والضرورة ولا يحصل ذلك الا بالاستغراق الاوقات
في الطاعات والنفس لما جبل عليها من السامة والملال لا تصبر علي فن واحد
من الاسباب المعينة علي الذكر والفكر بل انا ردت الي نمط واحد اظهرت
الملال والاستثقال وان الله تعالى لا يمل حتي تملوا فلطف الله تعالى بعباده
وجعل اوراد مختلفة لراحلة العابد ونفي السامة عنه فمن اراد ان
يدخل الجنة بغير حساب فليستغرق اوقاته في الطاعات ومن اراد ان
ترجح كفة حسناته وتثقل موازين خيراته فليستوعب في الطاعات
اكثر اوقاته فان خلط عملا صالحا واخر سيئا فامره محظور ولكن الرجاء
غير منقطع والعفو من كرم الله تعالى منتظر وعسي الله تعالى يعفوا بجوده
وكرمه فلا تظنن ان المقصود من سير الشمس والقمر لحساب منظوم مرتب
ومن خلق الظل والنور والنجوم ان يستعان بها علي امور الدنيا فقط
بل ليعرف مقادير الاوقات فيشتغل فيها بالطاعات التجارة لدار الاخرة
يدلك عليه قوله تعالى وهو الذي جعل الليل والنهار خلفة لمن اراد ان يذكر
او اراد شكورا اي يخلف احدهما الاخر ليتدارك في احدهما ما فات في الاخر
وبين سبحانه وتعالى ان ذلك للذكر والشكر لا لغيره اذا عرفت هذا
فاعلم ان الاوراد في الاوقات من مهمات الدين ويتضح هذا المهم في ثلث

فصول الفصل الاول في بيان اوراد النهار الفصل الثاني في بيان
اوراد الليل الفصل الثالث في بيان فضيلة احياء الليل وبيان
اسباب الميسرة لقيام الليل وبيان كيفية قسمة الليل الفصل الاول
في بيان اوراد النهار اعلم ان اوراد النهار سبعة الاول من طلوع الصبح
الي طلوع الشمس وهو وقت شريف يدل علي شرفه وفضله اقسام قسم الله تعالى
به اذ قال والصبح اذا تنفس وتمدحه به اذ قال ثم قبضناه الينا قبضا
يسيرا وهو قبض ظل الليل ببسط نور الشمس وارشاده الناس الي التسبيح
فيه بقوله فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون وقوله واذكر اسم
ربك بكرة واصيلا وقال فسبح بحمد ربك قبل طلوع الشمس وقبل غروبها
ينبغي للمؤمن اذا قام من النوم ان يدعوا بدعاء الاستيقاظ ويتوضاء
للصلوة ويأتي بالادب والادعية المرغبة في ذلك وسنذكرها في اوراد
الليل فاذا طلع الفجر قال سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم وبحمده
استغفر الله مائة مرة فانها مفاتيح الرزق وروي ان رجلا جاء الي
النبي صلي الله عليه وسلم وقال تولت عني الدنيا وقلت ذات يدي
قال عليه السلام اين انت عن صلوة الملايكة وتسبيح الخلايق وبها يرزقون
قال فقلت ما ذا يا رسول الله قال قل سبحان الله وبحمده سبحان الله
العظيم وبحمده استغفر الله مائة مرة ما بين طلوع الفجر الي ان تصلي الصبح

تاتك الدنيا راغمة صاغرة ويخلق الله تعالى من كل كلمة ملكا يسبح لله الى يوم
القيمة لك ثوابه ثم اذا صلى ركعتي سنة الفجر قال اللهم اني اسئلك ان تهب لي
رحمة من عندك تهدي بها قلبي وتجمع بها شملي وتلم بها شعثي وترد بها
الفتي وتصلح بها ديني وتحفظ بها غايبي وترفع بها شاهدي وتزكي بها
عملي وتبيض بها وجهي وتلقن بها رشدي وتعصمني بها من كل سوء اللهم
اعطني ايمانا صادقا ويقينا ليس بعده كفر ورحمة انال بها شرف كرامتك
في الدنيا والاخرة اللهم اني اسئلك الفوز عند القضاء ومنازل الشهداء
وعيش السعداء والنصر على الاعداء ومرافقة الانبياء اللهم اني انزل بك
حاجتي وان ضعف رأيي وقصر عملي وافتقرت الى رحمتك فاسئلك يا قاضي
الامور ويا شافي الصدور يا مجير بين البحور ان تجيرني من عذاب السعير
ومن دعوة الثبور ومن فتنة القبور اللهم ما قصر عنه رأيي وضعف عنه
عملي ولم تبلغه مسئلتي او امنيتي من خير وعدته احدا من عبادك او خير
انت معطيه احدا من خلقك فاني ارغب اليك فيه واسئلك يا رب العالمين
اللهم اجعلنا هداة مهتدين غير ضالين ولا مضلين حربا لاعدايك
سلما لاوليايك نحب بحبك الناس ونعادي بعداوتك من خالفك
من خلقك اللهم هذا الدعاء وعليك الاجابة وهذا الجهد وعليك التكلان
يا ذا الحبل الشديد والامر الرشيد اسئلك الامن يوم الوعيد والجنة

يوم الخلود مع المقربين الشهود والركع السجود والموفون بالعهود انك رحيم
ودود وانت تفعل ما تريد سبحان من تعطف بالعز ولاق به سبحان من
لبس المجد وتكرم سبحان الذي لا ينبغي التسبيح الا له سبحان ذي الفضل
والنعم سبحان الذي احصي كل شيء بعلمه فاذا خرج الى المسجد قال اللهم اني
اسئلك بحق السائلين عليك وبحق ممشاي هذا اليك فاني لم اخرج اشرا
ولا بطرا ورياء ولا سمعة خرجت اتقاء سخطك وابتغاء مرضاتك فاسئلك
ان تنقذني من النار وان تغفر لي ذنوبي كلها اللهم اجعل في قلبي نورا وفي
لساني نورا واجعل في سمعي نورا واجعل في بصري نورا واجعل خلفي نورا
واجعل من فوقي نورا ومن تحتي نورا واعظم لي نورا فاذا صلى الفرايض
مراعيا لجميع ادابه الظاهرة والباطنة قعد في المسجد الى طلوع الشمس ~~و~~
ويشتغل باربعة اشياء ادعية واذكار يكررها في تسبيحه وقراءة
قرآن وتفكر اما الادعية فكما يفرغ من صلوته فليبدأ سبحان ربي
العلي الاعلى الوهاب لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد يحيي
ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على كل شيء قدير لا اله الا الله
اهل النعمة والفضل والثناء الحسن لا اله الا الله ولا نعبد الا اياه مخلصين
له الدين ولو كره الكافرون اللهم انت السلام ومنك السلام الى آخره رضيت
بالله ربا وبالاسلام دينا وبمحمد صلى الله عليه وسلم نبيا اللهم اني

اسئلك العفو والعافية في ديني ودنياي واهلي ومالي اللهم استر
عوراتي وآمن روعاتي واقل عثراتي واحفظني من بين يدي ومن
خلفي وعن يميني وعن شمالي ومن فوقي واعوذ بك ان اغتال من تحتي
اللهم لا تؤمني مكرك ولا تولني غيرك ولا ترفع عني سترك ولا تنسني
ذكرك ولا تجعلني من الغافلين اللهم عافني في بدني وعافني في
سمعي وعافني في بصري لا اله الا انت ثلث مرات يا رفيع الدرجات
ومنزل البركات ويا فاطر الارضين والسموات ضجت اليك الاصوات
بفنون اللغات اسئلك الحاجات وحاجتي ان لا تنساني في دار البلاء
اذا نسيني اهل الدنيا اللهم انك تسمع كلامي وترى مكاني وتعلم سري
وعلانيتي ولا يخفى عليك شي من امري انا البائس الفقير المستغيث
المستجير الوجل المشفق المعترف بذنبه اسئلك مسئلة المسكين
وابتهل ابتهال المذنب الذليل وادعوك دعاء الخائف الضرير وادعوك
من خضعت لك رقبته وفاضت لك عبرته وذل لك جسده ويا من
يملك حوايج السائلين ويعلم ضماير الصامتين اسئلك جوامع الخير
وفواتحه وخواتمه ونعوذ بك من جوامع الشر وفواتحه وخواتمه
ويدعو بما شاء من الادعية ما يراها اوفق لحاله وارق لقلبه
واخف على لسانه **واما الاذكار** المكررة فهي كلمات ورد في تكرارها

فضايل واقل ما ينبغي ان يكرر كل واحد منها ثلث مرات او سبع مرات
واكثرها مائة مرة او سبعون واوسطها عشرة فليكرر بقدر فراغه وسعة
وقته وفضل الاكثر اكثر والاوسط الاقصد ان يكررها عشر مرات
فهو اجدر ان يدوم عليه وخير الامور ادومها وكل وظيفة لا يمكن
المواظبة على كثيرها وقليلها مع المداومة افضل واشد تاثيرا في القلب
من كثيرها من غير مداومة ومثال القليل الدايم كقطرات ماء تتقاطر
على الارض على التوالي فتحدث فيها حفرة ولو وقع ذلك على حجر ومثال
الكثير المفرق ماء يصب دفعة او دفعات متفرقة متباعدة الا وفات
فلا يتبين لها اثر ظاهر وهذه كلمات عشرة اذا كررت كل واحدة عشر
مرات حصل له مائة مرة فهو افضل من ان يكرر ذكرا واحدا مائة مرة
لان لكل واحدة من هذه الكلمات فضلا على حاله والقلب بكل واحدة
نوع تنبه وتلذذ وللنفس في الانتقال من كلمة الى كلمة نوع استراحة
وامن من الملال ففضله كثيرة **الاولى** لا اله الا الله وحده لا شريك له
له الملك وله الحمد يحيي ويميت وهو حي لا يموت بيده الخير وهو على
كل شي قدير **الثانية** سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله
والله اكبر ولا حول ولا قوة الا بالله **الثالثة** سبوح قدوس رب
الملائكة والروح **الرابعة** سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم

الخامسة استغفر الله الذي لا اله الا هو الحي القيوم واساله
التوبة السادس اللهم لا مانع لما اعطيت ولا معطي لما منعت
ولا ينفع ذا الجد منك الجد السابعة لا اله الا الله الملك الحق المبين
الثامنة بسم الله الذي لا يضر مع اسمه شيء في الارض و في
السماء وهو السميع العليم التاسعة اللهم صل علي محمد عبدك
ورسولك النبي الامي وعلي آل محمد العاشرة اعوذ بالله السميع
العليم من الشيطان الرجيم اعوذ بك من همزات الشيطان واعوذ
بك رب ان يحضرون واما القراة فيستحب له ان يقراء فاتحة الكتاب
وآية الكرسي وخاتمة البقرة من قوله تعالى آمن الرسول وشهد الله وقل
اللهم مالك الملك لقد جاءكم رسول فان تولوا فقل حسبي الله الي آخرها
سبع مرات وقل الحمد لله آخر بني اسرائيل ولقد صدق الله رسوله الرؤيا
وخمس آيات من اول الحديد وثلاثا من آخر الحشر وان قراء المسبعات
العشرة التي اهداها الخضر الي ابراهيم التيمي عليهما السلام ووصاه
ان يقولها غدوة وعشية فقد استكمل الفضل وجمع له ذلك
فضيلة جملة الادعية وهي الفاتحة والقلاقل الاربعة وآية الكرسي
وسبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر اللهم صلي علي محمد
وعلي آل محمد اللهم اغفر للمؤمنين والمؤمنات اللهم اغفر لي ولوالدي

مطلب المسبعات العشر

كل

كل واحد سبع مرات ثم يقول اللهم افعل بي وبهم عاجلا وآجلا في الدين
والدنيا والآخرة ما انت له اهل ولا تفعل بنا يا مولاي ما نحن له اهل
انك غفور رحيم ومهما يتيسر له الفكر فهو اشرف العبادات اذ فيه معني
الذكر لله تعالي وزيادة امرين احدهما زيادة المعرفة اذ التفكر زيادة
المعرفة والكشف الثاني زيادة المحبة اذ لا يحب القلب الا من اعتقد
تعظيمه ولا تنكشف عظمة الله تعالي وجلاله الا بمعرفة صفاته
ومعرفة قدرته وعجايب افعاله فتحصل من الفكر المعرفة ومن المعرفة
التعظيم ومن التعظيم المحبة والذكر ايضا يورث الانس وهو نوع من المحبة
ولكن المحبة التي سببها المعرفة اقوي واثبت واعظم ومن اراد اصلاح
الافكار فعليه ان يتفكر في امرين احدهما ان يتفكر فيما ينفعه في المعاملة
بل يحاسب نفسه فيما سبق من تقصيره ويدبر في دفع الصوارف و
العوايق الشاغلة له عن الخير ويتذكر تقصيره وما يتطرق اليه الخلل
من اعماله ليصلحه ويحضر في قلبه النيات الصالحة في اعماله في نفسه
وفي معاملته للمسلمين والثاني ان يتفكر في علم المكاشفة وذلك بان
يتفكر مرة في نعم الله تعالى وتواتر الآية الظاهرة والباطنة لتزيد معرفته
بها ويكثر شكره عليها او في عقوباته ونقماته لتزيد بقدرة الله تعالى
واستغنائه ويزيد خوفه منها ولكل واحد من هذه الامور شعب كثيرة

مطلب الورد الاول

يتسع المتفكر فيها على بعض الخلق دون بعض وانما يستقصى ذلك في كتاب
التفكر فهذه الوظايف الاربع اعني الدعاء والذكر والقراءة والفكر ينبغي
ان يكون وظيفة المؤمن بعد صلوة الصبح بل في كل ورد بعد الفراغ من
وظيفة الصلوة ويرتب وظايف يومه الذي هو فيه وظيفةً سوى
هذه الاربع الورد الثاني ما بين طلوع الشمس الى ضحوة النهار وذلك نصف
ما بين طلوع الشمس الى الزوال وله فيه وظيفتان احديهما صلوة الضحى
فيصليها اربعًا او ستًّا ثمانية عند ارتفاع الشمس قيد نصف رمح
وقد ذكرنا بعض ما جاء في صلوة الضحى في كتاب الصلوة في باب النوافل
الثانية الخيرات المتعلقة بالناس كعيادة المرضى وقضاء حاجة المسلم
من المعاونة والبر والتقوى فان لم يكن شيء من ذلك عاد الى الوظايف
الاربع التي فيه في الورد الاول الورد الثالث من ضحوة النهار الى الزوال
فان لم يكن مكتسبا فوظيفته الامور الاربع وان كان مكتسبا اشتغل
بالكسب ويستحب لمن نام اقل من مقدار ثماني ساعات من الليل القيلولة
لانها تعين على قيام الليل كما تعين السحور على صيام النهار والورد
الرابع من الزوال الى الفراغ من صلوة الظهر وهو اقصر اوراد النهار و
افضلها وينبغي ان يكون قد توضأ قبل الزوال حتى اذا سمع الاذان لاجابة
ثم ليقم الى احياء ما بين الاذان والاقامة ليطول ركعات سنة الظهر

ثم ليصل

ثم ليصل فرض الظهر ثم بعده ركعتين ويستحب ان يقراء فيهما اية الكرسي
وآخر البقرة الورد الخامس ما بعد ذلك الى العصر ويستحب العكوف في المسجد
مشغولا بالذكر والصلوة او فنون الخير ويكون في انتظار الصلوة معتكفا
فمن فضايل الاعمال انتظار الصلوة بعد الصلوة وكان ذلك سنة السلف
رحمهم الله كان الداخل يدخل المساجد بين الظهر والعصر ويسمع للمصلين
دويا كدوي النحل من التلاوة فان كان بيته اسلم واجمع لهمه فالبيت افضل
في حقه واحياء هذا الورد وهو ايضا وقت غفلة الناس كاحياء الورد الثالث
في الفضل وفي هذا الوقت يكره النوم لمن نام قبل الزوال اذ يكره نومتان بالنهار
وقال بعض العلماء ثلاث يمقت الله عليها الضحك بغير عجب والاكل من غير
جوع ونوم بالنهار من غير سهر بالليل والحد في النوم ان الليل والنهار اربع
وعشرون ساعة والاعتدال في نومه ثماني ساعات من الليل والنهار فان نام
هذا القدر فلا معنى للنوم بالنهار وان نقص منه مقدارا استوفاه فحسب
ابن آدم ان عاش ستين سنةً ان ينقص من عمره عشرين سنة ومهما نام
ثماني ساعات وهو الثلث فقد نقص من عمره الثلث وبقي له الثلثان
ولكن لما كان النوم غذاء الروح كما ان الطعام غذاء البدن وكما ان العلم
والذكر غذاء للقلب لم يكن قطعه عنه وقدر الاعتدال هذا والنقصان
منه ربما يفضى الى احزار البدن الا ان يتعود السهر تدريجا فقد

مطلب الضحك

تمرن نفسه عليه من غير اضطراب وهذا الورد من اطول الاوراد وامنعها
للعبادة وهو احد الاصال التي ذكرها الله تعالى اذ قال الله ولله يسجد
من في السموات والارض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والاصال
واذا سجد لله الجمادات فكيف يجوز ان يغفل العبد الغافل عن انواع
العبادات الورد السادس اذا دخل وقت العصر وهو الذي اقسم الله به
اذ قال والعصر هذا احد معنى الآية وهو المراد بالاصال في احد التفسيرين
وهو العشي المذكور في قوله وعشيا وفي قوله بالعشي والاشراق وليس في
هذا الورد صلوة الاربع ركعات بين الاذانين ثم يصلى الفرض ويشتغل
بالاقسام الاربعة المذكورة في الورد الاول الى الاصفرار الورد السابع اذا
اصفرت الشمس بان تقرب من الارض بحيث يغطي نورها الغبارات والبخارات
التي على وجه الارض وترى صفرة في ضوءها وهذا مثل الورد الاول من طلوع
الفجر الى طلوع الشمس لانه قبل الغروب كما ان ذلك قبل الطلوع وهو الطرف
الثاني المراد بقوله الكريم واطراف النهار فيستحب في هذا الوقت التسبيح
والاستغفار مثل قوله استغفر الله العظيم الذي لا اله الا هو الحي القيوم
واساله التوبة وسبحان الله العظيم وبحمده ويقراء سورة الشمس و
الليل والمعوذتين وينبغي ان تغرب الشمس وهو في الاستغفار والله
الموفق على ذلك **الفصل الثاني** في بيان اوراد الليل اعلم ان اوراد

الليل خمسة الاول ما بين ركعتين يقل يا ايها الكافرون وقل هو الله
المغرب وغيبوبة الشفق وقد اقسم الله به فقال فلا اقسم بالشفق وترتيب
هذا الورد ان يصلي بعد المغرب ركعتين يقل يا ايها الكافرون وقل هو
الله احد من غير تخلل كلام وشغل ثم يصلي اربعا يطلبها الى غيبوبة الشفق
اعني الحمرة التي بغيبتها يدخل وقت العتمة مما يتيسر له الورد الثاني من
غيبوبة الشفق الى نومة الناس وهو اول استحكام الظلام وقد اقسم الله
به اذ قال والليل وما وسق اي وما جمع من ظلمته وورد هذا الوقت ان
يصلي ثلاث عشر ركعة اخرها الوتر وهذا احوط واما الاقوياء فيؤخرون
الثلاثة الى آخر الليل ويقرا السورة التي كان عليه السلام يكثر قراتها
مثل يس والم السجدة ولقمان والدخان وتبارك الملك والزمر والواقعة
والمسبحات وكان عليه السلام يقراء في ثلاث ركعات الوتر سبح اسم ربك
الاعلى وقل يا ايها الكافرون والاخلاص فاذا فرغ قال سبحان الملك
القدوس ثلث مرات روي سبحان الملك القدوس رب الملائكة والروح
الورد الثالث النوم وانما عددناه وردا لانه يثاب به فانه اذا روعيت
ادابه احتسب عبادة وادابه عشرة الاول الطهارة قال عليه السلام
اذا نام العبد على طهارة عرج روحه الى العرش فكانت روياه صادقة
وان لم ينم على طهارة قصرت روحه عن البلوغ الثاني ان ينام تائبا

من كل ذنب سليم القلب لجميع المسلمين لا يحدث نفسه يظلم احدٍ ولا
يعوم علي معصية ان استيقظ قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
من اوي الي فراش لا ينوي ظلم احد غفر له ما اخترم الثالث ترك التنعم
بتمهيد الفرش الناعمة بل بترك ذلك او يقتصر فيه كان بعض السلف
رحمهم الله يكره التمهيد ويري ذلك تكلفا للنوم وكان اهل الصفة
رضوان الله عليهم لا يجعلون بينهم وبين التراب حاجزا ويقولون منها
خلقنا واليها نرد وكانوا يرون ذلك ارق لقلوبهم واجدر بتواضع
بفوسهم فمن لا تسمح بذلك نفسه فليقتصد الرابع ان ينام مالم يغلبه مطلب النوم
النوم ولا يتكلف استجلابه الا اذا قصد به الاستعانة علي القيام في
آخر الليل فقد كان نومهم غلبة واكلهم فاقة وكلامهم ضرورة ولذلك
وصفوا بانهم كانوا قليلاً من الليل ما يهجعون اذ لا خير في النوم كما
قيل لو كان في النوم خيراً لكان في الجنة وقيل لما القي علي آدم عليه السلام
النوم في الجنة خلقت منه حوي وكل بلاء وآي كان منها وقيل
لما قال ابرهيم لابنه اسماعيل عليهما السلام يا بني اني اري في المنام
انّي اذبحك فقالت يا ابتِ هذا جزاء من نام عن حبيبه وقيل
اوحي الله الي داود عليه السلام كذب من ادعي محبتي فاذا جن عليه
الليل نام عني ولهذا قال الشبلي رحمه الله عليه نفسه في الف سنة

فضيحة وقيل من نام غفل ومن غفل احتجب فكان الشبلي رحمه الله
عليه يكتحل بالملح بعده حتي كان لا ياخذه نوم وقيل لا شي اشد علي
ابليس من نوم العاصي يقول متي ينتبه ويعصي ونوم المطيع علي
العكس وقال الجنيد رحمه الله عليه اتي علي السري نيف وثمانون
سنة ما روي مضطجعاً الا في علة الموت واقام علي بن سلموية
ستين سنة ما روي انه قد رجله ولا نام مالم يغلبه النوم الخامس
ان ينام مستقبل القبلة والاستقبال علي ضربين احدهما استقبال المحتضر
وهو المستلقي علي قفاه فاستقباله ان يكون وجهه واخمصاه الي القبلة
والثاني استقبال اللحد وهو ان ينام علي جنبه بان يكون وجهه اليهامع
قباله يديه اذا نام علي الشق الايمن ونظر بعض المشايخ الي بعض المريدين
يهيئ موضعا للنوم ففرش سجاده ثم وضع وساده فتبسم الشيخ وقال
ما كنت اظن ان الفقير يفعل هذا الاستجابة النوم كانوا يشتغلون بعبادة
وذكر حتي اذا غلبهم النوم يغفون غفوة السادس الدعاء عند النوم
فيقول باسمك ربي وضعت جنبي وباسمك ارفعه فاغفر لي ذنبي
اللهم قني عذابك يوم تجمع عبادك اللهم اني اسلمت نفسي اليك وفوضت
امري اليك والجات ظهري اليك رغبةً ورهبة منك لا ملجأ ولا منجأ
منك الا اليك امنت بكتابك الذي انزلت وبرسولك الذي ارسلت اللهم ايقظني

مطلب الوصية

في احب الاوقات والساعات اليك واستعملني باحب الاعمال لديك السابع
ان لايبيت من له وصية الا وصيته مكتوبة عنده فانه لايامن من
القبض في النوم يقال ان من مات من غير وصية لم يؤذن له في الكلام

مطلب موت مفاجاة

بالبرزخ الي يوم القيمة يتزاور الاموات ويتحدثون وهو لايتكلم فيقول
بعضهم لبعض مات هذا المسكين من غير وصية وذلك مستحب
خوفا من موت الفجاءة وموت الفجاءة تخفيف الا لمن ليس مستعدا
للموت بكونه مثقل الظهر بالمظالم اذ النوم نوع وفات واليقظ نوع
بعث وان مثل النوم بين الحيوة والموت لمثل البرزخ بين الدنيا و
والاخرة الثامن القراة يستحب ان يقراء اخر البقرة والهكم اله الي قوله
لايات لقوم يعقلون ومن الاعراف ان ربكم الله الذي خلق السموات

مطلب قراءة المعوذتين

والارض واخر بني اسرائيل وعشرا من اول سورة الكهف وعشرا
من اخرها ويقراء المعوذتين وينفث بهن في يديه ويمسح بهما وجهه
وساير جسده التاسع ان ينام بعد الصبح حتى تطلع الشمس وبعد
العصر حتى تغرب الشمس فانه يكره ذلك حتى قيل نوم الاول النهار خرق
واوسطه خلق واخره حمق العاشر الدعاء عند التنبه فليقل في
يقظاته مهما تنبه ماكان يقوله رسول الله صلى الله عليه وسلم
لا اله الا الله الواحد القهار رب السموات والارض ومابينهما العزيز

الغفار

الغفار وليجهد آخر مايجري على قلبه عند النوم ذكر الله تعالى
واول مايرد على قلبه عند التيقظ ذكر الله عز وجل فهو علامة الحب
ولايلازم القلب في هاتين الحالتين الا ماهو الغالب عليه فيجرب
قلبه به فانها علامة تكشف عن باطن القلب وانما استحبت هذه
الاذكار لستجر القلب الى ذكر الله تعالى فاذا استيقظ يقول الحمد لله
الذي احيانا بعدما اماتنا واليه النشور اصبحنا واصبح الملك لله
والعظمة لله والسلطان لله والعزة والقدرة لله اصبحنا على فطرة
الاسلام وملة ابينا ابراهيم حنيفا مسلما وما انا من المشركين الورد
الرابع يدخل بمضى النصف الاول من الليل الى مايبقى من الليل سدسه
وعند ذلك يقوم المتهجد كما ان الزوال وسط النهار وهذا وسط
الليل وبه اقسم الله تعالى فقال والليل اذا سجى اي اذا سكن وسكونه في
هذا الوقت فلا يبقى عين الا نايمة سوى الحي القيوم الذي لاتاخذه
سنة ولا نوم وقيل اذا سجى اذا امتد وطال وقيل اذا اظلم وترتيب
هذا الورد ان يقول اذا انتبه من النوم ويبداء فيه بدعاء الا
الاستيقاظ ثم يتوضاء ويأتي بادعية الوضوء ثم يستقبل
القبلة ويقول الله اكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة
واصيلا اللهم لك الحمد انت نور السموات والارض ولك الحمد انت

بهاء السموات والارض ولك الحمد انت قيام السموات والارض ومن
فيهن ومن عليهن انت الحق ومنك الحق والجنة حق والنار حق
وجميع النبيين حق ومحمد حق اللهم لك اسلمت وبك امنت وعليك
توكلت وبك خاصمت واليك حاكمت فاغفر لي ما قدمت وما اخرت
وما اسررت وما اعلنت انت المقدم وانت المؤخر لا اله الا انت
اللهم آت نفسي تقويها وزكها انت خير من زكاها انت وليها
ومولاها اللهم اهدني لاحسن الاعمال ولا يهدي لاحسنها الا انت
واصرف عني سيها الا انت اسألك مسالة البائس الفقير المسكين
وادعوك دعاء الفقير الذليل فلا تجعلني بدعائك رب شقيا وكن
بي روفا رحيما يا خير المسؤلين واكرم المعطين ثم ياتي بالصلوة
وكان النبي عليه السلام يصلي اولا ركعتين خفيفتين ثم طويلتين
ثم ركعتين دون اللتين قبلهما ثم لا يزال يقصر بالتدريج وكان يجهر
بالقراءة مرة ويسر اخرى **الورد الخامس** السدس الاخير من
الليل وهو وقت السحر والوظيفة فيه الصلوة والادعية المأثورة
التي ذكرنا في الورد الاول فهذا ترتيب الاوراد للعباد وقد كانوا
يستحبون ان يجمعوا مع ذلك في كل يوم بين اربعة امور صوم وصدقة
وعيادة مريض وشهود جنازة **وفي الخبر** من جمع بين هذه الاربعة

في يوم غفر له وكانوا يكرهون ان ينقضي اليوم ولم يتصدقوا ولو
بشق تمرة **خاتمة** في بيان اختلاف الاوراد باختلاف الاحوال **اعلم**
ان المريد لحرث الاخرة له سبعة احوال احدها ان يكون عابدا والعا بد
هو المتجرد للعبادة بحيث لولاها لبقي بغير شغل لو ترك العبادة لجلس
بطالا وترتيب اوراده على ما سبق وثانيها ان يكون عالما ينتفع
الناس بعلمه في سلوك طريق الآخرة بالفتوى او التدريس او التذكير
او التصنيف او الاشتغال بالعلم في حقه بعد الاتيان بالفرايض
والرواتب اولى من النوافل وثالثها ان يكون متعلما والاشتغال
بالتعلم افضل من الاشتغال بالاذكار والنوافل فحكمه حكم العالم
في ترتيب الاوراد واوراده كاوراد العالم ورابعها المتحرف الذي يحتا ج
الى التكسب للنفقة على عياله فليس له ان يضيع العيال ويستغرق
الاوقات في العبادات بل ورده في وقت الصناعة حضور السوق والاشتغال
بالكسب ولكن ينبغي ان لا ينسى الله تعالى في صناعته فيواظب على التسبيحات
والاذكار وقراءة القرآن فان ذلك يمكن ان يجمع مع العمل وانما لا يتيسر مع
العمل الصلوة الا ان يكون ناظورا فانه لا يعجز عن اقامة الاوراد
الصلوة مع ذلك وهذا ياتي بما قدر عليه من الصلوة والاوراد و
وخامسها ان يكون واليا كالقاضي والامام والاشتغال بقضاء

اشتغال الخلق في النهار افضل في حقه فاذا جاء الليل اشتغل باوراد
الليل وسادسها ان يكون موحدًا مستغرقا بالله تعالي ليس له نظر
الي سواه الله تعالي ولا مطلوب الا اياه وهذا ورده بعد الفرايض شي وهو
حضور القلب مع الله تعالي ولا يصل الي هذه الحالة الا بعد الاشتغال
بما سبق من الاوراد مدة طويلة وفقنا الله علي ذلك وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم اطعموا الطعام
وافشوا السلام وصلوا بالليل والناس نيام وهذا اول حديث
قاله عليه السلام في المدينة لما قدمها وعن جابر رضي الله عنه عن النبي
صلي الله عليه وسلم قال من كثر صلوته بالليل حسن وجهه بالنهار
وسئل ابو القاسم الحكيم عن معني قوله عليه السلام اطلبوا الخير عند
حسان الوجوه فقال اي عند المتهجدين بالليل الذين يحسن وجوههم
لكثرة تهجدهم وصلوتهم بالليل وسئل الحسن البصري رحمة الله عليه
فقيل يا ابا سعيد ما بال المتهجدين بالليل احسن الناس وجوها
قال لانهم خلوا بالله تعالي فالبسهم من نوره

مطلب الحديث الذي صدر من النبي

الفصل الثالث

في فضيلة احياء الليل وبيان الاسباب الميسرة لقيام الليل وبيان
كيفية قسمة الليل اما فضيلة احياء الليل فمن الايات قوله
تعالي ان ربك يعلم انك تقوم ادني من ثلثي الليل الاية وقوله عز وجل

ان ناشئة

ان ناشئة الليل هي اشد وطأ وقوله يتجافي جنوبهم عن المضاجع وقوله
تعالي امن هو قانت اناء الليل ساجدًا وقايما وقوله تعالي والذين
يبيتون لربهم سجدًا وقياما الاخبار قال النبي صلي الله عليه وسلم
ان للشيطان سعوطا ولعوقا وذرورا فاذا اسعط العبد ساء خلقه
واذا العقه ذرب لسانه بالشر واذا ذره نام الليل حتي يصبح وقال
عليه السلام ركعتان يركعهما العبد في جوف الليل الاخير خير له من
الدنيا وما فيها وقال عليه السلام عليكم بقيام الليل فانه داب
الصالحين قبلكم وانه قربة الي الله تعالي وتكفير للذنوب ومطردة للداء
عن الجسد ومنهاة عن الاثم وقال صلي الله عليه وسلم رحم الله رجلًا
قام من الليل فصلي ثم ايقظ امراته فصلت فان ابت نضح في وجهها
الماء ورحم الله امراة قامت من الليل وصلت ثم ايقظت زوجها فصلي
فان ابي نضحت في وجهه الماء الاثار يقال ان سفيان الثوري رحمة
الله عليه شبع ليلة فقال ان الحمار اذا زيد في علفه زيد في عمله فقام تلك
الليلة حتي اصبح قال الحسن رحمة الله عليه ان الرجل ليذنب الذنب فيحرم به
قيام الليل وصيام النهار فاعلم انك محروم وكثرت خطيئتك وقال
ابو الحويرية كان ابو حنيفة رحمة الله عليه يحيي نصف الليل فمر بقوم
فسمعهم يقولون هذا يحيي الليل كله فقال اني اوصف بما لا افعل فكان بعد

ذلك يحيى الليل كله ويروى انه ما كان له فراش بالليل وقال علي بن الحزز
رحمة الله عليه شبع يحيى بن زكريا عليهما السلام من خبز الشعير فنام
عن ورده ليلة فاوحى الله تعالى اليه اوجدت دارا خيرا لك من داري ام
وجدت جوارا خيرا لك من جواري وقال يوسف بن مهران رحمة الله
عليه بلغني ان تحت العرش ملكا في صورة ديك براثنه من لؤلؤ وصئاته
صئاته من زبرجد اخضر فاذا مضى ثلث الليل الاول ضرب بجناحيه
وزقا وقال ليقم القائلون فاذا مضى نصف الليل ضرب بجناحيه فقال
ليقم المجتهدون واذا مضى ثلثا الليل قال ليقم المصلون فاذا طلع الفجر قال
ليقم الغافلون وعليهم اوزارهم واما الاسباب الميسرة لقيام الليل
فثمانية اربعة ظاهرة واربعة باطنة اما الاسباب الظاهرة فاولها
لا يكثر الاكل فيكثر الشرب فيغلبه النوم ويثقل عليه القيام الليل وكان
بعض الشيوخ يقف على المائدة كل ليلة ويقول معاشر المريدين لا تاكلوا
كثيرا فتشربوا كثيرا فترقدوا كثيرا فتخسروا عند الموت كثيرا وهذا هو
الاصل الكبير وهو تخفيف المعدة عن ثقل الطعام الثاني ان لا يتعب نفسه
بالنهار في الاعمال التي تعيى بها الجوارح وتضعف بها الاعصاب
فان ذلك ايضا مجلبة للنوم الثالث ان لا يترك القيلولة بالنهار
فان ذلك سنة للاستعانة على القيام الليل الرابع ان لا يرتكب

يرتكب

الاوزار

الاوزار بالنهار فان ذلك يقسي القلب ويحول بينه وبين اسباب الرحمة
قال رجل للحسن رضي الله عنه يا ابا سعيد اني ابيت معافا واحب
قيام الليل واعد طهوري فما بالي لا اقوم فقال ذنوبك قيدتك وهذا لان
الخير يدعو الى الخير والشر يدعو الى الشر والقليل من كل واحد منهما
يجر الى الكثير ولهذا قال بعض العلماء رحمهم الله اذا صمت يا مسكين
فانظر عند من تفطر وعلى اي شيء تفطر فان العبد لياكل الاكلة فلينقلب
قلبه عما كان عليه فلا يعود الى حالة الاولى فالذنوب كلها تورث
قساوة القلب وتمنع من قيام الليل واخصها في التاثير تناول الحرام
وتوثر اللقمة الحلال في تصفية القلب وتحويله الى الخير ما لا يوثر
غيرها ويعرف ذلك اهل المراقبة للقلوب بالتجربة بعد شهادة الشرع
له ولذلك قال بعضهم كم من اكلة منعت قيام ليلة وكم من نظرة منعت
قراءة سورة وان العبد لياكل اكلة او يفعل فعلة فيحرم بها قيام سنة
وكما ان الصلوة تنهى عن الفحشاء والمنكر فكذلك الفحشاء تنهى عن الصلوة
وساير الخيرات وقال بعض السجانين بقيت سجانا نيفا وثلثين
سنة اسال كل ماخوذ بالليل انه هل صلى العشاء في جماعة فيقولون
لا وهذا تنبيه على ان بركة الجماعة تمنع من تعاطي الفحشاء والمنكر
واما الاسباب الباطنة فاولها سلامة القلب عن الحقد والحسد على

احد من المسلمين ومن البدع وفضول هموم الدنيا فالمستغرق الهم
بتدبير الدنيا لا يتيسر له القيام وان قام فلا يتفكر الا في مهماته
ولا يجول الا في وساوسه لا في صلوته ولا عبادته وفي مثله
يقال وانت اذا استيقظت ايضا فنايم الثاني خوف غالب يلزم
القلب مع قصر الامل فانه اذا تفكر في اهوال الآخرة ودركات جهنم طار
نومه كما قال طاوس رحمة الله عليه ان ذكر جهنم طير نوم العابدين
وكما حكي ان غلاما بالبصرة اسمه صهيب كان يقوم الليل كله فقالت
له سيدته ان قيامك بالليل يضره بعملك بالنهار فقال ان صهيبا
اذا ذكر النار لا يأتيه وقيل لغلام آخر وكان يقوم كل الليل ارفق
بنفسك فقال اذا ذكرت النار اشتدت خوفي واذا ذكرت الجنة
اشتدت شوقي فما اقدر ان نام الثالث ان يعرف فضل قيام الليل
بسماع هذه الايات والاخبار التي اوردناها حتى يستحكم بذلك رجاوه
وشوقه الى ثوابه فيهيجه الشوق لطلب المزيد والرغبة في درجات
الجنان كما حكي ان بعض الصالحين رجع من غزوته وكانت امراته
تنتظر فراشه تلك الليلة فدخل المسجد ولم يزل يصلي حتى اصبح
فقالت زوجته كنا ننتظرك مدة فلما قدمت صليت الى الصبح
قال والله اني كنت اتفكر في حوراء من حور الجنة طول الليل فنسيت

مطلب التهجد

الزوجة

الزوجة والمنزل فقمت طول ليلي شوقا اليها الرابع وهو اشرف البواعث
الحب لله تعالى فاذا احب الله تعالى احب لا محالة الخلق به وتلذذ
بالمناجات بالحبيب فتحمله لذة المناجات للحبيب على طول القيام ولا
ينبغي ان يستبعد هذه اللذة اذ يشهدها العقل والنقل فاما العقل
فيعتبر حال المحب لشخص بسبب جماله او لملك بسبب انعامه وامواله
انه كيف يتلذذ بالخلوة به ومناجاته حتى لا يأتيه النوم طول ليلته
واما النقل فيشهد له احوال قوام الليل في تلذذهم بقيام الليل واستقصارهم
له كما يستقصر المحب ليلة وصال الحبيب حتى قيل لبعضهم كيف انت والليل
قال ما راعيته قط يريني وجهه ثم ينصرف وما تاملته بعد وقال آخر
انا والليل فرسا رهان مرة يسبقني الى الفجر ومرة يقطعني عن الفكر
وقيل لبعضهم كيف الليل عليك فقال ساعة انا فيها بين حالتين افرح
بظلمته اذا جاء واغتم بفجره اذا طلع ما تم به فرحي قط واما كيفية
طرق القسمة لاجزاء الليل فاعلم ان احياء الليل من حيث المقدار له
خمس مراتب الاولى احياء كل الليل وهذا شان الاقوياء الذين تجردوا
للعبادة الله وتلذذوا بمناجاته وصار ذلك غذاء لهم وحيوة
لقلوبهم وقد كان ذلك طريق جماعة من السلف التابعين رحمهم الله
منهم ابو حنيفة وسعيد بن المسيب والفضيل بن عياض وابو سليمان

مطلب الحب

مطلب احياء الليل

الداراني ومالك بن دينار وغيرهم رحمة الله عليهم اجمعين كلهم كانوا
يصلون الصبح بوضوء العشاء وربيع بن خيثم رحمة الله عليه المرتبة
الثانية ان يقوم نصف الليل وهذا لا يحصر عدد المواظبين عليه
من السلف واحسن طريق فيه ان ينام الثلث الاول من الليل والسدس
الاخير منه حتى يقع قيامه في جوف الليل ووسطه فهو الافضل المرتبة
الثالثة ان يقوم ثلث الليل كما روي عبد الله بن عمر عن النبي عليه السلام
احب الصلوة الى الله صلوة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه
وينام سدسه فينبغي ان ينام النصف الاول والسدس الاخير و
بالجملة نوم اخر الليل مستحب لانه يذهب النعاس بالغداة وكانوا يكرهون
ذلك ويقلل صفرة الوجه وكان نوم هذا الوقت سبب المكاشفة والله
اعلم المرتبة الرابعة ان لا يراعي التقدير وكان هذا من اخلاق رسول الله
صلى الله عليه وسلم وهي طريقة ابن عمر واولي العزم من الصحابة وجماعة
من التابعين رضي الله عنهم اجمعين وكانوا يقومون من اول الليل الى
ان يغلبهم النوم وينامون فاذا انتبهوا قاموا فاذا غلبهم النوم عادوا
الى النوم فيكون لهم في الليل نومتان وقومتان المرتبة الخامسة وهي الاقل
ان يقوم مقدار اربع ركعات او ركعتين وقوة الايمان بانه في قيامه
لا يتكلم بحرف الا وهو مناج به ربه وهو مطلع عليه مع مشاهدة

مطلب مهم

ما يخطر بقلبه وان تلك الخطرات من الله تعالى خطاب معه فيجلس مستقبلا
للقبلة ساعة مشتغلا بالذكر والدعاء فيكتب في جملة قوام الليل رحمة
تعالى وفضله وقد جاء في الاثر صل من الليل ولو قدر حلب شاة فهذه
طرق القسمة وبها يتم قسم العبادات والحمد لله بنعمة يتم الصالحات ويتلوه
قسم العادات وهو يشتمل ايضا على عشرة كتب والحمد لله وحده وصلى الله على
سيدنا محمد واله بسم الله الرحمن الرحيم كتاب

اداب الاكل

اعلم ان مقصد ذوي الباب لقاء الله سبحانه وتعالى
في دار الثواب ولا طريق الى الوصول الى اللقاء الا بالعلم والعمل ولا يمكن المواظبة
عليهما الا بسلامة البدن ولا يتيسر ذلك الا بالاطعمة ولهذا صار الاكل
من الدين واليه الاشارة بقوله الكريم يا ايها الرسل كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا فمن الاكل الطعام ليستعين به على العلم والعمل فلا ينبغي ان يترك
نفسه مهملا سدا يسترسل في الاكل استرسال البهايم في المرعى بل ينبغي
ان يحفظ ادابه وسننه فيصير بسببها مدفعة للوزر ومجلبة
للاجر وان كان فيها او في حظ للنفس وانما ذلك اذا رفعها بالدين و
للدين مراعيا فيه ادابه ووظايفه وها نحن نرشد الى وظايف الدين
في الاكل فرايضها وسننها في ثلثة ابواب ان شاء الله تعالى الباب
الاول فيما لا بد للاكل المفرد من مراعاته وهي ثلثة اقسام قسم قبل الاكل

وقسم مع الاكل وقسم بعد الفراغ منه القسم الاول في الاداب التي تتقدم وهي
سبعة الاول ان يكون الطعام حلالا لاو قدام الله بالاكل الطيب وهو الحلال
الثاني غسل اليد وفي الحديث الوضوء قبل الطعام ينفي الفقر وبعده ينفي اللمم
الثالث ان يوضع الطعام على السفرة الموضوعة على الارض فانه اقرب الى
التواضع كان رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا اتى الطعام وضعه على
الارض ويتذكر من السفر سفر الاخرة وحاجته الى الزاد للتقوى واما الموائد
فبدعة وقيل اربع احدثت بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم الموايد
والمناخل والاشنان والشبع الرابع ان يحسن الجلسة بان ينصب رجله
اليمنى ويجلس على اليسرى الخامس ان ياكل على نية الطاعات ليكون مطيعا
بالاكل فلا يقصد التلذذ والتنعم بالاكل ويعزم مع ذلك على تقليل الاكل
فانه اذا اكل لاجل قوة العبادة لم تصدق نيته الا بالاكل دون الشبع
فان الشبع يمنع من العبادة ولا يقوي عليها السادس ان لا يمد يده
الى الطعام الا وهو جايع ويرفعها قبل الشبع ومن فعل ذلك يستغني
عن الطبيب السابع ان لا ياكل وحده وفي الحديث شرار الناس من اكل وحده
ومنع رفده وضرب عبده القسم الثاني في اداب حالة الاكل وهي عشرة الاول
ان يبداء بسم الله في اوله والحمد لله في اخره ويجهر به ليذكر غيره الثاني ان
ياكل باليمين ومما يليه الا في الفاكهة فان له ان يجيل يده فيها قال

مطلب الموايد والمنخل والاشنان والشبع

عليه السلام كل مما يليك ثم كان يدور في الفاكهة فقيل له في
ذلك فقال ليس هو نوعا واحدا الثالث ان يبداء بالملح ويختم به فان
في ذلك شفاء الرابع ان يكرم الخبز واكرامه ان لا ينتظر الادم الخامس ان
يصغر اللقمة ويجود مضغها وما لم يبتلعها لم يمد اليد الى الاخرى فان
ذلك عجلة في الاكل السادس ان لا ياكل من ذروة القصعة ووسط الرغيف
بل من دورها السابع ان لا يذم ماكولا بل ان اعجبه اكل والا تركه الثامن
ان لا ينفخ في الطعام الحار فهو منهي عنه بل يصبر الى ان يسهل اكله التاسع
ان يمسك قبل الشبع العاشر ان لا يكثر شرب الماء في اثناء الطعام الا
اذا غص بلقمة او صدق عطشه فقد يقال ان ذلك مستحب في الطب
وانه دباغ المعدة فهذه عشرة اداب في حالة الاكل اما اذا اكل التمر ومثله
فلا يجمع بين التمر والنوى في طبق ولا كفه بل يلقيها واما الشرب
فادابه ان ياخذ الكوز بيمينه ويقول بسم الله ويشربه مصا لا عبا
ولا يشرب قايما ولا مضطجعا ويراعي سفل الكوز حتى لا يقطر عليه وينظر
في الكوز قبل الشرب ويقول بعد الشرب الحمد لله الذي جعله عذبا فراتا
برحمته ولم يجعله ملحا اجاجا بذنوبنا وهذه الاداب دلت عليه الاخبار
والاثار القسم الثالث ما يستحب بعد الطعام سبعة الاول ان
يلعق اصابعه ثم يمسحه بالمنديل ثم يغسله والثاني ان لا يقوم

مطلب عفو الولد

حتي ترفع المائدة والثالث ان يلتقط فتات الطعام قال عليه السلام
من اكل ما يسقط من المائدة عاش في سعة وعوفي ولده وقيل لقاطة
الفتاة مهور الحور العين يعني لقاطة الفتاة من الخبز والرابع ان يتخلل
ولا يبتلع ما يخرج من بين اسنانه والخامس ان يتمضمض بعد الخلال
والسادس ان يلعق القصعة والسابع ان يغسل يده ويقول الحمد لله
بنعمته تتم الصالحات وتنزل البركات اللهم اطعمتنا طيبا فاستعملنا
صالحا واجعله عونا لنا على طاعتك ونعوذ بك ان نستعين به على
معاصيك ثم يقراء سورة الاخلاص وسورة القريش فهذا اداب المنفرد

الباب الثاني في بيان اداب ما يزيد بسبب الاجتماع وبيان فضل
تقديم الطعام الي الاخوان وادابه اما اداب ما يزيد بسبب الاجتماع
والمشاركة في الاكل فهي سبعة الاول ان يبتداء بالطعام ومعه من
يستحق التقديم بكبر سن او زيادة فضل الا ان يكون هو المتبوع و
المقتدي فحينئذ ينبغي ان لا يطول عليهم الانتظار اذا اشرأبوا الاكل

مطلب الرفق مع الرفيق

واجتمعوا له الثاني ان لا يسكتوا على الطعام ويتحدثوا بالحكايات
الصالحات في الاطعمة وغيرها الثالث ان يرفق برفيقه فلا يقصد ان
ياكل زيادة علي ما ياكله فان ذلك حرام ان لم يكن موافقا لرضا رفيقه
مهما كان الطعام مشتركا بل ينبغي ان يقصد الايثار ولا ياكل تمرتين

في دفعة الا اذا فعلوا ذلك واستاذنهم فان قلل رفيقه نشطه ورغبه
وقال له كل ثلثا ولا يزيد عليه فان ذلك من سيرة العجم ولكن يتكلمون
بالمعروف فاما الحلف عليه فممنوع الرابع ان لا يحوج رفيقه الي ان يقول
له كل فان ذلك تصنع بل يجري علي المعتاد ولا ينقص من عادته في الوحدة
ولكن يعود نفسه حسن الادب في الوحدة حتي لا يحتاج الي التصنع عند
الاجتماع نعم لو قلل من اكله ايثارا لاخوانه ونظرا لهم عند الحاجة الي ذلك
فهو حسن وان زاد في الاكل علي نية المساعدة وتحريك نشاط القوم
في الاكل فلا باس به بل هو حسن وكان ابن المبارك رحمة الله عليه يقدم
فاخر الرطب الي اخوانه ويقول من اكل اكثر اعطيته بكل نواة درهما وكان يعد
النوى فيعطي كل من له فضل نوى بعدده دراهم وذلك لكسر الحياء وزيادة النشاط
في الانبساط وقال جعفر رضي الله عنه تتبين محبة الرجل لاخيه بجودة
اكله في منزله الخامس ان غسل اليد في الطشت لا باس به اذا اكل وحده وان
كان معه غيره فلا ينبغي ان يفعل ذلك وان فعلوا ذلك فالادب فيه ان
لا يبصق في الطشت وان يقدم الكبير وان يقدم يمنه وان يجمع الغسالة
في الطشت وان يكون الخادم قايما وقيل جالسا وان صب صاحب البيت
فحسن فعل ذلك مالك مع الشافعي رحمة الله عليهما في نزوله السادس ان
لا ينظر الي اصحابه ولا يراقب اكلهم فيستحيون بل يغض بصره ويشتغل بنفسه

السابع ان لا يفعل ما يستقذره غيره ولا ينفض يده في القصعة ولا يقدم
اليها راسه عند وضع اللقمة في فيه ولا يتكلم ايضا بما يذكر المستقذرات
واما بيان فضيلة تقديم الطعام الي الاخوان الزايرين وادابه فقد قال
صلى الله عليه وسلم ثلث لا يحاسب عليها العبد اكلة السحور وما افطر
عليه وما اكل مع الاخوان وقال لا يحاسب العبد على ما ياكله مع اخوانه
وكان بعضهم يكثر الاكل مع الجماعة لذلك ويقلل اذا كان وحده وقال
من اطعم اخاه حتي يشبعه وسقاه حتي يرويه بعده الله من النار بعدا
واما ادابه بعضها في الدخول وبعضها في تقديم الطعام اما الدخول فليس من
السنة ان يقصد قوما متربصا لوقت طعامهم فيدخل وقت الاكل فان ذلك
من المنهيات قال الله تعالى لا تدخلوا بيوت النبي صلى الله عليه وسلم الي
طعام غير ناظرين اناه يعني منتظرين حينه ونضجه وفي الخبر من مشي
الي طعام لم يدع اليه مشي فاسقا واكل حراما ولكن حق الداخل اذا لم
يتربص واتفق ان صادفهم على الطعام ان لا ياكل ما لم يؤذن له فاذا قيل له
كل نظر فان علم انهم يقولونه عن محبة لمساعدته فليساعد وان كانوا
يقولون حياء منه فلا ينبغي ان ياكل بل ينبغي ان يتعلل اما اذا كان
جايعا فقصد بعض اخوانه ليطعمه ولم يتربص وقت اكله فلا باس به
والدخول على مثل هذه الحالة اعانة لذلك المسلم علي حيازة ثواب الاطعام

مطلب الاكل

وهو

وهو عادة السلف كان لعون بن عبد الله ثلثمائة وستون صديقا
يدور عليهم في السنة والاخر ثلثون يدور عليهم في الشهر والاخر سبعة
يدور عليهم في الاسبوع فكان اخوانهم معلومهم وبدلا عن كسبهم فكان
قيام اولئك بهم علي قصد التبرك عادة فان دخل ولم يجد صاحب الدار
وكان واثقا بصداقته عالما بفرحه اذا اكل من طعامه فله ان ياكل بغير
اذنه اذ المراد من الاذن الرضا لا سيما في الاطعمة وامرها علي السعة
فرب رجل يصرح بالاذن ويحلف وهو غير راض فاكل طعامه مكروه
ورب غايب لم ياذن واكل طعامه محبوب وقد قال الله تعالي او
صديقكم فهذا اداب الدخول واما اداب التقديم فترك التكلف
اولا وتقديم ما حضر فان لم يحضره شي ولم يملك فلا يستقرض لاجل ذلك
فيشق على نفسه وان حضره ما هو محتاج اليه لقوته ولم يسمح نفسه
بالتقديم فلا ينبغي ان يقدم وكان الفضيل رحمة الله عليه يقول
انما تقاطع الناس بالتكلف ويدعوا احدهم اخاه فيتكلف له فيقطعه
عن الرجوع اليه وقال بعضهم ما ابالي من اتاني من اخواني فانه لا
اتكلف له انما اقرب له ما عندي ولو تكلفت له لكرهت مجيئه ومللته
ومن التكلف ان يقدم جميع ما عنده فيجحف بعياله ويؤذي قلوبهم
روي ان رجلا دعى عليا رضي الله عنه فقال اجيبك علي ثلث شروط

لاتدخل من السوق شيئا ولا تدخر ما في البيت ولا تجحف بالعيال **وقال** اذا قصدت للزيارة فقدم ما حضر وان استزرت فلا تبقي ولا تدد **وقال** بعضهم كانوا يقدمون ما حضر ويقولون لاندري ايهما اعظم وزرا الذي يحتقر ما يقدم اليه او الذي يحتقر ما عنده ان يقدمه والله اعلم

الادب الثاني وهو للزاير ان يقترح ولا يتحكم بشي بعينه فربما يشق علي المزور فان خيره اخوه بين طعامين فليختر ايسرهما عليه كذلك السنة **وروي** الاعمش رضي الله عنه انه قال مضيت مع صاحب لي نزور سلمان رضي الله عنه فقدم الينا خبز شعير وملحا جريشا فقال صاحبي لو كان في الملح سعتر كان اطيب فخرج سلمان ورهن مطهيرته واخذ سعترا فلما اكل قال صاحبي الحمد لله الذي قنعنا بما رزقنا فقال سلمان لو قنعت بما رزقت لم تكن مطهرتي مرهونة هذا اذا توهم تعذر ذلك علي اخيه او كراهية له فان علم انه يسر باقتراحه فيتيسر عليه ذلك فلا يكره له الاقتراح **فعل الشافعي** رحمة الله عليه ذلك مع الزعفراني اذ كان نازلا عنده ببغداد وكان الزعفراني رحمة الله عليه يكتب كل يوم رقعة بما يطبخ من الالوان ويسلمها الي الجارية فاخذ الشافعي الرقعة في بعض الايام والحق بها لونا اخر بخطه فلما راي الزعفراني ذلك اللون انكر وقال ما امرت بهذا فعرضت عليه خط الشافعي ملحقا بالرقعة فلما وضع عنده علي خطه فرح لذلك واعتق الجارية سرورا

باقتراح الشافعي عليه **وقال** بعضهم الاكل علي ثلثة انواع مع الفقراء بالايثار ومع الاخوان بالانبساط ومع ابناء الدنيا بالادب **الادب الثالث** ان لا يقول له هل اقدم طعاما بل ينبغي له ان يقدم وان كان لا يزيد **قال** الثوري رحمة الله عليه اذا زارك اخوك فلا تقل تاكل او اقدم اليك شيئا ولكن قدم فان اكل والا فارفع وان كان لا يريد ان يطعمهم شيئا فلا ينبغي ان يظهره عليهم او يصفه لهم **وقال** الثوري رحمة عليه اذا اردت ان لا تطعم عيالك مما تاكله فلا تحدثهم به ولا يرونه معك **وقال** بعض الصوفية اذا دخل عليكم الفقراء فقدموا اليهم طعاما واذا دخل عليكم الفقهاء فسئلوهم عن مسئلة واذا دخل القراء فدلوهم علي المحراب ومن الاداب ان يشتهي المزور الزاير ويلتمس منه الاقتراح مهما كانت نفسه طيبة به يفعل ما يقترح به فذلك خيره وفيه اجر وفضل جزيل والله اعلم

الباب الثالث في اداب الضيافة

ومظان الاداب فيها سنة الدعوة اولا ثم الاجابة ثم الحضور ثم تقديم الطعام ثم الاكل ثم الانصراف **اما فضيلة الضيافة** قال النبي صلي الله عليه وسلم لا خير فيمن لا يضيف **وقال** الضيف اذا نزل برزقه واذا ارتحل ارتحل بذنوب صاحب البيت **وقال** انس رضي الله عنه كل بيت لا يدخله ضيف لا تدخله الملائكة **لهذا كان** للخليل صلوات الله عليه

اذا اراد ان ياكل خرج ميلا او ميلين يلتمس من ياكل معه ولصدق نيته
فيه دامت ضيافته في مشهده الى يومنا هذا فلا تنقضي ليلة الا وياكل
عنده جماعة والاخبار الواردة في فضل الضيافة والاطعام لا تحصى
ولنذكر ادابها اما الدعوة فلها ست اداب الاول ان يقصد بدعوته
الاتقياء دون الفساق وقال عليه السلام اطعموا طعامكم الاتقياء
الثاني ان لا يخص به الاغنياء دون الفقراء الثالث وقال
صلى الله عليه وسلم شر الطعام الوليمة يدعى اليها الاغنياء دون الفقراء
الثالث ان لا يخص بعض اصدقائه دون البعض فان في تخصيص البعض
ايحاش الباقين والرابع ان لا يهمل اقاربه فان اهمالهم ايحاش وقطع رحم
الخامس ان لا يدعو من يحب ان لا يجيبه واذا حضر تاذى بالحاضرين
السادس ان لا يقصد بدعوته الا استمالة قلوب الاخوان والتسنن
بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم في اطعام الطعام وادخال السرور
على قلوب المؤمنين دون المباهات والتفاخر واما الاجابة فله خمسة
اداب الاول ان لا يميز الغني بالاجابة دون الفقير فان ذلك هو التكبر
المنهي عنه ولاجل ذلك امتنع عن الاصل الاجابة وقال بعضهم انتظار المرقة
ذل وقال اخر اذا وضعت يدي في قصعة غيري فقد ذلت له رقبتي كان
رسول الله صلى الله عليه وسلم يجيب دعوة العبد ودعوة المسكين ومن

المتكبر

المتكبرين من يجيب الاغنياء دون الفقراء وهو خلاف السنة ومر الحسن
بن علي رضي الله عنهما بقوم من المساكين الذين يسالون الناس على قارعة
الطريق وقد نشروا كسرا على الارض في الرمل وهم ياكلون وكان على بغلته
فسلم عليهم فقالوا هلم الى الغداء يا ابن بنت رسول الله فنزل عن دابته وقعد
معهم على الارض واكل ثم سلم عليهم وركب وقال اجبتكم فاجيبوني فقالوا
نعم فوعدهم وقتا معلوما فحضروا فقدم اليهم فاخر الطعام وجلس ياكل
معهم الثاني ان لا يمنع من الاجابة لبعد المسافة كما يمنع لفقر الداعي وعدم جاهه
بل كل مسافة يمكن احتمالها في العادة لا ينبغي ان يمتنع قال النبي صلى الله عليه
وسلم لو دعيت الى كراع لاجبت وهو موضع على اميال من المدينة افطر
رسول الله صلى الله عليه وسلم في رمضان عنده لما بلغه وقصر عنده في
سفره وفي بعض الكتب سر ميلا عد مريضا سر ميلين شيع جنازة سر ثلاثة
اميال اجب دعوة سر ثلاثة اميال اجب دعوة سر اربعة اميال عد اخاك
في الله انما قدم اجابة الدعوة والزيارة لان فيه قضاء حاجة الحي وهو
اولى من الميت الثالث ان لا يمتنع لكونه صائما بل يحضر وياكل الا ان يكون
صومه فرضا ومهما لم يفطر فضيافته الطيب والجمرة والحديث الطيب الرابع
ان يمتنع من الاجابة ان كان الطعام طعام شبهة او الموضع والبساط
المفروش غير حلال او كان يقام في الموضع منكرا من فرش الديباج او اناء

مطلب الاجابة الى الدعوة

فضة او تصوير حيوان او على سقف وحايط او سماع شيء من المزامير والملاهي
وكل ذلك مما يمنع الاجابة والاستجابة توجب تحريمه وكراهيته وكذا اذا
كان الداعي ظالما او مبتدعا او فاسقا او شريرا او متكلفا طلبا للمباهاة

مطلب
عدم الاجابة الى جمعية

والنحو الخامس ان لا يقصد بالاجابة قضاء شهوة البطن فيكون عاملا في ابواب
اهل الدنيا بل ينوي الاقتداء بسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم
في قوله لو دعيت الى كراع لاجبت وينوي الحذر عن معصية الله تعالى
لقوله عليه السلام من اكرم اخيه المومن فانما يكرم الله واما الحضور فله
ايضا اداب الاول ان يدخل الدار ولا يتصدر بل يتواضع قال عليه السلام
ان من التواضع لله الرضا بالدون من المجلس والثاني ان لا يجلس في مقابلة
حجرة النساء وسترهم والثالث ان لا يكثر النظر الى موضع الذي يخرج
منه الطعام فانه دليل الشره والرابع ان لا ينظر الى جوانب البيت والى
سقفها فان ذلك حمق والخامس ان يخرج اذا راى منكرا من استعمال اواني
الفضة والذهب والتصوير على الحيطان وسماع الملاهي والزمامير
وحضور النسوة وغير ذلك من المحرمات واما احضار الطعام فله اداب خمسة
الاول تعجيل الطعام فانه من اكرام الضيف ولا يطول الانتظار عليهم
وفي الخبر العجلة من الشيطان الا في خمسة فانها من السنة اطعام الضيف
وتجهيز الميت وتزويج البكر وقضاء الديون والتوبة من الذنوب والثاني

مطلب
العجل

ترتيب

ترتيب الاطعمة بتقديم الفاكهة في قوله تعالى وفاكهة مما يتخيرون ولحم طير
مما يشتهون ثم افضل ما يقدم بعد الفاكهة اللحم ومن اكرام الضيف تقديم اللحم
دل على ذلك قوله تعالى في ضيف ابراهيم عليه السلام اذ احضر العجل الحنيذ و
والثالث تخضير المائدة بالبقول الا الكراث وفي الخبر ان الملائكة تحضر
المائدة اذا كان عليها بقل وروي ان المائدة التي نزلت على بني اسرائيل كان عليها
البقول الا الكراث وكان عليها سمكة عند راسها خل وعند ذنبها ملح وسبعة
ارغفة وزيتون وحب الرمان الرابع ان لا يعجل رفع يده ولا رفع المائدة
بل ينبغي ان يكون اخرهم اكلا كان بعض الكرام يترك القوم بطعامهم فاذا
قاربوا الفراغ منه جاء واكل بسم الله ساعد وفي الخامس ان يقدم من الطعام
قدر الكفاية فان القليل عن الكفاية نقص في المروة والزيادة عليه تصنع
ورياء وينبغي ان يعزل نصيب اهل البيت اولا حتى لا تكون اعينهم طامحة الى
رجوع شيء منه فلعله لا يرجع فتضيق صدورهم وما بقي من الاطعمة فليس
للضيفان اخذه وهو الذي يسميه الصوفية الزلة الا اذا صرح صاحب
الطعام بالاذن فيه واما الاكل فادابه ما ذكرنا في الباب الاول واما الا
نصراف فله ايضا اداب ثلثة الاول ان يخرج مع الضيف الى الباب فهو سنة
وذلك من اكرام الضيف وقام باكرامه قال عليه السلام من كان يومن
بالله واليوم الاخر فليكرم ضيفه وتمام الاكرام طلاقة الوجه وطيب

ارنه بيه اكل

كشف الوجه

الكلام عند الدخول والخروج وعند المائدة والثاني ان لا يخرج الا برضاء صاحب
المنزل واذنه ويراعي قلبه في قدر الاقامة الثالث اذا نزل ضيفا فلا يزيد
علي ثلثة ايام فربما يبرم به ويحتاج الي اخراجه قال صلى الله عليه وسلم
الضيافة ثلث فما زاد فصدقة خاتمة في اداب متفرقة قال العرب تغد
تمد تعش تمش اي اذا تغديت فنم عقيبه واذا تعشيت فتمش عقيبه قال
ابراهيم النخعي رحمة الله عليه الاكل في السوق دناءة واسنده الي رسول الله
صلى الله عليه وسلم قال ابن عمر رضي الله عنهما كنا علي عهد رسول الله
صلى الله عليه وسلم ونحن نمشي ونشرب ووجه الجمع النظر الي اختلاف
الاحوال والاشخاص قال بعض الحكماء لابنه لا تخرج من بيتك حتي
تاكل شيئا من الطعام اذ به يبقي الحلم ويزول الطيش وايضا يكون اقل
شهوة لما يرى في السوق وقال بعضهم من اضطر الي حضور طعام ظالم
فليجتهد في ترك الاكل او تقليله قال الشافعي رحمة الله عليه الاكل
علي اربعة انحاء الاكل باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث
اصابع من السنه وباربع وخمس من الشره والنوم ايضا علي اربعة
انحاء نوم على القفا وهو نوم الانبياء عليهم السلام ونوم علي اليمين
وهو نوم العلما ونوم على الشمال وهو نوم الملوك لينهضم طعامهم
ونوم على الوجه وهو نوم الشيطان وقال عجبت لمن يدخل الحمام

على الريق

علي الريق ثم يوخر الاكل بعد ان يخرج كيف لا يموت وعجبت لمن احتجم ثم
بادر الاكل كيف لا يموت تم كتاب اداب الاكل كتاب

اداب النكاح وفيه ابواب الباب الاول في فضيلة النكاح
وفي الترغيب فيه وعنه اما فضيلة النكاح فاعلم ان العلماء اختلفوا
في فضيلة النكاح فقال بعضهم انه افضل من التخلي للعبادة واعترف
اخرون بفضله ولكن قدموا عليه التخلي لعبادة الله تعالى مهما لم تتق
النفس الي النكاح توقانا يشوش الحال وقد قال آخرون الافضل تركه
في زماننا هذا وقد كان له فضيلة من قبل اذ لم تكن الاكتساب محظورة
واخلاق النساء مذمومة ولا ينكشف الحق فيه الا ببيان افته وفايدته حتي
تتضح منها فضيلة النكاح وتركه بعد تقديم ما ورد من الايات والاخبار
والاثار اما الايات قال الله تعالي وانكحوا الايامي منكم وهذا امر وقال تعالى
في حق الرسل عليهم السلام ومدحهم ولقد ارسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم
ازواجا وذرية ومدح اوليايه الكرام بسؤال ذلك في الدعاء والذين يقولون
ربنا هب لنا من ازواجنا وذرياتنا قرة اعين ويقال ان الله تعالى لم يذكر
في كتابه العزيز من الانبياء عليهم السلام الا المتاهلين وقالوا ان يحيى
عليه السلام قد تزوج ولم يجامع لنيل الفضل واما عيسى عليه السلام سينكح
اذا نزل الي الارض ويولد له واما الاخبار قال صلى الله عليه وسلم النكاح

واما الاخبار

سنتي فمن احبني فليستن بسنتي وقال من استطاع منكم الباءة فليتزوج
فانه اغض للبصر واحصن للفرج ومن لا فليصم فان الصوم له وجاء وهذا
يدل على ان سبب الترغيب في خوف الفساد في العين والفرج وقال من تزوج
فقد احرز شطر دينه فليتق الله في الشطر الثاني وهذا ايضا اشارة الى ان
فضله لاجل التحرز من المخافة تحصنا من الفساد وكان المفسد لدين المرء
في الاغلب فرجه وبطنه وقد كفي بالتزويج احدهما وقال كل عمل ابن ادم ينقطع
الا ثلث منهم ولد صالح يدعو له الحديث ولا يوصل الى هذا الا بالنكاح

الاثار قال عمر رضي الله عنه لا يمنع من النكاح الا عجز او فجور فبين ان الدين
غير مانع وخص المانع في امرين مذمومين وقال ابن عباس رضي الله عنهما لا يتم
نسك الناسك حتى يتزوج يعني لا يسلم قلبه لغلبة الشهوة الا بالتزويج ولا يتم
النسك الا بفراغ القلب وكان ابن مسعود رضي الله عنه يقول لو لم يبق من
عمري الا عشرة ايام احببت ان اتزوج ان لا القي الله عزبا وروي ان بشر بن
الحارث الحافي رحمة الله عليه روي في المنام فقيل له ما فعل الله بك
فقال رفعت منازلي في الجنة ولم ابلغ منازل المتاهلين وفي رواية
انه قال ما كنت احب ان تلقاني عزبا وقيل فضل المتاهلين على العزب كفضل
المجاهد على القاعد وركعتين من المتاهلين افضل من سبعين ركعة
من العزب واما جاء في الترغيب عن النكاح وقد قال صلى الله عليه وسلم

خير الناس بعد المائتين الخفيف الحال الذي لا اهل له ولا ولد وقال يأتي
على الناس زمان يكون هلاك الرجل على يد زوجته وولده ويعيرون
بالفقر ويتكلفونه ما لا يطيق فيدخل المداخل التي يذهب فيه دينه فيهلك وقال
وقيل قلة العيال احد اليسارين وكثرته احد الفقرين وسئل ابو سليمان
الداراني عن النكاح فقال الصبر عنهن خير من الصبر عليهن والصبر عليهن
خير من الصبر على النار وقال وما رايت احدا من اصحابنا تزوج فثبت
على المرتبة الاولى وبالجملة لم ينقل عن احد الترغيب عن النكاح مطلقا ولا مقرونا
مقرونا بشرط اما الترغيب في النكاح فقد ورد مطلقا ومقرونا بشرط فلنكشف
الغطاء عنه بحرافات النكاح وفوائده في فصلين الفصل الاول في فوايد
النكاح اعلم ان فوايد النكاح خمسة الولد وكسر الشهوة وتدبير المنزل وتر... وجه اذا حت
النفس بالقيام بهن الفائدة الاولى الولد وهو الاصل والمقصود بقاء النسل
ولا يخلو العالم عن جنس الانس وانما الشهوة خلقت باعثة مستحثة وفي
التوصل الى الولد قربة من اربعة اوجه هي الاصل في الترغيب فيها عند الامن
من غوائل الشهوة حتى لم يحب احدهم ان يلقى الله عزبا الاول موافقة محبة
الله تعالى في تحصيل الولد لبقاء جنس الانسان والثاني طلب محبة الله صلى الله
عليه وسلم في تكثير من به مباهاته والثالث طلب التبرك بدعاء الولد الصالح لح
بعده الرابع طلب الشفاعة بموت الولد الصغير اذا مات قبله اما الوجه

الاول ان السيد اذا سلم لعبده البذر والات الحرث وهيا له ارضا للحراثة
وكان العبد قادر للحراثة ووكل به من يتقاضاه عليها فان تكاسل وعطل
آلة الحرث وترك البذر ضايعا حتى فسد ودفع الموكل عن نفسه بنوع من
الحيلة كان مستحقا للمقت والعتاب من سيده فكل ممتنع عن النكاح ومعرض
عن الحراثة مضيع للبذر ومعطل لما خلق من الايات المعدة وجاني على مقصود
الفطرة والحكمة المفهومة من شواهد الخلقة المكتوبة على هذه الاعضاء
بخط الهي ليس برقم حروف واصوات يقراها كل من له بصيرة ومن ليس له بصيرة
صرح به الخالق سبحانه وتعالى على لسان نبيه صلى الله عليه وسلم
حيث قال تناكحوا تكثروا ولذلك عظم الشرع في القتل للاولاد وفي الوأد
والقسط لانه منع لتمام الوجود واليه الاشارة في قول من قال العزل
احد الوادين لان ذلك خيانة على موجود فاول مراتب الوجود ان تقع
النطفة في الرحم ويخلط بها ماء المراة فيستعد لقبول الحيوة وافساد
ذلك خيانة فان صارت مضغة وعلقت كانت الخيانة افحش فان نفخ فيه
الروح واستوت الخلقة ازدادت الخيانة تفاحشا ومنتهى التفاحش
في الخيانة بعد انفصاله حيا ولذلك يستحب النكاح للعنين ايضا حتى ان
ان الممسوح الذي لا يتوقع له ولد لا ينقطع الاستحباب في حقه ايضا
على الوجه الذي يستحب للاصلع امرار الموسى على راسه اقتداء بغيره

ونتبيها

ونتبيها بالسلف الصالحين رحمهم الله وكما يستحب الآن في الحج الرمل والاضطباع
وقد كان المراد منه اولا اظهار الجلادة للكفار فصار الاقتداء والتشبه بهم سنة
الوجه الثاني السعي في محبة رسول الله صلى الله عليه وسلم ورضاه في تكثير ما به
مباهاة اذ قد صرح الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك ويدل عليه ما روي
من الاخبار في ذم المراة العقيم اذ قال عليه السلام لحصير في ناحية البيت خير
من مراة لا تلد الوجه الثالث ان يبقى بعده ولدا صالحا يدعو له برا او فاجرا
هو مثاب على دعواته وحسناته فانه من كسبه وغير مؤاخذ بسيئاته فانه
لا تزر وازرة وزر اخرى الوجه الرابع ان يموت الولد فيكون له شفيعا قال
صلى الله عليه وسلم من مات له ثلثة لم يبلغوا ادخله الله الجنة بفضل
رحمته اياهم قيل يا رسول الله واثنان قال واثنان في الخبر ان الاطفال
يجتمعون في موقف يوم القيمة عند عرض الخلايق للحساب فيقال للملائكة اذهبوا
بهؤلاء الى الجنة فيقفون على باب الجنة فيقولون فاين اباؤنا وامهاتنا فيقول
الخزنة ان اباكم وامهاتكم ليسوا مثلكم انه كانت لهم ذنوب وسيئات فهم
يحاسبون عليها ومطالبون فيضجون على باب الجنة ضجة واحدة فيقول الله
تعالى وهو اعلم ما هذه الضجة فيقول ربنا اطفال المسلمين قالوا لا ندخل الجنة
الا مع ابائنا فيقول الله تخللوا الجميع ابدي ابائهم فادخلوهم الجنة فقد ظهر بهذه
الوجوه الاربعة ان اكثر فضل النكاح لاجل كونه سببا للولد الفائدة الثانية

مطلب الاولاد

كسر الشهوة والتحصين عن الشيطان وغض البصر وحفظ الفرج واليه اشار
بقوله عليه السلام من نكح فقد حصن نصف دينه فليتق الله في النصف
الباقي وان كان ملجمًا بلجام التقوى فغايته ان يكف الجوارح عن اجابة الشهوة
فيغض البصر ويحفظ الفرج فاما حفظ القلب عن الوسواس والفكر فلا يدخل
تحت اختياره بل لا تزال النفس تجاذبه وتحدثه بامور الوقاع في اكثر الاوقات
وقد يعرض له ذلك في اثناء الصلوة ما لو صرح به بين يدي اخس الخلق لاستحيا
منه والله تعالى مطلع على قلبه والقلب في حق الله تعالى كاللسان في حق الخلق
وراس الامر للمريد في سلوك طريق الاخرة قلبه والمواظبة على الصوم لا يقطع
مادة الوسوسة في حق اكثر الخلق الا ان ينضاف اليه ضعف في البدن و
فساد في المزاج ولذلك قال ابن عباس رضي الله عنهما ~~كان من زهاد الصحابة~~
لا يتم نسك الناسك الا بالنكاح وهذه محنة عامة قل من يتخلص منها
ولذلك يحكى ان ابن عمر رضي الله عنهما كان من زهاد الصحابة وعلمائهم
رضي الله عنهم اجمعين كان يفطر من الصوم على الجماع قبل الاكل وربما
جامع قبل ان يصلي المغرب ثم يغتسل وذلك لتفريغ القلب لعبادة الله تعالى
ولما كانت الشهوة اغلب على مزاج العرب كان استكثار الصالحين منهم النكاح
اشد ولاجل فراغ القلب ابيح نكاح الامة عند خوف العنت مع ان فيه ارقاق
للولد وهو نوع اهلاك وهو محرم على كل من قدر على حرة ارقاق الولد اهون

مطلب الوسوسة

من اهلاك الدين وروي انه انصرف الناس ذات يوم من مجلس ابن عباس
رضي الله عنهما وبقي شاب لم يبرح فقال له ابن عباس رضي الله عنهما الك
حاجة قال نعم اردت ان اسئلك مسئلة فاستحييت من الناس وانا الآن
اهابك فقال ابن عباس رضي الله ان العالم بمنزلة الوالد فما ترين سل مني
فقال اني شاب لا زوجة لي وربما خشيت العنت على نفسي وربما استمنيت
بيدي فهل في ذلك معصية فاعرض عنه ابن عباس رضي الله عنهما اف
وتف نكاح الامة خير منه وهو خير من الزنا ولم يطلق ابن عباس رضي الله
في شيء منهما الاباحة لانهما محذوران يفزع اليهما حذارا من الوقوع في محذور
اشد منه كما يفزع الي تناول الميتة حذارا من هلاك النفس فليس ترجيح اهون
الشرين في معنى الاباحة المطلقة ولا في معنى الخير المطلق وليس قطع اليد المتاكله
من الخيرات فاذا في النكاح فضل من هذا الوجه لكن هذا لا يعم الكل فرب شخص
فترت شهوته بكبر سن او من ضعف او من غيره فينعدم هذا الباعث في
حقه ومن الطباع ما تغلب عليها الشهوة بحيث لا تحصنها المراة الواحدة
فيستحب لصاحبها الزيادة على الواحدة الى الاربع ويقال ان الحسن بن علي رضي
الله عنهما كان منكاحا حتى نكح زيادة على المائتين وقال عليه السلام اشبهت
لحسن خلقي وخلقي وان كثرة نكاحه احدها اشبه به رسول الله صلى الله
عليه وسلم وتزوج المغيرة بن شعبة رضي الله بثمانين امراءة وكان

عنه

مطلب نكاح الحسن بن علي

في الصحابة من له الثلاث والاربع ومن كان له الستّ لا يحصى ومهما كان الباعث
معلوماً فينبغي ان يكون العلاج بقدر العلّة فالمراد تسكين النفس فلينظر اليه
في الكثرة والقلّة الفائدة الثالثة ترويح النفس وايناسها بالمجالسة والنظر
والملاعبة لراحة القلب وتقوية على العبادة فان النفس ملول وهي عن الحق
نفور فلو كلّفت المداومة بالاكراه على ما يخالفها جمحت واذا روحت اللذات
في بعض الاوقات قويت ونشطت في الاستيناس بالنساء من الاستراحة
ما يزيل الكرب ويروح القلب ولذلك قال علي رضي الله عنه روحوا
القلب فانها اذا اكرهت عميت وفي الخبر على العاقل ان يكون ثلث ساعات ساعة
يناجي ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة يخلو فيها لمطعمه ومشربه الفائدة
الرابعة تفريغ القلب عن تدبير المنزل من الطبخ والكنس والفرش وتنظيف
الاواني وتهيئة اسباب المعيشة فان الانسان لو لم تكن له شهوة الوقاع لتعذر
عليه العيش في منزله وحده اذ لو تكفل بجميع اشغال المنزل لضاعت اكثر
اوقاته ولم يتفرغ للعلم والعمل والمراة الصالحة للمنزل عون على الدين ولذلك
قال ابو سليمان الداراني رحمة الله عليه الزوجة الصالحة ليست من الدنيا فانها
تفرغك للاخرة وانما تفريغها بتدبير المنزل وقضاء الشهوة جميعا وقال محمد
بن كعب القرظي رحمة الله عليه في معنى قوله ربنا آتنا في الدنيا حسنة المراة
الصالحة قال كان عمر رضي الله عنه يقول ما اعطي عبد بعد الايمان بالله خيراً

مراة صالحة وقال عليه السلام فضلت على آدم بخصلتين كانت زوجته
عوناً له على المعصية وازواجي اعوان لي على الطاعة وكان شيطانه كافراً
وشيطاني مسلماً لا يأمر الا بخير الفائدة الخامسة مجاهدة النفس ورياضتها
برعايتهن والقيام بحقوقهن والصبر على اخلاقهن واحتمال الاذى منهن و
ارشادهن الى طريق الدين فكل هذه اعمال عظيمة وليس من اشتغل باصلاح نفسه
وغيره كمن اشتغل فقط باصلاح نفسه فقط فمقاساة الاهل والولد بمنزلة
الجهاد في سبيل الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوباً
لا يكفرها الا الهم بطلب المعيشة وفي الصبر على ذلك رياضة النفس وكسر الغضب
وتحسين الخلق فان المنفرد بنفسه لا يترشح منه خبائث باطنه ولا تنكشف
بواطن عيوبه فحق على سالك طريق الاخرة ان يجرب نفسه بالتعريض لامثال
هذه الحركات واعتياد الصبر عليها لتعتدل اخلاقه وترتاض نفسه ويصفو
عن الصفات الذميمة باطنه فهذه فوايد النكاح الفصل الثاني في آفات
النكاح وهي ثلثة الاولى العجز عن طلب الحلال فان ذلك لا يتيسر لكل احد
لا سيما في هذه الاوقات مع الاضطراب في المعاش فيكون النكاح سبباً
للتوسع في الطلب والاطعام من الحرام وفيه هلاكه وهلاك اهله و
والمتعزب في امن من ذلك وفي الخبر ان اول ما يتعلق بالرجل يوم القيمة
اهله وولده فيوقفونه بين يدي الله تعالى ويقولون يا ربنا خذ لنا بحقنا

وكان يطعمنا الحرام ونحن لا نعلم فيقتص لهم منه فهذه آفة عامة قل من
يتخلص منها الا من له مال موروث او مكتسب من حلال ومحترف مقتدر
على كسب الحلال الآفة الثانية القصور عن القيام بحقوقهن والصبر على
اخلاقهن واحتمال الاذى منهن وفي هذا ايضا خطر قال تعالى قوا انفسكم
واهليكم نارا امرنا ان نقيهم النار كما نقي انفسنا والانسان قد يعجز عن
القيام بحق نفسه واذا تزوج انضاف الى نفسه نفس اخرى ولذلك
اعتذر بعضهم عن التزويج وقال انا مبتلى بنفسي كيف اضيف لها اخرى
واعتذر بشر رحمة الله عليه وقال يمنعني من النكاح قوله تعالى ولهن مثل
الذي عليهن بالمعروف وروي ان الهارب من عياله بمنزلة العبد الهارب
الآبق لا يقبل له صلوة ولا صيام الآفة الثالث ان يكون الاهل والولد
شاغلا عن الله تع وجاذبا الى طلب الدنيا لهذا قيل من طلبهن فقد ركن الى
الدنيا من طلب معاشا او تزوج امراة وكتب الحديث قال بعض الصالحين
رحمهم الله اذا اراد الله بعبد شرا سلط عليه في الدنيا انيابا تنهشه يعني
العيال فهذه الافات والفوايد والحكم على شخص واحد فان الافضل له النكاح
والعزوبة وذلك بحسب الاحوال فينبغي ان ينظر المريد الى نفسه فان انتفت
في حقه الافات واجتمعت الفوايد فالنكاح افضل وان انتفت الفوايد واجتمعت
الافات فالعزوبة افضل له والله اعلم

الباب الثاني

مطلب الهارب عن ... عياله

في الخصال المرغبة فيه اعلم ان الخصال المطيبة للعيش لا بد من مراعاتها في المراة
ثمانية الدين والخلق الحسن وخفة المهر والولادة والبكارة والنسب وان
لا تكون قرابة قريبة الاولى ان تكون صالحة ذات دين فهذا هو الاصل
فان كانت ضعيفة الدين في صيانة نفسها وفرجها ازدرت بزوجها
وسودت بين الناس وجهه وشوشت بالغيرة قلبه ولهذا قال
صلى الله عليه وسلم ان المراة تنكح لمالها وحسبها وجمالها ودينها فعليك
بذات الدين تربت يداك وفي حديث آخر من نكح المراة لمالها حرم عليه
مالها وجمالها ومن نكح لدينها رزقه الله مالها وجمالها الثانية حسن الخلق
وذلك مهم في طلب الفراغة فالاستعانة على الدين فانها اذا كانت سليطة
بذية اللسان سيئة الخلق كان الضرر منها اكثر من النفع وقيل لا تنكحوا
من النساء ستا انانة ولا منانة ولا حنانة ولا حداقة ولا براقة
ولا شداقة فالانانة التي تكثر الانين والشكاية وتعصب الراس كل ساعة
والمنانة التي تمن على زوجها فتقول فعلت لاجلك كذا وكذا والحنانة التي
تحن الى زوج آخر والحداقة التي ترمي الى كل شيء تجد فتشتهيه وتكلف الزوج
بشرائه والبراقة التي تصقل وجهها ليكون براقا والشداقة والكثيرة الكلام
ومنه قوله عليه السلام ان الله يبغض الثرثارين والمتشدقين وكان علي
رضي الله عنه يقول شر خصال الرجال خير خصال النساء البخل والزهو

مطلب المراة

بكر

مطلب فضل المرأة

والجبن فان المراة اذا كانت بخيلة حفظت مالها ومال زوجها واذا
كانت مزهوت استنكفت ان تتكلم كل احد بكلام لين مريب واذا كانت جبانة
فرقت من كل شي فلم تخرج من بيتها واتقت مواضع التهم الثالثة حسن الخلق
فذلك ايضا مطلوب اذ به يحصل التحصين والطبع لا يكتفي بالذميمة
غالبا والغالب ان حسن الخلق والخلق لا يفترقان وما نقلناه من الحث
على الدين وان المراة لا تنكح لجمالها ليس زجرا لهم عن رعاية الجمال بل هو
زجر عن النكاح لاجل الجمال المحض مع الفساد في الدين فان الجمال وحده في
غالب الامر يرغب في النكاح ويهون امر الدين وقيل اذا كانت المراة حسنا
خيرة الاخلاق سوداء الحدقة والشعر كبيرة العين بيضاء اللون محبة لزوجها
قاصرة الطرف فهي على صورة الحور العين فان الله تعالى وصف نساء الجنة
بهذه الصفة في قوله الكريم خيرات حسنات اراد بالخيرات حسن الخلق
في قوله تعالى قاصرات الطرف وفي قوله عربا اترابا فالعرباء هي العاشقة
لزوجها المشتهية للوقاع وبه يتم اللذة والحور البيض والحوراء شديدة

مطلب الحور والحوراء

بياض العين شديدة سوادها في سوادها الشعر والعيناء واسعة
العين وقال صلى الله عليه وسلم خير نسائكم التي اذا نظر اليها زوجها
سرته واذا امرها اطاعته واذا غاب عنها حفظته في نفسها وماله
من جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال فان ذلك مكروه وبدعة

وانما تسر بالنظر اذا كانت محبة للزوج الرابعة ان تكون خفيفة المهر
قال صلى الله عليه وسلم خير النساء احسنهن وجوها وارخصهن
مهورا وكما تكره المغالات في المهر من جهة المراة ويكره السؤال عن مالها من
جهة الرجل فلا ينبغي ان ينكح طمعا في المال فان ذلك مكروه وبدعة في
النكاح يشبهه التجارة والقمار ويفسد مقاصد النكاح الخامسة ان
تكون ولودا ودودا قال عليه السلام عليكم بالولود والودود
وان لم يكن لها زوج ولم يعرف حالها فيرعي صحتها وشبابها فانها تكون
ولودا في الغالب مع هذين الوصفين السادسة انها تكون بكرا فانها
تحب الزوج واما التي اختبرت الرجال ومارست الاحوال فربما لا ترضى
بعض الاوصاف التي الفته السابعة ان تكون نسيبة يعني ان تكون
من اهل بيت الدين والصلاح فانها ستربي بناتها وبنيها اذا لم تكن مؤدبة
لم تحسن التاديب والتربية ولذلك قال عليه السلام وخضراء الدمن
فقيل وما الخضراء الدمن قال الحسناء في المنبت السوء الثامنة ان لا تكون
من القرابة القريبة فان ذلك يقلل الشهوة قال عليه السلام لا تنكحوا
القرابة فان الولد يخلق ضاويا اي نحيفا وذلك لتاثيره في تضعيف الشهوة
فان الشهوة انما تنبعث بقوة الاحساس بالنظر واللمس وانما يقوى الاحساس
بالامر الغريب الجديد فاما المعهود الذي دام النظر اليه لا تنبعث الشهوة

منه فهذه هي الخصال المرغبة في النساء **ويجب** علي الولي ان يراعي خصال الزوج
وينظر بكريمة فلا يزوجها ممن ساء خلقه وخلقه او ضعف دينه او قصر
عن القيام بحقها او كان لا يكافيها في نسبها **قال** عليه السلام النكاح رق
فلينظر احدكم من يضع كريمته والاحتياط في حقها اهم لانها رقيقة بالنكاح
لا تخلص والزوج قادر علي الطلاق بكل حال ومهما زوج ابنته ظالما
او فاسقا او مبتدعا او شارب خمر فقد جني علي دينه وتعرض لسخط الله تعالى
بما قطع من حق الرحم وسوء الاختيار **قال** عليه السلام من زوج كريمته
من فاسق فقد قطع رحمها نعوذ بالله منه

الباب الثالث

في اداب المعاشرة والنظر فيما علي الزوج وفيما علي الزوجة **الفصل**
الاول في بيان ما علي الزوج من الاداب اعلم ان الزوج عليه مراعات امور
الوليمه والمعاشرة والرعاية والسياسة والغيرة والنفقة والتعليم والقسم
والتاديب بالنشوز والوقاع والولادة والمفارقة بالطلاق **الادب الاول**
الوليمة وهي مستحبة **وروي** لما تزوج عبد الرحمن بن عوف قال له رسول الله
صلي الله عليه اولم ولو بشاة ويستحب اظهار النكاح واظهار السرور
فيه اذا عز الخلق واكرمهم علي وجه الارض هو الادميون وفتح باب
خلقهم النكاح واليه الاشارة بقوله عليه السلام فصل ما بين الحلال
والحرام الصوت والدف **قال** عليه السلام اعلنوا النكاح واجعلوه في

في المساجد واضربوا عليه بالدف **الثاني** حسن الخلق معهن وعلامة حسن
الخلق معهن احتمال الاذي منهن ترحما عليهن لقصور عقولهن **قال**
عليه السلام من صبر علي سوء خلق امراته اعطاه الله من الاجر ما اعطي
ايوب علي بلائه ومن صبرت علي خلق زوجها اعطاها الله مثل ثواب آسية
امراة **الثالث** ان يزيد علي احتمال الاذي بالمتابعة والملاعبة فهي التي
تطيب قلوب النساء وقد كان صلي الله عليه وسلم يمزح معهن وينزل الي
درجات عقولهن في الاعمال والاخلاق **قال** عمر رضي الله عنه مع خشونته
ينبغي للرجل ان يكون في اهله مثل الصبي فاذا كان في القوم وجد رجلا
الرابع ان لا ينبسط في الدعابة الي حد يفسد خلقها ويسقط بالكلية
هيبته عندها ولكن يراعي الاعتدال فيهما مهما راي ما يخالف الشرع والمروة
ترك وانقبض **قال** عليه السلام تعس عبد الزوجة وانما قال ذلك
انه اذا اطاعها في هواها فهو عبدها وقد تعس فان الله تعالى ملكه المراة
فملكها نفسه وقد عكس الامر فقد بدل نعمة الله كفرا **قال** الشافعي رحمة الله عليه
ثلثة ان اكرمتهم اهانوك وان اهنتهم اكرموك المراة والخادم والنبطي
قال لقمان موصيا لابنه يا بني اتق المراة السوء فانها تشيبك قبل
الشيب وكن من خيارهن علي حذر **قال** قوم نبينا عليه الصلوة
والسلام استعيذوا بالله من المراة السوء فانكم ان دخلتم عليها انستكم

وان غبت عنها خانتك وقال لا يفلح قوم ملكهم امراة فادا فيهن شر
وفيهن ضعف فالسياسة والخشونة علاج الشر والمطايبة والرحمة
علاج الضعف فالعاقل يعالج بقدر الداء الخامس الاعتدال في الغيرة
فقد نهي صلي الله عليه وسلم النساء مع انه كان اغير الخلق كما روي
المغيرة رضي الله عنه انه قال قال صلي الله عليه وسلم انا اغيركم والله
اغير مني وان الله يحب من عباده الغيور ولما قدم صلي الله عليه وسلم
من سفر قال قبل دخول المدينة لا تطرقوا النساء فخالف رجلان
فسبقا فراي كل واحد منهم في منزله ما يكره وقال صلي الله عليه وسلم
غيرة يبغضها الله وهي غيرة الرجل علي اهله من غير ريبة ولان ذلك
من سوء الظن السادس الاعتدال في النفقة بين الاسراف والتقتير
قال الله تعالى وكلوا واشربوا ولا تسرفوا وينبغي له ان يامرها بالتصدق
ببقايا الطعام فهذا اقل درجات الخير للمراة ان تفعل ذلك بحكم الحال
بغير اذن الزوج السابع ان يتعلم المتزوج من علم الحيض واحكامه
والصلوة واحكامها ويعلم زوجته قال الله تعالى قوا انفسكم واهليكم
نارًا فعليه ان يلقنها اعتقاد اهل السنة ويزيل عن قلبها البدعة
ويخوفها بالله اذا تساهلت في امر الدين الثامن اذا كان له نسوة
فينبغي ان يعدل بينهن ولا يميل الي بعضهن كان رسول الله صلي الله عليه وسلم

مطلب العدل بين النساء

يعدل بينهن في العطاء والبيتوتة في الليالي ويقول اللهم هذا جهدي
فيما املك ولا طاقة لي فيما تملك ولا املك يعني الحب وقد كانت عايشة
رضي الله عنها احب نسائه اليه وساير نسائه يعرفون ذلك فكان صلي الله
عليه وسلم يطاف به محمولا في مرضه في كل يوم وليلة فيبيت عند كل
واحدة وقلن يا رسول الله قد اذنا لك ان تكون في بيت عايشة فانه
يشق عليك ان تحمل كل ليلة فقال وقد رضيتن بذلك قلن نعم قال فاحملوني
الي بيت عايشة التاسع في النشوز ومهما وقع بينهما خصام ولم يلتئم
امرهما فلا بد من حكمين احدهما من اهله والاخر من اهلها لينظرا بينهما
ويصلحا امرهما ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما وان كانت الخصومة
من جانب المراة خاصة فللرجل ان يؤدبها ويحملها علي الطاعة قهرا او طوعا
العاشر في الجماع ويستحب ان يقدم التلطف بالكلام والتقبيل قال
صلي الله عليه وسلم لا يقعن احدكم علي امراته كما تقع البهيمة وليكن بينهما
رسول فقيل وما الرسول فقال القبلة والكلام وينبغي ان يقول بسم الله
ويقراء قل هو الله احد ويكبر ويهلل ويقول اللهم جنبني الشيطان وجنب
الشيطان ما رزقتنا فان كان بينهما ولد لم يضره الشيطان فلا يستقبل القبلة
فالوقاع وليغط نفسه واهله بثوب فاذا قضي وطره بالانزال فليتمهل
علي اهله حتي يقضي هي ايضا وطرها فان انزالها ربما يتاخر ولا يأتيها

في الحيض ولا بعد انقطاعه قبل الغسل وهو محرم بنص الكتاب وقيل ان ذلك
يورث الجذام في الولد ويكره الجماع في ثلاثة ليال من الشهر الاول والآخر
والنصف ويستحب يوم الجمعة ولا ينبغي ان يحلق ويقلم ويستحد ويخرج
الدم او يبين من نفسه جزؤا وهو جنب اذ ترد اليه ساير اجزائه في الآخرة
فيعود جنبا الحادي عشر في اداب الولادة وهي خمسة الاول ان لا يكون
فرحه بالذكر وحزنه بالانثى فانه لا يدري ان الخيرة له في ايهما والثاني
ان يؤذن في اذن المولود قال صلى الله عليه وسلم ما من مولود يولد
فاذن له في اذنه اليمين واقيم في اذنه اليسرى الا رفعت عنه ام الصبيان
والثالث ان يسميه باسم حسن قال صلى الله عليه وسلم انكم
لتدعون يوم القيمة باسمائكم وخير الاسماء ما حمد وعبد الرابع
العقيقة عن الذكر بشاتين وعن الانثى بشاة ولا باس بشاة ذكرا
كان او انثى ومن السنة ان يتصدق بوزن شعره ذهبا او فضة
روى ان رسول الله صلى الله عليه وسلم امر فاطمة يوم سابع حسين
رضي الله عنهما ان تحلق شعره وتتصدق بوزن شعره فضة الخامس
ان يحنكه بتمرة او حلوة وروي ان اسماء رضي الله عنها انها قالت
ولدت عبد الله بن الزبير ثم اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم
فوضعته في حجره ثم دعا بتمرة فمضغها ثم تفل في فيه فكان اول شيء

مطلب كون الولد جزءا

مطلب الولادة

دخل في جوفه ريق رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم حنكه بتمرة ثم
دعا له وبرك عليه وكان اول مولود ولد في الاسلام الثاني عشر
في الطلاق وليعلم انه مباح ولكنه ابغض المباحات الى الله تعالى فليراع
فيه الاربعة امور الاول ان يطلقها في طهر لم يجامعها فيه الطلاق في الحيض
والطهر الذي جامع فيه بدعي حرام الثاني ان يقتصر على طلقة واحدة
فلا يجمع بين الثلاث لان الطلقة الواحدة بعد العدة يفيد المقصود
ويستفيد فيها الرجعة ان ندم في العدة من غير ان تنكح زوجا غيره و
اذا طلق ثلثا ربما ندم فيحتاج ان يزوجها محللا والثالث ان لا يفشي سرها
ويروي عن بعض الصالحين انه اراد طلاق امراة قيل له لم طلقتها قال ما لي
ولامراتي غيري فهذا ما على الزوج الفصل الثاني في بيان ما على الزوجة فقد
ورد في تعظيم حق الزوج عليها اخبار كثيرة قال صلى الله عليه وسلم ايما امراة
ماتت وزوجها راض عنها دخلت جنة ربها فاضاف صلى الله عليه وسلم طاعة
الزوج الى ما في الاسلام قالت عايشة رضي الله عنها اتت فتاة الى النبي صلى الله
عليه وسلم فقالت يا نبي الله ما حق الزوج على المراة قال كان من قرنه الى قدمه
صديد لحسته ما ادت حق زوجها وقال صلى الله عليه وسلم لو امرت احدا
ان يسجد لاحد لامرت ان تسجد المراة لزوجها من عظم حقه عليها ويقال
فضل الله الرجال على النساء بالعقل لان العقل عشرة اجزاء تسعة منها

للرجال و واحدة للنساء وقيل بالغزو والحج وشهود الجمعة والجماعات
وقيل باتمام الدين لان النساء ناقصات الدين بالنفاس والحيض و
قيل لجواز اربع نسوة ولا يجوز للنساء الا زوج واحد وقيل بالطلاق
وليس للنساء ان يطلقن لانفسهن وقيل بالميراث لقوله تعالى للذكر
مثل حظ الانثيين وقيل فضلوا بالشهادة لقوله تعالى فان لم يكونا رجلين
فرجل وامراتان وقال ابن عباس رضي الله عنهما اتت امراة من خثعم
الي رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت اني امراة ايم واريد ان
اتزوج فما حق الزوج فقال ان من حق الزوج علي الزوجة اذا ارادها
علي نفسه وهي علي ظهر بعير ان لا تمنعه ومن حقه ان لا تعطي شيئاً
من بيته الا باذنه فان فعلت كان الوزر عليها والاجر له ومن حقه
ان لا تخرج من بيته الا باذنه فان فعلت جاعت وعطشت ولم يقبل
منها ولعنتها الملائكة حتى ترجع الي بيتها او تتوب وروي ان رجلاً
علي عهد رسول الله صلي الله عليه وسلم خرج الي سفر وعهد الي امراته
ان لا تنزل من العلو الي السفل وكان ابوها في الاسفل فمرض فارسلت
المراة الي رسول الله صلي الله عليه وسلم تستاذن النزول الي ابيها
فقال رسول الله صلي الله عليه وسلم اطيعي زوجك فمات فاستاذنت
فقال اطيعي زوجك فمات فاستاذنت فقال اطيعي زوجك فدفن

ابوها فارسل رسول الله صلي الله عليه وسلم اليها فقال ان الله تعالي
غفر لابيها بطاعتها لزوجها قال الجنيد رحمة الله عليه جعل الله تعالي
نوحاً حجة علي المشايخ ويحيي بن زكريا حجة علي الشباب وعيسي بن مريم حجة
علي الفقراء وايوب حجة علي المرضا واهل البلاء ويوسف حجة علي العبيد
والاماء وسليمان حجة علي الملوك والاغنياء واسية حجة علي نساء
العالمين مدها زوجها فرعون بين اوتاد من حديد ومشط لحمها امشاط
من حديد وهي تقول رب ابن لي عندك بيتاً في الجنة ومن حقها حسن العشرة
مع زوجها وحفظ اداب المعاشرة معه كما روي ان اسماء ابن خارجة
قال لابنته انك خرجت من العش الذي كنت فيه درجت وصرت الي
سخط لم تعرفيه وقرن لم تالفيه فكوني له ارضا يكون لك سماء وكوني له
امة يكون لك عبداً لا تلحقي به فيقلاك ولا تباعدي عنه فينساك
ان دنا فاقربي منه وان نائ فابعدي واحفظي انفه وسمعه وبصره
وعينه ولا يشم منك الا حسناً ولا ينظر الا جميلاً تم كتاب النكاح والحمد لله
وحده وصلى الله علي سيدنا محمد واله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

كتاب اداب الكسب والمعاش

اعلم ان الله تعالى جعل
الاخرة دار الثواب والعقاب والدنيا دار المحن واضطراب والتشمر والاكتساب
وليس التشمر في الدنيا مقصوراً علي المعاد دون المعاش بل المعاش ذريعة

الي المعاد ومعين عليه فالناس ثلثة رجل شغله معاشه عن معاده فهو
من الهالكين ورجل شغله معاده عن معاشه فهو من الفايزين والاقرب
الي الاعتدال هو الثالث الذي شغله معاشه لمعاده فهو من المقتصدين و
لن ينال رتبة الاقتصاد مالم يلازم في طلب المعيشة منهج السداد ولن
ينتهض طلب الدنيا وسيله للاخرة وذريعة مالم يتادب في طلبها باداب
الشريعة وها نحن نورد ادابها وسننها في فصول **الفصل الاول**
في فضل الكسب قال الله تعالى وجعلنا النهار معاشا **وقال** واخرون
يضربون في الارض يبتغون من فضل الله **وقال** فانتشروا في الارض وابتغوا
من فضل الله **الاخبار** قال صلي الله عليه وسلم ان من الذنوب ذنوبا
لا يكفرها الا الهم في طلب المعيشة **وقال** من طلب الدنيا التاجر الصدوق
يحشر يوم القيمة مع الصديقين والشهدا **وقال** من طلب الدنيا حلالا
تعففا عن المسئلة وسعيا علي عياله وتعطفا علي جاره لقي الله ووجهه
كالقمر ليلة البدر **وقال** ان الله يحب المومن المحترف **وقال** عليه السلام
عليكم بالتجارة فانها تسعة اعشار الرزق **وروي** ان عيسي عليه السلام
راي رجلا فقال ما تصنع فقال اتعبد فقال من يعولك فقال اخي فقال
اخوك اعبد منك **الاثار** قال لقمان لابنه يا بني استعن بالكسب الحلال
عن الفقر فانه ما افتقر احد قط الا اصابه ثلث خصال رقة في دينه و

ذهاب في مروته واعظم من هذه الثلاثة استخفاف الناس به **وقال**
عمر رضي الله عنه لا يقعد احدكم عن طلب الرزق ويقول اللهم ارزقني فقد
علمتم ان السماء لا تمطر ذهبا ولا فضة **وقال** ابو قلابة لرجل لان اراك
تطلب معاشك احب الي من ان اراك في زاوية المسجد **وروي** ان الاوزاعي
لقي ابراهيم بن ادهم رحمهما الله علي عنقه حزمة حطب فقال له يا ابا اسحاق
الي متي هذا اخوانك يكفونك فقال دعني عن هذا يا ابا عمرو فانه قد بلغني
ان من وقف موقف مذلة في طلب الحلال خير له من ان يقف موقف مذلة
في السؤال فان قلت فقد قال صلي الله عليه وسلم ما اوحي الي ان اجمع
المال واكون من التاجرين ولكن اوحي الي ان سبح بحمد ربك وكن من
الساجدين **وقيل** لسلمان الفارسي رضي الله عنه اوصنا فقال من استطاع
منكم ان يموت حاجا او غازيا او عامرا المسجد ربه فليفعل ولا يموت
تاجرا ولا جانيا **فالجواب** فلسنا نقول ان التجارة افضل من كل شي ولكن
التجارة اما ان تطلب بها الكفاية او الثروة والزيادة علي الكفاية فان
طلب منها الزيادة علي الكفاية لاستكثار المال وادخار فهي مذمومة فان
كان مع ذلك جانيا فهو ظلم وفسق وهذا ما اراده سلمان رضي الله عنه
بقوله لا تموت فاجرا او جانيا واراد طلب الزيادة **واما** الاشتغال
بالكسب لتحصيل الكفاية فهو افضل **الفصل الثاني** في بيان الظلم والعدل

في المعاملة اعلم ان المعامل لا بد له من ترك الظلم في المعاملة واستعمال
العدل فيه وهذا الظلم يعني ما يستضر به الغير وهو منقسم الى ما يعم ضرره
والى ما يخص ضرره القسم الاول فيما يعم ضرره وهو نوعان احدهما الاحتكار
في الاقوات مطلقا فبايع الطعام ينتظر به غلآء الاسعار وهو ظلم عام
وصاحبه مذموم في الشرع قال صلى الله عليه وسلم من احتكر الطعام
اربعين يومًا فقد برئ من الله وبرئ الله منه وقيل فكانما قتل نفسًا
وعن علي رضي الله عنه من احتكر الطعام قسا قلبه وعنه انه حرق طعام
محتكر بالنار ويستحب ترك الاحتكار في الاقوات مطلقًا قال صلى الله
عليه وسلم من جلب طعامًا فباعه بسعر يومه فكانما تصدق به و
كذلك اوصى بعض التابعين رجلا وقال لا تسلم ولدك في بيعتين ولا
صنعتين بيع الطعام وبيع الاكفان فانه يتمنى الغلاء وموت الناس
والصنعتان ان يكون جزارا فانها صنعة تقسي القلب وصباغًا فانه
يزخرف الدنيا بالذهب والفضة النوع الثاني ترويج المزيف من الدراهم
في اثناء النقد فهو ظلم اذ يستضر به العامل ان لم يكن يعرف فيروجه على
غيره وكذلك الثالث والرابع ولا يزال يتردد في الايدي ويعم الضرر
ويشيع الفساد ويكون وزر الكل ووباله راجعًا اليه فانه الذي
فتح ذلك الباب قال صلى الله عليه وسلم من سن سنة حسنة

مطلب الصنعتان

مطلب ترويج الزيف

وان يعرف [?]

الحديث وقال بعضهم انفاق درهم زيف اشد من سرقة مائة درهم
لان السرقة معصية واحدة انقطعت وانفاق الزيف بدعة اظهرها
في الدين وسنة سيئة عملها من بعده فيكون عليه وزره بعد موته الى
مائة سنة ومائتي سنة الى ان يبقى ذلك الدرهم فطوبى لمن مات وماتت
ذنوبه معه والويل الطويل لمن يموت وتبقى ذنوبه مائة سنة يعذب بها
في قبره ويسال عنها الى آخر انقراضها قال الله تعالى ونكتب ما قدموا وآثارهم
اي نكتب ايضا ما اخروه من آثار اعمالهم كما نكتب ما قدموه وفي مثل قوله تعالى
ينبأ الانسان يومئذ بما قدم واخر اي آثار اعماله من سنة سيئة عمل بها غيره
القسم الثاني ما يخص ضرر المعامل وكل من يستضر به المعامل فهو ظالم وانما
العدل ان لا يضر باخيه المسلم وضابط ذلك ان لا يحب لمعامليه الا ما يحب
لنفسه فكل ما لو عومل به لشق عليه وثقل على قلبه فينبغي ان لا يعامل به
غيره ويتضح ذلك بمراعاة ثلاثة اشياء احدها ان لا يروج سلعته بالثناء
عليها او باليمين اما الثناء فمكروه فان وصفها بما ليس فيها فهو كذب فويل
يومئذ للمكذبين وان وصفها واثنى عليها بما فيها فهو هذيان وتكلم بكلام
لا يعنيه وهو محاسب على كل كلمة تصدر منه ما يلفظ من قول الا لديه
رقيب عتيد واما اليمين فمكروه ايضًا ولا ينبغي ان يحلف عليها البتة
فانه ان كان كاذبًا فقد جاء باليمين الغموس وهو من الكباير التي تذر

الدنيا ربلا نفع وان كان صادقا فقد جعل الله عرضة لايمانه وقد اساء
فيه الادب اذ الدنيا اقل واخس من ان يقصد ترويجها بذكر اسم الله تعالى
من غير ضرورة واذا كان الثناء علي السلعة مع الصدق مكروها فكيف
مع الكذب والثاني ان يظهر جميع عيوبها ولا يكتم منها شيئا فذلك
واجب عليه فان اخفاه كان ظالما غاشا والغش حرام ويدل عليه ماروي
انه عليه السلام مر برجل يبيع طعاما فاعجب فادخل يده فراى بللا فقال
ما هذا فقال اصابته السماء فقال فهلا جعلته فوق الطعام حتى يراه
الناس من غشنا فليس منا وروي عن شقيق البلخي رحمة الله عليه انه
قال كان لابي حنيفة رحمه الله شريك في التجارة يقال له بشر فبعث اليه
ابو حنيفة سبعين ثوبا من ثياب الخز وكتب اليه ان في هذا الثوب
لثوبا فيه عيب بعلامة كذا فاذا بعته فبين العيب للمشتري قال فباع
بشر الثياب كلها ورجع الي الكوفة فقال له ابو حنيفة رحمه الله عليه
هل بينت ذلك العيب الذي كان في ثوب كذا قال نسيت ذلك ولم ابينه
فتصدق ابو حنيفة بجميع ما اتى به وكان نصيبه ثلاثين الف درهم
قال دخلت فيه شبهة فلا حاجة لي فيه قال صلى الله عليه وسلم
يد الله على الشريكين ما لم يتخاونا فاذا تخاونا رفع يده فاذا لا يزيد
مال من خيانة كما لا ينقص من صدقة بل الخيانة تمحقه وتذهب بركته

مطلب تقوى ابو حنيفة رح

وما يجمعه

ومايجمعه من مفرقات التلبيسات يهلكه الله دفعة واحدة وقد حكي
ان واحدا كان له بقرة يحلبها ويخلط بلبنها الماء ويبيع فجاء سيل فغرقت
البقرة فقال له بعض اولاده ان تلك المياه المتفرقة التي صببناها في اللبن
اجتمعت دفعة واخذت البقرة وفي الحديث البياعان اذا صدقا و
نصحا بورك لهما واذا كذبا وكتما نزعت بركة بيعهما والثالث ان يحتاط
في الميزان والكيل كما يكتال قال الله تعالى ويل للمطففين الآية ولا يتخلص
هذا الا بان يرجح اذا اعطي وينقص اذا اخذ اذ العدل الحقيقي قلما يتصور
فليستظهر بظهور الزيادة والنقصان فان من استقصى حقه بكماله
يوشك ان يتعداه وكان بعضهم يقول اني لا اشتري الويل من الله بحبة
اي عذاب الشديد
فكان اذا اخذ نقص نصف حبة واذا اعطي زاد حبة ويقول ويل لمن يبيع
مشتريا بايع
بحبة جنة وما اخسر من باع طوبي بويل لهذا نظر فضيل الى ابنه وهو يغسل
دينارا يريد ان يصرفه ويزيل تكحيله وينقيه حتى لا يزيد وزنه بسببه
فقال يا بني فعلك هذا افضل من حجتين قال بعض السلف عجبت للتاجر
والبايع كيف ينجو يزن ويحلف بالنهار وينام بالليل هذا بيان الظلم
والعدل في المعاملة الفصل الثالث في بيان الاحسان فيها اعلم
ان المتدين لا ينبغي ان يقتصر علي العدل واجتناب الظلم ويحرم عن فضايل
الاحسان جميعا وقال ان الله يامر بالعدل والاحسان والعدل سبب

النجاة فقط والاحسان سبب الفوز ونيل السعادة ولا تنال رتبة الاحسان
في المعاملة الا بمراعاة امور خمسة الاول احتمال الغبن للمشتري ان اشترى
طعاما من ضعيف او شيئا من فقير فلا باس ان يحتمل الغبن ويتساهل ويكون به
محسنا فالكمال في ان لا يغبن ولا يغبن الثاني في استيفاء الثمن وساير
الديون والاحسان فيه مرة بالمسامحة وحط البعض ومرة بالامهال والتاخير
ومرة في طلب جودة وكل ذلك مندوب اليه ومحثوث عليه قال صلى الله عليه وسلم
رحم الله سهل البيع سهل الشرى سهل القضاء سهل الاقتضاء فليغتنم
دعاء رسول الله صلى الله عليه وسلم اشح يسمح ذلك الثالث توفية
الدين ومن الاحسان فيه حسن القضاء وذلك بان يمشي الى صاحب
الحق ولا يكلفه الى ان يمشي اليه بتقاضاه فقد قال صلى الله عليه وسلم
خيركم احسنكم قضاء ومهما قدر على قضاء الدين فليبادر اليه ولو قبل
وقته وليسلم اجود مما شرط عليه واحسن وان عجز فلينو قضاءه مهما
قدر قال صلى الله عليه وسلم من ادان دينا وهو ينوي قضاءه وكل
به ملائكة يحفظونه ويدعون له وتقضيه لهذا كان جماعة من الصحابة
يستقرضون من غير حاجة الرابع ان يقيل من يستقيله فانه لا يستقيل
الا مندم مستضر بالبيع فلا ينبغي ان يرضى لنفسه ان يكون سبب استضرار
اخيه قال صلى الله عليه وسلم من اقال نادما صفقته اقاله الله

تعالى

تعالى يوم القيمة عثرته الخامس ان يقصد في معاملته جماعة
بالسيئة وهو في الحال عازم على ان لا يطالبهم ان لم تظهر لهم ميسرة

الفصل الرابع في شفقة التاجر على دينه اعلم ان التاجر لا ينبغي له
ان يشغله معاشه عن معاده فيكون عمره ضايعا وصفقته خاسرة
وما يفوته من الربح في الاخرة لا يفي به ما يناله في الدنيا بل العاقل ينبغي له
ان يشفق على نفسه وشفقته على نفسه بحفظ راس ماله دينه وتجارته
فيه قال بعض السلف اولى الاشياء بالعاقل احوجه اليه في العاجل
واحوج شيء اليه في العاجل احمده عاقبة في الاجل وقال معاذ بن جبل رضي
الله عنه في وصيته انه لا بد لك من نصيبك من الدنيا وانت الى نصيبك
من الاخرة احوج فابدا بنصيبك من الاخرة فخذه قال الله تعالى ولا تنس
نصيبك من الدنيا اي لا تنس نصيبك منها للاخرة وانما شفقة التاجر
على دينه بمراعاة سبعة امور الاول حسن النية والعقيدة في ابتداء
التجارة فلينو به الاستعفاف عن السؤال وكف الطمع عن الناس والاستغناء
بكسبه على الدين والقيام بكفاية العيال ليكون من جملة المجاهدين
وروي انه صلى الله عليه وسلم كان جالسا مع اصحابه ذات يوم
فنظروا الى شاب ذي جلد وقوة وقد بكر يسعى فقالوا ويح هذا لو كان
شبابه وجلده في سبيل الله فقال صلى الله عليه وسلم لا تقولوا هذا

فانه ان كان يسعي علي نفسه ليكفها عن المسئلة ويغنيها عن الناس فهو
في سبيل ~~الشيطان الثاني ان يقصد القيام~~ الله وان كان يسعي علي ذرية
ضعاف ليغنيهم ويكفهم في سبيل الله وان كان يسعي تفاخرا وتكاثرا
فهو في سبيل الشيطان الثاني ان يقصد القيام في صنعته او في تجارته
بفرض من فروض الكفايات فان الصناعات والتجارات لو تركت المعاش
وهلك الخلق فانتظام امر الكل بتعاون الكل ولو اقبل كلهم علي صنعة واحدة
لتعطلت البواقي ومن الصناعات ما هي مهمة ومنها لا يستغني عنها الرجوعها
الي طلب التنعم والتزين فيشتغل بصناعات مهمة ليكون في قيامه بها
كافيا عن المسلمين مهما في الدين وليجتنب صناعة النقش والصياغة
وتشييد البنيان بالجص وجميع ما وضع ليزخرف بها الدنيا كرهه
ذووا الدين فاما عمل الملاهي والالات التي يحرم استعمالها فاجتناب
ذلك من قبيل ترك الظلم من جملة ذلك خياطة الخياط القباء من الابريسم
للرجال وصياغة الصايغ مراكب الذهب وخواتيم الذهب للرجال فكل
ذلك من المعاصي والاجرة الماخوذة عليه حرام ويكره ان يكون جزارا
لما فيه من قساوة القلب وان يكون حجاما او كناسا لما فيه من مخامرة النجاسات
وكذا الدباغ وما معناه وكره ابيع شراء الحيوان لان المشتري يكره قضاء
الله فيه وهو الموت الذي هو بصدده لا محالة واستحبوا تجارة البز

مطلب لحرمة الحياكة

وقد روي خير تجارتكم البز وخير صناعتكم الخرز وفي حديث آخر لو تجر اهل
الجنة لاتجروا في البز ولو اتجر اهل النار لاتجروا في الصرف قيل التجارة مستحبة
والحياكة تركها اولي **روي** ان مريم عليها السلام مرت في طلب عيسي
عليه السلام بحاكة فطلبت الطريق فارشدوها الي غيره فقالت اللهم انزع
البركة عن كسبهم وامتهم فقراء وحقرهم في اعين الناس فاستجاب الله
دعاها **قيل** اربعة من الصناع هو سومون يضعف الراي الحاكة والقطانون
والغازليون والمعلمون ولعل ذلك لان اكثر مخالطتهم مع النساء والصبيان
ومخالطة ضعفاء العقول يضعف العقل كما ان مخالطة العقلاء يزيد
في العقل الثالث ان لا يمنعه سوق الدنيا عن سوق الاخرة واسواق
الاخرة المساجد فينبغي ان يجعل اول النهار واخره الاخرته والوسط
للتجارة **وفي الخبر** ان الملائكة اذا صعدت بصحيفة العبد في اول النهار
وفي آخره ذكر وخير كفي الله عنه ما بينهما من سيء الاعمال الرابع ان لا يقتصر
علي هذا بل يلازم علي ذكر الله تعالى في السوق ويشتغل بذكره في السوق
وفي كل موضع **قال** الحسن رضي الله عنه من استغفر الله في السوق غفر الله
له بعد داهلها **وكان** عمر رضي الله عنه اذا دخل السوق يقول اللهم
اني اعوذبك من الكفر والفسوق ومن شر ما احاطت به السوق اللهم اني
اعوذبك من يمين فاجرة وصفقة خاسرة الخامس ان لا يكون شديد الحرص

نون

علي السوق والتجارة وذلك بان يكون اول داخل وآخر خارج منه وفي
الخبر شر البقاع الاسواق وشر الناس اهلها وشر اهلها اولهم دخولا وآخرهم
خروجا السادس ان لا يقتصر علي اجتناب الحرام بل يتقي مواقع الشبهة
ومظان الريب ولا ينظر الي الفتاوي بل يستفتي قلبه فما وجد فيه
حزازة اجتنبه فالواجب عليه ان ينظر الي من يعامله فكل منسوب الي
ظلم او سرقة او خيانة او ربوا فلا يعامله السابع ان يقارب جميع
مجاري معاملته مع كل واحد من معامليه فانه مراقب ومحاسب فليعد
الجواب ليوم الحساب وفي الخبر يوقف التاجر يوم القيمة مع كل واحد
فيحاسب علي عدد من يعامله تم كتاب الكسب والمعاش بحمد الله وعونه

كتاب الحلال والحرام اعلم ان رسول الله
صلي الله عليه وسلم قال طلب الحلال فريضة علي كل مسلم وهذه الفريضة
من بين ساير الحرام اغمضها علي العقول واثقلها علي الجوارح فعلا و
لذلك اندرس بالكلية علما وعملا وصار غموض علمه سببا لاندراس
علمه اذا ظن الجهال ان الحلال مفقود وان السبيل دون الوصول اليه
مسدود وانه لم يبق من الطيبات الا الماء الفرات والحشيش
والنبات وما عداه فهو حرام اذ اخبثته الايدي العادية وافسدته
(اى اليد المجاوزة عن الحق)
المعاملات الفاسدة واذا تعذرت القناعة بالحشيش والنبات لم

يبق وجه سوي الاتساع في المحرمات فرضوا هذا القطب من العيني اصلا
الامور فرقا وفصلا وهيهات فالحلال بين والحرام بين وبينهما امور
مشتبهات ولا تزال هذه الثلاثة مقترنات كيف ما تقلبت الحالات ولما
كانت هذه البدعة عم في الدين ضررها واستطار في الخلق شررها وجب كشف
الغطاء عن فسادها بالارشاد الي مدرك الفرق بين الحلال والحرام والشبه
ونحن نوضح ذلك في ابواب الباب الاول في فضيلة طلب الحلال
ومذمة الحرام اما درجات الحلال والحرام فضيلة الحلال ومذمة اصناف
الحلال والحرام فقد قال الله تعالي يا ايها الذين امنوا كلوا من الطيبات واعملوا
صالحا امر بالاكل من الطيبات قبل العمل والمراد بها الحلال وقال صلي
الله عليه وسلم من اكل الحلال اربعين يوما نور الله قلبه واجري ينابيع
الحكمة من قلبه علي لسانه وروي ان سعدا سال رسول الله صلي الله عليه
وسلم ان يسال الله تعالي ان يجعله مجاب الدعوة فقال له اطب طعمتك
يستجب دعوتك قال من اكل حراما لم يقبل منه صرف ولا عدل يعني فرضا
ونفلا وقال كل لحم نبت بالحرام فالنار اولي به وقال من لم يبال من اين
اكتسب المال لم يبال الله من اين ادخله النار وقال العبادة عشرة
اجزاء تسعة منها في طلب الحلال الاثار روي ان الصديق رضي الله
عنه شرب لبنا من كسب عبده ثم سال عبده فقال تكهنت لقوم فاعطوني

فادخله اصبعه في فيه وجعل يقيء حتى ظننت ان نفسه سيخرج ثم قال
اللهم اعتذر اليك مما حملت العروق وخالط الامعاء وقال عبد الله
بن عمر رضي الله عنهما لو صليتم حتى تكونوا كالحنايا وصمتم حتى تكونوا
كالاوتار ما يقبل منكم الا بورع حاجز وقال ابن المبارك رحمة الله عليه
رد درهم من شبهة احب الي من ان اتصدق بمائة الف وقال سهل رحمة الله
عليه ومن اكل الحرام اطاعت جوارحه وفقت للخيرات وكان
بشر الحافي من الورعين فقيل له من اين تاكل فقال من حيث تاكلون
ولكن ليس من ياكل وهو يبكي كمن ياكل وهو يضحك وقال يد اقصر من يد
من لقمة اصغر من لقمة وقال سفيان الثوري رحمة الله عليه من انفق
من الحرام في طاعة الله كان كمن طهر الثوب بالبول والثوب لا يطهر
الا بالماء والذنب لا يكفره الا الحلال واما اصناف الحلال
فاعلم ان المال انما يحرم اما لمعنى في عينه او لخلل في وجه اكتسا
الاول الحرام لصفة في عينه كالخمر والخنزير وغيرهما وتفصيله
ان الاعيان الماكولة على وجه الارض لا تعدو ثلاثة اقسام
فانها اما ان يكون من المعادن كالملح والطين وغيرهما او من
النبات او من الحيوان فاما المعادن فهي اجزاء الارض ومن جميع
ما يخرج منها فلا يحرم اكله الا من حيث ما يصير به محرما واما

النبات فلا يحرم منها الا ما يزيل العقل او يزيل الصحة او الحيوة فمزيل
العقل البنج والخمر وساير المسكرات ومزيل الحيوة السموم ومزيل الصحة
الادوية في غير وقتها واما الحيوانات تنقسم الى ماكول والى غير ماكول
وتفصيله يذكر في كتاب الاطعمة انشاء الله تعالى القسم الثاني ما يحرم
بخلل في جهة اكتسابه وفيه يتسع النظر ويرجع حاصله الى ستة اقسام
الاول ما لا يوخذ من مالك كنيل المعادن واحياء الموات والاصطياد
والاحتطاب والاحتشاش والاستسقاء من الانهار فهذا حلال بشرط
ان لا يكون الماخوذ مختصا بذي حرمة من الادميين وتفصيل ذلك في
كتاب احياء الموات الثاني الماخوذ قهرا من لا حرمة له وهي الفيء والغنيمة
وساير اموال الكفار المحاربين وذلك حلال وتفصيل ذلك في كتاب السير
الثالث ما يوخذ قهرا باستحقاق عند امتناع من عليه فيوخذ دون رضاه
وذلك حلال اذا اقتصر على القدر المستحق الرابع ما يوخذ تراضيا بمعاوضة
وذلك حلال اذا روعي بشرط العوضين وشرط اللفظين اعني الايجاب
والقبول وبيان ذلك في كتاب البيع والسلم والاجارة وساير المعاوضات
الخامس ما يوخذ بالرضا من غير عوض وهو حلال وذلك مذكور في كتاب
الهبات السادس ما يحصل بغير اختيار كالميراث وهو حلال ولكن
اذا كان الموروث قد اكتسبه من وجه حلال ثم كان ذلك بعد قضاء

الدين وتنفيذ الوصايا وتعديل القسمة بين الورثة واخراج الزكوة
والحج والكفارة ان كان واجبا وذلك مذكور في كتاب الوصايا فهذه مجامع
مداخل الحلال اومانا الي جملتها **واما درجات** الحلال والحرام
فاعلم ان الحرام كله خبيث ولكن بعضه اخبث من بعض والحلال
كله طيب ولكن بعضه اطيب من بعض كما ان الطبيب يحكم على كل حلو
بالحرارة ولكن يقول بعضها حار في الدرجة الاولي كالسكر وبعضها
في الثانية كالفانيذ وبعضها في الثالثة كالدبس وبعضها في الرابعة كا
لعسل فكذلك الحرام بعضه خبيث في الاولي وبعضه في الثانية وبعضه
في الثالثة او الرابعة وكذا الحلال فكذلك نقول الورع عن الحرام علي اربع
درجات الاولي ورع العدل وهو الذي يجب الفسق باقتحامه وتسقط
العدالة ويثبت اسم العصيان والتعرض للنار بسببه وهو الورع عن
كل ما يحرمه فتاوي الفقهاء فلا يحتاج الي امثلة وشواهد الثانية ورع
الصالحين وهو الامتناع عن ما يتطرق اليه احتمال التحريم ولكن المفتي
يرخص في التناول بناء علي الظاهر فهو من مواقع الشبهة لا نوجب اجتنابها
ولكن يستحب اجتنابها كما سيأتي في باب الشبهات اذ من الشبهات ما
يجب اجتنابها فليلتحق بالحرام ومنها ما يكره اجتنابها فالورع عنه
ورع الموسوسين كمن يمنع عن الاصطياد خوفا من ان يكون الصيد قد

مطلب الحلال

افلت من انسان اخذه هذا وسواس ومنها ما يستحب ولا نوجب وهو
الذي ينزل عليه قوله عليه السلام دع ما يريبك الي ما لا يريبك ونحمله
الي نهي التنزيه وكذلك قوله ما اصميت ودع ما انميت والانماء ان يجرح
الصيد فيغيب عنه ثم يدركه ميتا اذ يحتمل انه مات بسقطة او بسبب آخر
فهو ليس بحرام ولكن تركه اولي وقوله دع امر تنزيه اذ ورد في بعض
الروايات كل منه وان غاب عنك لم تجد فيه اثرا غير سهمك فكل ما هو شبهة
ولا يجب اجتنابه فهو مثال هذه الدرجة الثالثة ورع المتقين وهو ما
لا يحرمه الفتوي ولا شبهة في حله ولكن يخاف من اداية الي محرم وهو
ترك ما لا باس به مخافة ما به باس فيستشهد عليها قوله صلي الله عليه وسلم
ولا يبلغ العبد درجة المتقين حتي يدع ما لا باس به لما به باس **وقال**
عمر رضي الله عنه كنا ندع تسعة اعشار الحلال مخافة ان تقع في الحرام
وقال ابو الدرداء رضي الله عنه ان من تمام التقوي ان يتقي العبد في
مثقال ذرة لهذا اخذ عمر بن عبد العزيز انفه حين وزن المسك من الغنيمة
وقال فيه حق المسلمين واخذ الحسن بن علي رضي الله عنهما تمرة من الصدقة
وكان صغيرا فقال عليه السلام القها **وروي** عن حمدون القصار انه
كان عند محتضر رحمهما الله فمات ليلا فقال اطفئوا السراج فقد حدث
للورثة حق في الدهن **وسئل** احمد بن حنبل رحمة الله عليه عن رجل

في المسجد يحمل مجمرة لبعض السلاطين ويبخر بالعود فقال ينبغي الخروج
من المسجد وروي ان عمر رضي الله عنه لما ولي الخلافة كان له
زوجة يحبها فطلقها خيفة ان تشير عليه بشفاعة في باطل
فيطيعها ويعصي الله وهذا من ترك ما لا باس به حما به باس اي
مخافة ان يفضي اليه واكثر المباحات داعية الي المحظورات حتي
استكثار الاكل واستعمال الطيب للمتعزب فانه يحرك الشهوة وهي تدعو
الي الفكر والي النظر والي غيره وكره السلف رحمهم الله الثوب الرقيق
وقالوا من رق ثوبه رق دينه فان التقوي منزلة تفوت بفوات
ورع المتقين وليس المراد به انه يستحق العقوبة علي فعلها الرابعة
ورع الصديقين وهو ما لا باس اصلا ولا يخاف منه انه يودي الي ما به
باس ولكنه يتناول لغير الله ولا علي نية التقوي علي عبادة الله تعالي
او يتطرق الي اسبابه المسهلة له كراهية ومعصية والامتناع منه
ورع الصديقين فالحلال عندهم المطلق كل ما لا يتقدم في اسباب
معصية ولا يستعان به علي معصية ولا يقصد به في الحال
والمال قضاء وطر بل يتناول لله تعالي وللتقوي علي عبادته واستبقاء
الحيوة لاجله وهؤلاء هم الذين يرون كل ما ليس لله حراما امتثالا
لقوله تعالي قل هو الله ثم ذرهم في خوضهم يلعبون ولا شك في ان

مطلب الورع

من يتورع عما يوصل به الي معصية او يستعان عليه بمعصية فيتورع
عما يفترون بسبب معصية او كراهية ومن ذلك ما روي عن ذي
النون المصري رحمة الله عليه انه كان جايعا محبوسا فبعث اليه
رجل صالح طعاما علي يد السجان فلم ياكل وان بشرا رحمة الله عليه
كان لا يشرب الماء من الانهار التي حفرها الامراء وان كان الماء
مباحا في نفسه فيكون المنتفع بالنهر المحفور باعمال الاجراء وقد
اعطيت اجرتهم من الحرام وكذلك امتنع بعضهم من العنب الحلال
من الكرم الحلال الذي سقي من ماء النهر يجري في النهر الذي حفرته
الظلمة وامتناع ذي النون من يد السجان اعظم من هذا كله لان
يد السجان لا يوصف بانه حرام بخلاف الطبق المغصوب اذا حمل اليه
ولكن وصل اليه بقوة اكتسبت بالغذاء الحرام فهذه دقايق الورع فكلما
كان العبد اشد تشديدا علي نفسه كان اخف ظهرا يوم القيمة واسرع
جوازا علي ظهر الصراط واذا علمت حقيقة الامر فاليك الخيرة فان شئت
فاستكثر من الاحتياط وان شئت فترخص والسلام الباب الثاني
في مراتب الشبهات ومثاراتها وتميزها عن الحلال والحرام قال رسول الله
صلي الله عليه وسلم الحلال بين والحرام بين وبينهما امور مشتبهات
لا يعلمها كثير من الناس فمن اتقي الشبهات فقد استبرا لدينه وعرضه

ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام كالراعي يرعى حول الحمى يوشك ان يقع
فيه فهذ الحديث نصٌ في اثبات الاقسام الثلاثة والمشكل منها القسم
المتوسط الذي لا يعرفه كثير من الناس وهو الشبهة فلا بدّ من بيانها
وكشف الغطاء عنها فنقول الحلال المطلق هو الذي انحلّ عن ذاته الصفات
الموجبة للتحريم في عينه وانحلّ عن اسبابه ما يتطرق اليه تحريم او
كراهية ومثاله الماء الذي يأخذه الانسان من المطر قبل ان يقع على
ملك احد ويكون هو واقفًا عند اخذه وجمعه من الهواء في ملك نفسه
او في ارض مباحة والحرام المحض ما فيه صفة محرّمة لا شك فيها كالشدة
في الخمر والنجاسة والبول وحصل بسبب منهي عنه قطعًا كالمحصل من
الادلة وهي امّا ان تكون لتعارض ادلة الشرع او لتعارض العلامة
الدالة او لتعارض المشابه امّا تعارض ادلة الشرع فكتعارض العمومين
من القرآن الكريم او السنة او تعارض قياسين او تعارض قياس وعموم
وكل يورث الشك ويرجع فيه الى الاستصحاب والاصل المعلوم قبله
ان لم يكن ترجيح فان ظهر ترجيح في جانب الحظر وجب الاخذ به وان ظهر في
جانب الحل جاز الاخذ به ولكن الورع تركه وينقسم هذا ايضا ثلث مراتب
الاولى الورع عن فريسة الكلب المعلم اذا اكل منها وان افتى المفتي بانه
حلال لان الترجيح فيه غامض ومن ذلك الورع عن متروك التسمية

مطلب الحلال المحض

الثانية درجة الوسواس ان يتورع الانسان عن اكل الجنين الذي يصادف
في بطن الحيوان المذبوح وعن الضب وقد صح في الاخبار وحديث
الجنين وان ذكاته ذكاة امه الثالثة ان لا يشتهر في المسئلة خلاف
اصلا ولكن يكون الحل معلومًا بخبر الواحد فقد اختلف الناس في خبر
الواحد واما تعارض العلامات الدالة على الحل والحرمة وكما يرى مثلا
في يد رجل صالح في زمن النهب من نوع المتاع فيدل صلاحه على انه
حلال ويدل نوع المتاع من عين المنهوب على انه حرام فتعارض الامر
كذلك يخبر عدل بانه حرام واخبر آخر بانه حلال او تعارض شهادة
فاسقين او قول صبي وبالغ فان ظهر ترجيح حكم به والورع الاجتناب
وان لم يظهر الترجيح وجب التوقف واما تعارض الاشتباه في الصفات
التي بها تناط الاحكام فمثاله ان يوصي بماله الى الفقهاء فنعلم ان الفاضل
في الفقه داخل فيه وان الذي ابتداء التعلم منذ يوم او شهر لا يدخل وبينهما
درجات لا تحصى يقع الشك فيها فالمفتي يفتي بحسب الظن والورع الاجتناب
وكذلك الصدقات المصروفة الى المحتاجين فان من لا شيء له معلوم محتاج
ومن له مال كثير معلوم انه غني ويتصدى مسائل غامضة كمن له دار
واثاث وثياب وكتاب فان قدر الحاجة منه لا يمنع صرف الزكوة اليه و
الفاضل يمنع والحاجة ليست محدودة فالوجه في مثل هذا ما قاله صلى الله

عليه وسلم دع ما يريبك الى ما لا يريبك وكل ذلك محل الريب والريب اهم
مواضع الورع **ويقال** في الزبور ان الله اوحى الى داود عليه السلام
قل لبني اسرائيل اني لا انظر الى صلوتكم ولا الى صيامكم ولكن انظر الى من شك
في شيء فتركه لاجلي فذلك الذي اؤيده بنصري واباهي به ملائكتي

الباب الثالث في البحث والسؤال وبيان كيفية خروج التائب من المظالم المالية وبيان حكم الارادات

الفصل الاول في بيان البحث والسؤال

اعلم ان كل من قدم اليك طعام او هدية او اردت ان تشتري منه
او تتهب فليس لك ان تفتش عنه وتسال وليس لك ايضا ان تترك
البحث فتاخذ كل ما لا تتيقن تحريمه بل السؤال واجب مرة وحرام مرة ومندوب
مرة ومكروه مرة فلابد من تفصيله والقول الشافي فيه وهو ان مظنة
السؤال مواقع الريبة ومنشاؤها اما امر يتعلق بالمال واما
امر يتعلق بصاحب المال **المثار الاول** احوال المالك وهي على ثلث مراتب
احدها ان يكون مجهولا والثاني ان يكون مشكوكا والثالث ان يكون
معلوما الحالة الاولى ان يكون مجهولا وهو الذي ليس معه قرينة تدل على
فساده وظلمه كزي الاجناد وما يدل على صلاحه كثياب اهل التصوف
والعلم والتجارة وغيره من المعاملات فاذا دخلت قرية لا تعرفها فرايت
رجلا لا تعرف من حاله شيئا ولا عليه علامة تنسبه الى اهل الصلاح

او الفساد فهو مجهول واذا دخلت بلدة غريبا ودخلت سوقا ووجدت
رجلا خبازا او قصابا او غيرهما او علامة تدل على كونه مرابيا او خائنا
ولا ما يدل على نفيه فهذا مجهول لا تدري حاله لحكم هذه الحالة ان المجهول
ان قدم اليك طعاما او حمل اليك هدية او اردت ان تشتري من دكانه
شيئا فلا يلزمك السؤال بل يده وكونه مسلما دلالتان كافيتان في الهجوم
على اخذه وليس لك ان تسال الحالة الثانية ان يكون مشكوكا بسبب
دلالة اورثت ريبة فلنذكر صورة ثم حكمه اما الصورة فهو ان يدل على
تحريم ما في يده دلالة اما من خلقته او من صورته وثيابه او من فعله
وقوله اما الخلقة فان يكون على خلقة الاتراك والبوادي والمعروفين
بالظلم وقطع الطريق وان يكون طويل الشارب وان يكون الشعر مفرقا
على راسه على دأب اهل الفساد واما الثياب فالقباء والقلنسوة وزي اهل
الفساد والظلم واما الفعل والقول فهو ان يشاهد منه الاقدام على
ما لا يحل فانه يدل على انه يتساهل ايضا في المال ويأخذ ما لا يحل فهذه
مواضع الريبة فالحكم فيها قوله صلى الله عليه وسلم دع ما يريبك الى ما
لا يريبك فاذا اراد ان يشتري شيئا في مثل هذا او يأخذ منه هدية او
يجيبه الى ضيافة وهو غريب مجهول عنده لم يظهر له منه الا هذه
العلامات فيحتمل ان يقال اليد تدل على الملك وهذه الدلالات ضعيفة

فالاقدام جاير والترك من الورع لانه قال صلى الله عليه وسلم دع
ما يريبك فظاهر امر وان كان يحتمل الاستحباب الحالة الثالثة ان
يكون معلومة بنوع خبرة وممارسة بحيث يوجب ذلك في حل المال و
حرمته
حرمة مثل ان تعرف صلاح الرجل وديانته في الظاهر وجواز ان يكون
في الباطن بخلافه فههنا لا يجب السؤال ولا يجوز كما في المجهول بل الاولى
الاقدام ههنا ابعد من الشبهة من الاقدام على طعام المجهول فان ذلك
بعيد عن الورع وان لم يكن حراما واما اكل طعام اهل الصلاح فدأب
الانبياء والاولياء عليهم السلام واما اذا علم بالخبرة انه جندي او
مغن او مشرب فاستغنى عن الاستدلال عليه بالهيئة والثياب فههنا
السؤال واجب لا محالة كما في موضع الريبة اولى المثار الثاني احوال
المال وذلك بان يختلط الحلال بالحرام مثل ان يطرح في السوق احمال من
طعام غصب واشتراها اهل السوق فليس يجب على من يشتري من ذلك
السوق ان يسال عما يشتريه الا اذا غلب المغصوب فعند ذلك يجب
السؤال فاياما كان الورع السؤال فان قيل روي ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قدم اليه لبن فسأل عنه فقيل انه من شاة فسئل عن الشاة
من اين هي فذكر له ذلك فتوكث فنحن هل يجب علينا السؤال عن اصل المال
وان وجب فعن اصل واصول قلنا الاعتبار بما يقع الريبة التي

حملت على السؤال سواء اصلا او اصولا فان قيل شخص له ادرار من ظالم او له
تجارة من تجارة فهل تحل معاملته قلنا ان كان اكثر امواله حراما لم يحل معا ملته
الا فيما يعلم انه حلال وان كان الاقل حراما كان موجبا عنه وقع الاشتباه
فان كانت امواله قليلة فمعاملته كالقسم الذي قبله وان احتمل ان يكون
الحرام قد خرج من يده فالورع الاجتناب وهل يجب فيه نظر الفصل
الثاني في بيان كيفية خروج التايب من المظالم المالية فهو ان نعلم
ان من كان في يده من المظالم مال مختلط فعليه وظيفتان الاولى
التمييز والاخراج قبل ان يتصرف في الباقي وطريق التمييز ان كان المختلط
من ذوات الامثال كالحبوب والادهان والنقود بالنسبة كالثلث
والربع على ما يقتضيه الحساب فان جهل المقدار لزمه اخراج المتيقن
ويعمل في الباقي بغلبة الظن فان لم يكن ظن الورع اخرجه قيل بل
هو واجب وان قال صاحب الحق لا اخذ الا عين مالي قام الحاكم مقامه فان
تعذر الحاكم تنزه هو بنفسه وان كان المختلط ليس من ذوات الامثال
كالعبيد والعقار فلا بد من معاوضته مع المستحق او القاضي بخلاف
ما ذكرنا في ذوات الامثال تقع قصاصا في الاتلافات وهذا موضع ضرورة
ولا غير كذلك ذوات الامثال فان قيل فلم لا تجوز له فيما اذا اختلطت
ميتة بتسع مذكات ان يخرج واحدة ويتصرف في الباقي كما قلتم

فيما اذا اختلط درهم بعشرة من الحلال قلنا لان الدرهم له بدل فالمخرج
اما ان يكون عين الحق او بدله للضرورة والميتة لا بدل لها **تنبيه**
لا تصح التوبة عن المغصوب مالم يرد اجرة مثله لشدة الغصب وزوايد
الحادثة عنده وارباحه الحاصلة من التصرف في عينه **الوظيفة الثا**
نية صرف المخرج الى مستحقه فان كان معينا سلمه اليه فان مات فالى
وارثه وان غاب انتظر قدومه وان كان غير معين ووقع الاياس من
معرفته وحيوته وموته وورثته او تعذر الرد لكثرة الملاك كغلول
الغنيمة بعد تفريق الجيش وربح التصاريف المتكررة بالمال المغصوب
لزمه ان يتصدق هو به ما عداه الخمس فاما الخمس فيصرفه في مصارفه
وان كان مرصدا للمسلمين فيخرج في المصالح ويتولى ذلك ان كان امينا والاحكم
امينا عالما فان لم يكن تولاه هو بنفسه فان قيل كيف يجوز بمال الغير وقد
حرمه جماعة من السلف وقالوا لا نتصدق الا بالطيب ولا نرضى لغيرنا
ما لا نرضاه لانفسنا قلنا دليل الجواز ان النبي صلى الله عليه وسلم تصدق
بالشاة التي قدمت اليه فاخبرته انه حرام والمعنى فيه ان هذا المال مردود
بين ان يضيع وبين ان يصرف الى خير ولا شك ان الثاني اولى وقولهم
كيف يتصدق مال الغير قلنا للضرورة والاستبعاد في حصول الثواب
للمالك من غير قصد منه فقد جاء في الخبر الصحيح ان للزراع والغارس

اجرا في كل ما يصيبه الناس والطيور من ثمارة وقولهم ولا يتصدق الا
بالطيب قلنا بهذا طيب بالنسبة الى الفقير لحاجته وغير طيب بالنسبة
الى الغاصب لغناه حتى لو كان الغاصب واهله فقراء جاز صرفه اليهم
بل هم احق **فروع اربعة الاول** اختلفوا في ان من وقع في يده مال مزيد
سلطان هل يعيده الى السلطان اولى والمختار انه ان اعلم مالكه رده
اليه والا تصدق به **الثاني** اذا كان عنده من الحلال ما لا يكفيه لنفسه
وعياله يتممه من هذا الحرام الذي يجب التصدق به ولكن ينبغي ان
يصرف الحلال الى مطعمه ويصرف ما فيه الشبهة الى وقود قدره وعلف
دابته **الثالث** كون الحرام في يد الوالدين لا يبيح اكله واما ما فيه الشبهة
فينبغي ان يتلطف لجمع بين ارضاهما واجتنابه بقدر الامكان فان
كان ماكولا اصغر اللقمة وان كان قميصا لبسه بحضرتهما وخلعه
في غيبتهما **الرابع** في يده مال حرام لا يجب عليه الحج وان كان فيه شبهة
وجب وان اراد التكفير فينبغي ان يجمع بين المال والصوم ليخرج عن
العهدة بيقين **الفصل الثالث** في بيان حكم الادرارات اعلم ان من
اخذ مالا من سلطان فلا بد من النظر في ثلثة امور في مدخل ذلك الى
يد السلطان من اين هو وفي صفته التي بها يستحق الاخذ وفي المقدار
الذي ياخذه النظر الاول في جهات دخل السلطان وكل ما يحل للسلطان

سوي الاحياء وما يشترك فيه الرعية قسمان الاول الماخوذ من الكفار
قهرًا وهو الغنيمة وما حصل من ماله في يد من غير قتال وهو الفيء وما
حصل بالمصالحة فهو الجزية والثاني الماخوذ من المسلمين ولا يحل منه
الا قسمان المواريث وساير الاموال الضايعة التي لا يتعين لها مالك و
الاوقاف التي لا متولي لها وما عدا ذلك الخراج المضروب علي المسلمين والمصادرات
وانواع الرشوة كلها حرام فاذا كتب لفقيه ادرارا وصلة اوخلعة
علي جهة فلا يخلو من احوال خمسة فالاول هو الجزية فهو حلال بشرط
ان لا يكون الجزية المضروبة علي وجه شرعي ليس فيها زيادة علي دينار
او علي اربعة دنانير وبشرط ان يكون الذمي الذي يوخذ منه مكتسبا من
وجه لا يعلم تحريمه فلا يكون عامل سلطان عالم ولا بايع خمر ولا صبيا
ولا امراة فهذه امور ترعي في الجزية الثاني الاوقاف وكذا النظر يجري فيها
كما يجري في الميراث مع زيادة امر وهو شرط الواقف حتي يكون الماخوذ
موافقا له في جميع شرايطه الثالث ما احياه السلطان وهذا لا يعتبر
فيه شرط اذ له ان يعطي من ملكه ما شاء لمن شاء اي قدر شاء وانما النظر
في ان الغالب هل احياه باكراه الاجراء او باداء اجرتهم من حرام فان كانوا مكرهين
علي الفعل لم تملكه السلطان وهو حرام وان كانوا مستاجرين ثم قضيت
اجرهم من الحرام فهذا يورث شبهة وقد نبهنا عليه في تعلق الكراهة

بالاعواض الرابع ما اشتراه السلطان في الذمة من ارض او ثياب وفرس
او غيره فهو ملكه وله ان يتصرف فيه ولكن سيقضي ثمنه من حرام وذلك
يوجب التحريم تارة والشبهة اخري الخامس ان يكتب علي عامل خراج المسلمين
او من يجمع اموال القسمة والمصادرة وهي الحرام السحت الذي لا شبهة فيه
وهو اكثر الادرارات في هذه الزمان وبالجملة ان اغلب اموال السلاطين حرام
في هذه الاعصار والحلال في ايديهم معدوم او عزيز لانهم ظلمة فقلما ياخذون
شيئا بحقه وعلي وجهه فالاموال التي في ايديهم اما محرمة او فيها شبهة قوية
فالورع اجتنابها فان قلت قد كانت الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
ياخذون من السلاطين الظلمة اخذ الحسن والحسين رضي الله عنهم من
معاوية واخذ ابو سعيد وابو هريرة رضي الله عنهما من مروان ويزيد بن
عبد الملك واخذ ابن عباس وابن عمر رضي الله عنهم من الحجاج واخذ الشافعي
رحمة الله من هارون الرشيد قلت يحتمل انهم علموا حل ذلك وايضا
فالاخذ من الظلمة جايز للتصدق به فيحتمل انهم اخذوا ليتصدقوا به بل قد نقل
عنهم التصدق قال ابن المبارك رحمة الله عليه الذين ياخذون الجوايز اليوم
يحتجون بابن عمر وغيره ولا يقتدون بهم في التصدق ثم لو سلمنا انهم اخذوا لغير
التصدق به مع عدم العلم بحل الماخوذ لا يمكن قياس زماننا علي ذلك الزمان
لوجهين احدهما ان اكثر اموال اوليك كانت حلالا واكثر اموال هولاء

حرام الثاني ان اولئك كانوا يعظمون الصحابة والتابعين رضوان الله عليهم
خوفا من غير سوال وسلاطين زماننا لا يعظمون احدا حتى يذل نفسه بالسوال
اولا وبالتردد والخدمة ثانيا والثناء والدعا ثالثا وكل ذلك معصية فاذا
لا يجوز الاخذ من السلاطين في هذه الزمان وان كان الماخوذ متيقن الحل
الا اذا عري من هذه الامور وذلك متعذر **النظر الثاني** في قدر الماخوذ
وصفة الاخذ ولنفرض المال من اموال المصالح كاربعة اخماس الفيء والمواريث
فان ما عداه مما قد تعين مستحقه ان كان من وقفا وصدقة او خمس فيء
او خمس غنيمة وما كان من ملك السلطان مما احياه او اشتراه فله ان يعطي ما
شاء من شاء وانما النظر في الاموال الضايعة ومال المصالح فلا يجوز صرفها
الا الي من فيه مصلحة عامة او محتاج اليه عاجز عن الكسب والمصلحة اما ان يتعلق
بالدين او بالدنيا والعلماء بعلم الفقه والحديث والقراءة والتفسير حراسة
الدين والاجناد والعمال والحساب والكتاب والوكلاء حراسة الدنيا
والطبيب لا يتعلق علمه ولكن يتعلق صحة البدن والدين تبعه فيجوز ايضا
ليتفرغوا لمصالحة المسلمين بغير اجرة ولا يشترط في هولاء الحاجة بل
يجوز ان يعطوا مع الغناء والله اعلم بالصواب **الباب الرابع**
فيما يحل من مخالطة السلاطين الظلمة ويحرم اعلم ان لك مع الامراء الظلمة
ثلثة احوال الاولي وهي شرها ان تدخل عليهم والثانية وهي دونها

مطلب اخذ المال من مال السلطان بطريق العطاء

ان يدخلوا عليك والثالثة وهي الاسلم ان لا تراهم ولا يرونك **اما الحالة
الاولي** وهو الدخول عليهم وهو مذموم شرعا وقد تواردت به الاخبار
والاثار **وقال** صلى الله عليه وسلم ابغض القراء الى الله تعالى الذين يزورون
الامراء وقال خير الامراء الذين يأتون العلماء الذين يأتون الامراء **وقال**
العلماء امناء الرسل على عباد الله ما لم يخالطوا السلطان فاذا فعلوا ذلك
فقد خانوا الرسل فاحذروهم واعتزلوهم **وقال** حذيفه رضي الله عنه
اياكم ومواقف الفتن قيل وما هي قال ابواب الامراء يدخل احدكم الي الامير
فيصدقه بالكذب ويقول ما ليس فيه **وقال** الاوزاعي رحمة الله عليه
ما من شيء ابغض الي الله من عالم يزور عاملا **وقال** ابن مسعود رضي الله عنه
ان الرجل ليدخل علي السلطان ومعه دينه فيخرج ولا دين له لانه يرضيه
بسخط الله **وقال** الفضيل رحمة الله عليه ما ازداد رجل من ذي سلطان
قربا الا ازداد من الله بعدا **وقال** محمد بن سلمه رحمة الله عليه الذباب
علي العذرة احسن من قاري علي باب هولاء فهذه الاخبار والاثار تدل
علي ما في مخالطة السلاطين من الفتن وانواع الفساد ولكنا نفصل تفصيلا فقهيا
يميز فيه المحظور عن المكروه والمباح فنقول الداخل على السلطان عاصي الله
تعالي بفعله واما بسكوته واما بقوله اما الفعل فادخول عليهم في غالب
الاحوال يكون الي دور مغصوبة وتخليطها والدخول فيها بغير اذن

الملاك حرام فان كان تحت خيمة او مظلة من ماله فهو حرام والدخول اليه
غير جايز لانه انتفاع بالحرام والاستظلال به والقيام بين يديه والخدمة
له والتواضع كلها معصية فلا يباح الا مجرد السلام اما تقبيل اليد
والانحناء في الخدمة فمعصية ايضًا الا عند خوف واما الجلوس على
بساطهم فمكروه اذ كان غالب اموالهم حرامًا فلا يجوز على فراشهم هذا من حيث
الفعل واما السكوت فهو ان يرى في مجلسهم من الفرش واواني الفضة
والحرير الملبوس عليهم وكل من راى سيئة وسكت عنها شريك في تلك السيئة
بل يسمع من كلامهم ما هو فحش وكذب وتصلف وايذاء والسكوت
على جميع ذلك حرام فيجب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر وانه لو لم يدخل
ولم يشاهد ولم يتوجه عليه الخطاب بالحسنة واما القول فهو ان
يدعو للظالم ويثني عليه او يصدقه بما يقول من باطل وكل ذلك معصية
قال صلى الله عليه وسلم من دعا الظالم بالبقاء فقد احب ان يعصي الله
في ارضه قال الله ليبغض اذا مدح الفاسق وقال من اعان فاسقا
فقد اعان على هدم دين الاسلام وقد سئل سفيان الثوري رحمة
الله عليه عن ظالم اشرف على الهلاك في برية هل يسقى شربة ماء قال
لا دعه يموت فان ذلك اعانة له والاعانة على المعصية معصية
فهذا حكم الدخول الحالة الثالثة ان يدخل عليك زايدا فلا بد

من حالة السلام واما القيام فالاولى تركه ان كان معه في خلوة ليظهر له
عز الدين وحقارة الظلم واعراضه عمن اعرض الله عنه وان كان الداخل
عليه في جميع فراعات خشمة ارباب الولاية فيما بين الرعايا منهم فلا
باس بالقيام على هذه النية ثم يجب عليه بعد ان يقع اللقاء ان ينصح
وروي عن محمد بن صالح انه قال كنت عند حماد بن سلمه استاد ابي
حنيفة رحمة الله عليهم فاذا ليس في بيته الا حصير وهو جالس عليه
ومصحف يقرا فيه وجراب فيه علمه ومطهرته يتوضاء منها فبينا انا
عنده اذ دق داق الباب واذا هو محمد بن سليمان فاذن له ودخل
فجلس بين يديه وقال ما لي اذا رايتك امتلات منك رعبا قال حماد
لانه قال عليه السلام ان العالم اذا اراد بعلمه وجه الله هابه كل شيء وان
اراد ان يكنز به الكنوز هاب من كل شيء ثم عرض عليه اربعين الف درهم وقال
تاخذها وتستعين بها قال اردها على من ظلمته بها قال والله ما اعطيتك
الا ما ورثته قال لا حاجة لي فيها قال فتاخذها فتقسمها قال لعل اذا
عدلت في قسمتها ان يقول بعض من يرزق منها انه لم يعدل في قسمتها فيا تم
فاز دها عني الحالة الثالثة ان تعتزل عنهم فلا تراهم ولا يرونك
وهو الواجب اذ لا سلامة الا فيه فان قلت فقد كان علماء السلف يدخلون
على السلاطين فنقول نعم تعلم الدخول منهم ثم ادخل وقد حكي ان هشام

مطلب

مطلب محافظة الامراء

بن عبد الملك قدم الي مكة حاجًا فلما دخلها قال ائتوني برجل من الصحابة
فقيل يا امير المؤمنين قد تفانوا فقال من التابعين فاتي بطاوس اليماني
فلما دخل عليه خلع نعليه بحاشية بساطه ولم يسلم بامرة المؤمنين
ولكن قال السلام عليك وجلس بازائه وقال كيف انت هشام فغضب غضبًا
شديدا فقال له يا طاوس ما الذي حملك علي ما صنعت قال وما الذي
صنعت فازداد غضبا فقال خلعت نعليك بحاشية بساطي ولم تسلم
بامرة المومنين وجلست بازائي بغير اذن وقلت كيف انت هشام فقال
اما خلعي نعلي بحاشية بساطك فاني اخلعها بين يدي رب العزة كل يوم
خمس مرات فلا يعاتبني ولا يغضب علي واما قولك لم تسلم بامرة المومنين
فليس كل المؤمنين راضون بامارتك فكرهت ان اكذب واما قولك جلست
بازائي فاني سمعت علي بن ابي طالب رضي الله عنه يقول الجلوس بمقابلة
الامراء عصيان فقال يا طاوس عظني فقال سمعت علي بن ابي طالب رضي الله
عنه يقول في جهنم حيات كالقلال وعقارب كالبغال تلدغ كل امير لا
يعدل في رعيته ثم قام وخرج وروي ان عثمان رضي الله عنه لما ولي
الخلافة اتاه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم وابطا عنه ابو ذر
رضي الله عنه وكان صديقا له فعاتبه فقال سمعت رسول الله صلى الله
عليه وسلم ان الرجل اذا ولي ولاية تباعد الله عنه وروي ان عمر بن

الخطاب رضي الله عنه كان يخطب فقال اسمعوا فقال ابو ذر رضي الله عنه
لا نسمع منك فقال لم قال هل ربّ النبي صلى الله عليه وسلم لبس ثوبين
وانت لبستهما فقال والله احدهما ليس لي وقد استعرته اذا اخذوا ثوبي
للغسل وروي ان عمر بن عبد العزيز كان واقفا مع سليمان بن عبد الملك
فيسمع سليمان صوت الرعد ففزع فقال عمر هذا صوت رحمته فكيف اذا
سمعت صوت عذابه ثم نظر سليمان الي الناس فقال ما اكثر الناس فقال
كلهم خصماؤك وحكي ان سليمان بن عبد الملك قدم المدينه وهو
يريد مكة وزاره الناس فسال اهل المدينة هل بقي احد من التابعين عندكم
يعني ممن ادرك اصحاب الرسول قالوا نعم ابو حازم فدعاه فلما دخل عليه
قال له سليمان يا ابا حازم ما لنا نكره الموت قال لانكم خربتم اخرتكم وعمرتم
الدنيا فكرهتم ان تنقلوا من العمران الي الخراب قال يا ابا حازم كيف القدوم
كيف القدوم علي الله قال اما المؤمن فكالغايب يقدم علي اهله واما المسيء
فكالابق يقدم على مولاه فبكى سليمان وقال ليت شعري ما لي من الفريقين اكون
انا فقال اعرض نفسك علي كتاب الله تعالى عند قوله ان الابرار لفي نعيم وان
الفجار لفي جحيم فقال سليمان فكيف النجاة بما انا فيه فقال ان تاخذ المال
من حله فتضعه في حقه وتعدل في الرعية واتق الله ان يراك حيث
ما نهاك او يفقدك من حيث امرك به قال سليمان فمن يطيق هذا يا ابا حازم

م

قال من يهرب من النار ويطلب الجنة فقال سليمان ارفع الي حوايجك فقال
حاجتي ان تنجيني من النار وتدخلني الجنة فقال له سليمان ليس ذلك الي
قال فالي حاجة غيرها فقام وخرج وسليمان يبكي **مسايل** الاولي اذا بعث
اليك السلطان مالا لتفرقه علي الفقراء فخذه ان امنت ثلاث غوايل
الغايلة الاولي ان يظن السلطان بسبب اخذك ان ماله طيب الثانية
ان ينظر اليك غيرك من العلماء والجهال فيقتدون بك في الاخذ فيستدلون
به علي جوازه فهذه اعظم من الاولي الثالثة ان يتحرك قلبك الي حبه لايثاره
لك وهذا هو السم القاتل **قال** عليه السلام جبلت القلوب علي حب من
احسن اليها وقال اللهم لا تجعل لفاجر عندي يدا فيحبه قلبي بين
ان القلب لا يكاد يمتنع من ذلك الثانية المعاملة معهم حرام لان اكثر مالهم
حرام فما يوخذ عوضا فهو حرام فان ادي الثمن من موضع يعلم حله فيبقي
النظر فيما سلم اليه فان علم انهم يعصون الله كبيع الديباج منهم وهو يعلم
انهم ما يلبسون من ذلك حرام كبيع العنب من الخمار وانما الخلاف في الصحة
وفي معناه بيع الفرس منهم لا سيما في وقت ركوبهم الي قتال المسلمين او جباية
اموالهم فان ذلك اعانة لهم حتي في تعليمهم ولادهم الكتابة والترسل و
الحساب واما تعليم القرآن فلا يكره الا من حيث اخذ الاجرة الثالثة الا
سواق التي بنوها بالمال الحرام يحرم التجارة فيها ولا يجوز سكناها فان

مطلب القضاة

سكنها

سكنها تاجر واكتسب بطريق شرعي لم يحرم كسبه وكان عاصيا بسكناه
وللناس ان يشتروا منهم ولكن لو وجدوا سوقا آخر فالاولي الشري
منها فان ذلك اعانة لهم وتكثير الكراء لحوانيتهم الرابعة معاملة قضاتهم
وعمالهم وخدمهم حرام كمعاملتهم بل اشد واما القضاة لانهم ياخذون
باموالهم الحرام الصريح ويغرون الخلق بزيهم علي زي العلماء واما الخدم
والحشم فاكثر اموالهم من الغصب الصريح الخامسة المراصد التي بنا لها
الظلمة كالقناطر والرباطات والمساجد والسقايات ينبغي ان يحتاط
فيها وينظر اما القناطر فيجوز العبور عليها للحاجة والورع الاحتراز
ما امكن وان وجد عنها معدلا تاكد الورع واما المساجد فان بني
من ارض مغصوبة او خشب مغصوب او من مسجد آخر او ملك معين
فلا يجوز دخوله اصلا ولا للجمعة فالورع العدول الي مسجد آخر ان
وجد وان لم يجد غيره فلا يترك الجمعة واما السقايات فحكمها ما ذكرناه
فليس من الورع الوضوء والشرب منها الا اذا كان يخشي فوات الصلوة فيتوق
وكذا بصانع طريق السادسة سئل عن خادم الصوفية يخرج الي
السوق ويجمع طعاما فمن الذي يحل ان ياكل منه وهل يختص بالصوفية
ام لا فقلت اما الصوفية فلا شبهة في حقهم اذا اكلوه واما غيرهم فيحل لهم
اذا اكلوه برضي الخادم ولكن لا يخلوا عن الشبهة فالورع اولي السابعة

تمم

مطلب العدول عن المسجد

ضاء

سئل عن مال اوصي به للصوفية فمن الذي يجوز ان يصرف اليه فقلت
التصوف امر باطن لا يطلع عليه فلا يمكن ربط الحكم بحقيقته بل
بامور ظاهرة يعول عليها اهل العرف في اطلاق اسم الصوفي وهي خمس صفات
الصلاح والفقر وزي الصوفية وان يكون مشتغلا بحرفة وان
يكون مخالطا لهم بطريق المساكنة في الخانقاه فالفاسق يمنع هذا
الاستحقاق والحرفة والاشتغال بالكسب يمنع ايضا واما الواعظ
والتدريس فلا يتنافيان اسم التصوف اذ لا يتناقض ان يقال صوفي
مقري وصوفي واعظ وصوفي عالم ويتناقض ان يقال صوفي دهقان
وصوفي تاجر الثامنة في يده مال حرام فلا حج عليه ولا تلزمه كفارة
مالية لانه مفلس ولا تجب الزكوة لانه ان عرف مالكه يجب رده اليه وان
لم يعرف مالكه يجب صرفه الي الفقراء واما اذا كان مال بشبهة يحتمل انه
حلال لزمه الحج ولا يسقط الحج الا بالفقر ولم يتحقق فقره تم كتاب الحلال
والحرام بحمد الله وعونه والله اعلم بالصواب

كتاب آداب الصحبة والمعاشرة

مع الخلق وفيه ابواب **الباب الاول** في فضيلة الالفة والاخوة في الله
تعالى وشروطها ودرجاتها وفوايدها **اما** فضيلة الالفة والاخوة
في الله عز وجل فهي ان تعلم ان الالفة ثمرة حسن الخلق والتفرق ثمرة سوء

الخلق وقد ورد في الثناء علي نفس الالفة آيات واخبار وآثار **اما**
الآيات فمنها قوله تعالى لو انفقت ما في الارض جميعا ما الفت بين قلو بهم
ولكن الله الف بينهم **وقال** صلى الله عليه وسلم المومن الف مالوف
ولا خير فيمن لا يالف ولا يولف **وقال** في الثناء علي الاخوة في ان
من اراد الله به خيرا رزقه خليلا صالحا ان نسي ذكره وان ذكر اعانه
وقال ان رجلا زار اخا في الله فارصد الله ملكا فقال اين تريد فقال
اريد ان ازور اخي فلانا قال الحاجة لك عنده قال لا قال لقرابة بينك
وبينه قال لا قال فبم قال احبه في الله تعالى قال فان الله ارسلني
اليك يخبرك انه يحبك لحبك اياه وقد اوجب لك الجنة **وقال** قال الله
تعالى حقت محبتي للذين يتزاورون من اجلي ويتحابون من اجلي ويتباذ لون
من اجلي ويتناصرون من اجلي **الآثار** قال علي رضي الله عنه عليكم بالاخوان
فانهم عدة في الدنيا والآخرة الا تسمع قول اهل النار فما لنا من شافعين
ولا صديق حميم **وقال** ابن السماك عند موته اللهم انك لتعلم اني اذ كنت
عصيتك كنت احب من يطيعك **وقال** الحسن رضي الله عنه مفارقة
الفاسق قربان الي الله تعالى **وقال** الفضيل رحمة الله عليه نظر الرجل
الي اخيه بالمودة والرحمة عبادة فهذه الاخبار والآثار تدل علي
فضيلة الالفة والاخوة **واما** بيان معنى الصحبة وشروطها في

ان تعلم ان الصحبة عبادة عن المجالسة والمخالطة والمجاورة وهي
تنقسم الى ما يقع بالاتفاق كالصحبة بسبب الاجتماع في المكتب او في المدرسة
او في السوق او في الاسفار او في سبب الجوار او الى ما ينشاء اختيارا
وهو الذي يريد بيانه اذ الاخوة في الدين واقعة في هذا القسم لا محالة
اذ لا ثواب الا على الافعال الاختيارية فلا ترغيب الا فيها ولا يصلح
لها كل انسان بل لا بد ان يتميز بصفات وخصال يرغب بسببها في صحبته
وهي خمس خصال ان يكون عاقلا وحسن الخلق وغير فاسق ولا مبتدع
ولا حريص على الدنيا واما العقل فهو راس المال وهو الاصل فلا خير في
صحبة الاحمق وترجع عاقبتها الى الوحشة والقطيعة وقال
علي رضي الله عنه لا تصحب اخا الجهل واياك واياه فكم من جاهل اردى
حكيما حين واخاه وقال اخر اني لآمن من عدو عاقل واخاف خلا
يعتريه جنون فالعقل فن واحد وطريقه ادرا فارصد والجنون
فنون واما حسن الخلق فلا بد منه اذ رب عاقل يدرك الاشياء
على ما هي عليه ولكن اذا غلبه غضبا وشهوة او بخل اطاع هواه
وخالف ما هو معلوم عنده لعجزه عن قهر صفاته وتقويم اخلاقه
فلا خير في صحبته واما الفاسق فلا فائدة في صحبته لان من لا يخاف
الله لا يوثق بصداقته بل يتغير بتغير الاعراض وقال تعالى للنبي

عليه السلام

عليه السلام ولا تطع من اغفلنا قلبه عن ذكرنا واتبع هواه وقال
فاعرض عمن تولى عن ذكرنا ولم يرد الا الحيوة الدنيا وقال واتبع سبيل
من اناب الي وفي مفهوم ذلك زجر على الفساق واما المبتدع ففي
صحبته خطر وهو سراية البدعة وتعدي شؤمها فالمبتدع مستحق
للهجرة والمقاطعة فكيف يجوز صحبته واما الحريص فصحبته تحرك
الحرص على الدنيا وذلك راس كل مفسدة وقال المامون رحمة الله عليه
مطلب الاخوان
الاخوان ثلثة احدهم مثله مثل الغذاء لا يستغني عنه والاخر
مثله مثل الدواء يحتاج اليه في وقت دون وقت والثالث مثله
الداء لا يحتاج اليه قط ولكن العبد قد يبتلى به وهو الذي لا انس فيه
ولا نفع وقيل مثل جملة الناس مثل الشجر فمنه ما له ظل ولا ثمر له ومنه
ما له ثمر ولا ظل له ومنه ما له ظل وثمر ومنه ما ليس له واحد منهما كام
غيلان يمزق الثياب ويخرج من يقرب منه لا طعم ولا شراب قال الشاعر
الناس شتى اذا ما انت ذقتهم لا يستوون كما لا يستوي الشجر هذا له
شوك مر مذاقته وذاك ليس له طعم ولا ثمر فهذه شروط الصحبة واما
فوايدها فهي اما دينية واما دنياوية فالانتفاع بالمال والجاه او مجرد
الاستيناس بالمشاهدة والمجاورة وليس ذلك غرضنا واما الدينية فهو
الاستفادة من العلم والعمل واما الاستفادة من الجاه تحصنا به عن

ايذاء من يشوش القلب واستفادة الماء والاستعانة في المهمات والتبرك
بمجرد الدعاء او انتظار الشفاعة في الآخرة فقد قال بعض السلف
استكثر من الاخوان فان لكل مؤمن شفاعة لذلك حيث جماعة
من السلف علي الصحبة والالفة والمخالطة وكرهوا العزلة والانفراد

الباب الثاني

في حقوق الاخوة والصحبة اعلم ان لاخيك
عليك حقا في المال وفي النفس وفي اللسان وفي القلب وبالعفو والدعاء
بالاخلاص والوفاء وترك التكلف وذلك تجمعه سبعة جمل الحق الاول
في المال والمواسات بالمال مع الاخوة علي ثلث مراتب ادناها ان تنزله
منزلة عبدك وخادمك فتقوم لحاجته من فضلة مالك ولم تحوجه
الي السوال فهو غاية التقصير في حق الاخوة الثانية ان تنزله منزلة
نفسك وترضي بمشاركته اياك في مالك وتنزله منزلتك حتى تسمح
بمشاطرته علي المال الثالثة وهي العليا ان يوثره علي نفسك وتقدم
حاجته علي حاجتك ومن تمام هذه الرتبة الايثار بالنفس ايضا كما
روي انه سعي جماعة من الصوفية الي بعض الخلفاء فامر بضرب
رقابهم وفيهم ابو الحسن النوري رحمة الله فبادر الي السيا فليكون هو
اول مقتول فقيل له في ذلك فقال احببت ان اثر اخواني بالحيوة في هذه
اللحظة وكان ذلك سببا لنجاتهم في حكاية طويلة فان لم تصادف

اي لم توافق

نفسك

نفسك في رتبة من هذه الرتب مع اخيك فاعلم ان عقدة الاخوة لم تنعقد
بعد في الباطن وانما الجاري بينكما مخالطة رسمية لا وقع لها في العقل
والدين قد قال ميمون بن مهران من رضي بترك الافضال (اي احسان) فليواخ
اهل القبور وجاء رجل الي ابي هريرة رضي الله عنه وقال اريد
ان اواخيك في الله فقال تدري ما حق الاخاء قال عرفني قال ان لا تكون
احق بدينارك ودرهمك مني فقال لم ابلغ الي هذه المنزلة قال فاذهب
عني وقد اشار في ذلك قول الله تعالى وامرهم شوري بينهم ومما رزقناهم
ينفقون اي كانوا خلطاء في الاموال لا يميز بعضهم ماله عن بعض وروي
ان فتح الموصلي رحمة الله عليه جاء الي منزل اخ له وكان غايبا فامر اهله
فاخرجت صندوقه ففتحه واخرج حاجته فاخبرت الجارية
مولاها فقال ان صدقت فانت حرة سرورا بما فعل هذا اشارة
علي ان الانبساط في بيوت الاخوان من الصفاء في الاخوة وقد قال
ح الله تعالى او ما ملكتم مفاتحه او صديقكم اذ كان الاخ يدفع مفتاح
بيته الي اخيه ويفوض اليه التصرف قال ابو سليمان الداراني رحمة الله
عليه لو ان الدنيا كلها لي فجعلتها في فم اخ من اخواني لاستقللتها لهذا
قال بعضهم الانفاق علي الاخوان افضل من الصدقات علي الفقراء ولهذا
قال علي رضي الله عنه لان اصنع طعاما واجمع عليه اخواني

احب الي من ان تصدق بمائة درهم علي المساكين واحب لما من ان اعتق
رقبة واقتداء الكل برسول الله صلي الله عليه وسلم فانه دخل غيضة
مع بعض اصحابه رضوان الله عليهم واجتني منها مسواكين احدهما معوج
والآخر مستقيم فدفع المستقيم الي صاحبه فقال يا رسول كنت احق
بالمستقيم مني فقال ما من صاحب يصحب صاحبا ولو ساعة من نهار الا
يسال عن صحبته هل اقام فيها حق الله او اضاعة فاشار بهذا الي ان
الايثار هو القيام بحق الله في الصحبة الحق الثاني في الاعانة بالنفس
في قضاء الحاجات قال بعضهم اذا استقضيت اخاك الحاجة فلم يقضها
فذكره ثانيا فان لم يقضها فكبر عليه واقرا هذه الاية والموتي
يبعثهم الله وقال شبرمة اذا سالت اخاك حاجة فلم يجهد نفسه في
قضائها فتوضا وكبر عليه اربع تكبيرات وعده من الموتي وقال
صلي الله عليه وسلم الا وان لله اواني في ارضه وهي القلوب فاحب
القلوب الي الله تعالي اصفاها وارقها اصفاها من الذنوب واصلبها
في الدين وارقها علي الاخوان كان الحسن رضي الله عنه يقول اخواننا
احب الينا من اهلينا واولادنا لانهم يذكروننا بالدنيا واخواننا
يذكروننا بالاخرة قال عطاء رحمه الله تفقدوا اخوانكم بعد ثلث فان
كانوا مرضي فعودوهم او مشاغيل فاعينوهم وقال صلي الله عليه وسلم

مطلب القلوب

اذا احببت رجلا فسله عن اسمه واسم ابيه وعن منزله فان كان مريضا
عدته وان كان مشغولا اعنته الحق الثالث علي اللسان بالسكوت
مرة وبالنطق اخري اما السكوت فهو ان يسكت في ذكر عيوبه في حضرته
وغيبته واذا راه في طريق لم يفاتحه بذكر غرضه ومصدره فلا يساله عنه
ربما يثقل عليه ذكره او يحتاج الي ان يكذب فيه وان يسكت عن اسراره
التي انهي اليه فلا ينهيها الي غيره البتة ولا يكشف شيئا منه ولو بعد القطيعة
والوحشة فان ذلك من لوم الطبع وخبث الباطن وبالجملة فليسكت عن
كل كلام يكرهه جملة وتفصيلا الا اذا وجب النطق في امر بمعروف او نهي عن
منكر ولم يجد رخصة في السكوت فاذا ذاك لا يبال بكراهته فان ذلك
احسان اليه في التحقيق اما ذكر مساويه وعيوبه فهو من الغيبة وذلك
حرام فما من احد الا وله محاسن ومساوي فاذا غلبت المحاسن المساوي
فهو منتهي والغاية فالمؤمن الكريم ابدا يحضر في نفسه محاسن واما
المنافق اللئيم فانه يلاحظ ابدا المساوي والعيوب ولهذا قال صلي الله
عليه وسلم استعيذوا بالله من جار السوء الذي ان راي خيرا ستره وان
راي شرا اظهره وروي ان عيسي عليه السلام قال ما ذا تصنعون اذا
رايتم اخاكم نائما قد كشفت الريح ثوبه قالوا نستره ونغطيه فقال
بل تكشفون عورته قالوا سبحان الله من يفعل هذا فقال احدكم يسمع

من اخيه كلمة فيزيد عليها ويشيعها وروي ان العباس رضي الله عنه
قال لابنه عبد الله اني اري عمر رضي الله عنه يقدمك على الاشياخ فاحفظ
عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين عليك كذبا
ولا تعصين له امرا ولا تطلعن علي خيانة وقال بعض الحكماء لا تصحب من
يتغير عليك عند اربع عند غضبه وعند رضاه وعند طمعه وعند
هواه بل ينبغي ان يكون صدق الاخوة ثابتة علي اختلاف هذه الاحوال
ولذلك قيل وتري الكريم اذا تصرم وصله يخفي القبيح ويظهر الاحسانا
وتري اللئيم اذا تقضي وصله يخفي الجميل ويظهر البهتانا واما التكلم بما يحبه
فان الاخوة كما تقتضي السكوت علي المكاره فتقتضي النطق ايضا بالمحاب
وكذلك علم عمر رضي الله عنه الطريق فقال له ثلثة تصفين لك ود
اخيك ان تسلم عليه اذا لقيته اولا وتوسع له في المجلس وتدعوا
باحب اسمائه قال صلي الله عليه وسلم احسن مجاورة من جاورك
تكن مسلما واحسن مصاحبة من صاحبك تكن مومنا فانظر كيف
جعل الايمان جزء الصحبة والاسلام جزء الجوار ومن ذلك التعظيم
والنصيحة في السر لا يطلع عليه احد فما كان علي الملا فهو توبيخ
وفضيحة وما كان في السر فهو شفقة ونصيحة وقال الشافعي
رحمة الله عليه من وعظ اخاه سرا فقد وعظه وزانه ومن وعظ

علانية

علانية فقد فضحه وشانه وقال ذو النون المصري رحمة الله عليه
لا تصحب مع الحق الا بالموافقة ولا مع الخلق الا بالمناصحة ولا مع النفس
الا بالمخالفة ولا مع الشيطان الا بالعداوة الحق الرابع العفو عن الزلات
وهفوة الصديق لا يخلو اما ان يكون في الدينية بارتكاب معصيته
او في حقك تقصير في الاخوة اما ان يكون في الدين من ارتكاب معصية
فعليك ان تقيم اوده وتجمع شمله ولا تهمك ايام حاجته وفقره
وفقر الدين اشد من فقر المال وقد اصابته جايحة وافة وافتقر بها
في دينه فينبغي ان يراعي ويراقب ولا يهمك بل لا يزال يتلطف به ليعان
علي الخلاص من الواقعة التي وقعت به لان الصداقة لحمة كلحمة النسب
والقريب لا يجوز ان يهجر بالمعصية ولذلك قال الله تعالى لنبيه عليه السلام
فان عصوك فقل اني بري مما تعملون ولم يقل اني بري منكم مراعات
لحق القرابة ولحمة النسب واما ما يكون التقصير في حقك فينبغي ان
تعفو عنه وقال الفضيل رحمة الله عليه الفتوة الصفح عن زلات
الاخوان ولذلك قيل القرابة يحتاج الي مودة والمودة لا يحتاج القرابة
وقال جعفر الصادق رضي الله عنه مودة يوم خلة ومودة شهر
قرابة ومودة سنة رحم من قطعها قطعه الله وقال بعضهم الصبر
علي مضض الاخ خير من معاتبته والمعاتبة خير من القطيعة

والقطيعة خير من الوقيعة وينبغي ان لا يبالغ في البغض عند الوقيعة
قال الله تعالى عسى الله ان يجعل بينكم وبين الذين عاديتم مودة
قال صلى الله عليه وسلم احبب حبيبك هونا ما عسى ان يكون بغيضك
يوما ما وابغض بغيضك هونا ما عسى ان يكون حبيبك يوما ما وقال
عليه السلام المؤمن سريع الغضب سريع الرضى ولم يصفه بانه لا يغضب
الحق الخامس الدعاء للاخ في حيوته وبعد وفاته فان دعاءك له
دعاءك لنفسك على التحقيق فقد قال صلى الله عليه وسلم اذا دعا
الرجل لاخيه بظهر الغيب قال الملك ولك مثل ذلك وفي رواية
يقول الله بك ابداء وفي الحديث دعوة الاخ لاخيه في الغيب لا
ترد وفيه من بلغه موت اخيه فترحم عليه واستغفر له كتب له
كانه شهد جنازته وصلى عليه وفيه مثل الميت في قبره مثل الغريق
يتعلق بكل شيء ينتظر دعوة من ولد او والد او قريب او اخ وقال
بعض السلف الدعاء للاموات بمنزلة الهدايا للاحياء الحق السادس
الوفاء والثبات على الحب وادامته على الموت معه وبعد الموت مع اولاده
واصدقائه فان الحب انما يراد للاخرة فان انقطع بعد الموت حبط
العمل وضاع السعي ولذلك روي انه صلى الله عليه وسلم اكرم
عجوزة دخلت عليه فقيل له في ذلك فقال انها كانت تاتينا ايام خديجة

الحق السابع التخفيف وترك التكلف وذلك بانه لا يكلف اخاه ما
يشق عليه قال الفضيل رحمة الله عليه انما تقاطع الناس بالتكلف
يزور احدهم فيتكلف له فيقطعه ذلك عنه وقال بعض الحكماء من جعل نفسه
عند الاخوان فوق قدره اثم واثموا ومن جعل نفسه في قدره تعب واتعبهم
ومن جعلها دون قدره سلم وسلموا وقيل من سقطت كلفته دامت الفته
ومن خفت مؤنته دامت مودته وقال بعض الصحابة رضوان الله عليهم
اجمعين ان الله لعن المتكلفين وقال صلى الله عليه وسلم انا واتقياء امتي
براء من التكلف وقال بعضهم اذا عمل الرجل في بيت اخيه اربع خصال فقد تم
انسه به اذا اكل عنده ودخل الخلاء ونام وصلى والله اعلم الباب
الثالث في حقوق المسلم والرحم والجوار والمملوك وكيفية
المعاشرة مع من يدلي بهذه الاسباب اعلم ان الانسان اما ان يكون وحده
او مع غيره وان تعذر عيش الانسان وحده الا بمخالطة من هو من جنسه لم يكن
بد من تعلم ادب المخالطة والادب على قدر حقه على قدر رابطته التي وقعت
المخالطة والرابطة اما القرابة وهي اخصها او اخوة الاسلام وهي اعمها
واما الجوار واما الصحبة السفر او المكتب او الدرس واما الصداقة
والاخوة ولكل واحد من هذه الروابط درجة فالقرابة لها حق ولكن
الرحم المحرم اكد وللمحرم حق ولكن حق الوالدين اكد وكذلك حق الجار

يختلف بحسب قربه من الدار وبعده وكذلك حق المسلم يتاكد المعرفة
وللمعارف درجات فليس حق الذي عرف بالمشاهدة كحق الذي عرف
بالسماع بل اكد منه والمعرفة بعد وقوعه يتاكد بالاختلاط وكذلك
الصحبة تتفاوت درجاتها اذا قويت فحق الصحبة في الدرس و
المكتب اكد من حق الصحبة في السفر وكذلك الصداقة تتفاوت
فانها اذا قويت صارت اخوة فان ازدادت صارت محبة وان از
دادت صارت خلة فاذا ليس قبل المعرفة رابطة ولا بعد الخلة درجة
وما سواهما من الدرجات فنذكر الاخوان حق اخوة الاسلام وحق
الرحم وحق الوالدين واحق الجوار وحق المملوك في فضيلته **الفصل**
الاول في حقوق المسلم على المسلم وهي عشرون الاول ان يحب
للكافة ما يحب لنفسه ويكره لهم ما يكره لنفسه **قال** صلى الله
عليه وسلم مثل المومنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى عضو منه
تداعى سايره بالحمى **وقال** المومن للمومن كالبنيان يشد بعضهم بعضا الثاني
ان لا يوذي احدا من المسلمين بفعل ولا بقول **وقال** صلى الله عليه وسلم
المسلم من سلم المسلمون من يده ولسانه قيل فما المومن قال من امنه المومنون
على انفسهم واموالهم **وقال** تدرون من المسلم قالوا الله ورسوله اعلم
فقال المسلم من سلم الناس من يده ولسانه **وقال** من زحزح عن طريق

مطلب انواع الصداقة

المسلمين

المسلمين شيا يوذيهم كتب الله لهم به حسنة ومن كتب له حسنة اوجب له
بها الجنة الثالث ان يتواضع لكل مسلم ولا يتكبر عليه فان الله لا يحب كل
مختال فخور **وكان** رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يانف ان يمشي
مع الارملة والمسكين فيقضي حاجته الرابع ان لا يسمع بلاغات
الناس بعضهم على بعض ولا يبلغ بعضهم ما يسمع من بعض **قال** صلى الله
عليه وسلم لا يدخل الجنة قتات **وقال** الخليل بن احمد من نم اليك نم عليك
ومن اخبرك بخبر غيرك اخبر غيرك بخبرك الخامس ان لا يزيد في الهجرة
على ثلثة ايام مهما غضب عليه **وقال** صلى الله عليه وسلم لا يحل المسلم
ان يهجر اخاه فوق ثلث يلتقيان فيعرض هذا ويعرض هذا وخيرهما
الذي يبداء بالسلام السادس ان لا يدخل على احد الا باذنه بل
يستاذن ثلثا فان لم يوذن له انصرف **قال** صلى الله عليه وسلم
الاستيذان ثلث فالاولى يستنصتون والثانية يستصلحون والثالثة
ياذنون او يردون السابع ان يوقر المشايخ ويرحم الصبيان **قال**
صلى الله عليه وسلم من لم يوقر كبيرنا ولم يرحم صغيرنا فليس منا **وقال**
من اجلال الله اكرام ذي الشيبة المسلم **وقال** ما وقر شاب شيخا لسنه الا
قيض الله من يوقره في كبر سنه وهذا اشارة بدوام الحيوة **وقال** لا تقوم
الساعة حتى يكون الولد غيضا والمطر قيضا ويفيض اللئام فيضا

ويغيض اللئام فيضا ويغيض الكرام غيضا وتجترئ الصغير على الكبير
واللئيم الكريم ومن تمام توقير المشايخ ان يتكلم بين ايديهم الا باذن الثامن
ان يكون مع كافة الخلق مستبشرا طلق الوجه رفيقا وقال ابو هريرة رضي الله
عنه يا رسول الله دلني على عمل يدخلني الجنة فقال ان من موجبات المغفرة
بذل السلام وحسن الكلام وقال عبد الله بن عمر رضي الله عنهما
البر شيء هين وجه طلق وكلام لين التاسع ان لا يعد مسلما بوعد الا
ويفي به قال صلى الله عليه وسلم العدة عطية وقال ثلث من كن فيه
فهو منافق وان صام وصلى اذا حدث كذب واذا ائتمن خان واذا وعد
اخلف العاشر ان لا يستصغر منهم احدا قال صلى الله عليه وسلم ان
الله خبا ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته وغضبه في معاصيه وولايته
في عباده المؤمنين فلا تحقروا منهم احدا لعله ولي الله وروي انه صلى الله
عليه وسلم دخل بعض بيوته فدخل عليه اصحابه حتى امتلا فجاء
جرير بن عبد الله البجلي رضي الله عنه فلم يجد مكانا فقعد على الباب فلف
النبي صلى الله عليه وسلم رداءه فالقاه اليه فقال له اجلس على هذا فاخذه
جرير ووضعه على وجهه وجعل يقبله ويبكي فما جلس الحادي عشر
ان يصلح ذات البين بين المسلمين قال صلى الله عليه وسلم الا اخبركم
بافضل درجات الصيام والصدقة قالوا بلى قال اصلاح ذات البين

وروي عن انس رضي الله عنه قال بينما رسول الله صلى الله عليه وسلم
جالس فاضت عيناه بالبكاء فقال عمر رضي الله عنه ما الذي ابكاك
يا رسول الله قال رجلان من امتي جثوا بين يدي الله تعالى فقال احدهما يا رب
خذ لي مظلمتي من هذا فقال الله تعالى رد على اخيك مظلمته فقال يا رب
ما بقي من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع باخيك لم يبق من
حسناته شيء فقال يا رب فليحمل عني من اوزاري قال فيقول الله تعالى للمتظلم
ارفع بصرك فانظر في الجنان فراى منازل لا توصف فقال يا رب لاي نبي هذا
ولاي شهيد هذا فيقول الله تعالى هذا لمن اعطى الثمن فيقول يا رب ومن يملك
ذلك قال انت تملكه قال بماذا يا رب قال بعفوك عن اخيك فيقول يا رب قد عفوت
عنه فيقول الله تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة ثم قال اتقوا الله واصلحوا
ذات بينكم فان الله يصلح بين المؤمنين في القيمة الثاني عشر ان يستر عورات
المسلمين قال صلى الله عليه وسلم لا يرى امرا من اخيه عورة فيسترها
عليه الا ستر الله عورته في الدنيا والآخرة وادخله الجنة وقال
يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم
فانه من تتبع عورة اخيه المسلم تتبع الله عورته ومن تتبع الله عورته
يفضحه ولو كان في جوف بيته وروي ان عمر رضي الله عنه كان يتجسس
بالمدينة من الليل فسمع صوت رجل في بيت يتغنى فتسور عليه فو
جل

عنده امراءة وخمرة فقال يا عدو الله اظننت ان الله يسترك وانت
علي معصية فقال وانت فلا تعجل يا امير المومنين ان اكن ان عصيت
الله في ثلث قال الله ولا تجسسوا وقد تجسست وقال ليس البر
بان تاتوا البيوت من ظهورها وقد تسورت علي وقال لا تدخلوا
بيوتا غير بيوتكم الاية وقد دخلت بلا اذن ولا سلام فقال عمر هل عندك
من خير ان عفوت عنك فقال نعم ان عفوت عني لا اعود لمثلها ابدًا
فعفي عنه وخرج وروي انه كان يعس ايضًا بالمدينه ذات ليله فراي
رجلا وامراة علي فاحشة فمضي وقال لا يجوز للوالي ان يقضي بعلمه في حدود الله
فان الله تعالى يامر علي الحد الا باربعة شهداء وهذا من اعظم الادلة علي
طالب الشرع ليستر الفواحش ولهذا قال صلي الله عليه وسلم كل الناس
معافًا الا المجاهرون والمجاهر من يعمل سوءً ثم يخبر به غيره الثالث عشر
ان يتقي مواضع التهم صيانة لقلوب الناس عن سوء الظن ولالسنتهم عن
الغيبة فانهم اذا عصوا الله بذكره وكان هو السبب فيه كان شريكا قال الله
تعالي ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله فيسبوا الله عدوًا بغير علم
قال صلي الله عليه وسلم كيف ترون من يسب ابويه فقالوا وهل
يسب احد ابويه فقال نعم يسب ابوي غيره فيسبون ابويه الرابع عشر ان
يشفع لكل من له حاجة من المسلمين الي من له عنده منزلة ويسعي في

قضاء

قضاء حاجته بما يقدر عليه قال صلي الله عليه وسلم ما من صدقة
افضل من صدقة اللسان قيل وكيف ذلك قال الشفاعة يدفع بها المكروه الخامس عشر ان
يبدا كل مسلم بالسلام قبل الكلام ويصافحه عند السلام قال صلي الله
عليه وسلم اذا التقي المومنان فتصافحا قسمت بينهما سبعون مغفرة
وفي رواية نزلت بينهما مائة رحمة لبادي السلام فتسعون ولبادي
المصافحة عشرة وقال يا انس اسبغ الوضوء يزد في عمرك وسلم علي
من لقيت من المسلمين تكثر حسناتك واذا دخلت منزلك فسلم علي اهل
بيتك يكثر خير بيتك وقال يسلم الراكب الماشي والماشي علي القاعد
والقليل علي الكثير والصغير علي الكبير وقال تمام تحيا تكم المصافحة
السادس عشر تشميت العاطس وقال ابن مسعود رضي الله عنه يعلمنا
اذا عطس احدكم فليقل الحمد لله رب العالمين فاذا قال ذلك فليقل من
عنده يرحمك الله فاذا قالوا ذلك فليقل يغفر الله لي ولكم وقال ابو هريرة
رضي الله عنه كان صلي الله عليه وسلم اذا عطس غض صوته وخمر
وجهه بثوبه او بيده السابع عشر اذا بلي بذي شر فينبغي ان يجامله
ويتقيه وقال بعضهم خالص المومن مخالصة وخالق الفاجر مخالقة
فان الفاجر يرضي بالخلق الحسن في الظاهر قال الله تعالى ادفع بالتي هي احسن
السيئة وقال ابن عباس رضي الله عنه ويدرون بالحسنة السيئة اي

مطلب الكلام والمصافحة

مطلب اسباغ الوضوء

الفحش والاذي بالسلام والمداراة قال صلي الله عليه وسلم ان شر الناس
منزلة عند الله يوم القيمة ان يزكه الناس اتقاء فحشه وقال ما وقي
المرء به عرضه فهو له صدقة الثامن عشر ان يعودمرضاهم وقال صلي الله
عليه وسلم من عاد مريضا فقد في مخارف الجنة حتي اذا قام وكل به سبعون
ملك يصلون عليه حتي الليل واداب العائد خفة الجلسة وقلة السؤال
واظهار الرقة والدعاء بالعافية ولمس اليد وغض البصر عن عورات الموضع
وروي عنه عليه السلام عيادة المريض فواق ناقة وقال طاوس رحمة الله
عليه افضل العيادة اخفها قال عليه السلام اغبوا في العيادة واربعوا
التاسع عشر ان يشيع جنايزهم قال صلي الله عليه وسلم من شيع جنازة
فله قيراط من الاجر فان وقف حتي يدفن فله قيراطان وفي الخبر ان
القيراط مثل احد ونظر ابرهيم الزيات الي اناس يترحمون علي ميت فقال
لو ترحمون انفسكم لكان اولي انه نجا من اهوال ثلثة وجه ملك الموت و
قد راي ومرارة الموت وقد ذاق وخوف الخاتمة قد امن وقال الاعمش رحمة
الله عليه كنا نشهد الجنايز فلا ندري من نعزي لحزن القوم كلهم وقال
صلي الله عليه وسلم يتبع الميت ثلثة يرجع اثنان ويبقي واحد يتبعه
اهله وماله وعمله فيرجع اهله وماله ويبقي عمله العشرون وهو ان
يزور قبورهم والمقصود من ذلك الدعاء والاعتبار وترقيق القلب

مطلب آداب العيادة المريض

وقال

قال صلي الله عليه وسلم ان القبور اول منزل من منازل الاخرة فان
نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد ونظر
الحسن بن علي رضي الله عنهما الي قبر فقال ان امرا هذا اخره لجدير ان يزهد
في اوله وان امرا هذا اوله لجدير ان يخاف في آخره وقال ابو ذر رضي الله
الا اخبركم بيوم فقري يوم اوضع في قبري قال حاتم الاصم رحمة الله عليه
من مر بالمقابر فلم يتفكر في نفسه ولم يدع لهم فقد خان نفسه وخانهم
فهذه جملة اداب المعاشرة مع عموم الخلق الفصل الثاني في بيان
حقوق الجوار فاعلم ان الجوار يقتضي حقا وراء ما تقتضيه اخوة الاسلام
فيستحق الجار المسلم ما يستحقه كل مسلم وزيادة قال صلي الله عليه وسلم
الجيران ثلثة جار له حق واحد وجار له حقان وجار له ثلثة
حقوق فالجار الذي له ثلثة حقوق الجار المسلم ذو الرحم فله حق الجار
والرحم والاسلام واما الذي له حقان فالجار المسلم غير ذي الرحم له حق
الجوار والاسلام واما الذي له حق واحد فالجار المشرك فانظر كيف
اثبت للمشرك حق الجوار وقال صلي الله عليه وسلم ما زال جبريل يوصيني
بالجار حتي ظننت انه سيورثه وقال لا يؤمن عبد حتي يامن جاره
بوايقه وقال اذا انت رميت كلب جارك فقد اذيته واعلم انه ليس
حق الجوار كف الاذي فقط بل احتمال الاذي بل لا بد من الرفق وابداء

مطلب الجوار الى جانب الاربع

الخير والمعروف وقال الزهري جاء رجل الي النبي صلي الله عليه وسلم
يشكو جاره فامر النبي صلي الله عليه وسلم ان ينادي علي باب المسجد
الا ان اربعين دارا جار وقال الزهري رضي الله عنه اربعون هكذا
واربعون هكذا وما الي اربع جهات وعن ابي عبد الله الظرايفي انه
قال كان بعض الصالحين علي بابه جحر النمل فكان يكسر الخبز كل يوم ويفتته
في جحر النمل فقيل له في ذلك فقال انهم جيران وحق الجار علي الجار واجب
ويقال الجيران ثلثة جار في الدنيا وجار في المقابر والبلي وجار في جنة
المأوي وخير الجيران عند الله تعالي خيرهم لجاره وروي عن بعض الصوفية
رحمهم الله ان مالك بن دينار رضي الله عنه كان محرابه علي حايط يهودي
وكانت تخرج النجاسة من مستراح اليهودي بجنب محرابه وكان يحتمل منه
ويحمل باجانة بالنهار ويرميها بالليل حتي مرض مالك رضي الله عنه فاتي
اليهودي لعيادته ورأي ذلك فاسلم لاحتماله ذلك وشكي بعضهم كثرة
الفار في داره فقيل له اقتنيت هرة فقال اخشي ان يسمع الفار صوت
الهرة فيهرب الي دور الجيران فاكون قد احببت لهم ما لا احب لنفسي
واما حقوق الاقارب قال الله تعالى واتقوا الله الذي تساءلون به
والارحام قال صلي الله عليه وسلم من سره ان يمد له من عمره ويوسع
له في رزقه فليتق الله وليصل رحمه وقيل لرسول الله صلى الله عليه

وسلم اي الناس افضل قال اتقاهم لله واوصلهم للرحم وامرهم بالمعروف
وانهاهم عن المنكر وعن ابي حنيفة عن نافع عن ابي سلمة عن ابي هريرة رضي الله
عنهم عن النبي صلي الله عليه وسلم انه قال ما من عمل اطيع الله فيه اعجل ثوابا
من صلة الرحم وما من عمل عصي الله فيه اعجل عقوبة من البغي واليمين
الفاجرة قيل لما خسف الله تعالى بقارون وكان يسفله الملك الموكل به
كل يوم مقدار قامته في الارض فلما التقم الحوت يونس عليه السلام
فقال ما خبر ابن عمي موسي بن عمران فاخبر خبره فاوحي الله تعالى الي الملك
الموكل به لا تسفله بعد هذا في الارض وهو يسال عن رحمه وقرابته علي وجه
الارض واما حقوق الوالدين افضل من الصوم والصلوة والزكوة والحج
والعمرة والجهاد في سبيل الله وقال الجنة توجد ريحها من مسيرة
خمسمائة عام ولا يجد ريحها عاق ولا قاطع رحم وروي عن بعضهم
انه قال كان الحسن بن علي رضي الله عنهما لا يواكل امه فقيل له انت من
ابر الناس ولا نراك تواكل امك قال اخاف ان تسبق يدي ما سبقت
عينها اليه فاكون قد عققتها وعن عبد الله بن عباس رضي الله عنهما
عن النبي صلي الله عليه وسلم قال ما من ولد بار ينظر الي والدته
الا كتب الله له بكل نظرة حجة مبرورة قالوا يا رسول الله وان نظر
في كل يوم مائة مرة قال وان نظر مائة مرة ثم قال فليعمل العاق ما شاء

قال الله تعالى وقضى ربك الا تعبدوا
الا اياه وبالوالدين احسانا وقال
صلي الله عليه وسلم بر الوالدين

مطلب حقوق الوالدين

من الاعمال فلن يدخل الجنة وليعمل البار ما شاء ان يعمل فلن يدخل
النار وجاء رجل الي النبي صلي الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
من ابر قال بر امك واباك واختك واخاك ثم ادناك فادناك واما
حقوق المملوك اعلم ان حكم النكاح قد سبق حقوقه في اداب النكاح فاما
ملك اليمين فهو ايضا يقتضي حقوقا في العشرة لا بد من مراعاتها فقد كان
من اخر ما اوصى به رسول الله صلى الله عليه وسلم ان قال اتقوا الله
فيما ملكت ايمانكم اطعموهم مما تطعمون واكسوهم مما تلبسون ولا تكلفوهم
من العمل ما لا يطيقون فما احببتم فامسكوا وما كرهتم فبيعوا ولا تعذبوا
خلق الله فان الله ملككم اياهم ولو شاء لملكهم اياكم وقال لا يدخل
الجنة خب ولا متكبر ولا خاين وسيء الملكة وقال عبد الله بن عمر
رضي الله عنهما جاء رجل الى النبي صلى الله عليه وسلم فقال كم
نعفوا عن الخادم فقال اعف عنه كل يوم سبعين مرة وقال الزهري
رحمة الله عليه متي قلت للمملوك اخزاك الله فهو حر وكان عند ميمون
بن مهران ضيف فجاءت جاريته بطعام مسرعة فعثرت و
اراقتها علي ميمون فقال يا جارية احرقتيني فقالت يا سيدي ارجع
الى ما قال الله تعالى قال والكاظمين الغيظ والعافين عن الناس قال
كظمت غيظي قالت وقال والعافين عن الناس قال عفوت عنك

قالت

قالت زد فان الله قال والله يحب المحسنين قال انت حرة لوجه الله تعالى
قيل للاحنف بن قيس رحمة الله عليه ممن تعلمت الحلم قال من قيس بن عاصم
قيل فما بلغ من حلمه قال بينما هو جالس في داره اذ اتته خادمة له
بسفود عليه شواء فسقط السفود من يدها على ابن له فعقره
فمات فدهشت الجارية فقال ليس يسكن روع هذه الجارية الا
العتق قال انت حرة لا باس عليك وقال عليه السلام اذا اشترى
احدكم الخادم فليكن اول شيء يطعمه الحلو فانه اطيب لنفسه وقال
عليه السلام العبد اذا نصح لسيده واحسن عبادة الله تعالى فله اجران
ولما اعتق ابا رافع قال كان لي اجران فذهب احدهما فجملة حق المملوك
ان يشركه في طعمته وكسوته ولا يكلفه فوق طاقته ولا ينظر اليه
بعين الكبر والازدراء وان يعفو زلته ويتفكر عند غضبه عليه
بهفوته في معاصته وجنايته على حق الله تعالى وتقصيره في طاعته
مع قدرة الله تعالى عليه فوق قدرته تم كتاب الصحبة والحمد لله على عونه
وصلى الله على نبيه

كتاب العزلة

اعلم ان العلماء اختلفوا في العزلة والمخالطة وتفضيل احديهما على الاخرى
مع ان كل واحد منهما لا ينفك عن غوايل تنفر عنها وفوايد تدعوا اليها
ميل اكثر الزهاد والعباد الى اختيار العزلة وتفضيلها على المخالطة

وماذكرناه في كتاب الصحبة فضيلة المخالطة والمخاوالمواخات
والموالفة يكادينا قض ما اليه مال الاكثرون من اختيار الخلوة فكشف
الغطاء عن الخلق فكشف الغطاء عن الحق في ذلك مبهم ويتضح ذلك في
ثلثة فصول **الفصل الاول** في نقل المذاهب والاقاويل وذكر
حجج الفريقين في ذلك اعلم ان هذا الاختلاف قد ظهر بين التابعين فذهب
بعضهم مثل سفيان الثوري وابرهيم بن ادهم وداود الطائي والفضيل
بن عياض ويوسف بن اسباط وغيرهم رحمهم الله الي اختيار العزلة و
تفضيلها علي المخالطة وذهب بعضهم مثل سعيد بن المسيب والشعبي
وابن ابي ليلي وهشام عروة وابن شبرمة وشريح واحمد بن حنبل
رحمهم الله الى استحباب المخالطة واستكثار المعارف والمأثور عن العلماء
من الكلمات ينقسم الي كلمات مطلقة تدل علي الميل الي احد الرايين والي
كلمات مقرونة بما يشير الي علة الميل فلننقل الآن مطلقات تلك الكلمات
لتتبين المذاهب وما هو مقرون بذكر العلة فنورده عند التعرض
للغوايل والفوايد فنقول **قال** ابن سيرين رحمه الله العزلة عبادة
وقال رحمة الله كفي بالله محبا وبالقرآن مونسا وبالموت واعظا
اتخذ الله صاحبا ودع الناس جانبا **وقال** ابو الربيع لداود الطائي
رحمهم الله عظني قال صم الدنيا واجعل فطرك الآخرة وفر من الناس

فرارك

فرارك من الاسد **وقال** وهب بن الورد بلغنا ان الحكمة عشرة اجزاء
تسعة منها في الصمت والعاشر في عزلة الناس **وقال** بشر بن عبد الله
رحمة الله عليه اقلل من معرفة الناس فانك لا تدري ما يكون يوم القيمة
فان يكن فضيحة كان من يعرفك قليلا **ودخل** بعض الامراء علي حاتم
الاصم رحمه الله فقال الك حاجة قال نعم قال وما هي قال ان لا اراك
ولا تراني **قال** رجل لسهل رحمة الله عليه اريد ان اصحبك قال اذا
مات احدنا فمن يصحبه فليصحبه الآن **وقال** ابن عباس رضي الله عنه
افضل المجالس مجلس في قعر بيتك لا ترى فهذه اقاويل المايلين الي العزلة
واما حجج المايلين الي المخالطة ووجه ضعفها فهي احتجوا بقوله ولا تكونوا
كالذين تفرقوا واختلفوا وبقوله عز وجل والف بين قلوبهم الآية
فمن علي الناس بالسبب المؤلف وهذا ضعيف لان المراد به تفرق الاراء
والاختلاف في المذهب فيما يرجع في كتاب الله تعالي واصول الشريعة
والمراد بالالفة نزع الغوايل من الصدور وهي الاسباب المثيرة للفتن
المتحركة للخصومات والعزلة لا تنافي في ذلك واحتجوا بقوله صلي الله
عليه وسلم المومن الف مالوف ولا خير فيما لا يالف وهذا ايضا
ضعف فانه اشارة الي ذم سوء الخلق الذي يمتنع بسببه المؤالفة
واحتجوا بقوله عليه السلام من فارق الجماعة فمات فميتته

مطلب الالفة افضل او المخالطة

جاهلية وهذا ضعيف لان المراد به الجماعة التي اتفقت اراؤهم على
امام بعقد البيعة والخروج عليهم بغي وحرام واحتجوا بنهيه عن
الهجرة فوق ثلث فمات دخل النار فالعزلة هجرة بالكلية وهذا ضعيف
لان المراد الغضب على الناس وترك المخالطة اصلا من غير غضب واحتجوا
بما روي ان رجلا اتى الجبل ليتعبد فيه فجيء به الى النبي صلى الله عليه
وسلم فقال لا تفعلن انت ولا احد منكم لصبر احدكم في مواطن الاسلام
خير من عبادة اربعين عاما والظاهر ان هذا انما كان لما فيه من ترك
الجهاد مع شدة وجوبه في ابتداء الاسلام واحتجوا بما روي معاذ بن
جبل رضي الله عنه صلى الله عليه قال ان الشيطان ذئب الانسان
كذئب الغنم يأخذ القاصية والناحية والشادة اياكم والشعاب
وعليكم بالعامة والجماعة والمساجد وهذا انما اراد به من اعتزل ~~الجاهل~~ اذا احذروا اعتزلوا
قبل تمام العلم وسيأتي ان ذلك منهي عنه الا للضرورة واما حجج المائلين
الى تفضيل العزلة فهي انهم احتجوا بقوله تعالى حكاية عن ابرهيم
عليه السلام واعتزلكم وما تدعون من دون الله الى قوله فلما اعتزلهم
وما يعبدون من دون الله وهبنا له اسحق ويعقوب اشارة الى ان ذلك
ببركة العزلة وهذا ضعيف لان مخالطة الكفار لا فائدة فيها
الا دعوتهم الى الدين وانما الكلام في مخالطة المسلمين واحتجوا بقول

موسى

موسى عليه السلام فان لم تؤمنوا لي فاعتزلون فانه فزع الى العزلة عند الياس
منهم وقال في اصحاب الكهف واذا اعتزلتموهم وما يعبدون الا الله فأووا
الى الكهف امرهم بالعزلة وقد اعتزل نبينا صلى الله عليه وسلم قريشا لما
اذوا وجفوه ودخل الشعب وامر اصحابه باعتزالهم الهجرة الى ارض الحبشة
ثم تلاحقوا به في المدينة بعد قوة الاسلام وهذا ايضا اعتزال عن الكفار
عند الياس فانه لم يعتزل المسلمين واهل الكهف لم يعتزل بعضهم بعضا وهم
المؤمنون وانما اعتزلوا الكفار وانما النظر في العزلة بين المؤمنين واحتجوا
بقوله صلى الله عليه وسلم حين سئل اي الناس افضل فقال مؤمن مجاهد
بنفسه وماله في سبيل الله قيل ثم من قال رجل معتزل في شعب من الشعاب
يعبد ربه ويدع الناس من شره وهذا ما عرفه صلى الله عليه وسلم بنور
النبوة من حاله ان لزوم البيت كان اليق به واسلم من المخالطة وذلك
لا يدل على ان الاعتزال افضل ورب شخص يكون سلامته في العزلة لا في
المخالطة كما قد يكون سلامته في القعود في البيت ولا يخرج الى الجهاد وذلك
لا يدل ان الجهاد افضل فان ظهر ان هذه الادلة لا شفاء فيها من الجانبين
فلا بد من كشف الغطاء بالتصريح بفوايد العزلة وغوايلها ليتبين
الحق فيها ان شاء الله تعالى الفصل الثاني في فوايد العزلة وغوايلها
وكشف الحق فيها اعلم ان الاختلاف في هذا ايضا هو الاختلاف في فضيلة

النكاح والعزوبة وقد ذكرنا ان ذلك يختلف باختلاف الاحوال والا
شخاص بحسب ما فصلناه من افات النكاح وفوايده فكذلك القول في
العزلة والخلطة ولهذا فوايد الاولى الفراغ للعبادة والفكر والاستيناس
بمناجات الله عز وجل عن مناجات الحق ولا فراغ مع المخالطة فالعزلة
وسيلة اليه ولذلك تبتلا عليه السلام في جبل حرآء في ابتداء امره وانعزل
حتي قوي فيه نور النبوة فكان الحق لا يحجبه عن الله تعالى ببدنه مع الخلق
وبقلبه مقبلا علي الله تعالى فلا يغتر كل ضعيف بنفسه فيطمع في ذلك
ولا يبعد ان تنتهي درجة بعض الاولياء اليه فقد نقل عن الجنيد رحمة
الله عليه انه قال اكلم الله تعالى منذ ثلاثين سنة والناس يظنون اني
اكلمهم وهذا يتيسر للمستغرق بحب الله تعالى استغراقا لا يبقي لغيره فيه
متسع وقيل لبعض معتزلين ما اصبرك علي الوحدة فقال ما انا وحدي
انا جليس الله تعالى اذا شئت ان يناجيني قرات كتابه واذا شئت ان اناجيه
صليت وقيل بينما اويس القرني جالس اذ اتاه هارون بن حيان
رحمهما الله فقال له اويس ما جاء بك فقال جيت لانس بك فقال اويس
ما كنت ادري احدا يعرف ربه فيانس بغيره وقال مالك بن دينار رحمة
الله عليه من لم يانس بمحادثة الله تعالي عن محادثة الخلق فقد
قل علمه وعمي قلبه وضيع عمره قيل من علامات الافلاس الاستيناس

بالناس

بالناس لان الانسان انما يستوحش من نفسه لخلو ذاته عن الفضيلة
واذا نت ذاته ذا فضيلة طلب الوحدة ليستعين بها علي الفكرة ويستخرج
العلم والحكمة وقيل ان ذا النون المصري رحمة الله عليه قال مررت
يوما بدير فاذا براهب اخرج راسه من كوة فقلت له عظني فقال طب
بالله نفسا وارض بالوحدة انسا فما رايت احدا ربح في الصحبة فلسا
الثانية التخلص بالعزلة عن المعاصي التي يتعرض الانسان لها غالبا بالمخالطة
ويسلم منها في الخلوة وهي اربعة الغيبة والرياء والسكوت عن الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر ومسارقة الطبع عن الاخلاق الردية اما الغيبة فستعرف
في كتاب افة اللسان وجوهها بان التحرز مع المخالطة عظيم لا ينجو منها
الا الصديقون فان عادة الناس كافة التمضمض باعراض الناس والتفكه
بها والتنقل بحلاوتها في طعمتهم ولذتهم واليها يستروحون من وحشتهم
في الخلوة فان خالطتهم ووافقت اثمت وتعرضت بسخط الله تعالى وان سكت
كنت شريكا والمستمع احد المغتابين فان انكرت ابغضوك وتركوا ذلك المغتاب
واغتابوك واما الامر بالمعروف والنهي عن المنكر فسياتي بيانه فانه من الواجبات
ومن خالط الناس فلا يخلو عن مشاهدة المنكرات فان سكت عصي الله به
وان انكر تعرض لانواع من الضرر ومن جرب الامر بالمعروف ندم عليه غالبا فانه
كجدار مايل يريد الانسان ان يقيمه فيوشك ان يسقط عليه فاذا سقط

عليه يقول يا ليتني تركته مايلائم لو وجدوا اعوانا امسكوا الحايط
بدعامة حتي استقام وانت اليوم لا تجدوا اعوانا فدعهم وانج براسك
فان فيه خطرا شديدا وفي العزلة خلاص عن الكل واما الرياء فهو الداء
العضال الذي يعسر علي الاوتاد والابدال الاحتراز عنه وكل من خالط
الناس داراهم ومن داراهم راياهم ومن راياهم وقع فيما فيه وقعوا وهلك
كما هلكوا فانك ان خالطت الناس ولم تلق كل واحد منهم بوجه يوافقه
ضرب بغيضا اليهم وان جاملتهم كنت من شرار الناس قال صلي الله عليه وسلم
شر الناس ذو الوجهين الذي ياتي هولاء بوجه وهولاء بوجه واقل
ما يجب في المخالطة اظهار الشوق والمبالغة فيه واظهار الشفقة بالسوال
عن الاحوال وقولك كيف انت وكيف اهلك فانك في الباطن فارغ القلب من
همومه فانه نفاق محض وكذب صرف وقال سري السقطي رحمه الله
عليه لو دخل علي اخ فسويت لحيتي لدخوله خشيت ان اكتب في جريدة
المنافقين ودخل طاوس علي الخليفة هشام فقال كيف انت يا هشام
فغضب عليه وقال لم لم تخاطبني يا امير المومنين قال لان جميع المومنين
ما اتفقوا علي خلافتك فخشيت ان اكون كاذبا واما مسارقة الطبع
لما يشاهد من اخلاق الناس واعمالهم فهو داء عن الغافلين اذ يصير
الفساد بكثرة المشاهدة هينا علي الطبع ويسقط وقعها استعظامه

عنده وانما الوازع عنه شدة وقع في القلب فاذا صار مستصغرا
بطول المشاهدة اوشك ان تنحل القوة الوازعة ويذعن الطبع للميل
اليه ولذلك يزدري الناظر الي الاغنياء نعمة الله تعالي عليه فيوثر
مجالستهم في ان يستصغر ما عنده ويوثر في مجالسة الفقراء استعظام
ما اتيح له من النعم فكذلك النظر الي المطيعين والعصاة هذا تاثيره في الطبع
ويكفي في تغيير الطبع مجرد سماع الخير والشر فضلا عن مشاهدته وبهذه
الدقيقة يعرف سر قوله صلي الله عليه وسلم عند ذكر الصالحين تنزل الرحمة
وانما الرحمة دخول الجنة ولقاء الله تعالي وليس ينزل عند ذكرهم عين
ذلك ولكنه سببه وهو انبعاث الرغبة من القلب وحركة الحرص علي
الاقتداء بهم والاستنكاف مما هو ملابس له من القصور والتقصير و
مبداء الرحمة في فعل الخير الرغبة ومبداء الرغبة ذكر احوال الصالحين
فهذا معني نزول الرحمة والمفهوم من فحوي الكلام ان عند ذكر الفاسقين
تنزل اللعنة لان كثرة ذكرهم يهون الطبع المعاصي واللعنة هي البعد و
مبداء البعد من الله تعالي هو المعاصي سقوط ثقلها عن القلب ومبداء سقوط ذلك
وقوع الانس بها بكثرة السماع واذا كان هذا ذكر حال الصالحين والفاسقين
فما ظنك بمشاهدتهم بل صرح به رسول الله صلي الله عليه وسلم حيث
قال مثل جليس السوء كمثل القين ان لم يحرقك بشرره علق بك من ريحه

كمثل الحداد

وكما ان الريح يعبق بالثوب ولا يشعر بها فكذلك يسهل الفساد على القلب
وهو لا يشعر به وقال مثل الجليس الصالح مثل صاحب المسك ان لم يهب لك منه
تجد ريحه فكم من شخص يتكالب على الدنيا ويحرص فيها ويتهالك على حب
الرياسة ويهون على نفسه قبحها بان الصحابة لم يحترزوا عن حب الرياسة
وربما يستشهد عليه بقتال علي كرم الله وجهه ومعاوية ويقول في نفسه
ان ذلك لم يكن لطلب الحق بل لطلب الرياسة فهذا الاعتقاد الخطاء يهون عليهم
امر الرياسه وهذه من دقايق مكايد الشيطان ولذلك وصف الله تعالى الراغبين
للشيطان فيها بقوله الذين يستمعون القول فيتبعون احسنه وضرب رسول الله
صلى الله عليه وسلم مثلا لذلك وقال مثل الذين يجلس ويسمع الحكمة لا
يحمل الا شر ما يسمع كمثل رجل اتى راعيا فقال له يا راعي افرز لي شاة من
غنمك فقال اذهب فخذ خير ما فيها فذهب فاخذ باذن كلب الغنم وكل
من ينقل هفوات الايمة فهذا مثاله ايضا ومما يدل سهولة الشي على
القلب بسبب تكرره ومشاهدته وان اكثر الناس اذا راوا مسلما ياكل في
رمضان استبعدوه استبعادا يكاد يفضي الى اعتقادهم كفره وقد
يشاهدون تارك الصلوة فلا ينفر عنه طباعهم كنفرتها عن تاخير
الصوم ولا سبب له الا ان الصلوة تتكرر فيسقط وقعها بالمشاهدة
عن القلب فتفطن بهذه الدقايق وفر من الناس فرارك من الاسد فان

وجدت

وجدت جليسا تذكر الله صورته وسيرته فالزمه ولا تفارقه
وتحقق ان الجليس الصالح خير من الوحدة وان الوحدة خير من الجليس السوء
ومهما فهمت هذه المعاني لم يخف عليك ان الاولى التباعد عنه بالعزلة
من التقرب اليه بالخلطة واياك ان تحكم مطلقا على العزلة او الخلطة
بغير معرفة الثالثة الخلاص من الفتن والخصومات وقلما يخلو هذا
الزمان عنها فالمعتزل في سلامة من ذلك قال صلى الله عليه وسلم
يوشك ان يكون خير مال الرجل المسلم غنم يتبع بها شعاب الجبال ومواقع القطر
يفر بدينه من الفتن وروي عبد الله بن مسعود رضي الله عنه انه قال صلى الله
عليه وسلم لا يسلم لذي دين دينه الا من فر بدينه من قرية الى قرية ومن
شاهق الى شاهق ومن حجر الى حجر كالثعلب الذي يروغ قيل ومتى ذلك يا رسول الله
قال اذا لم تنل المعيشة الا بمعاصي الله سبحانه وتعالى فاذا كان ذلك الزمان
حلت العزوبة قالوا كيف ذلك يا رسول الله وقد امرتنا بالتزويج قال
اذا كان ذلك الزمان كان هلاك الرجل على يد ابويه فان لم يكن له ابوان
فعلى يد زوجته وولده فان لم يكن فعلى يد قرابة قالوا كيف يا رسول الله
قالوا يعيرونه بضيق اليد فيتكلف ما لا يطيق حتى يورده ذلك موارد
الهلكة وهذا الحديث وان كان في العزوبة فالعزلة مفهومة منه اذ لا
لا يستغني المتاهل عن المعيشة والمخالطة ثم لا ينال المعيشة الا بمعصية

مطلب ان الوحدة اولى من الخلطة

الله تعالي الرابعة الخلاص من شر الناس فانهم يوذونك مرة بالغيبة ومرة
بسوء الظن والتهمة وقد اشتد حرصهم علي الدنيا فلا يظنون بغيرهم
ايضا الا الحرص عليها قال ابو الدرداء رضي الله عنه كان الناس ورقا
لا شوك فيه والناس اليوم شوك لا ورق فيه واذا كان حكم زماننا هذا
وهو في اواخر القرن الاول فلا ينبغي ان يشك في ان الاخير شر الخامسة
ان ينقطع طمع الناس عنك وينقطع طمعك عن الناس فاما انقطاع
ففيه كل الجدوي فان رضي الناس غاية لا تدرك فاشتغال المرء باصلاح
نفسه اولي قال بعضهم كثرة الاصدقاء كثرة الغرماء قال ابن الرومي
عدوك من صديقك مستفاد فلا تستكثرن من الصحاب فان الداء
اكثر ما تراه يكون من الطعام او الشراب السادسة الخلاص من مشاهدة
الثقلاء والحمقي ومقاساة اخلاقهم فان روية الثقيل هو العمي الاصغر
قيل للاعمش مم عمشت عيناك قال من النظر الي الثقلاء ويحكي ان
ابا حنيفة رحمة الله عليه دخل عليه فقال له في الخبر من سلب الله
كريمتيه عوضه الله عنهما ما هو خير له منهما فما الذي عوضك قال
في معرض المطايبة عوضني عنهما انه كفاني روية الثقلاء وانت
منهم وقال بعض الحكماء لكل شي حمي وحمي الروح النظر الي الثقلاء
وفي العزلة سلامة عن جميع ما ذكرنا الفصل الثاني في افات

العزلة وبيان ادابها اما الاولي التعليم والتعلم وقد ذكرنا فضلهما
في كتاب العلم وهما افضل العبادات في الدنيا ولا يتصور ذلك الا بالمخا لطة
الثانية النفع والانتفاع اما الانتفاع بالناس فبالكسب والمعاملة
وذلك لا يتاتي الا بالمخالطة واما النفع فهو ان ينفع الناس اما بماله
او ببدنه فيقوم لحاجتهم علي سبيل الحسبة ففي النهوض بقضاء حوايج
المسلمين ثواب وذلك لا ينال الا بالمخالطة الثالثة التاديب والتادب
ونعني به الارتياض بمقاساة الناس والمجاهدة في تحمل اذاهم كسرا للنفس
وقهرا للشهوات ولا يحصل هذا الا بالمخالطة وهو افضل من العزلة في
حق من لم يتهذب اخلاقه من المريدين واما التاديب فنعني به يروض غيره
وهو حال شيخ الصوفيه معهم فانه لا يقدر علي تهذيبهم الا بمخالطتهم
وحال المعلم وحكمه حكمه الرابعة الاستيناس ويستحب ذلك اذا كان
الغرض منه ترويح القلب لتهييج دواعي النشاط في العبادة فان القلوب
اذا اكرهت عميت فان النفس جموحة لا تالف الحق علي الدوام فتنفر الخامسة
نيل الثواب وانالته اما النيل فبحضور الجنايز وعيادة المرضي وحضور
العيدين اما حضور الجمعة والجماعة في ساير الصلوات فلا رخصة في
تركها واما انالته فهو ان يفتح الباب ليعوده الناس او يعزوه في
المصايب ويهنوه علي النعم فانهم ينالون به ثوابا وان كان من العلماء

اذن لهم بالزيادة حتى نالوا ثوابها السادسة التواضع ولا يقدر عليه
في الوحدة السابعة التجارب فانها تستفاد من مخالطة الخلق فا
فالعقل الغريزي لا يكفي في تفهيم مصالح الدين والدنيا وانما يفيدها
التجربة والممارسة ومن اهم التجارب ان يجرب نفسه واخلاقه وصفات
باطنه وذلك لا يقدر عليه في الخلوة فان كل من اختار العزلة بيسره اذا
خلي ونفسه لم يترشح منه خبثه ولا يكفي تسكينها بالتباعد عما يحركها
فمثال القلب المشحون بهذه الخبائث مثال دمل ممتل بالقيح والمدة و
وقد لا يحس صاحبه بالمدة ما لم يتحرك او يمسه غيره واما اداب العزلة
فخمسة الاول ان ينوي بعزلته كف شر نفسه عن الناس اولا ثم طلب السلامة
من شر الاشرار ثانيا وقيل لراهب يا راهب فقال ما انا براهب انما انا
حابس كلب حبست نفسي حتى لا تعقر الناس الثاني ان ينوي بعزلته الخلاص
من آفة القصور عن القيام بحقوق المسلمين وقال بعضهم اقلل المعارف
فانه اسلم لدينك وقلبك واخف لسقوط الحقوق عنك لانه كلما
كثرت المعارف كثرت الحقوق وعسر القيام بالجميع الثالث ان ينوي
بالعزلة التجرد لعبادة الله ويطلب الفراغ للطاعة الرابع ان يواظب
في خلوته علي العلم والعمل والذكر والفكر ليجتني ثمرة العزلة الخامس
ان يمنع الناس ان يكثروا زيارته فيتشوش وقته ويمتنع هو ايضا

عن السؤال عن اخبارهم وعن اصغاء الي اراجيف البلد وما الناس مشغولون
به فان كل ذلك ينغرس في القلب حتي ينبعث في اثناء الصلوة ثم لا بد له
من اهل صالح او جليس صالح ليستريح نفسه اليه في اليوم ساعة عن كد
المواظبة ففيه عون علي بقية الساعات ولا يتم له الصبر في العزلة
الا بقطع الطمع عن الناس من دنياهم ولا ينقطع طمعه الا بقصر الامل ان
لا يقدر لنفسه عمرا طويلا يصبح علي انه لا يمسي ويمسي علي انه لا يصبح تم
كتاب العزلة بعون الله والله اعلم بالصواب كتاب
اداب السفر وفيه فصلان الفصل الاول في اقسام السفر اعلم ان
السفر سفران سفر بظاهر البدن عن المستقر والوطن وسفر بالقلب فسفر البدن
لا يخلوا من هرب وطلب فالمهروب عنه اما امر يتعلق بالدنيا كالطاعون والو باء
اذا ظهر ببلد وخوف سببه فتنة وخصومة وظلم وغلاء سعر واما امر يتعلق
بالدين كمن ابتلي بجاه او قضاء او ولاية عمل لا تحل مباشرته فيطلب الفرار
منه واما المطلوب فهو اما دنيوي كالمال والجاه وديني كالعلم والعمل والعمل
اما عبادة واما زيادة والعبادة هي الحج والجهاد والزيادة وقد يقصد بها
الاولياء والعلماء وهم اما موتي فيزار قبورهم فانها من القربات واما الا حياء
فيتبرك بمشاهدتهم ويستفاد من النظر الي احوالهم قوة الرغبة في الاقتداء بهم
وقد يقصد بها مكان كمكة والمدينة وبيت المقدس فهذه اقسام القسم

الاول في طلب العلم قال صلى الله عليه وسلم من خرج من بيته في طلب العلم
فهو في سبيل الله حتى يرجع **وقال** من سلك طريقا يلتمس فيه علما
سهل الله له طريقا الى الجنة واما السفر لعلم نفسه واخلاقه فذلك ايضاً
مهم فان طريق الآخرة لا يمكن سلوكه الا بتحسين الخلق وتهذيبه ومن
لا يطلع على اسرار باطنه وخبايث صفاته لا يقدر على تطهير القلب
منها وانما السفر هو الذي يسفر عن الاخلاق وانما سمي السفر سفراً لانه
يسفر عن الاخلاق ولذلك **قال** عمر رضي الله عنه للذي كان يعرف عنه
بعض الشهود هل صحبته في السفر الذي يستدل به على مكارم الاخلاق
فقال لا قال ما اراك تعرفه واما السفر لمشاهدة ايات الله تعالى في ارضه
من الجبال والاشجار والبحار وانواع الحيوانات والنبات واستماع تسبيحها
ايضاً فمهم ولا شي منها الا وهو شاهد لله تعالى بالوحدانية ومسبح بلسان
طلق لا يدركه الا من القى السمع وهو شهيد واما الغافلون المغترون
بلامع السراب من زهرة الدنيا فانهم لا يسمعون وعن ايات ربهم محجوبون
يعلمون ظاهرا من الحيوة الدنيا وهم عن الاخرة هم غافلون وما اريد بالسمع
السمع الظاهر بل اريد السمع الباطن فلا يدرك بالسمع الظاهر الا الاصوات
ويشارك فيه الانسان وساير الحيوانات واما السمع الباطن فيدرك
به لسان الحال وهو نطق وراء نطق المقال يشبه قول القايل حكاية

لكلام

لكلام الوتد والحايط **قال** الجدار للوتد لم تشقني فقال سل من يدقني فلم
يتركني وانظر الحجر الذي ورآي **ولو** قدر عاجز على مثل هذا السير لما كان
سليمان عليه السلام مختصا بفهم منطق الطير ولما كان موسى عليه السلام
مختصاً بسمع كلام الله المقدس عن مشابهة الحروف والاصوات ومن يسافر
ليستقرئ هذه الشهادات من الاسطر المكتوبة بالخطوط الالهية على صفحات
الجمادات لم يطل سفره بالبدن بل يستقر في موضع ويسمع نغمات التسبيحات
من احاد الذرات فما له للتردد في الفلوات وله غنية في ملكوت السموات

القسم الثاني وهو ان يسافر لاجل العبادة اما بجهاد او حج وقد ذكرنا
فضل ذلك ويدخل في جملته زيارة قبور الانبياء وقبور الصحابة والتابعين
وساير الاولياء والعلماء عليهم السلام وكل من يتبرك بمشاهدته في حياته
تبرك بزيارته بعد وفاته **وبالجملة** زيارة الاحياء اولى من زيارة الاموات
والفايدة من زيارة الاحياء طلب بركة الدعاء وبركة النظر اليهم فان النظر الى
وجوه العلماء والصلحاء عبادة وفيه تحريك للرغبة في الاقتداء بهم والتخلق
باخلاقهم **القسم الثالث** ان يكون السفر للهرب من سبب مشوش للدين
وذلك ايضاً حسن والفرار مما لا يطاق من سنن المرسلين وينبغي ان يستفيد
من كل واحد ادبا او كلمة ولا يقيم ببلدة اكثر من اسبوع او عشرة ايام الا ان
يامره الشيخ الذي قصده بذلك ولا يجالس في تلك المدة الا الفقراء الصالحين

وان كان قصده زيارة اخ فلا يقيم عنده اكثر من ثلثة ايام لانه حد الضيافة
الا ان يشق علي اخيه ذلك ولا يقيم عند الشيخ الذي يزوره اكثر من يوم
وليلة ولا يدق بابه بل يصبر الي ان يخرج ويجلس بين يديه ولا يتكلم
الا جوابا ولا يسال مسئلة الا بعد استيذان وقد كان من عادة السلف مفارقة
الوطن خيفة من الفتن **وقال** ابو نعيم رايت سفيان الثوري رحمة
الله عليهما وقد علق قلته بيده ووضع جرابه علي ظهره فقلت الي اين
يا ابا عبد الله فقال قد بلغني عن قرية فيها رخص اريد اقيم بها فقيل
ويفعل هذا قال نعم اذا بلغك ان قرية فيها رخص قايم بها فانه اسلم
لدينك واقل لهمك وهذا هرب من غلاء السعر **القسم الرابع** السفر
هربا مما يقدح في البدن كالطاعون او المال كغلاء السعر وما يجري مجرا
هو لا حرج في ذلك بل ربما يجب الفرار في بعض المواضع وربما يستحب في موضع
ولكن يستثني منه الطاعون لورود النهي عنه **قال** صلي الله عليه وسلم
انه من فناء امتي المسلم الميت منه شهيد والمقيم المحتسب كالمرابط في سبيلي
والفار منه كالفار من الزحف فاذا السفر منه واجب ومنه مندوب
ومنه مباح ومنه حرام والاختلاف في ان السفر افضل والاقامة
يضاهي الخلاف في ان الصحبة افضل ام العزلة فهذه اقسام الاسفار
وثواب المسافر في سفره بحسب نيته وقد قال بعض السلف ان الله تعالي

مطلب فرار طاعون

وكل بالمسافرين ملائكة ينظرون الي مقاصدهم فيعطي كل واحد علي نحو
نيته فمن كانت نيته الدنيا اعطي منها ونقص من اخرته اضعافه
وفرق عليه همه وكثر بالحرص والرغبة شغله ومن كان نيته الاخرة اعطي
من البصيرة والفطنة وفتح له باب من التذكرة والعبرة وجمع له همه ودعت له الملائكة
واستغفرت بقدر نيته **الفصل الثاني** في اداب المسافر وهي عشر
اداب **الاول** ان يتعلم علم الرخص في السفر وهي في الطهارة رخصتان مسح
الخف ثلثا والتيمم وفي صلوة الفرض رخصتان القصر والجمع وفي النفل رخصتان
اداوه علي الراحلة واداوه ماشيا وفي الصوم رخصته وهي التاخير الي
حين الاقامة فهذه سبع رخص **الثاني** ان يرد المظالم ويقضي الديون ويرد
الودايع ان كان عنده **الثالث** ان يجعل زاده من الحلال ويأخذ قدرا يوسع
علي رفقائه ومن كرم الرجل طيب زاده ولا بد في السفر من طيب الكلام واطعام
الطعام واظهار مكارم الاخلاق فان السفر يظهر خبايا الباطن **الرابع**
ان يختار رفيقا فلا يخرج وحده والرفيق ثم الطريق وقد نهي صلي الله عليه وسلم
ان يسافر الرجل وحده وقال الثلاثة نفر فاذا كنتم ثلاثة في سفر فامروا
احدكم من هو اسرعهم ايثارا واحسنهم اخلاقا ويستحب ان لا ينقصوا عن
اربعة قال رسول الله صلي الله عليه وسلم خير الاصحاب اربعة والسر
فيه ان المسافر لا يخلوا عن رجل يحتاج الي حفظه وعن حاجة يحتاج

الي التردد والحافظ استوحش والاربعة يحصلون الفرض الخامس
ان يودع الاهل والاصدقاء ويدعو عند الوداع بدعاء الرسول
صلي الله عليه وسلم ويقول استودع الله دينك وامانتك وخواتيم عملك
واذا ودع المقيم المسافر فليقل زودك الله التقوي وغفر ذنبك ووجهك
للخير حيث توجهت قال صلي الله عليه وسلم اذا اراد احدكم سفرا فليودع
اخوانه فان الله تعالي جاعل في دعائهم البركة السادس ان يصلي قبل السفر
صلاة الاستخارة ويصلي وقت الخروج لاجل السفر اربع ركعات يقرا فيهن
بفاتحة الكتاب وقل هو الله احد ثم يقول اللهم اني اتقرب بهن اليك فاخلفني
بهن في اهلي ومالي فهي خليفة في اهله وماله حتي يرجع السابع ان يسافر
بكرة يوم السبت او يوم الخميس قال صلي الله عليه وسلم بارك لامتي في
بكورها الثامن لا ينزل حتي يحمي النهار فهو السنة ويكون اكثر سيره
في الليل قال صلي الله عليه وسلم عليكم بالدلجة فان الارض تطوي
بالليل ما لا تطوي بالنهار فاذا نزل المنزل فليصل فيه ركعتين ثم ليقل
اعوذ بكلمات التي لا يجاوزهن بر ولا فاجر شر ما خلق واذا جن عليه
الليل يقول يا ارض ربي وربك الله اعوذ بالله من شرك وشر ما فيك
وشر ما دب عليك اعوذ بالله من شر كل اسد واسود وحية وعقرب و
من ساكني البلد ووالد وما ولد ويكبر علي كل شرف من الارض ثلاث تكبيرات

ويقول لا اله الا الله وحده لا شريك له له الملك وله الحمد وهو علي كل شيء قدير
آيبون تائبون عابدون لربنا ساجدون صدق وعده ونصر عبده وهزم
الاحزاب وحده واذا اشرف علي مدينته فليقل اللهم اجعل لنا بها قرارا وار زقنا
زقا حسنا ثم يرسل الي اهله من يخبرهم بقدومه كيلا يقدم عليهم بغتة
فيري ما يكره التاسع ان يحتاط بالليل والنهار فلا يمشي منفردا خارج ح
القافلة ويكون متحفظا عند النوم كان عليه السلام اذا نام في ابتداء
الليل في سفر افترش ذراعيه وان نام في اخر الليل نصب ذراعيه وجعل راسه
في كفه لئلا يثقل في النوم ومهما قصده عدو او سبع فليقرا آية الكرسي
وشهد الله والمعوذتين والاخلاص وليقل بسم الله ما شاء الله لا قوة
الا بالله حسبي الله توكلت علي الله ما شاء الله لا ياتي بالخيرات الا الله
ما شاء الله لا يصرف السوء الا الله وكفي سمع الله لمن دعا ليس وراء الله
منتهي ولا دون الله ملتجي كتب الله لاغلبن انا ورسلي ان الله لقوي
عزيز تحصنت بالله العظيم واستعنت بالحي الذي لا يموت اللهم اعطف علي
احرسني بعينك التي لا تنام واكنفني بركنك الذي لا يرام وارحمني بقدرتك
علي ولا تهلكني وانت ثقتي ورجائي اللهم اعطف علي قلوب عبادك واما ئك
برافة ورحمة انك انت ارحم الراحمين العاشر ان يرفق بالدابة فلا
يحملها ما لا يطيق ولا يضرب وجهها ولا ينام عليها فانه يثقل بالنوم

مطلب حسنات السفر

ويستحب ان ينزل عن الدابة غدوة وعشية وينبغي ان يقر مع المكاري
ما يحمله شيئا ويعرضه عليه ولا يحمل فوق المشروط شيئا وان خف
وروي ان رجلا قال لابن المبارك وهو على دابته احمل لي هذه الرقعة
الي فلان فقال حتي استاذن الجمال الحادي عشر ما ينبغي ان يستصحب معه
قالت عايشة رضي الله عنها كان رسول الله صلي الله عليه وسلم اذا
سافر حمل خمسة اشياء المراءة والمكحلة والمقراض والمشط والسواك
الثاني عشر اداب الرجوع عن السفر كان عليه السلام اذا قفل من غزو او حج
او غيره دخل المسجد اولا وصلي ركعتين ثم دخل البيت وقال توبا توبا
لربنا اوبا لا يغادر علينا حوبا ولا ينبغي ان يطرقهم ليلا اذا رجع من
سفره لورود النهي عنه وينبغي ان ياتي لاهل بيته واقاربه بتحفة او
مطعوم او غيره علي قدر امكانه فهو سنة تم كتاب السفر بحمد الله وعونه

كتاب السماع اعلم ان القلوب خزاين الاسرار
ومعادن الجواهر وقد طويت فيها جواهرها كما طويت النار في الحديد
واخفيت كما اخفي الماء تحت التراب ولا سبيل الي استثارة خفاياها
الا بقداح السماع فلا منفذ الي القلوب الا من دهليز الاسماع فالنغمات
الموزونة المستلذة تخرج ما فيها وتظهر محاسنها ومساويها فلا يظهر
من القلب عند السماع الا ما يحويه كما لا يترشح الاناء الا بما فيه اذا كانت القلوب

بالطباع مطيعة للاسماع حتي ابدت مكامنها وكشفت محاسنها ومسا ويها
وجب شرح القول في السماع والوجد ونحن نوضح ذلك في بابين الباب
الاول في تحريم السماع وتحليله اعلم ان السماع هو اول الامر ويثمر السما ع
حالة في القلب تسمي الوجد ويثمر الوجد تحريك الاطراف اما تحركه غير موزون
فتسمي الاضطراب واما موزونه فتسمي الرقص والتصفيق فنبداء بحكم
السماع وهو الاول احرام هو ام مباح ثم نذكر الدليل علي اباحته ثم نورد فيه
الجواب عما تمسك به القايلون بتحريمه اما حكم السماع فقد قال الشافعي رحمة الله
في كتاب ادب القاضي ان الغناء لهو مكروه يشبه الباطل ومن استكثر منه فهو
سفيه ترد شهادته واستماعه من المراة التي ليست بمحرم لا يجوز سواء كانت
مسفرة او من وراء حجاب فسواء كانت حرة او مملوكة وقال مالك رحمة الله
عليه اذا اشتري جارية فوجدها مغنية كان له ردها ونهي مالك
ايضا عن الغناء وقال ابو حنيفة رحمة الله عليه ان الغناء مكروه
واستماعه ذنب وكذلك مذهب سفيان الثوري والشعبي وحسن البصري
وحماد وابرهيم النخعي وغيرهم ونقل ابو طالب المكي اباحة السماع وقال
سمع من الصحابة مثل عبد الله بن جعفر وابن الزبير والمغيرة ابن شعبه و
معاوية وغيرهم من السلف صحابي وتابعي رضي الله عنهم اجمعين وقد كان
سري السقطي والجنيد وذا النون المصري رحمة الله عليهم يسمعون فقالوا مطلب السماع

مطلب السماع

ننكر السماع وقد سمعه من هو خير منا قال الجنيد رحمه الله تنزل الرحمة
علي هذه الطايفة في ثلثة مواضع عند الاكل لانهم لا ياكلون الا عن فاقة
وعند المذاكرة لانهم لا يتجاوزون في مقامات الصديقين وعند السماع
لانهم يسمعون بوجد ويشهدون حقا وروي ان ابن جريج كان يرخص في
السماع فقيل له يوتي به يوم القيمة في جملة حسناتك او سيئاتك فقال
لا في الحسنات ولا في السيئات لانه يشبه باللغو قال الله تعالي لا يواخذكم
الله باللغو في ايمانكم حكي ان ممشاد الدينوري رحمه الله قال رايت النبي
عليه السلام في المنام فقلت يا رسول الله هل تنكر من هذه السماع شيئا
فقال ما انكر منه شيا ولكن قل لهم يفتتحوا قبله بالقرآن هذا ما نقل من الا
قاويل ومن طلب الحق من التقليد فمهما استقصي تعارضت عنده هذه
الاقاويل فيبقي متحيرا او مايلا الي بعض الاقاويل بالتشهي فكل ذلك قصور
بل ينبغي ان يطلب الحق بطريقه وذلك بالبحث عن مدارك الحظر اما
الدليل علي اباحته فهو انه عبارة عن سماع صوت طيب موزون مفهوم
المعني محرك للقلب وليس في جملة ذلك الا التذاذ حاسة السمع والقلب
فهو كالتذاذ حاسة البصر بالنظر الي الخضرة والتذاذ القلب وقد قال تعالي
يزيد في الخلق ما يشاء ففسروه بالصوت الحسن وفي الحديث ما بعث الله
نبيا الا وهو حسن الصوت ومحال ان يقال هو مباح لكتاب الله ولتلاوته

فان السماع الصوت العندليبيه مباح وليس بقراءة القرآن فاذا كان اسماع ٤
الصوت مباحا فبان يكون موزونا لا يحرم كيف واصوات العنادب موزونة
لها مقاطع ومبادي متناسبة وهذا لا يختلف بان يكون خروج هذا الصوت
من خلق ادميا وطيرا وغيرهما فينبغي ان يقاس علي اصوات الطيور وما يخرج من
الاجسام كالطبل والقضيب والدف والقصب ولا يستثني من جملتها الا ما ورد
به النص في تحريمه وذلك في الاوتار والمزامير التي كانت معتاده للشرب ولو كان
التحريم للذة او الوزن يحرم سماع اصوات الطيور المطربة والترنم بالاصوات
وليس كذلك بل لله سر في مناسبة النغمات الموزونة للارواح حتي انها لتؤثر شر
فيها تاثيرا عجيبا فمن الاصوات ما يفرح ومنها ما يحزن ومنها ما ينوم ومنها ما
يضحك ولا ينبغي ان تظن ان ذلك لفهم معاني الشعر بل سنة الله تعالي في الارواح
اما تري ان الصبي في مهده فقد يسكنه الصوت الطيب عن بكائه وتنصرف نفسه
عما يبكيه الي الاصغاء اليه والجمل مع بلادة طبعه يتاثر بالحداء تاثيرا يستخف
مع الاحمال الثقيلة وربما تتلف نفسها في شدة السير وثقل الحمل وهي لا تشعر به
نشاطها وقد حكي ان ابا بكر الدينوري قال كنت في البادية فوافيت قبيلة
من قبايل العرب واضافني رجل منهم وادخلني خباهم فرايت في الخيام عبدا مقيدا
بقيد فقال لي الغلام انت ضيف وسيدي مكرم بضيفه فلا يرد شفقا علك
فعسي يحل القيد عن رجلي فلما احضروا الطعام امتنعت وقلت ما اكل ما لم

اشفع في هذا العبد فقال ان الغلام قد افقرني واهلك جميع مالي فقلت ما
ذا فعل فقال ان له صوتا طيبًا وكنت اعيش من ظهور الجمال فحملها احمالا
ثقالا وكان يحدوا حتي قطع مسيرة ثلثة ليال في ليلة من طيب نغمته
فلما حططت احمالها ماتت كلها فاذا تاثير السماع في القلوب محسوس ومن لم
يحركه السماع فهو ناقص العقل مايل عن الاعتدال حتي قيل من لم يحركه الربيع
وازهاره والعود واوتاره فهو فاسد المزاج لا يقبل العلاج فالترنم بالكلام
المستجمعة الموزونة في التشويق الي طاعة الله مباح كغناء الحجاج لانها
اشعار نظمت في وصف الكعبة ومدح النبي عليه السلام وغيرهما وتاثيرها
انه يهيج الشوق الي حج بيت الله الحرام وزيارة نبيه عليه السلام واذا كان
الحج قربة والشوق اليه محمودا فكان التشويق اليه بكل ما يشوق محمودًا فاذا
اضيف اليه الطبل والشاهين زاد التاثير وكل ذلك جايز ما لم يدخل المزامير
والاوتار التي هي شعار اهل الشرب وكذلك الغزاة لتحريض الناس علي الغزو
وذلك ايضا مباح كالحجاج وكذلك في كل سبب مباح من اسباب السرور اذا
كان ذلك السرور مباحًا كالغناء في ايام العيد وفي العرس وفي قدوم الغائب
وعند الولادة والختان وعند حفظ الصبي القرآن وكلما جازت اثارة السرور
فيه ويدل علي هذا من النقل انشاد النساء بالدف والالحان عند قدوم
رسول الله صلي الله عليه وسلم طلع البدر علينا من ثنيات الوداع وجب

الشكر

الشكر علينا ما دعا لله داع فهذا ما اردنا ان نذكره من اقسام السماع وبواعثه
وقد ظهر علي القطع اباحته في بعض المواضع والندب اليه في بعض بل اظهار
السرور بالرقص والحركات جايز فقد نقل عن عايشة رضي الله عنها
ان ابا بكر رضي الله عنه دخل عليها وعندها جاريتان مغنيتان وتدففان
وتضربان والنبي صلي الله عليه وسلم مغشي بثيابه فانتهرها ابو بكر رضي الله
عنه فكشف النبي عليه السلام عن وجهه وقال دعهما يا ابا بكر فانها ايام عيد
اشارة الي انه وقت سرور وعن عايشة رضي الله عنها قالت والله لقد
رايت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقوم علي حجرتي والحبشة يلعبون في
مسجد رسول الله صلي الله عليه وسلم وهو يسترني بردائه لكي انظر الي لعبهم
ثم يقوم من اجلي حتي اكون انا الذي انصرفت فدل ذلك علي ان الغناء واللعب و
الرقص ليس بحرام الا ان السماع قد يحرم لعوارض احدها ان يكون المسمع امراة
لا يحل النظر اليها ويخشي الفتنة في سماعها وفي معناها الصبي الذي يخشي الافتتان
به الثاني في الالة بان يكون من شعار اهل الشرب كالملاهي والجنين كالكوبة
فاما الدف وان كان فيه جلاجل والطبل والشاهين والضرب بالقصب فعلي
الاباحة ان لم يكن في الشعر فحش او امر لا يحل الثالث ان يكون الشهوة غالبة
علي المستمع ويكون في عنفوان شبابه فالسماع عليه حرام مطلق لان السماع
يحرك شهوته ويحمله علي صورة محرمة عليه الرابع ان يكون الشخص من العوام

مطلب حرمة السماع بسبب العوارض

الذين يغلب عليهم حب الله بحيث يحمل السماع عليها ولكنه يكثر منه
ويصرف معظم اوقاته اليه فهذا سفه اما حجة القايلين بتحريم السماع
فالجواب عنه احتجوا بقوله تعالى ومن الناس من يشتري لهو الحديث قالوا
ان لهو الحديث هو الغناء فنقول شرا لهو الحديث بالدين استبدالا به
ليضل عن سبيل الله حرام مذموم ولا نزاع فيه فليس كل غناء بدلا عن
الدين مشتري به مضلة عن سبيل الله وهو المراد في الآية ولو قرا القرآن
ليضل عن سبيل الله كان حراما حكي عن بعض المنافقين انه كان يوم الناس
ولا يقرا الا سورة عبس لما فيه من العتاب على الرسول صلى الله عليه وسلم
فهم عمر رضي الله عنه ان يقتله فالاضلال بالشعر والغناء اولى بالتحريم واحتجوا
بقوله تعالى افمن هذا الحديث تعجبون وتضحكون ولا تبكون وانتم سامدون
قال ابن عباس هو الغناء بلغة حمير فنقول فينبغي ان يحرم الضحك وعدم
البكاء ايضا واحتجوا بقوله عليه السلام ان الله حرم القينة وثمنها و
تعليمها فنقول القينة هي الجارية التي تغني للرجال في مجلس الشرب وقد
ذكرنا ان غناء الاجنبية للفساق حرام والصبي في معناها واما غناء
الجارية فلا يفهم تحريمه من هذا الحديث بل لغير مالكها عند عدم الفتنة
بدليل ما روي في الصحيح من غناء الجاريتين في بيت عايشة رضي الله
عنها واحتجوا بما روي عنه صلى الله عليه وسلم انه قال اول من ناح

اول

اول من تغنى ابليس قلنا لا حرج كما استثني غير نياحة داود عليه السلام
ونياحة المذنبين على خطاياهم فكذلك يستثني الغناء الذي يراد به
تحريك السرور واعلم ان الحزن على الاموات من هذا القبيل فانه تسخط
لقضاء الله تعالى وتاسف على ما تداركه له فهذا الحزن لما كان مذموما تحريكه
بالنياحة فلذلك ورد النهي في النياحة واما الحزن المحمود فهو تحسر الا
نسان
على تقصيره في امر دينه وبكاؤه على خطاياه والبكاء والتباكي والحزن و
التحازن على ذلك محمود وعليه بكاء آدم عليه السلام ونياحة داود
وتحريك هذا الحزن وتقويته محمودة لانه ينبعث على التشمر للتدارك
مطلب شعر الواعظ
حتى كانت ترفع الجنايز من المجالس بنياحة داود عليه السلام وذلك محمود
لان المفضي الى المحمود محمود وعن هذا لا يحرم على الواعظ طيب الصوت ان ينشد
على المنبر بالحانه الاشعار المحزنة المرققة للقلب واحتجوا بقوله عليه السلام
ما رفع احد صوته بغناء الا بعث الله شيطانين على منكبيه يضربان باعقا
بهما
على صدره حتى يمسك قلنا هو مراد الشيطان من الشهوة وعشق المخلوق واحتجوا
هو ينزل على بعض انواع الغناء الذي قدمناه وهو الذي يحرك من القلب ما هو محرم
بقوله عثمان رضي الله عنه ما تغنيت ولا تمنيت ولا مسست ذكري بيميني
منذ بايعت رسول الله صلى الله عليه وسلم فنقول فالتذكر اليمين ومعين
الذكر حراما اذ كان هذا دليل تحريم الغناء فمن اين ثبت ان عمر رضي الله عنه
كان لا يترك الحرام واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه الغناء ينبت

ان عمر رضي الله عنه كان لا يترك الحرام واحتجوا بقول ابن مسعود رضي الله عنه
الغناء تنبت النفاق كما ينبت الماء البقل فنقول اراد به المغنا فانه في حقه
ينبت النفاق اذ في غرضه كله ان يعرض نفسه علي غيره ويروح صوته ولا
يزال ينافق ويتودد الي الناس ليرغبوا في غناه واحتجوا بقول ابن عمر رضي الله
عنه حين مر علي قوم محرمين وفيهم رجل مغن فقال الا لا اسمع الله لكم فنقول
قول ابن عمر رضي الله عنهما لا يدل علي التحريم من حيث انه غناء بل كانوا محرمين
ولا يليق بحالهم فانكر ذلك عليهم واحتجوا بما روي عن نافع انه قال مع ابن
عمر في طريق فسمع مزمار راع فوضع اصبعيه في اذنيه ثم عدل عن الطريق فلم
يزل يقول يا نافع اسمع ذلك حتي قلت لا فاخرج اصبعيه وقال هكذا رايت
رسول الله صلي الله عليه وسلم يفعل فنقول وضعه الاصبع في اذنه يعارضه
انه لم يامر نافعا بوضع الاصبع ولا انكر عليه سماعه وانما وضع هو اصبعه
لانه راي انه ينزه في الحال سمعه وقلبه عن صوت ربما يحرك اللهو ويمنعه
عن فكر الذي كان فيه وهو اولي منه وكذلك فعل رسول الله صلي الله عليه وسلم
مع انه لم يمنع ابن عمر رضي الله عنهما وهو لا يدل علي التحريم بل يدل علي ان الاولي
تركه ونحن نقول هكذا ان الاولي تركه واعلم ان الشافعي رحمة الله عليه
ليس تحريم الغنا من مذهبه اصلا وقد نص في الرجل يتخذه صناعة لم تجز
شهادته وكان منسوبا الي السفاهة وسقوط المروة والله اعلم

الباب الثاني في اثار السماع في القلب بالوجد وفي الجوارح بالرقص

والزعقة وتمزيق الثياب اعلم ان اول درجة السماع فهم المسموع وتنزيله
علي معني يقع للمستمع ثم يثمر الفهم الوجد الحركة بالجوارح فلينظر في هذه المقامات
الثالثة المقام الاول في الفهم وهو يختلف باختلاف احوال المستمع وله اربعة
احوال احدها ان يكون سماعه بمجرد الطبع اي لا حظ له في الفهم ~~وهو يختلف~~
السماع الا التلذذ بالنغمات وهذا مباح وهو اخس رتب السماع والابل
وساير البهايم شركة فيه والثانية ان يسمع بفهم ولكن ينزله علي صورة
محرمة عليه وهذا حرام الحالة الثالثة ان ينزله علي احوال نفسه في
معاملته مع الله سبحانه وتعالى وهذا سماع المريدين والمريد المبتدي في سماعه عه
علي خطر لان لكل كلام وجوها ولكل ذي فهم في اقتباس المعني فيه حظ وليس
علي المستمع مراعات مراد الشاعر من كلامه كقوله كل يوم تتلون غير هذا بك
اجمل في سبيل الله ود كان مني لك بتذلك وكان قايل يقول هذا فسمع شاب
فقير لابس مرقعة فقال والله هذا تلوني مع الخلق في حالي فشهق شهقة
ومات رحمه الله واذا سمع المريد مثل هذا البيت ولا ينزل علي حاله ويخاطبه به
ربه فيصرف التلون في قبوله ورده وتقريبه وابعاده وهذا المعني
في حق الله تعالى ايضا يفسق بل ينبغي ان يعلم انه يلون ولا يتلون ويغير
ولا يتغير بخلاف عباده وحكي عن ابي القاسم بن مروان انه ترك حضور

الباب الثاني

السماع سنين فحظر في دعوةٍ وفيها انسان يقول واقف في الماء
عطشان ولكن ليس يسقي فقام وتواجد فلما سكن سالوه ما وقع
له من معني البيت فاشار بالعطش الي الاحوال الشريفة والحرمان منها
مع حضور اسبابها وكان السبلي رحمة الله عليه يتواجد علي هذا البيت
كثيرًا ودادكم هجر وحبكم قلي ووصلكم صرم وسلمكم حرب فانه لو حمل
علي الله كان كفرا وقد يسمع شخصان شيئا واحدا فيحمله كل واحد منهما
علي معني يبتدر الي الفهم انهما متناقضان ومع ذلك يمكن الجمع بينهما مثاله
ما حكي ان عتبة الغلام سمع قايلًا يقول سبحان جبار السماء ان المحب لفي
عناء فقال صدقت وسمع اخر هذا فقال كذبت ووجه الجمع بينهما ان التصديق
صدر من محب لم يتمكن من المراد بل هو مصدود والتكذيب صدر من محب غير
مصدود عن المراد الحالة الرابعة سماع من جاوز الاحوال والمقامات
معروب عن فهم ما سوي الله تعالي حين غرب عن نفسه واحوالها ومعاملاتها
وكان كالمدهوش الغايص في عين الشهود الذي يضاهي حاله حالة النسوة
اللاتي قطعن ايديهن في مشاهدة جمال يوسف حتي بهتن وسقط احساسهن
وعن مثل هذه الحالة يعبر الصوفية بانه فني عن نفسه فهو عن غيرها افني كانه
فني عن كل شي الا عن الواحد المشهود فلا يري في كل شي الا الله بقا ومثل
هذه الحالة قد تطري في حق المخلوقين وتطري ايضا في حق الخالق ولكنه

في الغالب يكون كالبرق الخاطف الذي لا يثبت ولا يدوم فان دام لم تطقه
القوة البشرية فلا يضطرب اضطرابا تهلك فيه نفسه كما روي عن ابي الحسين
النوري رحمة الله عليه انه حضر مجلسا فسمع هذا البيت ما زلت نزل في
ودادك منزلا تتحير الالباب عند نزوله فقام وتواجد وهام علي وجهه
فمات بعد ايام فهذه درجة الصديقين في الفهم والوجد بان تفني بالكلية
بشريته ولست اعني بفنائه فناء جسده ولست اعني بالقلب اللحم والدم — مطلب في مفهوم الوجد
بل سر لطيف له الي القلب الظاهر نسبة خفية وراها سر الروح الذي
هو من امر الله عرفها من عرفها وجهلها من جهلها ولذلك السر وجود وصورة
ذلك الوجود ما يحضر فيه فاذا حضر فيه غيره فكانه لا وجود الا للحاضر
ومثاله المراة المجلية اذ ليس لها لون في نفسها بل لونها لون الحاضر فيها
ومثاله الزجاجة فانها تحكي لون قرارها ولونها لون الحاضر فيها وليس
لها في نفسها صورة بل صورتها قبول الصور ولونها هي هيئة الاستعداد
لقبول الالوان يعبر عن هذه الحقيقة في سر القلب بالاضافة الي ما يحضر فيه
قول الشاعر رق الزجاج ورقت الخمر ٭ فتشابها فتشاكل الامر ٭ فكانها خمر
ولا قدح ٭ وكانها قدح ولا خمر ٭ فهذه مغاصة من مغاصات علوم
المكاشفة عنها نشا خيال من ادعي الحلول والاتحاد انا الحق وهو غلط
محض يضاهي غلط من يحكم علي المراة بصورة الحمرة اذا ظهر فيها لون الحمرة

من مقابلها واذا كان هذا غير لايق بعلم المعاملة فلنرجع الى الغرض
المقام الثاني بعد الفهم والتنزيل الوجد وقد اختلف الناس فيه
فقال بعضهم هو سر الله تعالى عند المومنين لا يمكن التعبير وقال قوم انه
مكاشفات من الحق وقال بعض الحكماء في القلب فضلة شريفة تعذر على
قوة النطق اخراجها باللفظ فاخرجتها النفس بالالحان فلما ظهرت سرت
وطربت اليها فاستمعوا من النفس وناجوها وتركوا مناجاة الظواهر و
التحقيق في ذلك ان الوجد حالة يثمرها السماع وهي اما ترجع الى مكاشفات
هي من قبيل العلوم تغيرات كالشوق والسرور والحزن ونحو ذلك فان
قوي الحال اثر في الاضطراب في تحريك الاعضاء وكانه يصفي القلب وصفاء
القلب سبب للكشف ونشاط القلب فيقوى على مشاهدة ما كان يقصر عن
ادراكه كما ان الجمل ينشط بالحداء ويحمل ما كان يقصر عن حمله وينقسم هذا
الوجه الى هاجم والى متكلف والمتكلف ينقسم الى مذموم وهو الذي يقصد به
الرياء والى محمود وهو الذي يستدعي به الاحوال الشريفة فان للكسب
مدخلا في جلب الاحوال واليه الاشارة بقوله عليه السلام فان لم تبكوا
فتباكوا واذا داوم على التكلف صار ذلك دابا وعادة فان قلت
فما بال الوجد يظهر منهم عند الاشعار اكثر منه عند قراءة القرآن قلنا
لوجوه احدها ان جميع ايات القرآن لا تناسب حال المستمع فمن استولى عليه

حزن او شوق فمن اين يناسبه قوله تعالى يوصيكم الله في اولادكم
وروي ان الحسن الثوري حضر مع جماعة في دعوة فكانوا يتذاكرون
مسئلة عن العلم وابو الحسن ساكت ثم رفع راسه وانشدهم رب ورقاء
هتوف بالضحى ذات شجو صدحت في فنن • ذكرت الفا ودهرا صالحا •
فبكت حزنا فهاجت حزني • فبكائي ربما ارقها • وبكاها ربما ارقني •
ولقد اشكو فما افهمها • ولقد تشكو فما تفهمني • غير اني بالجوى اعرفها •
وهي ايضا بالجوى تعرفني • فما بقي احد في القوم الا قام وتواجد ولم يحصل لهم
وجد من العلم الذي خاضوا فيه الوجه الثاني ان القرآن محفوظ في القلوب
متكرر على الاسماع فالمتكرر يقل تاثيره وعليه يحمل ما روي ان الاعراب
كانوا يقدمون ويسمعوا القران فيبكون فقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
هكذا كنا حتى قست قلوبنا لما تكرر علينا الثالث ان الشعر موزون
وللموزون مع طيب الصوت تاثير عظيم الرابع ان الالحان تزيد لذة وهي
في القرآن محرمة او مكروهة الخامس ان انظام الدف وغيره اليه تزيده لذة
والقرآن منزه ان يقرن باللهو السادس ان القرآن صفة من صفاته عز وجل
وليس بمخلوق فلا يطيقه المخلوق ما دام في دار الدنيا بخلاف الشعر فانه
مخلوق يناسبه المخلوق وقيل الوجد يظهر بسماع القرآن ايضا وكل ما يوجد
عقيب السماع بسبب السماع في النفس فهو وجد فالطمانينة والاقشعرار والخشية

مطلب حرمة الالحان في القرآن

مطلب الوجد

ولين القلب كل ذلك وجد في الصحابة والتابعين منهم من صعق عند القراة
القرآن ومنهم من بكى ومنهم من غشي عليه ومنهم من مات غشية وروى
عن ابن مسعود رضي الله عنه انه قرا على رسول الله صلى الله عليه وسلم
فلما انتهى الى قوله فكيف اذا جئنا من كل امة بشهيد وجئنا بك على
هؤلاء شهيدا فقال حسبك وكانت عيناه تذرفان بالدمع وسمع عمر
رضي الله عنه رجلا يقرا ان عذاب ربك لواقع ما له من دافع فصاح صيحة
وخر مغشيا عليه فحمل الى بيته فلم يزل مريضا في البيت شهرا وكان
زرارة بن اوفى من التابعين يؤم الناس فقرا فاذا نقر في الناقور فذلك
يومئذ يوم عسير فصعق ومات رضي الله عنه وقال جرير من التابعين
قرا عليه صالح المري فاتقون يا اولي الالباب فشهق ومات وسمع
الشافعي رحمة الله عليه قاريا يقرا يوم لا ينطقون الاية فغشي عليه
وكان الشبلي رحمة الله عليه في مسجد ليلة من رمضان وهو يصلي خلف
الامام فقرا الامام ولئن شئنا لنذهبن بالذي اوحينا اليك فزعق
الشبلي زعقة فسقط وكان يقول بمثل هذا يخاطب الاحباب قال
الجنيد رحمة الله عليه دخلت على السري السقطي فوجدت بين يديه
رجلا غشي عليه فقال لي هذا رجل سمع آية من القرآن فغشي عليه فقلت له
اقرا عليه تلك الاية فقرئت فافاق فقال من اين قلت هذا قلت رايت

يعقوب

يعقوب عليه السلام كان عماه من اجل المخلوق فبمخلوق ابصر ولو كان عماه من
اجل الحق ما كان ابصر بمخلوق فاستحسن ذلك ويشير الى ما قاله الشاعر
وكاس شربت على لذة واخرى تداويت منها بها وسمع رجل من اهل التصوف
قاريا يقرا يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك فاستعادها من القاري
وقال كم اقول لها ارجعي وليست ترجع وتواجد وزعق زعقة ومات الى
رحمة الله تعالى وقال بعض الصوفية كنت اقرا الليلة هذه الاية كل نفس
ذائقة الموت فجعلت ارددها فاذا هاتف يهتف كم تردد
هذه الاية فقد قتلت اربعة من الجن وبالجملة لا يخلو المؤمن عن وجد عند
سماع القرآن ومن لا يؤثر فيه اصلا فمثله كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء
ونداء صم بكم عمي فهم لا يعقلون المقام الثالث الحركات ولنذكر
ههنا اداب السماع وهي خمسة الاول مراعات الزمان بان لا يكون وقت
صلوة ووقت حضور طعام وشبهة والثاني مراعات المكان بان لا يكون
على الطريق او موضعا كريه الصورة او فيه سبب يشغل القلب والثالث
مراعات الاخوان من ان لا يكون من غير الجنس منكر السماع متزهد
بالظاهر مفلس عن لطايف القلوب وكان ثقيلا في المجلس واشتغل القلب به
وكذا اذا حضر متكبر من اهل الدنيا يحتاج الى مراعاته والرابع ان يكون
مصغيا الى ما يقوله القوال المطرب ولا يلتفت الى الجواب ويحترز الى وجه

مطلب

مطلب

المستمعين ويكون مشتغلا بنفسه ومراعات قلبه ومراقبة ما يفتح له
من رحمة الله تعالى في سره ويجتنب عن حركة تشوش على اصحابه قلوبهم بل
يكون ساكن الظاهر محترزا عن التنحنح والتثاوب يجلس مطرقا راسه فان
غلبه وجد وحركة بغير اختياره فهو فيه معذور حكي ان شابا يصحب الجنيد
رحمهم الله وكان اذا سمع شيا من الذكر يزعق فقال له الجنيد ان فعلت ذلك
مرة اخري لم تصحبني فكان بعد ذلك يضبط نفسه حتى يقطر من كل شعرة
من جسده قطرة ماء ولا يزعق فحكي انه اختنق يوما لشدة ضبطه لنفسه
فشهق شهقة فانشق فتلفت نفسه رحمة الله وروي ان موسى
عليه السلام قص في بني اسرائيل قصة فمزق واحد منهم ثوبه فاوحي الله تعالى
الي موسى عليه السلام قل له مزق قلبك ولا تمزق ثيابك والخامس ان يراعي
الحاظرين ولا يشوش عليهم بافعاله واقواله فلا يظنن من يضرب بنفسه
علي الارض انه اتم وجدا من الساكن باضطرابه بل رب ساكن اتم وجدا من المضطرب
لكمال قوته على ضبط جوارحه واليه الاشارة في قول الصديق رضي الله عنه
كنا كما كنتم فقست قلوبنا معناه قويت قلوبنا واشتدت فصارت تطيق
ملازمة الوجد في كل الاحوال وايضا كان الجنيد رحمة الله عليه يتحرك في
السماع في بدايته صار لا يتحرك فقيل له في ذلك فقال وتري الجبال
تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب اشارة الي ان القلب مضطرب في الملكوت

والجوارح متادبة ساكنة في الظاهر وقال ابو الحسن البصري رحمة الله عليه
صحبت سهل بن عبد الله ستين سنة فما رايته يتغير عند شي كان يسمعه من
الذكر فلما كان في آخر عمره قراء رجل بين يديه فاليوم لا يوخذ منكم فدية الاية
فرايته قد ارتعد وكاد ان يسقط فلما عاد الي حاله سالته عن ذلك
فقال نعم يا حبيبي قد ضعفنا ومن الادب موافقة القوم في القيام اذا
قام واحد منهم وقامت له الجماعة فلا بد من الموافقة فذلك من اداب
الصحبة وكذلك الموافقة في خلع العمامة اذا سقطت عمامة صاحب وجد
وهذه وان كانت بدعة لكن هي لا تضاد سنة وبالجملة ان السماع
قد يكون حراما محضا وقد يكون مباحا وقد يكون مستحبا وقد يكون مكروها
اما الحرام فهو لاكثر الناس من الشباب فمن غلبت عليه شهوة الدنيا فلا يحرك
السماع الا ما هو الغالب على قلبه من الصفات المذمومة واما المكروهة
فهو لمن لا ينزله علي صورة المخلوقين ولكنه يتخذه عادة له علي سبيل اللهو
واما المباح فهو لمن لا حظ له الا التلذذ بالصوت الحسن واما المندوب
فهو لمن غلب حب الله سبحانه وتعالى ولم يحرك السماع منه الا الصفات
المحمودة والله اعلم

كتاب الامر بالمعروف والنهي عن المنكر

اعلم ان هذا الامر هو القطب الاعظم في الدين لهذا بعث الله الانبياء والمرسلين
عليهم السلام ولولاه لفشت الضلالة وشاعت الجهالة وانتشر الفساد

مطلب انواع السماع

وخربت البلاد وهلك العباد وقد كان الذي خفنا ان يكون فانا لله
وانا اليه راجعون وقد اندرس من هذا القطب عمله وعلمه وانمحق بالكلية
رسمه واستولت علي القلوب مداهنة الخلق وارتفعت عنها مراقبة
الخالق واسترسل الناس في اتباع الهوي والشهوات استرسال البهايم وعز
علي بسيط الارض مؤمن صادق لا ياخذه في الله لومة لائم وها نحن نشرح
ذلك في ثلثة ابواب الباب الاول في وجوبه وفضيلته والذم
في اهماله وتدل عليه الايات والاخبار والاثار اما الايات قوله تعالي
ولتكن منكم امة يامرون بالمعروف وينهون عن المنكر واولئك هم المفلحون
ولكن امر وظاهر الامر الايجاب وفيها بيان ان الفلاح منوط به وفيه
بيان انه فرض كفاية لانه قال ولتكن منكم واختص الفلاح بالقايمين
به المباشرين وان تقاعد الخلق اجمعون عم الحرج كافة لا محالة وقال تع
والمومنون والمومنات بعضهم اولياء بعض يامرون بالمعروف وينهون
عن المنكر الاية ونعت المومنين بانهم يامرون بالمعروف والذي هجر الامر
بالمعروف خارج عن هولاء المومنين المنعوتين في هذه الاية وقال تع
كانوا لا يتناهون عن منكر فعلوه وهذه غاية التشديد اذ علق استحقاقهم
اللعنة بتركهم النهي عن المنكر في قوله لعن الذين كفروا وقال لا خير في كثير
من نجويهم الا من امر بصدقة او معروف او اصلاح بين الناس الاية الاخبار

عن ابي بكر الصديق رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم
ما من قوم عملوا بالمعاصي وفيهم من يقدر ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك
ان يعمهم بعذاب من عنده وقال لتامرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر
او ليسلطن الله عليكم شراركم ثم يدعوا خياركم فلا يستجاب لهم وقال
قال الله تعالي اذا عصاني من يعرفني سلطت عليه من لا يعرفني وقال كل
كلام ابن ادم لا له بل عليه الا امر بمعروف او نهي عن منكر او ذكر الله تعالي
وقال عن ابي ذر عن ابي بكر الصديق رضي الله عنهما يا رسول الله هل من
جهاد غير قتال المشركين قال صلي الله عليه وسلم نعم يا ابا بكر ان لله
مجاهدين في الارض افضل من شهداء يباهي الله بهم ملائكة السماء
فقال يا رسول الله ومن هم قال هم الامرون بالمعروف والناهون عن المنكر
والمحبون في الله والمبغضون في الله وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ياتي علي الناس زمان يذوب قلب المؤمن
في جوفه كما يذوب الملح في الماء مما يري من المنكر فلا يستطيع تغييره وعن ابي هريرة
رضي الله عنه قال قال رسول الله صلي الله عليه من حضر معصية فكرهها
فكانه غاب عنها ومن غاب عنها فاحبها فكان حضرها ومعني الحديث ان يحضر
لحاجة او يتفق جريان ذلك فاما الحضور قصدا فممنوع وعن عمر رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلي الله عليه وسلم بئس القوم قوم لا يامرون بالقسط

عدل

وبئس القوم قوم لا يأمرون بالمعروف ولا ينهون عن المنكر **الاثار** سئل
حذيفة رضي الله عنه عن ميت الاحياء فقال الذي لا ينكر المنكر بيده
ولا بلسانه ولا بقلبه **وقال** حذيفة يأتي على الناس زمان لان يكون
فيه جيفة حمار احب اليهم من مؤمن يأمرهم وينهاهم **قال** ابو بكر الصديق
رضي الله عنه انكم تقرؤن هذه الآية وتؤلونها على خلاف تأويلها يا ايها
الذين امنوا عليكم انفسكم لا يضركم من ضل اذا اهتديتم واني سمعت
رسول الله عليه السلام يقول ما من قوم عملوا بالمعاصي فيهم من يقدر على
ان ينكر عليهم فلم يفعل الا يوشك ان يعمهم الله بعذاب من عنده **وروي**
ان ابا ثعلبة سال رسول الله صلى الله عليه وسلم عن تفسير قوله تعا
يا ايها الذين امنوا لا يضركم من ضل اذا اهتديتم فقال يا ابا ثعلبة مر
بالمعروف وانه عن المنكر فاذا رايت شحا مطاعا ودنيا مؤثرة واعجاب
كل ذي رأي برايه فعليك بنفسك ودع العوام **واوحى** الله الى يوشع
بن نون عليه السلام اني مهلك من قومك اربعين الفا من خيارهم وستين
الفا من شرارهم فقال يا رب هؤلاء الاشرار فما بال الاخيار قال انهم
لم يغضبوا لغضبي واكلوهم وشاربوهم **وقال** بلال ابن سعد ان المعصية
اذا خفيت لم تضر الا صاحبها واذا اعلنت فلم تغير اضرت بالعامة
وقال كعب الاحبار لابي مسلم الخولاني رضي الله عنهما كيف منزلتك

من قومك

من قومك قال حسنة قال كعب ان التورية لتقول غير ذلك قال وما تقول
قال تقول ان الرجل اذا امر بالمعروف ونهى عن المنكر ساءت منزلته عند قومه
فقال صدقت التورية وكذب ابو مسلم فقد ظهر بهذه الادلة ان الامر
بالمعروف والنهي عن المنكر واجب وان فرضه لا يسقط مع القدرة الا بقيام
قايم به وحق على كل مسلم ان يبدأ بنفسه فيصلحها بالمواظبة على الفرايض
وترك المحرمات ثم يعلم ذلك اهل بيته ثم يتعدى الى جيرانه ثم الى اهل محلته
ثم الى بلده ثم الى القرى المتعلقة ببلده ثم الى اهل البوادي من الاكراد والترك
والعرب الى اقصى العالم فلنذكر الان شروطه وشروط وجوبه بفضل
الله ومنه **الباب الثاني** في اركان الامر بالمعروف وشروطه اعلم ان
الاركان في الحسبة اربعة المحتسب والمحتسب عليه والمحتسب فيه ونفس
الاحتساب فهذه اربعة اركان الركن الاول المحتسب وله شروط الاول
هو التكليف بان يكون مكلفا مسلما قادرا فيخرج منه المجنون والصبي
والكافر ويدخل فيه الفاسق والرقيق والمرأة الثاني هو العدالة وليس للفاسق
ان يحتسب وقد اعتبر قوم احتساب الفاسق وهو الحق والصحيح ان العدالة
شرط في الحسبة والوعظية لان الفاسق لا ينجع وعظه وليست شرطا
في الحسبة الفعلية واما قوله تعالى تأمرون الناس بالبر وتنسون انفسكم
انكار لنسيان النفس لا للامر بالبر فان قيل فيلزم على هذا ان يقول القايل

الواجب علي الوضوء والصلوة وانا اتوضاء وان لم اصل واتسحر وان لم
اصم لان المستحب لي السحور والصوم جميعاً ولكن يقال احدهما مرتب
علي الاخر فكذلك تقويم الغير مرتب علي تقويم النفس فليبداء بنفسه
ثم بمن يعول والجواب ان التسحر يراد للصوم ولولا الصوم لما كان
التسحر مستحباً وما يراد لغيره لا ينفك عن ذلك الغير واصلاح الغير
لا يراد لاصلاح النفس ولا اصلاح النفس لاصلاح الغير فالقول
بترتب احدها علي الاخر تحكم واما الوضوء والصلوة فهو لازم فلا جرم
من توضاء ولم يصلي كان مودياً امر الوضوء وكان عقابه اقل ممن
ترك الوضوء والصلوة جميعاً فليكن ممن ترك النهي والانتهاء اكثر
عقاباً ممن نهي ولم ينته كيف والوضوء شرط لا يراد لنفسه بل
للصلوة ولا حكم له دون الصلوة فاما الحسبة فليس شرطاً في الا
انتهاء والايتمار فلا مشابهة بينهما الثالث كونه ماذوناً من السلطان
فقد شرط قوم هذا الشرط وليس بشرط عندنا فان الايات والاخبار
التي دويناها تدل علي كل من راي منكرا فسكت عليه عصي اين ما
راه علي العموم فالتخصيص بشرط التفويض من الامام تحكم لا اصل له
الرابع كونه قادرا ولا يخفي ان العاجز ليس له حسبة الا بقلبه
فان علم او ظن ان انكاره لا يفيد لم يجب عليه الانكار ولكن تحب

ومهما ادي الي مكروه الي اقاربه واصدقاءه لا يجوز له الانكار الركن
الثاني المحتسب عليه وشروطه ان يكون بصفة يصير الفعل الممنوع
في حقه منكرا ولعله يكفي في ذلك ان يكون انسانا ولا يشترط كونه
مكلفا اذ بينا ان الصبي لو شرب الخمر منع منه واحتسب عليه وان كان
قبل البلوغ ولا يشترط كونه مميزا اذ بينا ان المجنون لو كان يزني بمجنونة
او يأتي بهيمة وجب منعه منه نعم من الافعال ما لا يكون منكرا في حق
المجنون كترك الصلوة والصوم وغيرهما فان قلت فكل من راي بهايم
قد استرسلت في زرع انسان فهل يجب عليه اخراجها وكل راي مالا لمسلم
اشرف علي الضياع هل يجب عليه حفظه فنقول مهما قدر علي حفظه
عن الضياع من غير ان يناله تعب في بدنه او خسران في ماله او نقص في
جاهه وجب عليه ذلك وهو اولي بالايجاب من رد السلام فان الاذي
في هذا اكثر من الاذي في ترك رد السلام بل لا اختلاف في ان مال الانسان
اذا كان يضيع بظلم ظالم وكان عنده شهادة لو تكلم بها لرجع الحق اليه وجب
ذلك وعصي بكتمانها ففي معنا ترك الشهادة ترك كل دفع لا ضرر علي الدا فع
فيه فاما ان كان عليه تعب وضرر في مال وجاه لم يلزمه ذلك لان حقه
مرعي في منفعة بدنه وفي ماله وجاهه كحق غيره فلا يلزمه ان يفدي
غيره بنفسه نعم الايثار مستحب الركن الثالث ما فيه الحسبة وله

اربعة شروط الاول ان يكون منكراً اي محذور الوقوع في الشرع وهو ينقسم
الي محرم وهذا يجب الحسبة عليه والي مكروه وهذا يستحب الحسبة عليه
الثاني ان يكون المنكر ظاهرا موجوداً في الحال فاما ما سبق كمن فرغ
عن شرب الخمر ونحوه فليس الاحتساب عليه الثالث ان يكون المنكر ظاهرا
للمحتسب من غير تجسس فمن اغلق باب داره فلا يجوز الدخول عليه بغير اذنه
ليعرف المعصية وهو المنهي عنه وروي ان عمر رضي الله عنه تسلق على رجل
فرآه على حالة مكروهة فانكر عليه فقال يا امير المومنين ان كنت قد
عصيت الله من وجه فقد عصيته من ثلثة اوجه فقال ما هي فقال
قال الله تعالى ولا تجسسوا وقد تجسست وقال واتوا البيوت من ابوابها
وقد تسورت من السطح وقال لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا
وتسلموا علي اهلها وما سلمت فتركه وشرط عليه التوبة وقد اوردنا
هذا في كتاب داب الصحبة فاذا كل من ستر المعصية في داره فلا يجوز
الدخول عليه لتعرف المعصية الا ان يظهر في دار ظهوراً يعرفه من هو
خارج الدار كاصوات المزامير والاوتار واصوات السكارى فمن
سمع ذلك فله الدخول وكسر الملاهي الشرط الرابع ان يكون كونه منكرا
بغير خلاف فكل ما هو فيه خلاف فلا حسبة فيه فليس للحنفي ان ينكر علي
الشافعي بلعب الشطرنج ولا للشافعي ان ينكر علي الحنفي بشرب النبيذ

الركن الثالث في الاحتساب وله درجات الاولي التعريف لمن يجهل المنكر
علي وجه لا يؤدي الى التنفير بسبب نسبته الي الجهل والحمق مثل ان يقول لمن لا يتم
الركوع شرط الصلوة اتمام الركوع والانسان لا يولد عالما ولقد كنا جاهلين
فعلمنا ونحو ذلك الثانية الوعظ والنصح والتخويف بالله يورد عليه
الاخبار الواردة بالوعيد في ذلك ويحكي له سيرة السلف وعادة المتقين
الثالثة السب والتعنيف بالقول الغليظ الخشن ولسنا نعني بالسب
الفحش مثل قوله يا فاسق ويا فاجر ويا جاهل ويا احمق لانا فانا فان
كل فاسق فهو احمق جاهل ولولا حمقه وجهله لما عصي الله تعالى بل كل من ليس بكيس
فهو احمق والكيس من شهد الرسول صلي الله عليه وسلم حيث قال الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمني على الرحمة و
المغفرة بل يكون سبه مثل قول الخليل صلوات الله عليه وسلامه اف لكم ولما
تعبدون من الله افلا تعقلون الرابعة التغيير باليد وذلك كسر الملاهي واراقة
الخمر وخلع الحرير عن راسه وعن بدنه ومنعه عن الجلوس عليه ودفعه عن الجلوس
في ملك الغير ولو كسر ظروف الخمر والملاهي فله ذلك وسقطت قيمتها الخامسة
التهديد والتخويف والادب في هذا ان لا يتهدد بوعيد لا يجوز تحقيقه
كقوله لانتهبن دارك وشبهه فانه ان قاله علي عزم فهو حرام وان قاله
علي غير عزم فهو كذب نعم بوعيد كالضرب بتعرض والاستخفاف السادسة

مطلب كسر ظروف الخمر

غارت

مباشرته بالضرب فهو جايز للآحاد على قدر الحاجة بقدر الضرورة فان
احتاج الى شهر سلاح فله ذلك التابعة ان لا يقدر عليه بنفسه ويحتاج
فيه الى اعوان يشهرون السلاح فهذه درجات الاحتساب اما آدابه فقد
ذكرنا تفاصيلها في احاد الدرجات ونذكر الآن جملة آداب الحسبة مصدرها
ثلثة العلم والورع وحسن الخلق اما العلم فالعلم مواقع الحسبة وحدودها
ومجاريها ويدل على هذه الآداب قول رسول الله صلى الله عليه لا يامرن بالمعروف
ولا ينهى عن المنكر الا رفيق فيما يامر به رفيق فيما ينهى عنه حليم فيما ينهى عنه
فقيه فيما يامر به فقيه فيما ينهى عنه وهذا يدل على انه لا يشترط ان يكون
فقيها مطلقا بل فيما يامر به وينهى عنه واما الورع فلا بد منه لان الفاسق
اذا احتسب يهزؤ به ويورث ذلك جراءة ولسنا نعني بهذا ان الامر بالمعروف
يصير ممنوعا بالفسق ولكن يسقط اثره على القلوب وقد روي عن انس
رضي الله عنه انه قال قلنا يا رسول الله لا نأمر بالمعروف حتى نعمل به كله
ولا ننهى عن المنكر حتى نجتنبه كله فقال صلى الله عليه وسلم بل مروا بالمعروف
وان لم تعملوا به وانهوا عن المنكر وان لم تجتنبوه كله واما حسن الخلق والرفق
فله تاثير عظيم وروي ان غلاما شابا اتى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال تاذن لي في الزنا فصاح الناس به فقال قربوه اذن فدنا حتى
جلس بين يديه فقال عليه اتحبه لامك قال كذلك الناس لا يحبونه لا

مهاتهم

مهاتهم اتحبه لابنتك قال لا قال كذلك الناس لا يحبونه لبناتهم اتحبه
لاختك وعمتك وخالتك قال لا كذلك الناس لا يحبونه لاخواتهم ثم وضع
صلى الله عليه وسلم يده على صدره وقال اللهم طهر قلبه واغفر ذنبه ففرغ
من ذلك وروي ان واعظا وعظ عند المامون الناس فعنف له بالقول فقال لله
يا رجل ارفق فقد بعث الله من هو خير منك الى من هو شر مني وامره بالرفق
فقال فقولا له قولا لينا لعله يتذكر او يخشى ومن آدابه الصبر كذلك قرن
الله سبحانه تعالى الصبر بالامر بالمعروف فقال حاكيا عن لقمان عليه السلام
يا بني اقم الصلوة وامر بالمعروف وانه عن المنكر واصبر على ما اصابك ومن آدابه
قليل العلايق والطمع عن الخلايق حتى تزول عنه المداهنة وروي عن بعض المشايخ
رحمهم الله انه كان له سنور وكان ياخذ من قصاب في جواره شيئا لسنوره فرأى
يوما على القصاب منكرا فدخل الدار واخرج السنور ثم جاء واحتسب على القصاب
فقال له القصاب لا اعطيك بعد هذا شيئا من سنورك فقال ما احتسبت عليك
الا بعد اخراج السنور وقطع الطمع عنك فمن لم يقطع الطمع عن الخلق لا يقدر على
الحسبة **الباب الثالث** في المنكرات المالوفة وهي اما في المساجد او في
الاسواق او في الشوارع او في الحمامات او في الضيافة **اما** منكرات المساجد اعلم
ان المنكرات تنقسم الى مكروهة والى محظورة واذا قلنا هذا منكر مكروه فاعلم
ان المنع منه مستحب والسكوت عنه مكروه واذا قلنا منكر محظور فالسكوت

عنه محظور فمنها ما يشاهد كثيرا في المساجد اساءة الصلوة بترك الطمانينة
في ركوعها وسجودها وهو منكر مبطل للصلوة بنص الحديث فيجب النهي عنها
الا للحنفي الذي يعتقد ان ذلك لا يمنع صحة الصلوة ومن راى مسيئا في صلوته
فسكت عليه فهو شريكه ومنها من قراء القرآن باللحن يجب النهي عنه ويجب
تلقين الصحيح ومنها تراسل المؤذنين الاذان وتطويلهم مد كلماته وانحرافهم
عن صوب القبلة بجميع الصدر في الحيعلتين او انفرد كل واحد باذان ولكن
من غير توقف الى انقطاع الاذان الاخر بحيث يضطرب على الحاضرين جواب
الاذان لتداخل الاصوات فكل ذلك منكرات مكروهة فيستحب المنع منها ومنها
ان يكون الخطيب لابس الحرير او ممسكا لسيف مذهب فهو فاسق والانكار عليه
واجب ومنها كلام القصاص والوعاظ الذين يرجون بكلامهم البدعة و
يزدادون للناس بكلامهم جراءة ويكثرون الكلام في رحمة الله وعفوه ويزيد
رجاء الناس على خوفهم فهو منكر يجب منعه منه لان فساد ذلك عظيم ومنها
ما كان الواعظ شابا متزينا في ثيابه كثير الاشارات والحركات وقد حضر
مجلسه النساء فهذا منكر يجب المنع منه ومنها دخول المجانين والصبيان
والسكارى المساجد ولا باس بدخول الصبي اذا لم يلعب ويحرم عليه اللعب
في المسجد ولا سكوت على لعبه الا ان يتخذ المسجد ملعبا ويصير ذلك عادة
فحينئذ يجب المنع منه فهذا مما يحل قليله دون كثيره ودليل حل قليله

مطلب بدعة الاذان

ان الحبشة كانوا يلعبون في المسجد يوم العيد وعايشة رضي الله عنها تنظر اليهم
والنبي صلى الله عليه وسلم ما منع ذلك واما منكرات الاسواق من المنكرات
المعتادة في الاسواق الكذب والمرابحة واخفاء العيب فمن قال اشتريت هذه
السلعة مثلا بعشرة واربح فيها درهما وكان كاذبا فهو فاسق ويجب على من عرف
ذلك ان يخبر المشتري بكذبه فان سكت مراعاة لقلب البايع كان شريكا
في الخيانة وعصى بسكوته وكذا اذا علم عيبا فيلزمه ان ينبه المشتري عليه
والا كان راضيا بضياع مال اخيه المسلم وهو حرام وكذلك التفاوت في الذراع
والمكيال والميزان يجب على كل مسلم عرفه تغييره ومنها بيع الملاهي وبيع اشكال
الحيوانات المصورة في ايام العيد وغيرها لاجل الصبيان فذلك يجب كسره والمنع
من بيعه واما منكرات الشوارع فكل ما كان يؤدي الى تضييق الطريق
واستضرار المارة فهو منكر الا وضع الحطب واحمال الاطعمة في الطريق للبيع فلا
يمنع كذلك ربط الدواب على الطرق بحيث يضيق الطريق وينجس المجتازين
منكر يجب المنع منه الا بقدر الحاجة للنزول والركوب وهذا لان الشوارع مشتركة
المنفعة وليس لاحد ان يختص بها الا بقدر الحاجة ومنها سوق الدابة و
عليها الشوك بحيث تمزق الثياب فذلك منكر وكذلك ذبح القصاب
على باب قدام دكانه وتلويث الطريق منكر يجب المنع منه بل يجعل في دكانه
مذبحا وكذلك طرح الكناسة على الطريق وتبديد قشور البطيخ او رش الماء

بحيث يخشى منه التزلق وكذلك اذا كان له كلب عقور على باب داره يوذي الناس
يجب منعه منه **واما** منكرات الحمامات فمن ذلك الصور التي تكون على باب الحمامات
او داخله فذلك منكر يجب ازالته على كل من دخل الحمام ان قدر عليه وان كان
الموضع مرتفعا لا يصل اليه بيده فلا يجوز له الدخول الا لضرورة فليعدل الى
حمام آخر فان مشاهدة المنكر غير جايز ويكفيه ان يسود وجوههما ومنها كشف
العورات والنظر اليها ومن جملتها كشف المدلك عن الفخذ وما تحت السرة لازالة اور
دعك الوسخ بل من جملتها ادخالها يد الدلاك تحت الازار فان مس عورة الغير حرام
كالنظر اليها وفي الحمام امور اخر ذكرناها في كتاب الطهارة فلا نطول باعادتها
واما منكرات الضيافة فمن ذلك تبخير البخور في مجمرة فضة او ذهب وكذلك
الشرب منهما او استعمال ماء الورد منهما وكذلك تعليق الستور التي عليها
الصور ومنها استعمال الاوتار او سماع القينات او اجتماع النساء على
السطح للنظر الى الرجال مهما كان في الرجال شبان فكل ذلك منكر محظور يجب تغييره
ومن عجز عن تغييره لزمه الخروج ولم يجز له الجلوس واما الصور على النمارق والزرابي
المفروشة فليس منكرا وكذلك الاطباق والقصاع وفي المكحلة من الفضة
خلاف وقد حكي ان احمد بن حنبل رحمة الله عليه خرج عن الضيافة
بسببها ولا يجوز مباشرة الفساق في حال مباشرتهم الفسق وانما
النظر في مجالسته بعد ذلك وانه هل يجب بغضه في الله ومقاطعته ام

لا ذكرنا في باب البغض والحب في الله وكذلك ان كان فيهم من يلبس الحرير
او خاتم الذهب فهو فاسق لا يجوز الجلوس معه من غير ضرورة فان كان
الثوب على صبي غير بالغ فهذا في محل النظر والصحيح ان ذلك منكر يجب نزعه
عنه لعموم قوله عليه السلام هذان حرامان على ذكور امتي ومنها ان يكون
في الضيافة مبتدع يتكلم في بدعته فيجوز الحضور لمن يقدر على الرد عليه
وان لم يقدر لم يجز الحضور فيها ويجب الانكار وان كان ذلك بمزاح لا فحش
فيه ولا كذب فهذا مباح وامثال هذه المنكرات كثيرة لا يمكن حصرها
فلنقتصر على هذا القدر والسلام **خاتمة** في امر الامراء والسلاطين بالمعروف
ونهيهم عن المنكر قد ذكرنا ان الحسبة القولية يتمكن منها الآحاد مع
الامراء والسلاطين دون الفعلية لكن التخشين في القول مثل ان يقول
يا ظالم ويا من لا يخاف الله وما جرى مجراه ينظر فيه فان كان
فيه تحريك فتنة يتعدى شرها الى غيره لم يجز وان كان لا يخاف الا على
نفسه فهو جايز بل مندوب اليه **قال** صلى الله عليه وسلم خير
الشهداء حمزة ابن عبد المطلب ثم رجل قام الى امام فامره ونهاه
في ذات الله فقتله على ذلك **وقال** افضل الجهاد كلمة عدل عند سلطان
جاير وكذلك كان السلف رحمهم الله **روي** ان حطيطا الزيات
جيء به الى الحجاج فلما دخل عليه قال انت حطيط قال نعم سل عما بدا لك

فاني عاهدت الله عند المقام على خصال ثلاث ان سئلت لاصدقن
وان بليت لاصبرن وان عوفيت لاشكرن قال الحجاج فما تقول في
قال اقول انك من اعداء الله في الارض قال فما تقول في عبد الملك بن مروان
قال انه اعظم جرما منك وانت خطيئة من خطاياه فقتله **وروي**
عن الاعمش رحمة الله انه قال ان الحجاج بن يوسف ذكر له سعيد بن جبير رضي الله
عنه وهو بمكة فارسل اليه فجاء الرسول بحمله اليه حتى اذا اتى بعض الطريق
قال له يا ابا سعيد اذهب الى طريق شئت فقد خليت عنك فقال سعيد
اني اخشى ان يبلغ الحجاج انك خليت عني واخشى ان يقتلك فاذهب بي
اليه فلما دخل عليه قال ما اسمك قال سعيد بن جبير قال بل انت شقي بن كسير
قال لا يتغير اسمي بتغييرك ثم قال الحجاج الويل لك قال الويل لمن ظلم وزحزح — مطلب سعيد بن جبير
عن الجنة وادخل النار قال اما والله لاقطعن اعضاءك قال اذا تفسد علي
دنياي وتفسد عليك اخرتك قال ما تقول في قال اقول فيك ما قال الله
في الظالمين قال وما قال الله فيهم قال قال الله تعالى الا لعنة الله على
الظالمين فامر بقتله فقال اشهد ان لا اله الا الله وان محمدا عبده ورسوله
فلما نظر الى السيف والسياف بيده ضحك قال الحجاج يضحك عند القتل
قال تعجب من علم الله على ظلمك فقتلوه فبلغ ذلك الحسن البصري فقال اللهم
يا قاصم الجبابرة اقصم الحجاج فما لبث بعد ذلك اياما حتى وقع الدود الا

كله في بطنه فمات **وروي** ان ابا حنيفة رحمة الله عليه كان يبري القلم
بثلث فبلغ ذلك الى الخليفة وهو ابو جعفر الدوانقي فقال ابر الي قلما حتى اراه
فبراه فقال اعطني حتى اراه فقطع راسه واعطاه فغضب الخليفة فقال ابو حنيفة
رحمة الله عليه بلغني عن ابي هريرة عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
في هذه الآية احشروا الذين ظلموا الآية ان الذين ظلموا واعوانهم فيجمعون
حتى من برا لهم قلما او لاق لهم دواة فيلقون في النار وانت تريد ان تكتب
شيئا بهذه القلم واكون شريكك في الاثم ومعاونتك عليه ولا يكون ذلك تم
الكتاب بحمد الله وعونه

كتاب اخلاق النبوة

فيه بابان تاديب الله تعالى اياه بالقرآن الكريم وبيان جوامع محاسن اخلاقه
صلى الله عليه وسلم وبيان جملة من ادابه واخلاقه وبيان كلامه وضحكه
وبيان ادابه واخلاقه في الطعام وبيان ادابه واخلاقه في اللباس وبيان
عفوه مع القدرة وبيان اغضائه عما كان يكره وبيان سخاوته وجوده وبيان
شجاعته وباسه وبيان تواضعه وبيان حليته وبيان معجزاته صلى الله عليه وسلم
اما تاديبه بالقرآن الكريم فكان صلى الله عليه وسلم كثير الضراعة والابتهال
دائم السؤال من الله تعالى ان يزينه بمحاسن ادابه ومكارم الاخلاق وكان
يقول في دعائه اللهم جنبني منكرات الاخلاق فاستجاب الله تعالى دعاءه
فانزل الله عليه القرآن **قال** سعد بن هشام دخلت على عائشة رضي الله عنها

فسئلتها عن اخلاقه فقالت اما تقراء القرآن قلت بلي فقالت خلقه
هو القرآن خذ العفو وأمر بالعرف واعرض عن الجاهلين ومثل قوله
ادفع بالتي هي احسن السيئة فامثال هذه التأديبات في القرآن لا تحصي
ثم لما اكمل الله تعالي خلقه اثني عليه فقال وانك لعلي خلق عظيم ثم
يبين صلى الله عليه وسلم للخلق ان الله يحب مكارم الاخلاق ويبغض
سفسافها واما جوامع محاسن اخلاقه فكان صلى الله عليه وسلم
احلم الناس واسمحهم واعدلهم واعفهم لم تمس يده قط يد امراة لا يملكها
باليمين ولا بالنكاح واسخي الناس لا يبيت عنده دينار ولا درهم فان
فضل شيء لم يجد من يعطيه وتجنه الليل لم يأو الي منزله حتي يتبراء
منه الي من يحتاج اليه وكان يخصف ويرقع الثوب ويخدم في مهنة
اهله وكان اشد الناس حياء لا يثبت بصره في وجه احد ويجيب دعوة
العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن ويكافي عليها ويأكلها
ولا ياكل الصدقة ويأكل ما وجد دون الشبع ويعود المرضي ويشهد الجنايز
ويمشي وحده ويتختم في خنصره الايمن وربما في الايسر يردفه خلفه عبده او
غيره يركب ما امكنه مرة فرسا ومرة بعيرا او بغلة وحمارا وراجلا وحافيا و
يكره الريح الردية ويجالس الفقراء ويواكلهم ويكرم اهل الفضل ويمزح
ويضحك من غير قهقهة واما حلة اخري من اخلاقه فقالوا ما شتم صلى الله

مطلب يتختم

علي

عليه وسلم احدا من المؤمنين وما ضرب بيده احدا من المؤمنين وما ضرب بيده
احدا قط الا في سبيل الله وما عاب شيئا من الطعام وغيره قط وما اتي احد
حرا او عبدا او امة الا قام معه في حاجته ويبدا من لقيه بالسلام ويبدا
بالمصافحة وكان لا يجلس اليه احد وهو في صلاته الا خفف صلاته واقبل
اليه وكان يجلس حيث ما انتهي بين اصحابه وكان يدعوا اصحابه بكناهم اكرا
ويكني من لم يكن له كنية ولم يكن ترفع في مجلسه الاصوات واما كلامه وضحكه
فقالوا كان اصلي الناس كلاما وافصحهم منطقا واوجزهم عبارة لا فضول ولا
تقصير وكان طويل السكوت لا يتكلم في غير حاجة ولا يقول في الغضب والرضاء
الا بالحق وكان اكثر الناس تبسما واطيبهم نفسا لا يتكلم ما لم ينزل عليه القرآن او
يذكر الساعة او يخطب خطبة واما ادابه في الطعام فقالوا كان صلى الله عليه وسلم
يأكل ما وجد وكان احب الطعام اليه ما كان علي ضعف والضفف ما كثرت عليه
الايدي وكان لا يأكل الحار ويأكل مما يليه وباصابعه الثلاثة وكان يحب
اللحم والقرع والبطيخ والرطب وكان يحب من البقول الهندبا والبادروج والبقلة
الحمقا واذا اكل اللحم والخبز خاصة غسل يده ومسح بفضل الماء علي وجهه وكان
لا ياكل الثوم والبصل والكراث واما ادابه واخلاقه في اللباس فقالوا
كان يلبس ما وجد وكان يعجبه الثياب الخضر وكان اكثر لباسه البياض
وكان يلبس القباء المحشو وربما يلبس الكساء وكان له ثوبان للجمعة خاصة

وكان استجد ثوبًا لبسه يوم الجمعة وكان يلبس القلانيس تحت العمامة وكان
اذا لبس ثوبًا يلبسه من قبل ميامنه ويقول الحمد لله الذي كساني ما اواري به
عورتي واتجمل به في الناس واذا نزع ثوبه خرج من مياسره واما عفوه مع
القدرة فروي انه كان في حرب فجاء رجل حين قام الى رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالسيف فقال من يمنعك مني قال الله تعالى فسقط السيف من
يده فاخذه صلى الله عليه وسلم السيف فقال من يمنعك مني قال كن
خير اخذ قال قل اشهد ان لا اله الا الله قال لا غير اني لا اقاتلك ولا اكون
معك ولا مع قوم يقاتلون معك فخلى سبيله واما اغضاؤه عما يكرهه
فانه كان رقيق البشرة لطيف الظاهر والباطن يعرف في وجهه غضبه و
رضاه وكان اذا اشتد وجده اكثر من مس لحيته وكان لا يشافه احدًا
بما يكرهه ودخل عليه رجل وعليه صفرة فكرهه ولم يقل له شيئا حتى خرج
فقال لبعض القوم لو قلتم لهذا ان يدع هذه يعني الصفرة واما سخاوته
وجوده فانه كان اجود الناس واسخاهم وما سُئل شيئًا قط الا اعطاه
وحمل اليه تسعون الف درهم فوضع على حصير ثم قام اليها يقسمها فما رد
سائلًا حتى فرغ منه وجاء رجل فسأله فقال عندي شيء ولكن ابتع علي
فاذا جاء نا شيء قضيناه فقال عمر رضي الله عنه ما كلفك الله ما لا تقدر عليه
فكره صلى الله عليه وسلم ذلك فقال الرجل انفق ولا تخف من ذي العرش

مطلب عفو النبي صلى الله عليه وسلم

اقلالًا فتبسم النبي صلى الله عليه وسلم وعرف السرور في وجهه واما شجاعته
فقد كان اكبر الناس واشجعهم فما يكون احدًا قرب الى العدو منه في الحرب
وكان الشجاع هو الذي يقرب منه في الحرب وكان الشجاع هو الذي يقرب منه
في الحرب لقربه من العدو وقال عمران بن حصين ما لقي صلى الله عليه وسلم
كتيبة الا كان اول من يضرب واما تواضعه فقد روي انه كان اشد
الناس تواضعًا في علو منصبه وكان يركب الحمار موكفًا عليه قطيفة وكان
مع ذلك يستردف وكان يخصف النعل ويصنع في بيته مع اهله في حاجتهم
وكان اصحابه رضوان الله عليهم لا يقومون له لما عرفوا من كراهيته لذلك و
كان يمر على الصبيان فيسلم عليهم واوتي صلى الله عليه وسلم برجل فارعد من
هيبته فقال هون عليك فلست بملك انما انا ابن امراءة من قريش كانت تاكل
القديد وكان يجلس بين اصحابه مختلطا بهم فياتي الغريب ولا يدري ايهم هو
حتى يسأل وكانوا يتناشدون الشعر بين يديه احيانا ويذكرون اشياء
من امر الجاهلية ويضحكون فيتبسم هو اذا ضحكوا ولا يزجرهم الا عن حرام واما
حليته فكان صلى الله عليه وسلم ليس بالطويل ولا القصير وكان واسع
الجبهة ازج الحاجبين وكان في عينيه تمزج من حمرة وكان اهدب اشفار العينين
يكاد يلبس من كثرتها وكان اقنى العرنين مستوي الانف وكان مفلج الاسنان وكان
سهل الخدين ليس بطويل الوجه والمكلثم كث اللحية وقيل كان شعره يضرب

منكبيه واكثر الرواية انه كان الي شحمه اذنيه وكان في راسه ولحيته اربعة
عشر شعرة بياضًا وما زاد علي ذلك وكان عريض الصدر وكان ازهر اللون
ولم يكن بالادم ولا الشديد البياض والازهر هو الابيض الناصع الذي لا تشوبه
صفرة ولا حمرة وكان عظيم المنكبين وكان واسع الظهر ما بين كتفيه خاتم النبوة وهو
ما يلي منكبه الايمن فيه شامة سوداء تضرب الى الصفرة حولها شعرات متواليات
كانها عرف فرس وكان موصول ما بين لبته وسرته شعر لم يكن في صدره ولا في بطنه
شعر غيره وكان عبل العضدين والذراعين طويل الزندين رحب الراحتين وكان
معتدل الخلق في السن بدن في اخر زمانه وكان يمشي الهوينا وهو تقارب الخطو
واما معجزاته فكثيرة منها انشقاق القمر بمكة ومنها انه اطعم النفر الكثير من الطعام
القليل في منزل جابر رضي الله عنه ومنزل ابي طلحة ويوم الخندق ومنها نبع الماء
من بين اصابعه فشرب اهل العسكر ومنها انه توضاء من قدح ضاق ان يبسط
عليه يده فيه واهرق وضوءه في عين تبوك وفي بئر الحديبية الف وخمسمائة
ولم يكن فيهما قبل ذلك ماء ومنها انه رمي الجيش بقبضته فعميت عيونهم
ومنها حن الجذع حتى سمع جميع اصحابه رضوان الله عليهم مثل صوت الابل
ومنها دعا شجرتين فاتيان فاجتمعا ثم امرهما فافترقا ومنها ان الشاة
المسمومة كلمته ومنها انه اخبر عن رجل قاتل في سبيل الله انه من اهل النار
فبان ذلك بان الرجل قتل نفسه ومنها انه مسح ضرع شاة لا لبن لها فدرت

فكان ذلك سبب اسلام ابن مسعود ومنها انه تفل في عين علي وهو ارمد يوم
خيبر فصح من وقته وبعثه بالراية ومنها انه قل زاد جيش كان معه فدعا
بجميع ما بقي فاجتمع شيء يسير جدًا فدعا فيه بالبركة ثم امرهم فاخذوا فلم
يبق وعاء في العسكر الا ملئ من ذلك ومنها شكي البعير اليه بحضرة من الصحابة
وتذلل له وهذه بعض معجزاته المستفيضة ومن اعظم معجزاته القرآن الكريم مع
انه كان اميًا لا يكتب ولا تعلم من احد شيئًا ونشاء بين الجبال واخباره باخبار
المتقدمين وتخلقه بذلك العظم ومعرفة العلوم ونزول القرآن الذي قال فيه
قل لئن اجتمعت الانس والجن على ان ياتوا بمثل هذا القرآن لا ياتون بمثله ولو كان
بعضهم لبعض ظهيرًا فاعظم بغباوة من ينظر في افعاله واقواله واحواله ثم
في اخلاقه وادابه ثم في استمرار شرعه الي الآن ثم في انتشاره في اقطار العالم ثم في
اذعانه ملوك الارض له في عصره مع ضعفه ويتمه ثم يتمارى بعد ذلك في صدقه
فنسئال الله تعالى ان يوفقنا للاقتداء به في الاخلاق والاقوال بمنه وكرمه
وسعة جوده ثم قسم العبادات والحمد لله رب الارض والسموات والصلوة
في محمد خير البريات وعلي آله وصحبه اجمعين ويتلوه ربع المهلكات وهو
ايضًا يشتمل على عشر كتب بسم الله الرحمن الرحيم وبه

كتاب عجايب القلب

اعلم ان شرف الانسان وفضيلته التي بها فاق جملة من اصناف الخلق باستعدا ده

لمعرفة الله تعالى التي هي في الدنيا كماله وفخره وفي الآخرة عدته وذخره وانما
استعد للمعرفة بقلبه لا بجارحة من جوارحه فالعالم بالله تعالى والعامل له
والساعي اليه هو القلب وانما الجوارح اتباع وخدم وآلات له يستخدمها
ويستعملها استعمال الملك للعبيد واستخدام الراعي للرعية والصانع للآلة و
والقلب هو المقبول عند الله تعالى اذا سلم من غير الله وهو المحجوب عن الله تعالى اذا صار
مستغرقا بغير الله فمعرفة القلب وحقيقة اوصافه اصل الدين واساس
طريق السالكين واذ قد فرغنا في الشطر الاول من هذا الكتاب عن النظر فيما يجري
على الجوارح من العبادات والعادات وهو العلم الظاهر ووعدنا ان نشرح في
الشطر الثاني ما يجري على القلوب من الصفات المهلكات والمنجيات وهو العلم
العلم الباطن فلا بد ان نقدم كتابين كتابا في شرح صفات القلب واخلاقه و
كتابا في كيفية رياضة القلب وتهذيب اخلاقه ثم يندفع بعد ذلك في
تفصيل المهلكات والمنجيات فنذكر الآن عجايب القلب بطريق ضرب الامثال
ما تقرب من الافهام فان التصريح باسراره مما تكل عن دركه اكثر الاوهام فنذكر
اولا معنى القلب والروح والنفس والعقل ثم جنود القلب ثم خاصية قلب
الانسان ثم جامع اوصاف القلب ومثاله ثم نذكر تسلط الشيطان على القلوب
بالوساوس ومعنى الوسوسة ثم نذكر تفصيل مداخل الشيطان الى القلب ثم
نذكر ما يؤاخذ العبد به من وساوس القلوب وما لم يؤاخذ به ويعفى عنه فهذه

تسعة فصول تجمع مقاصد الكتاب **فصل** في بيان القلب والروح والنفس
والعقل ونقل في نجوم العلماء من يحيط بمعنى هذه الاسامي اما لفظ القلب
فيطلق على امرين احدهما اللحم الصنوبري الشكل المودع في الجانب الايسر من
الصدر وفي باطنه تجويف وفي التجويف دم اسود وهو منبع الروح وهذا
القلب موجود في البهايم الثاني لطيفة ربانية روحانية لها والطالب — بهذا القلب
الجسماني تعلق وتلك اللطيفة هي حقيقة الانسان وهو المدرك العالم منه
وهو المخاطب والمطالب والمثاب والمعاقب وقد يكنى عنها بالقلب الجسماني
لما بينهما من العلاقة وقد تحيرت عقول اكثر الخلق في ادراك وجه علاقته وان
تعلقه به يضاهي تعلق الاعراض بالاجسام والاوصاف بالموصوفات او — تعلق
المستعمل للآلة بالآلة او تعلق المتمكن بالمكان وشرح ذلك مما لا يجوز كشفه
لمعنيين احدهما انه متعلق بعلوم المكاشفة وليس غرضنا في هذا الكتاب الا — علوم
المعاملة والثاني ان تحقيقه يستدعي افشاء سر الروح ولم يتكلم فيه رسول — الله
صلى الله عليه وسلم فليس لغيره ان يتكلم فيه اما لفظ الروح فهو يطلق
ايضا فيما يتعلق بغرضنا لمعنيين احدهما بخار لطيف منبعه الدم الاسود — الذي
في جوف القلب انضجته حرارة القلب وهذا البخار ينتشر بواسطة العروق
الضوارب الى جميع اجزاء البدن وجريانها في البدن وفيضان انوار الحياة
والحس والبصر والسمع واسم منها على اعضائها يضاهي فيضان النور من السراج

مطلب القلب

الذي يدار في زوايا البيت فانه لا ينتهي الي جزء من اجزاء البيت الا ويستنير به
فالحيوة مثالها النور الحاصل في الحيطان والروح مثاله السراج الذي يراد به
جوانب البيت المعني الثاني هو اللطيفة المدركة من الانسان التي ذكرناها المراد
بقوله تعالى ويسئلونك عن الروح قل الروح من امر ربي وهو امر عجيب يعجز اكثر
العقول عن درك حقيقته واما النفس فمشترك ايضا بين المعاني ويتعلق بغرضنا
منه معنيان احدهما المعني الجامع للصفات المذمومة مثل الغضب والشهوة
واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم اعدي عدوك نفسك التي بين
جنبيك الثاني هو اللطيفة التي ذكرناها ولكنها توصف باوصاف مختلفة
بحسب اختلاف احوالها فاذا سكنت تحت الامر وزايلها الاضطراب بمعارضة
الشهوات سميت النفس المطمئنة قال الله تعالى يا ايتها النفس المطمئنة ارجعي
الي ربك والنفس بالمعني الاول لا يتصور رجوعها الي الله تعالى فانها مبعدة
عن الله تعالى وهي من حزب الشيطان واذا لم يتم سكونها ولكنها صارت مدافعة
للنفس الشهوانية ومعترضة عليها سميت النفس اللوامة لانها تلوم صاحبها
عند تقصيرها في عبادة مولاها قال الله تعالى لا اقسم بالنفس اللوامة وان تركت
الاعتراض واذعنت واطاعت بمقتضي الشهوات ودواعي الشيطان سميت النفس
الامارة قال الله تعالى اخبارا عن يوسف عليه السلام وما ابرئ نفسي ان النفس
لامارة بالسوء واما العقل فهو ايضا مشترك لمعان مختلفة ذكرناها

انواع النفس

في كتا

في كتاب العلم بحقايق الامور فيكون عبارة عن صفة العلم الذي محله القلب والثاني
انه يطلق ويراد به المدرك للعلوم فيكون هو القلب اعني تلك اللطيفة ونحن نعلم
ان كل عالم فله في نفسه وجود هو اصل قايم بنفسه والعلم صفة حالة فيه
والصفة غير الموصوف والعقل قد يطلق ويراد به صفة العالم وقد يطلق
ويراد به محل الادراك اعني المدركة وهو المراد بقوله صلى الله عليه وسلم
اول ما خلق الله العقل فان العلم عرض لا يتصور ان يكون اول مخلوق بل لا بد
وان يكون المحل مخلوقا قبله او معه ولانه لا يمكن الخطاب معه وفي الخبر
انه قال له اقبل فاقبل وقال له ادبر فادبر فاذا قد انكشف لك ان معاني هذه
الاسامي موجودة وقد التبس على اكثر العلماء اختلاف هذه الالفاظ فقد اجل
كشف الغطاء عنه قدمنا شرح هذه الاسامي وحيث ورد في القرآن والسنة
لفظ القلب والمراد به المعنى الذي يفقه في الانسان ويعرف حقيقة الاشياء

فصل في جنود القلب قال الله تعالى وما يعلم جنود ربك الا هو فلله تعالى
في القلوب والارواح وغيرها من العوالم جنود لا يعرف حقيقتها وتفصيل عددها
الا هو ونحن نشير الي بعضها وهو الذي يتعلق بغرضنا وله جندان جند يرى
بالابصار وجند لا يرى الا بالبصاير وهو في حكم الملك والجنود في حكم الخدم
والاعوان فاما جنده المشاهد بالعين فاليد والرجل والعين والاذن واللسان
وساير الاعضاء الظاهرة والباطنة فان جميعها خادمة للقلب والمسخرة له

وقد خلقت مجبولة على طاعة القلب لا تستطيع له خلافا فاذا امر العين بالانفتاح
انفتحت واذا امر ~~الله تعالى فانهم جبلوا~~ الرجل بالحركة تحركت وكذا ساير الاعضاء
وتسخر الاعضاء والحواس للقلب تشبه من وجه تسخر الملائكة لله تعالى فانهم
جبلوا على الطاعة لا يستطيعون له خلافا وانما افتقر القلب الي هذه الجنود
من حيث افتقاره الي المركب والزاد لسفره الذي لاجله خلق وهو السفر الي الله تعالى
وقطع المنازل اليه والي لقائه وانما مركبه البدن وزاده العلم والاسباب الموصلة
الي الزاد العمل الصالح وليس يمكن ان يصل العبد الي الله تعالى ما لم يسكن البدن
ولم يجاوز الدنيا فان المنزل الادني لا بد من قطعه للوصول الي المنزل الاقصى
وانما سميت الدنيا لانها ادني المنزلين فان اضطر ان يتزود من هذه العالم و
والبدن مركبه الذي يصل الي هذا العالم افتقر الي تعهد البدن وحفظه
وانما يتحفظ بجلب ما يوافقه ودفع ما يضره ويهلكه فافتقر في جلب
الموافق الي جندين باطن وهو الشهوة وظاهر وهو اليد والاعضاء الجالبة
للغذاء وافتقر في دفع المضر المهلك الي جندين باطن وهو الغضب الذي به
يدفع المهلكات وينتقم من الاعداء وظاهر وهو اليد والرجل الذي به
يعمل بمقتضي الغضب وكل ذلك بامور خارجة من البدن كالاسلحة وغيرها
ولما لم يمكن حصول الشهوة والنفرة الا بعد معرفته افتقر المعرفة الي جندين
باطن وهو الادراكات للحس كالبصر والذوق والشم والسمع واللمس وظاهر

وهو العين والانف والاذن وغيرها فاذا علم الشيء المضر نفر عنه فانبعث
علي دفعه وقد يعبر عن هذا الباعث بالارادة والثاني بالقدرة وجنوده
مبثوثة في جميع الاعضاء لا سيما في العضلات والاوتار والمدرك المعترف للاشياء
كالجواسيس وهي قوة البصر والشم والذوق وغيرها وهي مبثوثة في اعضاء معينة
ويعبر عن هذا بالعلم والادراك ومع كل واحد من هذه الجنود الباطنة جنود
ظاهرة وهي الاعضاء المركبة من اللحم والشحم والعصب والدم والعظم التي اعدت
الالات لهذه الجنود فان قوة البطش انما تبطش بالاصابع وكذا ساير القوي
ده ولسنا نتكلم في الجنود الظاهرة اعني الاعضاء فانها من عالم الملك والشهادة
وانما نتكلم في جنود لا تري وذلك المدرك المتعرف للاشياء ينقسم الي ما سكن
المنازل الظاهرة وهي الحواس الخمسة اعني السمع والبصر والشم والذوق واللمس
والي ما سكن المنازل الباطنة وهي تجاويف الدماغ وهي ايضا خمسة التخيل
والحفظ والفكر والذكر والحس المشترك فان الانسان بعد روية الشيء
يغمض عينه فيدرك صورته في نفسه وهو الخيال ثم تبقي تلك الصورة معه
بسبب شيء يحفظه وهو الجند الحافظ ثم يتفكر فيما حفظه فيركب بعض ذلك
الي البعض ثم يتذكر ما نسيه ويعود اليه ثم يجمع جملة معاني المحسوسات في خياله
بالحس المشترك بين المحسوسات فهذه القوي اعني قوة الحفظ والفكر والذكر
والتخيل ايضا جنود باطنة واماكنها ايضا باطنة فهذه هي اقسام جنود

فنبينها للضعفاء بضرب الامثلة ليقرب ذلك من افهامهم **فصل** في بيان
امثلة القلب مع جنود الباطنة اعلم ان جندي الغضب والشهوة وقد ينقادا ن
انقيادا تاما فيعينه ذلك على طريقة الذي يسلكه ويحسن مرافقته في
السفر الذي هو بصدده وقد يستعصيان عليه استعصاء بغي وتمرد حتى
يملكانه ويستعبدانه وفيه هلاكه وانقطاعه عن سفره الذي به وصوله
الى سعادة الابد وذلك حال اكثر الخلق فان عقولهم صارت مسخرة لشهواتهم
وكان ينبغي ان تكون الشهوة مسخرة لعقولهم فمثال نفس الانسان في بدنه واعني
بالنفس اللطيفة المذكورة كمثل ملك والي في مدينته ومملكته فان البدن
مملكته ومدينتها وقواه وجوارحه بمنزلة الصناع والعملة والقوة العقلية
المفكرة كالمشير الناصح والوزير العاقل والشهوة له كعبد سوء يجلب الطعام
والميرة الى المدينة والغضب والحمية له كصاحب شرطة والعبد الجالب للميرة
كذاب مكار مخادع خبيث يتمثل بصورة الناصح وتحت نصحه الشر الهايل
والسم القاتل وعادته منازعة الوزير الناصح في كل تدبير يدبره حتى لا
يخلو عن منازعته ساعة فكما ان الوالي في مملكته متى استشار في تدبيراته
بوزيره معرضا عن اشارة هذا العبد الخبيث بل مستدلا باشارته في ان
الصواب في نقيض رايه واسلسه لوزيره ومسلطا على جهته على
هذا العبد الخبيث واتباعه وانصاره حتى يكون العبد مسوسا لا سايسا

مطلب مثال النفس مع الغضب والشهوة

ومامورا لا آمرا استقام امر بلده وانتظم العبد بسببه كذلك النفس متى استعانت
بالعقل وادبت الحمية الغضبية وسلطتها على الشهوة واستعانت با حديهما
الاخرى تارة بان يقلل من تيه الغضب وغلوائه بخلابة الشهوة واستد راجها
وتارة بقمع الشهوة ويقهرها بتسليط الغضب والحمية عليها وتقبيح مقتضاتها
اعتدلت قواه وحسنت اخلاقه ومن عدل عن هذه الطريقة كان كمن قال
تعالى واتبع هواه فمثله كمثل الكلب وستاتي كيفية مجاهدة هذه الجنود وتسليط
بعضها على بعض في كتاب رياضة النفس ان شاء الله تعالى ومثال آخر ان البدن
كالمدينة والنفس المذكورة كملك مدبر وقواه المدركة من الحواس الظاهرة والباطنة
كجنوده واعوانه واعضاؤه كرعيته والنفس الامارة بالسوء التي هي الغضب
والشهوة كعدو ينازعه في مملكته ويسعى في اهلاك رعيته فصار بدنه
كرباط وثغر ونفسه كمقيم فيه مرابط فان جاهد عدوه فهزمه وقهره على ما يجب
حمد اثره اذا عاد الى الحضرة وان ضيع ثغره واهمل رعيته ذم اثره وانتقم منه
عند لقاء الله تعالى فيقال له يا راعي السوء اكلت اللحم وشربت اللبن ولم تؤو الضا لة
ولم تجبر الكسير اليوم انتقم منك كما ورد في الخبر والى هذه المجاهدة الاشارة بقوله
عليه السلام رجعنا من الجهاد الاصغر الى الجهاد الاكبر **فصل**
في بيان خاصية قلب الانسان اعلم ان جملة ما ذكرناه قد انعم الله تعالى بها على
ساير الحيوانات سوى الآدمي اذ للحيوانات الشهوة والغضب والحواس الظاهرة

والباطنة ايضا واما ما يختص به قلب الانسان فالعلم والارادة الذي لاجله
عظم شرفه واستاهل القرب من الله تعالى واما العلم فهو العلم بالامور الدينية و
والاخراوية والحقايق العقلية فان هذه امور وراء المحسوسات ولا يشارك
فيها الحيوانات بل العلوم الكلية الضرورية من خواص العقل واما الارادة
فهو انه اذا ادرك بالعقل عاقبة الامور وطريق الصلاح فيه انبعث من ذاته
شوق الى وجه المصلحة والى تعاطي اسبابها وارادة لها وذلك غير ارادة الشهوة
وارادة الحيوانات بل تكون على ضد الشهوة وان الشهوة تنفر عن الفصد والحجامة
والعاقل يريدها والشهوة تميل الى لذيذ الاطعمة في المرض والعاقل يجد في
نفسه زاجرا عنها فاذا اختص قلب الانسان بعلوم وارادات فلا يعرف
عاقل ما انفتح على اولياء الله تعالى وانبياء الله عليهم السلام من مزايا لطفه
ورحمته ما يفتح الله للناس من رحمة فلا ممسك لها وهذه الرحمة مبذولة
بحكم الجود والكرم من الله تعالى غير مظنون به على احد ولكن انما تظهر
في قلوب المعترضة لنفحات الله تعالى كما قال صلى الله عليه وسلم ان لربكم في
ايام دهركم نفحات الا فتعرضوا لها والتعرض لها بتطهير القلب وتزكيته
عن الخبث والكدورة الحاصلة من الاخلاق المذمومة والى هذا الجود الاشارة
بقوله صلى الله عليه وسلم ينزل الله كل ليلة الى سماء الدنيا فيقول هل
من داع فاستجيب له هل من مستغفر فاغفر له ومثل هذه الاخبار اشارة

الى ان انوار العلوم لم تحتجب عن القلوب لبخل ومنع من جهة المنعم سبحانه وتعالى
عن البخل والمنع ولكن بخبث وكدورة وشغل من جهة القلوب فان القلوب
كالاواني فما دامت ممتلية بالماء لا يدخلها الهواء فالقلوب المشغولة بغير الله
تعالى لا يدخلها المعرفة بجلال الله عز وجل واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم
لولا الشياطين يحومون على قلوب بني آدم لنظروا الى ملكوت السماء ومن هذه
الجملة يتبين ان خاصية الانسان العلم والحكمة فيه كماله وفي كماله سعادته
وصلاحه لجوار حضرة ربه سبحانه وتعالى فالبدن مركب للنفس والنفس محل العلم
والعلم هو المقصود من الانسان وخاصيته التي لاجله خلق وكما ان الفرس
يشارك الحمار في قوة الحمل ويختص عنه بخاصية الكر والفر وحسن الهيئة
فيكون الفرس مخلوقا لاجل تلك الخاصية فان تعطلت منه نزل الى حضيض
رتبة الحمار فكذلك الانسان يشاركه الحمار والفرس في امور ويفارقه في امور
هي خاصيته وهي من صفات الملايكة والانسان على رتبة بين البهايم والملايكة
فان الانسان من حيث انه يتغذى وينسل فنبات ومن حيث يحس ويتحرك
بالاختيار فحيوان ومن حيث صورته وقامته فكالصورة المنقوشة على
الحايط وانما خاصيته معرفة حقايق الاشياء فمن استعمل جميع اعضائه
وقواه على وجه الاستعانة بها على العلم والعمل فقد تشبه بالملايكة فحقيق بان
يلتحق بهم ومن صرف همته الى اتباع اللذات البدنية يأكل كما تأكل الانعام فقد

انحط الى حضيض افق البهايم فيصير اما غمرًا كثورٍ او شرهًا كخنزير او ضرعًا
كلبًا وحقودًا كجمل ومتكبرًا كنمرٍ او ذا روغان كثعلبٍ او يجمع ذلك كل
شيطان مريد **فصل** في بيان جامع اوصاف القلب ومثاله اعلم ان في
تركيب الانسان اجتمعت اوصاف اربعة سبعية وبهيمية وربانية و
شيطانية فانه من حيث انه سلط عليه الغضب يفعل فعل السبع من العداوة
والبغضاء والتهجم على الناس بالايذاء والشتم والضرب ومن حيث انه
سلط عليه الشهوة يفعل فعل الخنزير من الشره والحرص والشبق وغيره
ومن حيث ان روحه امر رباني يدعي لنفسه الربوبية ويحب الاستيلاء
والاستعلاء ويشتهي الاطلاع على العلوم والتخصيص والاستبداد
بالامور كلها والتفرد بالرياسة ولا يحب التواضع والخضوع ومن حيث
ان فيه المكر والخداع والشر يفعل فعل الشياطين وكل انسان فيه شوب
من هذه الاصول الاربعة اعني الربانية والشيطانية والسبعية و
البهيمية وكل ذلك مجموع في القلب وكان المجموع في اهاب الانسان خنزير وكلب
وشيطان وحكيم فالخنزير هو الشهوة فانه لم يكن الخنزير مذمومًا للونه وشكله
وصورته بل لشجعه وكلبه وحرصه والكلب هو الغضب فان الكلب ليس كلبًا
باعتبار اللون والصورة بل لضراوته وعقره وعداوته وفي باطن الانسان
ضراوة السبع وغضبه وحرص الخنزير وشبقه والشيطان لا يزال

يهيج شهوة الخنزير وغيظ السبع والحكيم الذي هو مثال العقل مامور بان يدفع
كيد الشيطان ومكره وشره الخنزير وغضب الكلب ويجعل الكل مقهورا تحت
سياسته فان فعل ذلك وقدر عليه اعتدل الامر فظهر العدل في مملكة
البدن وان عجز عن قهرها قهروه واستخدموه فيكون دايمًا في خدمة كلب او خنزير
وهذا حال اكثر الناس مهما كان اكثر همهم الفرج والبطن ومنافسة الاعداء
والعجب منه انه ينكر على عبدة الاصنام عبادتهم للحجر ولو كشف الغطاء عنه ومثل له
حقيقة حاله كما تمثل للكاشفين لراى نفسه ماثلا بين يدي خنزير ساجدا
له مرة وراكعا له اخرى ومنتظر الاشارته اوامرها وماثلا بين يدي كلب عقور
عابدا له مطيعا لما يقتضيه وهذا غاية الظلم اذ جعل السيد عبدا والمالك
مملوكا اذ العقل هو المستحق للسيادة والقهر وقد سخره بخدمة هؤلاء فلا جرم
تنتشر الى قلبه من طاعة هؤلاء الثلث صفات تتراكم عليه حتى تصير طبعا
ورينا مهلكا للقلب ومميتا له ومهما تراكمت الذنوب طبع على القلب وعند ذلك
يعمى القلب على ادراك الحق وصلاح الدين ويستهين بالاخرة ويستعظم امر الدنيا
ويصير مقصور الهم عليها اذا قرع سمعه امر الاخرة وما فيها من الاخطار دخل
من اذن وخرج من الاخرى لم يستقر في القلب ولم يحركه الى التوبة والتدارك
اولئك الذين يئسوا من الاخرة كما يئس الكفار من اصحاب القبور وهذا معنى
اسوداد القلب بالذنوب كما نطق به القرآن الكريم والسنة النبوية **قال**

ميمونة بن مهران اذا اذنب العبد ذنبا نكت في قلبه نكتة سودآء فان هو
نزع وتاب صقل وان عاد زيد فيها حتى تعلو قلبه فهو الران **وقال**
صلى الله عليه وسلم قلب المؤمن اجرد فيه سراج يزهر وقلب الكافر اسود
منكوس فطاعة الله بمخالفة الشهوات مصقلات للقلب ومعصيته
مسودات له فمن اقبل علي المعاصي اسود قلبه ومن اتبع السيئة الحسنة ومحا
اثرها لم يظلم قلبه ولكن ينقص نوره كالمرآة التي يتنفس فيها انسان ثم يمسح فانه
لا يخلو عن كدورة **فصل** في مثال القلب بالاضافة الي العلوم الخاصة
اعلم ان كل ما قدره الله تعالى من ابتداء خلق العالم الي آخر الابد مسطور مثبت
في خلق خلقه الله يعبر عنه باللوح المحفوظ وتارة بالكتاب المبين وتارة
بامام مبين كما ورد في القرآن الكريم فكما جري ويجري منقوش مكتوب فيه
لكنه لوح لا كالالواح ونقش لا كالنقوش بقلم لا كالاقلام كما ان ذاته الكريمة
وصفاته المقدسة لا كذات خلقه وصفاتهم واللوح في المثال كمرآة
فيها صورة الاشيآء وقلب الانسان بالنسبة الي العلوم كالمرآة المتعرضة
لقبول الالوان فلو وضعت هذه المرآة في مقابلة تلك المرآة لترآت تلك الصور
فالقلب مستعد لان تتجلي فيه حقايق الاشيآء علي النعت المذكور ويسمي
ذلك التجلي رؤية قال الله تعالي ما كذب الفؤاد ما رأى
الا ان له موانع تضاهي موانع الرؤية في المرآة الحقيقة وتلك الموانع خمسة

كما سنذكرها فظهر ان محل العلم هو القلب اعني اللطيفة المدبرة لجميع الجوارح
وهي بالاضافة الي حقايق المعلومات كالمرآة بالاضافة الي صورة المتكونات
فكما ان المتكون صورة ومثال تلك الصورة ينطبع في المرآة ويحصل فيها
فكذلك لكل معلوم حقيقة وتلك الحقيقة صورته فينطبع من مرآة القلب
وينتضح فيه كما ان المرآة غير وصور الاشخاص غير وحصول مثالها في المرآة غير
فهي ثلثة امور القلب وحقايق الاشيآء وحصول نفس الحقايق في القلب وحضوره
فيه فالعالم عبارة عن القلب الذي فيه يحل مثال حقايق الاشيآء والمعلوم
عباره عن حقايق الاشيآء والعلم عبارة عن حصول المثال في المرآة وكما ان
القبض مثلا يستدعي قابضا كاليد ومقبوضا كالسيف ووصولا بين السيف
واليد بحصول السيف في اليد ويسمي قبضا فكذلك وصول مثال العلوم الي القلب
يسمي علما وقد كانت الحقيقة موجودة والقلب موجودا لم يكن حاصلا لان
العلم عبارة عن وصول الحقيقة الي القلب وكما ان السيف موجودا واليد موجودا
ولم يكن اسم القبض والاخذ حاصلا لوقوع السيف في اليد نعم القبض عبارة عن
حصول السيف بعينه في اليد والمعلوم لا يحصل بعينه في القلب فمن علم النار لم
يحصل عين النار في قلبه ولكن الحاصل حده وحقيقته المطابق لصورته
فتمثيله بالمرآة اولي لان عين الانسان لا يحصل في المرآة وانما يحصل مثال مطابق
لحقيقة العلوم في القلب يسمي علما وكما ان المرآة لا تنكشف فيها الصور لخمسة

فكذلك ههنا ثلثة امور ع

يدون

بامور احدها نقصان صورة الجوهر الحديد قبل ان يدوّر ويشكل ويصقل
والثاني لخبثه وصدئه وكدورته وان كان تام الشكل والثالث
لكونه معدولا عن جهة الصورة الي غيرها كما اذا كانت الصورة وراء
المرآة الرابع لحجاب مرسل بين المرآة والصورة الخامس للجهل بالجهة التي فيها
الصورة المطلوبة حتي يتعذر بسببه ان يحاذي به شطر الصورة وجهتها
فكذلك القلب مرآة مستعد لان يتجلي فيه حقيقة الحق في الامور كلها وانما
خلت القلوب عن العلوم التي خلت عنها هذه الاسباب الخمسة اولها نقصان في
ذاته كقلب الصبي فانه لا يتجلي له المعلومات لنقصانه والثاني لكدورة
المعاصي والخبث التي تراكم علي وجه القلب من كثرة الشهوات فان ذلك يمنع صفاء
القلب وجلاءه فيمنع ظهور الحق فيه بقدر ظلمته وتراكمه واليه الاشارة
في قوله عليه السلام من قارف ذنبا فارق عقله لا يعود اليه ابدا اي حصلت
في قلبه كدورة لا يزول اثرها اذ غايته ان يتبعه بحسنة تمحوه ولكن لو لم
تتقدم السيئة لزاد لا محالة اشراق القلب فتلك الزيادة خسران لا جابر له
والثالث معدولا به عن جهة الحقيقة المطلوبة فان قلب المطيع الصالح
وان كان صافيا فانه ليس تتضح فيه جلية الحق لانه ليس يطلب الحق وليس يحاذي
بمرآته شطر المطلوب بل ربما يكون مستوعب الهم بتفصيل الطاعات البدنية
ولا يصرف فكره الي التأمل في حضرة الربوبية والحقايق الخفية الالهية

فلا ينكشف له الا ما هو متفكر فيه من دقايق آفات الاعمال وخفايا عيوب النفس
ان كان متفكرا فيها واذا كان تقيد الهم بتفصيل الطاعات مانعا عن انكشاف
جلية الحق فما ظنك في صرف الهم الي شهوات الدنيا ولذاتها وعلايقها فكيف
لا يمنع عن الكشف الحقيقي والرابع الحجاب بين المرآتين فان المطيع القاهر لشهواته
المتجرد للفكر في حقيقة من الحقايق قد لا ينكشف له ذلك لكونه محجوبا عنه
باعتقاد سبق اليه منذ الصبي علي سبيل التقليد والقبول بحسن الظن يحول
ذلك بينه وبين حقيقة الحق ويمنع ان ينكشف في قلبه خلاف ما تلقفه
من ظاهر التقليد وهذا ايضا حجاب عظيم حجب اكثر المتكلمين والمتعصبين للمذاهب
والخامس الجهل بالجهة التي منها يقع العثور علي المطلوب فان طالب العلم ليس يمكنه
ان يحصل العلم بالمجهول الا بالتذكر للعلوم التي تناسب مطلوبه حتي اذا تذكرها
ورتبها في نفسه ترتيبا مخصوصا يعرفه العلماء بطرق الاعتبار فعند ذلك يكون
قد عثر علي جهة المطلوب فتتجلي حقيقة المطلوب لقلبه فان العلوم المطلوبة
التي ليست فطرية لا تقتنص الا بشبكة العلوم الحاصلة فهذه الاسباب المانعة
للقلوب من معرفة حقايق الامور والا فكل قلب فهو بالفطرة صالح لمعرفة الحقايق
فارق سائر جواهر العالم بهذه الخاصية والشرف واليه الاشارة بقوله عز وجل
تعالي انا عرضنا الامانة علي السموات والارض والجبال فابين ان يحملنها وحملها
الانسان اشارة الي ان له خاصية تميز بها عن السموات والارضين والجبال

مطيقا لحمل امانة الله تعالي وهي التوحيد والمعرفة وقلب كل ادمي مستعد
لحمل الامانة ومطيق لها في الاصل ولكن يثبطها عن النهوض باعبائها
والوصول الي تحقيقها الاسباب التي ذكرناها ولذلك قال صلي الله عليه وسلم
كل مولود يولد علي الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه واليه الاشارة
بما روي عن ابن عمر رضي الله عنهما انه قال قيل يا رسول الله اين الله في الارض قال
في قلوب عباده المؤمنين وفي الخبر انه قال الله تعالي لم يسعني ارضي ولا سمائي
ووسعني قلب عبدي المؤمن واليه الاشارة في قوله تعالي واذ اخذ ربك من بني آدم
من ظهورهم ذرياتهم واشهدهم علي انفسهم الست بربكم قالوا بلي فالمراد
اقرار انفسهم لا اقرار السنتهم فانهم انقسموا عند وجود الالسنة وكذلك
قوله تعالي ولئن سالتهم من خلقهم ليقولن الله ومعناه ان اعتبرت احوالهم
شهدت بها انفسهم فطرت الله التي فطر الناس عليها اي كل ادمي فطر علي الايمان
بالله تعالي بل علي معرفة حقايق جميع الاشياء بطريق التضمن والركون وكانت
القلوب متضمنة للايمان تضمن الورد لمائه والسمسم لدهنه بالفطرة انقسم
الناس الي من اعرض فنسي العهد وهم الكفار والي من احال خاطره فتذكر فاطلق
التذكر والنسيان باعتبار الصورة المتضمنة كما نطق باعتبار الصورة التي
كانت حاضرة فغابت ومن ارتفع الحجاب بينه وبين قلبه تجلي صورة
الملك والملكوت في قلبه فيري جنة عرض بعضها السموات والارض وهو

مطلب المهم

وان كان واسع الاطراف متباعد الاكناف فهو متناهي واما عالم الملكوت
الغايبة عن الابصار فلا غايات ولا نهايات لها وجملة عالم الملك والملكوت اذا
اخذت دفعة واحدة يسمي الحضرة الربوبية لان حضرة الربوبية محيطة
بكل موجودات اذ ليس في الموجود سوي الله تعالي وافعاله فما يتجلي من ذلك
للقلب وهو الجنة بعينها عند قوم وهو سبب استحقاق الجنة عند اهل الحق
وقد تكون سعة ملكه في الجنة بحسب سعة معرفته وبمقدار ما يتجلي الله تعالي
وصفاته وافعاله وانما المراد من الطاعات واعمال الجوارح كلها تصفية
القلب وتزكيته وجلاؤه وقد افلح من زكاه والمراد من تزكيته حصول
انوار العلوم الايمان فيه اعني اشراق نور المعرفة وهو المراد بقوله تعالي فمن
يرد الله ان يهديه يشرح صدره للاسلام وبقوله تعالي افمن شرح الله صدره
للاسلام نعم لهذا التجلي وهذه الايمان ثلث مراتب الاولي ايمان العوام وهو ايمان
التقليد المحض والثانية ايمان المتكلمين وهو ممزوج بنوع استدلال الثالثة
ايمان العارفين وهو المشاهدة بنور اليقين وتبين لك هذه المراتب بمثال وهو
ان تصديقك بكون زيد مثلا في الدار ثلث درجات الاولي ان يخبرك به من
من جربته بالصدق فان قلبك يسكن اليه ويطمئن به بمجرد السماع وهذا
هو الايمان بمجرد التقليد وهو مثل ايمان العوام فانهم لما بلغوا سن التمييز
سمعوا من ابائهم وامهاتهم وجود الله تعالي وعلمه وقدرته وساير الصفات

وبعثة الرسول عليه السلام وما جاء به وكما سمعوه قبلوه واطمأنوا اليه
الي الموت وهذا الايمان سبب النجاة في الآخرة واهله من اصحاب اليمين وليسوا
من المقربين وقلوب اليهود والنصاري ايضًا بما سمعوا من ابائهم اعتقدوا
ما اعتقدوه خطأ لانه القي اليهم الخطأ بخلاف المسلمين لانهم القي اليهم الحق
الثانية ان تسمع كلام زيد وصوته من الدار ولكن من وراء جدار فتستدل به
علي كونه في الدار فيكون ايمانك وتصديقك في الدار اقوي من تصديقك بمجرد
السماع فهذا ايمان ممزوج بدليل والخطأ ممكن اذ الصوت قد يشبه الصوت
الثالثة ان تدخل الدار فتنظر اليه بعينك وتشاهده فهذا هو الحقيقة وهو
يشبه معرفة المقربين والصديقين لانهم يؤمنون علي مشاهدة يستحيل
معها امكان الخطأ نعم وهو ايضًا يتفاوتون بمقادير العلوم وبدرجات
الكشف فمثاله ان تبصر زيدًا في الدار عن قرب وفي صحن الدار في وقت
فيكمل له ادراكه ومثل هذا متصور في تفاوت المشاهدة للامور الالهية
فبالجملة ان التقليد مذموم وان كان صاحبه من اهل النجاة والدليل عليه
ان الرياسة اقل مرتبة من الربوبية ثم ان النبي صلي الله عليه وسلم لما لقي الصديق
رضي الله عنه وقال انا رسول الله صلي الله عليه وسلم اليك قال ما الحجة قال
ذلك السر الذي ذكرته مع اهلك في بيتك قال فذلك سر لم يطلع عليه احد
الا الله تعالي فلولا انه تعالي اخبرك والا ما عرفته اشهد ان لا اله الا الله

واشهد ان محمدًا رسول الله فاذا كانت الرسالة دون الالهية ثم انها لا تثبت
بالتقليد من لسان الاباء والاسلاف **خاتمة** في الفرق بين الالهام والتعليم
بين طريق الصوفية والمتكلمين اعلم ان العلوم التي ليست ضرورية منها ما
يحصل في القلب هجومًا بغير حيلة ومنها ما يحصل بطريق الاستدلال والاول
ينقسم الي ما لا يدري جهة حصوله ويسمي الهامًا ويختص به الاولياء والي ما يعلم
جهة حصوله وهو الملك الملقي له في القلب ويسمي وحيًا ويختص به الانبياء
عليهم الصلوة والسلام الثاني طريق المتكلمين في تحصيل العلوم والصوفية لا
يرضونه بل يقتصرون علي تهذيب الاخلاق والعبادات ثم ينتظرون فيضان
العلم علي قلوبهم والمتكلمون يقولون هذا لا ينجع الا علي سبيل الوهم فانا
نري ان الانسان لو اعتمد علي هذا الطريق في حصول علم الفقه له لما حصل وان
كان ممكنًا عقلا فكيف تحصل به علي غوامض الامور ويوضح الفرق بين الطريقين
بمثال فنقول لو اذا فرضنا حوضًا محتفرًا في الارض احتمل ان يساق الماء اليه
من انهار مختلفة واحتمل ان يحفر الي ان ينفجر الماء منه والاول طريق المتكلمين
فان القلب كالحوض والعلم كالماء والحواس كالانهار والثاني طريق الصوفية فان
تهذيب الاخلاق الرياضة بمنزلة حفر الارض فان قيل كيف ينفجر العلم من باطن
القلب وهو خال عنه قلنا هذا من علم المكاشفة ونحن في علم المعاملة والذي
يليق بهذا الموضع ان نقول العلم له درجات احدها الوجود في اللوح المحفوظ

استاذ

على مثال ما يخط المهندس صورة بناء في ورقة قبل ان يخرجه الى الوجود الثاني
الوجود الحقيقي للاشياء وهو تبع الاول الثالث الوجود الخيالي يتادّيه الحواس
وهو يتبع الثاني الرابع الوجود في القلب بواسطة الخيال وهي طريقة المتكلمين
والصوفية يقولون القلب يتادّي من اللوح المحفوظ واحتجوا على صحة طريقهم
بالنقل والاستدلال اما النقل فقوله تعالى وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ
سُبُلَنَا وقرا ابن عباس رضي الله عنهما وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ وَلَا نَبِيٍّ
ولا محدث والمحدث الملهم والملهم هو الذي انكشف له ما في قلبه من جهة الداخل
لا من جهة المحسوسات وكان ابو يزيد البسطامي وغيره رحمة الله
عليهم يقول ليس العالم الذي يحفظ من كتاب فاذا نسي ما حفظ صار جاهلا
انما العالم الذي ياخذ علمه من ربه اي وقت شاء بلا تحفظ ولا درس وهذا
اهون الرباني والحيه وقعت الاشارة بقوله تعالى وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا عِلْمًا
فان كل علم من لدنه ولكن بعضه بواسطة الجارحات فلا يسمى لدنيا وبعضه
بلا وسايط بل يقع في سر القلب من غير سبب خارجي وهو المسمى بالعلم اللدني واما
الاستدلال بالعقل فامران احدهما عجايب الرؤيا الصادقة واذا جاز ذلك في النوم
جاز في اليقضة الثاني اخبار النبي عليه السلام عن الغيوب واذا جاز في حقه جاز
في حق غيره اذ النبي عبارة عن شخص كوشف له بحقايق الامور وشغل باصلاح الخلق
فلا يبعد ذلك في حق شخص كوشف بحقايق الامور ولم يشغل باصلاح الخلق

مطلب العلم اللدني

وكيف يمكن الانكار مع ما نقل من الكرامات روى ان عمر رضي الله عنه قال في اثناء
الخطبة يا سارية الجبل الجبل لما انكشف له ان العدو قد اشرف عليه فحذره معرفة
ذلك ثم بلوغ صوته اليه من جملة الكرامات وروى ان انسا رضي الله عنه
قال دخلت على عثمان رضي الله وكنت رايت امراة في الطريق فنظرت اليها نظرا
شزرا فلما راني قال يدخل علي واثار الزنا ظاهر في عينك اما علمت زنا العينين
النظر فقلت له اوحي بعد رسول الله فقال لا ولكن تبصرة وفراسة صادقة

فصل في بيان تسلط الشيطان على القلوب بالوسواس والمعنى الوسوس
اعلم ان القلب في مثال قبة لها ابواب ينصب اليها الاحوال من كل باب وفي مثاله
ايضا مثال هدف تنصب اليها السهام من الجوانب وهو مثل مرآة منصوبة تجتاز
عليها اصناف الصور المختلفة فتتراي فيها صورة بعد صورة ولا يخلو عنها
وانما مداخل هذه الاثار المتجددة في كل حال اما من الظواهر فالحواس الخمس واما
من البواطن فالخيال والشهوة والغضب والاخلاق المركبة في مزاج الانسان
فانه اذا ادرك بالحواس شيا حصل منها اثر في القلب وكذلك اذا هاجت
الشهوة بسبب كثرة الاكل وبقوة في المزاج حصل منها في القلب اثر والمقصود ان
القلب في التغير والتاثر دايما من هذه الاسباب واخص الاثار الحاصلة في
القلب هي الخاطر واعني بالخاطر ما يعرض فيه من الافكار والاذكار واعني به
ادراكات وعلوما اما على سبيل التجدد او على سبيل التذكر فانها تسمى خواطر

مطلب الفرق بين الوسواس والخاطر

من حيث انها تخطر بعد ان كان القلب غافلاً عنه والخواطر هي المحركات للارادات
فان النية والعزم والارادة انما يكون عند حضور المنوي بالبال لا محالة فمبداء
الافعال الخواطر وهي تحرك الرغبة والرغبة تحرك العزم والنية والنية تحرك
الاعضاء والخواطر المحركة للرغبة تنقسم الي ما يدعوا الي الشر والي ما يدعوا
الي الخير فالخاطر الداعي الي الشر يسمي وسواسًا والخاطر الداعي الي الخير يسمي الهامًا
ثم انك تعلم ان هذه الخواطر حادثة وكل حادث لا بد له من سبب فسبب الخواطر
الداعي الي الخير يسمي ملكًا وسبب الخاطر الداعي الي الشر يسمي شيطانا واللطف الذي
به يتهيأ القلب لقبول الهام الملك يسمي توفيقا والذي يتهيأ لقبول وسواس
الشيطان يسمي اغواءً وخذلانًا وان الله تعالي يفعل كما يفعله باستسخار
الملك والشيطان وهما مستسخران لقدرته في تقليب القلوب كما ان اصابعك
مستسخرة لك في تقليب الاجسام والقلب باصل الفطرة صالح لقبول اثار
الملايكة ولقبول اثار الشيطان صلاحًا متساويًا يترجح احدهما علي الاخر
وانما يترجح احد الجانبين باتباع الهوي ومخالفتها فان اتبع الانسان مقتضي
الشهوة والغضب ظهر تسلط الشيطان بواسطة الهوي وصار القلب عش الشيطان
ومعدنه وان جاهد الشهوات ولم يسلطها علي نفسه صار مستقر الملايكة
ومهبطهم ولما كان لا يخلوا قلب عن شهوة وغضب وحرص وطمع وطول امل
الي غير ذلك من صفات البشرية المتشعبة عن الهوي لا جرم لا يخلو قلب

عن ان يكون للشيطان فيه جولان بالوسوسة ولذلك قال صلي الله عليه وسلم
ما منكم من احد الا وله شيطان قالوا وانت يا رسول الله قال وانا الا ان الله تعالي
اعانني عليه فاسلم ولا يامر الا بالخير فقد ظهر واتضح معني الوسوسة والالهام
والملك والشيطان والتوفيق والخذلان **فصل** في تفصيل مداخل الشيطان
الي القلب اعلم ان القلب مثاله حصن والشيطان عدو يريد ان ياخذ الحصن ويملكه
ويستولي عليه ولا يقدر علي حفظ الحصن عن العدو ولا حراسة ابواب الحصن
ومداخله من لا يعرف ابوابه وحماية القلب عن فساد الشيطان واجب بل فرض عين
علي كل عبد مكلف وما لا يتوصل الي الواجب الا به فهو ايضًا واجب ولا يتوصل
الي دفع الشيطان الا بمعرفة مداخله فصارت معرفة مداخل الشيطان واجبًا
ومداخل الشيطان وابوابه صفات العبد وهي كثيرة ولكنا نشير الي الابواب
العظيمة الجارية مجري الدروب التي لا تضيق عن كثرة جنود الشيطان فاولا الحسد
والحرص فمهما كان العبد حريصًا علي شي اعماه حرصه واصمه ونور البصيرة هو الذي
يعرف مداخل الشيطان فاذا غطاه الحرص والحسد لم يبصر فوجد الشيطان فرصته
فيحسن عند الحريص كل ما يوصله الي شهوته وان كان منكرا فاحشا **وروي**
ان ابليس تمثل لعيسي عليه السلام فقال قل لا اله الا الله فقال كلمة حق ولا اقولها
بقولك لان له تحت الخير تلبيسات الثاني الغضب والشهوة فان الغضب
غول العقل واذا ضعف جند العقل هجم جند الشيطان ومهما غضب الانسان

مطلب مداخل الشيطان وابوابه الى القلب

لعب به الشيطان كما يلعب الصبي بالكرة فقد روي ان ابليس لقي موسي عليه السلام
فقال يا موسي انت كليم الله ورسوله وانا من خلق الله اذنبت ذنبا وانا اريد
ان اتوب فاشفع لي الي ربي ان يتوب علي قال موسي عليه السلام ابليس نعم فدعي
موسي ربه فقال تعالي يا موسي قل له ان يسجد لقبر آدم عليه السلام فلقي
موسي عليه السلام ابليس وقال امرت ان تسجد لقبر آدم ليتاب عليك فغضب
وقال لم اسجد له حيا اسجد له ميتا لم يسجد من الحسد الثالث حب التزين
في الثياب والاثاث والدار فان الشيطان اذا راي ذلك غالبا علي قلب انسان باض
فيه الشيطان وفرخ فلا يزال يدعوه الي عمارة الدار وتزيين سقوفها وحيطانها
ويدعوه الي التزين بالثياب والدواب الي ان يساق اليه اجله فيموت وهو في
سبيل الشيطان واتباع الهوي ومن ذلك سوء الخاتمة الرابع الشبع من الطعام
وان كان حلالا فان الشبع يقوي الشهوات والشهوات اسلحة الشيطان روي
مطلب ابليس مع يحيى عليه السلام
ان ابليس ظهر ليحيي عليه السلام فقال يا ابليس هل وجدت علي سبيلا قال لا الا انك شبعت
مرة فثقلتك عن الصلوة والذكر قال هل غير ذلك قال لا قال لله علي ان لا
اشبع ابدا فقال ابليس لله علي ان لا انصح ابدا الخامس الطمع في الناس فاذا
غلب الطمع علي القلب لم يزل الشيطان يزين التصنع والتزين لمن طمع فيه
بانواع الريا والتلبيس حتي يصير المطموع فيه كانه معبود فلا يزال
يتفكر في حيلة التودد والتحبب اليه ويدخل كل مدخل للوصول الي ذلك

واقل احواله الثناء عليه بما ليس فيه والمداهنة معه بترك الامر بالمعروف
والنهي عن المنكر السادس العجلة في الامور قال عليه السلام العجلة من الشيطان
والتاني من الرحمن وهذا لان الاعمال ينبغي ان تكون بعد البصيرة والمعرفة والبصيرة
يحتاج الي التامل ومهلة والعجلة تمنع ذلك السابع البخل وخوف الفقر فان ذلك
هو الذي يمنع من الانفاق والتصدق ويدعو الي الادخار والكنز الثامن حب
الدراهم والدنانير واصناف الاموال وبالجملة فما يزيد علي قدر الحاجة فهو مستقر
الشيطان التاسع حمل العوام علي التفكر في ذات الله تعالى وصفاته الجليلة وغير
ذلك فما لا يبلغها حد حقوقهم فان ذلك مهلكة عظيمة العاشر التعصب للمذاهب
فكل من ادعي مذهب امام من الايمة الاربعة وهو ليس يسير بسيرته فذلك
الامام هو خصمه اذ يقول كان مذهبي العمل دون الحديث باللسان وكان الحديث
باللسان لاجل العمل فما بالك خالفتني في العمل والسيرة فهذا مدخل عظيم من مداخل
الشيطان وقد اهلك به اكثر العالم قال الحسن رحمة الله عليه بلغنا ان ابليس
مطلب الشيطان
سولت لامة محمد المعاصي فقطعوا ظهري بالاستغفار فسولت لهم فنونا لا
يستغفرون الله منها وهي الاهواء ولقد صدق الملعون فيه لانهم لا يعلمون
ان ذلك من المعاصي فكيف يستغفرون عنه الحادي عشر سوء الظن للمسلمين
ولذلك قال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ومن حكم بشر علي غيره بالظن بعثه الشيطان
علي ان يطول فيه اللسان بالغيبة فيهلك او يقصر في القيام بحقوقه او يتواني

مطلب دفع الشيطان

في كرامه او ينظر اليه بعين الاحتقار ويري نفسه خيرا منه وكل ذلك
من المهلكات فان قلت فما العلاج في دفع الشيطان وهو يكفي ذكر الله وقول
لا حول ولا قوة الا بالله اعلم ان علاج ذلك سد هذه المداخل وتطهير
القلب من هذه الصفات المذمومة واذا قلعت من القلب اصول هذه الصفات
كان للشيطان بالقلب اجتيازات وخطرات ولم يكن له استقرار ويمنعه من الاجتياز
ذكر الله تعالى ولذلك قال الله تعالى ان الذين اتقوا اذا مسهم طايف من الشيطان
تذكروا خصص ذلك بالمتقي ومثال الشيطان مثال كلب جايع يقرب منك فان لم يكن
بين يديك لحم وخبز [illegible] ينزجر بان تقول له اخس بمجرد
القول يدفعه وان كان بين يديك لحم وخبز وهو جايع هجم على اللحم ولم يندفع
بمجرد الكلام فالقلب الخالي عن قوة الشيطان ينزجر عنه بمجرد الذكر لهذا قال
ابن مسعود رضي الله عنه شيطان المؤمن مهزول وقال ابو هريرة رضي الله عنه
التقى شيطان المؤمن وشيطان الكافر فاذا شيطان الكافر سمين دهين كاس
واذا شيطان المؤمن مهزول اشعث عاري فقال شيطان الكافر لشيطان المؤمن
مالك قال انا مع رجل اذا اكل سمى فاظل جايعا واذا شرب سمى فاظل عطشانا
فاذا ادهن سمى فاظل عريانا قال شيطان الكافر ولكني مع رجل لا يفعل شيا
مما ذكرت فانا اشاركه في طعامه وشرابه ولباسه فان شئت الخلاص من الشيطان
فقدم الاحتماء التقوى ثم اردفه بدواء الذكر فان من شرب دواء قبل الاحتماء

والمعدة مشحونة بغليظ الاطعمة لم ينفعه بل ربما يزيد عليه الضرر ومن ذكر
بعد التقوى فر منه الشيطان كما فر من عمر رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم
فيه ما سلك فجا الا سلك الشيطان فجا غير فجه لان قلبه كانت مطهرة عن
مرعى الشيطان وقوته وهو الشهوات وقال وهب بن منبه اتق الله ولا تسب
الشيطان في العلانية وانت صديقه في السر اي انت مطيع له فان قلت ان الشيطان
هل هو جسم ام لا فان كان كيف يداخل بدن الانسان ما هو جسم فاعلم
ان الله تعالى عرف عداوته ليحترز عنه فقال ان الشيطان لكم عدو فاتخذوه
عدوا وقال الم اعهد اليكم يا بني آدم ان لا تعبدوا الشيطان انه لكم عدو مبين
فينبغي للعبد ان يشتغل بدفع العدو عن نفسه لا بالسوال عن اصله ونسبه
ومسكنه نعم ينبغي ان يسال عن سلاحه ليدفعه وسلاح الشيطان الهوى والشهوات
وذلك كاف للعاملين فاما معرفة حقيقة ذاته وحقيقة الملايكة فذلك ميدان
العارفين المشتغلين في علوم المكاشفات فلا يحتاج في المعاملة الى معرفته فصل
في بيان ما يؤخذ العبد به من وساوس القلوب وما لم يؤخذ به اعلم ان هذا امر
غامض وقد وردت فيه اخبار وروايات متعارضة يلتبس طريق الجمع بينهما على اكثر
العلماء فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الله عفي عن امتي
ما حدثت به نفوسها وقال يقول الله تعالى اذا هم عبدي بسيئة فلا تكتبوها
عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة فلم يعملها فاكتبوها حسنة

مطلب كراهية الشبع للشيطان

فان عملها فاكتبوها عشرا وهو دليل عن العفو عن عمل القلب وهمه بالسيئة
فاما ما يدل على المؤاخذة فقوله عز وجل وان تبدوا ما في انفسكم او تخفوه
يحاسبكم به الله وقال الله تعالى ولا تقف ما ليس لك به علم ان السمع والبصر
والفؤاد كل اولئك كان عنه مسئولا فدل على ان عمل الفؤاد كعمل السمع والبصر
فلا يعفى عنه وقال تعالى ولا تكتموا الشهادة ومن يكتمها فانه آثم قلبه وقال تعالى
لا يؤاخذكم الله باللغو في ايمانكم ولكن يؤاخذكم بما كسبت قلوبكم والحق في هذه
مطلب الخواطر المذمومة
المسئلة عندنا لا يوقف عليه ما لم تقع الاحاطة بتفصيل اعمال القلوب من
مبتداء ظهورها الى ان يظهر العمل على الجوارح فنقول اول ما يرد على القلب الخاطر
كما لو خطر له مثلا صورة امراة وانها وراء ظهره في الطريق لو التفت اليها لراها
والثاني هيجان الرغبة الى النظر وهو حركة الشهوة التي في الطبع وهذا يتولد
من الخاطر الاول ونسميه ميل الطبع ويسمى الاول حديث النفس الثالث حكم
القلب بان هذا ينبغي ان يفعل اي ينبغي ان ينظر اليها ويسمى اعتقادا وهو يتبع
الخاطر والميل والرابع تصميم العزم على الالتفات وجزم النية فيه نسميه همًّا
ونية وقصدًا وهذه الهمة قد يكون لها مبداء ضعيف ولكن اذا اصغى القلب
الى الخاطر الاول حتى طالت محادثة النفس فاكدت هذه الهمة وصارت ارادة
مجزومة فاذا انجزمت الارادة فربما يندم بعد الجزم فيترك العمل وربما يغفل
بعارض فلا يعمل به ولا يلتفت اليه فربما يعوقه عائق فيتعذر عليه العمل

فههنا

فههنا اربعة احوال للقلب قبل العمل بالجارحة الخاطر وهو حديث النفس ثم الميل
ثم الاعتقاد ثم الهم اما الخاطر فلا يؤاخذ به فانه لا يدخل تحت الاختيار
وهو المراد بقوله عليه السلام عفي عن امتي ما حدثت به نفوسها فحديث النفس
عبارة عن الخواطر التي تهجس في النفس ولا يتبعه عزم على الفعل فاما العزم والهم
لا يسمى حديث النفس فهذه الخواطر التي ليس معها عزم على الفعل هي حديث النفس
ولا مؤاخذة بها ايضا واليه الاشارة بقوله عليه السلام حاكيا عن ربه اذا هم
عبدي بسيئة فلا تكتبوها عليه فان عملها فاكتبوها سيئة واذا هم بحسنة
ولم يعملها فاكتبوها حسنة فان عملها فاكتبوها عشرا واما الثالث فهو الاعتقاد
وحكم القلب بانه ينبغي ان يفعل فهو مردد بين ان يكون اضطراريا او اختياريا
والاحوال تختلف فيه فالاختياري منه يؤاخذ به والاضطراري لا يؤاخذ به
واما الرابع وهو الهم بالفعل فانه يؤاخذ به الا انه لم يعمل نظر فان تركها خوفا
من الله وندما على همه كتب له حسنة لان همه سيئة وامتناعه ومجاهدة
نفسه حسنة وان تعوق الفعل بعائق او تركه بعذر لا خوفا من الله كتب له سيئة
فان همه فعل من القلب اختياري فكيف تكتب حسنة لمن عزم على فاحشة وتعذر عليه
بسبب او بغفلة وقد قال صلى الله عليه وسلم انما يحشر الناس على نياتهم ونحن نعلم ان من
عزم ليلة على ان يصبح ويقتل مسلما ويزني بامراة فمات تلك الليلة مات مصرا
على معصيته ويحشر على نيته وقد هم بسيئة ولم يعملها والدليل فيه ما روي عنه

صلى الله عليه وسلم انه قال اذا التقى المسلمان بسيفهما فالقاتل والمقتول في
النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول قال لانه اراد قتل صاحبه
وهذا نص في انه صار من اهل النار بمجرد الارادة مع انه قتل ظلما فكيف يظن
ان الله تعالى لا يواخذ بالنية والهم وكل ما دخل تحت اختيار العبد من اعمال
القلب مثل الكبر والريا والعجب والنفاق والحسد وجملة الخبائث من اعمال القلوب
واليه الاشارة بقوله تعالى ان السمع والبصر والفواد كل اولئك كان عنه
مسؤلا فهو ماخوذ به الا ان يكفره ونقض العزم بالندم حسنة فلذلك
كتبت حسنة فاما فوات المراد بعايق فليس بحسنة واما الخواطر وحديث النفس
وهيجان الرغبة فكل ذلك لا يدخل تحت الاختيار فالمواخذة به تكليف لما
لا يطاق فهذا هو كشف الغطاء عن هذه الالتباس وقد تم كتاب عجايب القلب
والله اعلم

كتاب رياضة النفس

وتهذيب الاخلاق ومعالجة امراض القلب اعلم ان الخلق الحسن صفة سيد
المرسلين وافضل اعمال الصديقين عليهم الصلوة والسلام والاخلاق السيئة
هي المبعدة من جوار رب العالمين المخزية بصاحبها في سلك الشياطين اللعين
فالاخلاق الخبيثة امراض القلوب واسقام النفوس فواجب على كل ذي
لب معرفة عللها واسبابها ثم التشمر في معالجتها واصلاحها فمعالجتها هو المراد
بقوله تعالى قد افلح من زكاها واهلها هو المراد بقوله عز وجل وقد خاب

من دسيها ونحن نشير الى جملة من امراض القلوب وكيفية معالجتها والى طريق
تهذيب الاخلاق وتمهيد منهاجها ويتضح ذلك ببيان فضيلة حسن الخلق ثم بيان
حقيقة حسن الخلق ثم بيان قبول الاخلاق للتغيير بالرياضة ثم بيان تفصيل
الطريق الى تهذيب الاخلاق ورياضة النفوس ثم بيان العلامات التي بها يعرف
مرض القلوب ثم بيان الطريق الذي به يعرف الانسان عيوب نفسه ثم بيان
علامات حسن الخلق فهي ستة فصول تجمع مقاصد الكتاب **فصل** في فضيلة
حسن الخلق وحقيقته **اما** فضيلته فقد قال الله تعالى لنبيه عليه السلام
مثنيا عليه وانك لعلى خلق عظيم **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم بعثت
لاتمم مكارم الاخلاق **وقال** سوء الخلق يفسد العمل كما يفسد الخل العسل
وكان يقول اللهم كما حسنت خلقي فحسن خلقي **وقال** ان احبكم الي واقربكم
مني مجلسا يوم القيمة محاسنكم اخلاقا **وقال** ان حسن الخلق لتذيب الخطيئة
كما تذيب الشمس الجليد **وعن** احمد قال قالت ام حبيبة رضي الله عنها يا رسول الله
ارايت المراة منها يكون لها زوجان في الدنيا فتموت ويموتان ويدخلان
الجنة لايهما هي قال لاحسنهما خلقا **الاثار** **قال** الحسن رضي الله عنه من
ساء خلقه عذب نفسه **وقال** يحيى بن معاذ رضي الله عنهما سعة الاخلاق
كنوز الارزاق **وقال** الفضيل رحمة الله عليه لان يصحبني فاجر حسن الخلق
احب الي من ان يصحبني عابد سيء الخلق **وقال** يحيى بن معاذ رحمة الله عليه

مطلب

سوء الخلق سيئة لا ينفع معها كثرة الحسنات وحسن الخلق حسنة لا تضر
معها كثرة السيئات لكل بنيان اساس واساس الاسلام حسن
الخلق لذي النون المصري رحمة الله عليه من اكثر الناس همًّا قال
اسوءهم خلقا اعلم ان الناس قد تكلموا في حقيقة حسن الخلق
وانه ما هو وما تعرضوا الحقيقة وانما تعرضوا الثمرته ثم لم يستوعبوا جميع
ثمراته بل ذكر كل واحد من ثمراته ما خطر له وكان حاضرًا في ذهنه ولم يصرفوا
العناية الى ذكر حده وحقيقته المحيطة بجميع ثمراته على التفصيل وذلك كقول
الحسن البصري رضي الله عنه حسن الخلق بسط الوجه وبذل الندى
الواسطي رحمة الله عليه الخلق الحسن لا يخاصم احدًا من شدة معرفته بالله تعالى
وهذا امثاله كثير وهي تعرض لثمرات حسن الخلق لا لنفسه وكشف الغطاء عن
الحقيقة اولى فنقول الخلق والخلق عبارتان مستعملتان معًا يقال حسن الخلق
والخلق اي حسن الظاهر والباطن فيراد بالخلق الصورة الظاهرة ويراد بالخلق
الصورة الباطنة وذلك لان الانسان مركب من جسد مدرك بالبصر ومن روح
ونفس مدرك بالبصيرة اعظم قدرا ولكل واحد منهما هيئة وصورة اما
قبيحة او جميلة والنفس المدركة بالبصيرة اعظم قدرا من الجسد المدرك بالبصر
ولذلك عظم الله تعالى قدره بالاضافة الى نفسه الكريمة فقال اني خالق بشرًا من طين
فاذا سويته ونفخت فيه من روحي فقعوا له ساجدين فنبه به على ان الجسد

منسوب الى الطين والروح منسوب الى الله تعالى فالخلق عبارة عن هيئات
راسخة في النفس تصدر عنها الافعال بسهولة ويسر من غير حاجة الى فكر
وروية ثم ذلك الفعل الصادر ان كان محمودًا يسمى خلقا حسنا وان كان مذمومًا
يسمى خلقا سيئا وانما قلنا انها هيئة راسخة لانه يصدر منه بذل المال
على الندور لحاجة عارضة لا يقال خلقه السخاء ما لم يثبت ذلك في نفسه ثبوت
رسوخ وانما شرطنا ان يصدر منه الافعال بسهولة من غير روية من تكلف
بذل المال والسكوت عند الغضب بجهد وروية لا يقال خلقه السخاء والحلم
وليس الخلق عبارة عن الفعل فرب شخص خلقه السخاء ولا يبذل اما لفقد المال
او لمانع وربما يكون خلقه البخل وهو يبذل لباعث او لرياء فالخلق اذا عبارة
عن هيئة النفس وصورتها الباطنة وكما ان حسن الصورة الظاهرة مطلقًا
لا يتم بحسن العينين دون الانف والخد بل لا بد من حسن الجميع ليتم حسن الظاهر
فكذلك في الباطن اربعة اركان لا بد من الحسن في جميعها حتى يتم حسن الخلق
فاذا استوى الاركان لا بد من الحسن من جميعها حتى يتم حسن الخلق وهو قوة
العلم وقوة الغضب وقوة الشهوة وقوة العدل بين هذه القوى الثلث فهذه اربعة
اركان احدها قوة العلم وثمرتها الحكمة ونعني بها حالة في النفس بها يدرك الصواب
والخطاء في الافعال الاختيارية واليه الاشارة بقوله تعالى ومن يؤت الحكمة
فقد اوتي خيرًا كثيرًا الثاني قوة الغضب اي دخولها تحت اشارة العقل والدين اقداما واحجاما

وهو معني الشجاعة الثالث قوة الشهوة اي دخولها تحت اشارة العقل و الدين
اقداما واحجاما وهو معني العفة الرابع قوة العدل اي الصفة التي بها
يستوي الغضب والشهوة يحملها علي مقتضي الحكمة وهو المعني بالعدالة فمن
اعتدل في هذه الاصول الاربعة صدرت عنه الاخلاق الجميلة كلها ولم يكمل
الا في النبي صلى الله عليه وسلم ومن مال فيها الي تفريط او افراط صدر منه سوء
الخلق بحسب ميله افراد قوة الغضب التهور وتفريطها الجبن وافراط القوة الشهوة
الشره وتفريطها الخمود وافراط قوة العلم اعني الحكمة المكر والانخداع وتفريطها
البله والانخداع واما قوة العدل فليس لها الا ضد واحد وهو الجور ويتشعب
من هذه الاخلاق المذمومة سائر الاخلاق المذمومة

في بيان قبول

الاخلاق للتغيير اعلم ان بعض اهل الغباوة قالوا ان تهذيب الاخلاق ممتنع
واستدلوا فيه بامرين احدهما هو الصورة الباطنة كما ان الخلق هو صورة الظاهرة
والخلقة الظاهرة لا يقدر علي تغييرها فالطويل لا يمكن ان يجعل نفسه قصيرا
ولا القصير لا يقدر علي ان يجعل نفسه طويلا ولا القبيح يقدر علي تحسين
صورته فكذلك القبح الباطن يجري هذا المجرى والثاني انهم قالوا حسن الخلق
بقمع الغضب والشهوة وقد جربنا ذلك بطول المجاهدة وعرفنا ان ذلك من مقتضي
المزاج والطبع وانه قط لا ينقلع عن الادمي فاشتغاله به تضييع زمان بغير
فائدة فان المطلوب هو قطع التفات القلب الي الحظوظ العاجلة وذلك محال

وجوده فنقول لو كانت الاخلاق لا تقبل التغيير لبطلت المواعظ والوصايا
والتأديبات ولما قال رسول الله صلي الله عليه وسلم حسنوا اخلاقكم ولا
تاديب الحيوان ممكن وتغيير خلق البهيمة مشاهد اذ ينقل الصيد من التوحش
الي الانس والكلب من الاكل الي التاديب والامساك والفرس من الجماح الي السلاسة
لج وكل ذلك تغيير اخلاق الحيوان فالانسان اولي وطريقها المقابلة بالضد فيعالج
البخل بالسخي والكبر بالتواضع وهكذا الي ان يعود الي الاعتدال الذي هو
الاوسط بين الافراط والتفريط والناس فيه علي اربع مراتب الاول هو الانسان
دات العاقل الذي يميز بين الحق والباطل والقبيح بل بقي كما فطر خاليا عن جميع الاعتقا
ولم تستتم ايضا شهوته باتباع اللذات فهذا سريع القبول للعلاج فلا يحتاج
الا الي تعليم مرشد والي باعث في نفسه يحمله علي المجاهدة فيحسن خلقه في اقرب
زمان الثاني ان يكون قد عرف قبح القبيح لكنه لم يتعود العمل الصالح بل زين له
سوء عمله فتعاطاه انقيادا لشهواته واعراضا عن صواب رايه لاستيلاء
الشهوة عليه لكن علم تقصيره في عمله فامره اصعب من الاول من كثرة التعود
للفساد فعسر عليه قلع ما رسخ في نفسه ولكنه بالجملة محل قابل للرياضة
ان انتهض لها بجد وتشمير وجزم الثالث ان يعتقد في الاخلاق القبيحة
انها الواجبة المستحسنة وانها حق جميل وربي عليه فهذا يكاد يمتنع معالجته
ولن يرجي صلاحه الا عن الندور وذلك تضاعف اسباب الضلال الرابع

او نشاء ويعيش

ان يكون مع وقوع نشوه على الراي الفاسد وتربيته على العمل به يوي الفضيلة
في كثرة الشر واستهلاك النفوس ويباهي وهذا صعب المراتب وفي مثله قيل
التعذيب تهذيب الذئب والاول من هؤلاء جاهل فقط والثاني جاهل
وضال والثالث جاهل وضال وفاسق والرابع جاهل وضال وفاسق وشرير
والذي يدل على ان المطلوب الوسط في الاخلاق دون الطرفين وان السخاء
خلق المطلوب شرعاً وهو وسط بين طرفي التبذير والتقتير وقد اثنى الله
تعالى عليه بقوله والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا وكان بين ذلك
قواماً وقال ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط وكذلك
المطلوب في شهوة الطعام والاعتدال دون الشره والخمود قال الله تعالى
كلوا واشربوا ولا تسرفوا وقال في الغضب اشداء على الكفار رحماء بينهم وقال
صلى الله عليه وسلم خير الامور اوسطها

في بيان تفصيل الطريق
الى تهذيب الاخلاق اعلم انا قد عرفنا ان حسن الخلق يرجع الى اعتدال قوة العقل
بكمال الحكمة والى اعتدال قوة الغضب والشهوة وكونها مطيعة للعقل والشرع
وهذا الاعتدال يحصل على وجهين احدهما بجود الهي وكمال فطري بحيث
يخلق الانسان ويولد كامل العقل حسن الخلق قد كفي غلبة سلطان الشهوة والغضب
بل خلقتا معتدلتين منقادتين للشرع والعقل فيصير بغير تعلم عالماً وبغير
تأديب مؤدباً كعيسى ويحيى وكذا ساير الانبيا عليهم السلام الوجه الثاني

لاكتساب هذه الاخلاق فيحصل ذلك بالتعلم ومخالطة المتخلقين بهذه الاخلاق
او بالمجاهدة والرياضة اعني بها حمل النفس على الاعمال التي يقتضيها الخلق المطلوب
كما ذكرنا فمن اراد مثلاً ان يحصل لنفسه خلق الجود فطريقه يتكلف بتعاطي
فعل الجود وهو البذل فلا يزال يواظب تكلفاً مجاهداً نفسه فيه حتى يصير
ذلك له طبعاً وعادة ويتيسر عليه فتصير نفسه جواداً وكذا في جميع الاخلاق
وتفصيله ان الاعتدال في الاخلاق هو صحة في النفس والميل عن الاعتدال
سقم ومرض فيه فلنتخذ للبدن مثالاً فنقول مثال النفس في علاجها بمحو الرذايل
والاخلاق الردية وكسب الفضايل والاخلاق الجميلة اليها مثال البدن
وعلاجه بمحو العلل عنه وكسب الصحة اليه وكما ان الغالب على اصل المزاج الاعتدال
وانما تعتري العلة المتغيرة بعوارض الاغذية والاهوية والاحوال فكذلك
كل مولود يولد معتدلاً صحيحاً على الفطرة فابواه يهودانه وينصرانه ويمجسانه
بالتعود والتعلم يكسب الرذايل وكما ان البدن في الابتداء لا يخلق كاملاً وانما
يكمل ويقوى بالنشو والتربية والغذاء فكذلك النفس تخلق ناقصاً قابلة
للكمال وانما يكمل بالتزكية وتهذيب الاخلاق والتغذية بالعلم وكما ان البدن
ان كان صحيحاً فشان الطبيب حفظ الصحة عليه وان كان سقيماً فشانه جلب
الصحة اليه فكذا النفس منك ان كانت زكية طاهرة مهذبة الاخلاق فينبغي ان تسعى
لحفظها وحفظ صحتها وصفتها وجلب مزيد قوة اليها واكتساب زيادة صفا

(هامش: أي حمل النفس على عادة فعل الجود / أي الامور الجبلية)

لها وان كانت عديمة الكمال والصفاء فينبغي ان تسعى لجلب ذلك اليها وكما ان
العلة المغيرة لاعتدال البدن الموجبة للمرض لا يعالج الا بضدها ان كانت
من حرارة فبالبرودة وان كانت من البرودة فبالحرارة فكذا الرذيلة التي هي
مرض القلب علاجها بضدها فيعالج مرض الجهل بالتعلم ومرض البخل بالتسخي و
مرض الكبر بالتواضع ومرض الشره بالكف عن المشتهى تكلفا وكما انه لا بد من
احتمال مرارة الدواء وشدة الصبر عن المشتهيات لعلاج الابدان المريضة فلا بد
من احتمال مرارة المجاهدة والصبر لمداواة مرض القلب وكما ان الطبيب لو عالج جميع
المرضى بعلاج واحد قتل اكثرهم فكذلك الشيخ لو اشار على المريدين بنمط واحد
من الرياضة اهلكهم وامات قلوبهم بل ينبغي ان ينظر في مرض المريد وفي حاله
وفي سنه ومزاجه فان كان مبتديا جاهلا بحدود الشرع فيعلمه اولا الطهارة
والصلوة وظاهر العبادات فاذا تزين بالعبادة ظاهرة وطهرت عن المعاصي
جوارحه نظر بقراين الاحوال الى باطنه ليتفطن لاخلاقه وامراض قلبه فان
راى معه مالا فاضلا عن قدر ضرورته اخذ منه وصرفه في الخيرات وفرغ قلبه
منه فان راى الرعونة والكبر فيامره بان يخرج الى السوق للكدية والسوال
وان راى الغالب عليه النظافة في البدن والثياب فيستخدمه في تعهد مطهرة
بيت الماء وتنظيفه وكنس المواضع القذرة او ملازمة المطبخ ومواضع الدخان
حتى يتشوش عليه رعونته في النظافة على هذا ان راه متشوقا الى النكاح

مطلب تربية المريد

وهو عاجز عنه فيامره بالصوم مع منع اللحم وبالاكل دون الشبع وكذلك
ان راى شره الطعام غالبا عليه الزمه الصوم مع التقليل الطعام وان
راى الغضب غالبا الزمه الحلم والسكوت وسلط عليه ممن فيه سوء خلق
وعباد الهند يعالجون للكسل عن العبادة بالقيام طول ليلة على قصبة
واحدة من ساقه وبعض الشيوخ في ابتداء ارادته كان يكسل نفسه عن
القيام فالزم نفسه القيام على راسه طول ليله لتسمح بالقيام على الرجل
عن طوع فهذه الامثلة تعرفك طريق معالجة القلوب فليس غرضنا ذكر دواء
كل مرض فان ذلك سياتي في بقية الكتب ان شاء الله تعالى وانما الغرض الان
الطريق الكلي فيه سلوك مسلك المضادة لكل ما تهواه النفس وتميل اليه وقد
جمع الله تعا جميع ذلك في كلمة واحدة فقال ونهى النفس

في بيان علامات مرض القلب وعلاماة عودها الى الصحة

اعلم ان كل عضو من اعضاء البدن
كما انه خلق لفعل خاص به وانما مرضه ان يتعذر عليه فعله الذي خلق له حتى
لا يصدر منه اصلا او يصدر مع نوع من الاضطراب فمرض اليد ان يتعذر
عليه البطش ومرض العين ان يتعذر عليه الابصار فكذلك القلب بان
يتعذر عليه فعله الخاص به الذي خلق لاجله وهو العلم والحكمة وحب الله
تعالى وعبادته وايثار ذلك على كل شهوة سواه والاستعانة بجميع الشهوات
والاعضاء عليه فمن عنده شيء احب اليه من الله تعا فقلبه مريض كما ان كل معدة

صار الطين احب اليها من الخبز والماء وسقطت شهوتها عن الخبز والماء فهي
مريضة وبهذا يعرف ان القلوب كلها مريضة الا ما شاء الله تعالى الا ان من
الامراض ما يعرفها صاحبها ومرض مما لا يعرفه صاحبه فلذلك يغفل عنه
وان علمه صعب عليه الصبر على مرارة دوائه مخالفة الشهوات وهو
نزع الروح فاما علامة عوده الى الصحة بعد المعالجة فهو الاعتدال فان
كان يعالج دواء البخل فعلاجه ببذل المال وانفاقه ولكنه قد يبذل
المال الى حد يصير مبذرا فيكون التبذير ايضا داء ويكون كمن يعالج البرودة
بالحرارة حتى تغلب الحرارة وهو ايضا داء بل المطلوب الاعتدال بين الحرارة والبرودة
فكذلك المطلوب الاعتدال بين التقتير والتبذير حتى يكون على الوسط وفي غاية
البعد عن الطرفين فان اردت ان تعرف الوسط فانظر الى الفعل الذي يوجبه
الفعل المحذور عنه فان كان عليه اسهل والذ من الذي يضاده فالغالب عليك ذلك
الخلق الواجب له مثل ان يكون امساك المال وجمعه الذ عندك وايسر عليك من بذله
لمستحقه فاعلم ان الغالب خلق البخل فزد في المواظبة على البذل فان صار البذل
الى غير المستحق الذ عندك واخف عليك من الامساك ولا تزال تراقب نفسك وتستدل
على خلقك بتيسر الافعال وتغيرها حتى تنقطع علاقة قلبك عن المال فلا تميل الى
بذله ولا تميل الى امساك بل تصير عندك البذل على الامساك كالماء فلا تطلب فيه
الا امساكه لحاجة يحتاج اليها ولا يترجح عندك البذل على الامساك فكل قلب

صار كذلك فقد جاء الله بقلب سليم عن هذا المقام خاصة ويجب ان يكون
سليما على ساير الاخلاق حتى يكون له علاقة بشيء مما يتعلق بالدنيا حتى
ترتحل النفس عن الدنيا منقطع العلايق عنها فعند ذلك ترجع الى ربها رجوع
النفس المطمئنة راضية مرضية داخلة في زمرة النبيين والصديقين
ولما كان الوسط الحقيقي بين الطرفين في غاية الغموض فقل ما ينفك العبد
عن ميل من الوسط الى احد الجانبين فيكون قلبه متعلقا بالجانب الذي مال اليه
فكذلك ما ينفك عن عذاب ما واجتياز على النار وان كان مثل البرق الخاطف قال الله
تعالى وَإِنْ مِنْكُمْ إِلَّا وَارِدُهَا الآية ولاجل عسر الاستقامة وجب على كل عبد
ان يدعو الله تعالى كل يوم عشر مرات في قوله اهدنا الصراط المستقيم اذ وجب
قراءة الفاتحة في كل ركعة ولهذا قال عليه السلام شيبتني سورة هود يعني قوله تعالى
فاستقم كما امرت والاستقامة على سواء السبيل في غاية الغموض ولكن ينبغي
للانسان ان يجتهد في القرب من الاستقامة ان لم يقدر على حقيقة الاستقامة
فكل من اراد النجوة فلا نجاة الا بالعمل الصالح ولا تصدر الاعمال الصالحة الا عن
الاخلاق الحسنة والله تعالى الموفق على ذلك

في بيان الطريقة الذي به تعرف
الانسان عيوب نفسه اعلم ان الله تعالى اذا اراد بعبد خيرا بصره بعيوب نفسه
واذا عرف العيوب امكنه العلاج ولكن اكثر الخلق جاهلون بعيوب انفسهم فمن
كملت بصيرته لم تخف عليه عيوبه واذا عرف العيوب يرى في عين غيرهم ولا يرون

تخفي اه

مطلب الدعاء الاستقامة

الجذع في عين انفسهم فمن اراد ان يقف على عيب نفسه فله اربعة طرق الاول
ان يجلس بين يدي شيخ بصيرة بعيوب نفسه مطلع على خفايا الافات فيعرفه
عيب نفسه ويعرفه طريق علاجه وهذا قد عز في هذا الزمان وجوده الثاني
يطلب صديقا صدوقا بصيرا متدينا وينصبه رقيبا على نفسه ليلاحظ
احواله وافعاله فما يكرهه من اخلاقه وافعاله وعيوبه الباطنة والظاهرة
ينبهه عليه هكذا كان يفعل الاكابر من ايمة الدين كان عمر رضي الله عنه
يقول رحم الله امرا اهدى الي عيوبي وقد قال الامر الي امثالنا وابغض الخلق
الينا من ينصحنا ويعرفنا عيوبنا الثالث ان يستفيد عيوب نفسه من لسان
اعدايه فان المساوي لابد وان تنتشر على لسان الاعداء ولعل انتفاع الابعد
ومشاجن يذكره عيوبه اكثر من انتفاعه بصديق مداهن يثني عليه ويمدحه
ويخفي عيوبه الرابع ان يخالط الناس فكل ما يراه مذموما بين الخلق فيطالب
نفسه به فان المومن مراة المومن فيرى في عيوب غيره عيوب نفسه قيل
لعيسى عليه السلام من ادبك قال ما ادبني احد رايت جهل الجاهل فجانبته ولو
الحزم من ارباب القلوب ادبوا نفوسهم كما يودب الطير والصبي والدابة ففعلوا
بها ما يفعل بالبازي فانه يحبس اولا في بيت فيخاط عيناه حتى يحصل به
الفطام عن الطيران في جو الهواء وينسى ما قد كان قد الفه الفا اذا دعا صاحبه
اجابه ومهما سمع صوته رجع اليه فكذلك النفس لا تالف ربها ولا تانس

بذكره الا اذا فطمت عن عادتها بالخلوة والعزلة اولا ليحفظ السمع والبصر عن
المالوفات ثم دعوت بالثناء والذكر والدعاء ثانيا في الخلوة حتى يغلب عليه الانس
بذكر الله تعالى عوضا عن الانس بالدنيا وساير الشهوات وذلك يثقل عليه في
البداية ثم يتنعم به في النهاية كالصبي يعظم من الثدي وهو شديد عليه اذ
كان لا يصبر عليه ساعة فكذلك يشتد بكاوه وجزعه عند الفطام ويشتد
عند نفوره عن الطعام الذي يقدم اليه بدلا عن اللبن ولكنه اذا منع اللبن
راسا يوما ويوما وعظم تعبه في الصبر وغلبه الجوع تناول الطعام تكلفا ثم
يصير طبعا له فلو رد الي الثدي لم يرجع فيهجر الثدي ويعاف اللبن ويالف الطعام
وكذلك الدابة في الابتداء تنفر عن السرج واللجام والركوب فتحمل على ذلك قهرا
وتمنع عن الانشراح الفته بالسلاسل والقيود اولا ثم يانس به بحيث يترك
في موضعه فيقف من غير قيد فكذلك تودب النفس بان تمنع عن البطر والانشراح
بنعيم الدنيا بل بكل ما يزايله بالموت والذي لم يزل بالموت هو ذكر الله تعالى فان ذلك
يصحبه في القبر لا يفارقه **فصل** في بيان علامات حسن الخلق وطريق
الرياضة اما علامات حسن الخلق فاعلم ان كل انسان فهو جاهل بعيب نفسه فاذا
جاهد نفسه ادنى مجاهدة فلابد من حتى ترك فواحش المعاصي ربما ظن بنفسه
انه قد هذب نفسه وحسن خلقه واستغنى عن المجاهدة فلابد من ايضاح
علامات حسن الخلق فان حسن الخلق هو الايمان وسوء الخلق هو النفاق وقد ذكر الله

صفات المؤمنين والمنافقين وهي بجملتها ثمرة حسن الخلق فنورد جملة من ذلك
ليعلم به حسن الخلق فقد قال الله قد افلح المؤمنين الذين هم في صلوتهم خاشعون
الى قوله هم الوارثون وقال التائبون العابدون الى قوله وبشر المؤمنين وقال
تعالى انما المؤمنون اذا ذكر الله وجلت قلوبهم الى قوله اولئك هم المؤمنون حقا
وكذلك قال وعباد الرحمن الذين يمشون على الارض هونا الى آخر السورة
فمن اشكل عليه فليعرض نفسه على هذه الآيات الكريمة فوجود هذه الصفات
علامة حسن الخلق وفقد جميعها علامة سوء الخلق ووجود بعضها دون
بعض يدل على البعض دون البعض بتحصيل ما فقده وحفظ ما وجده واما
طريق الرياضة ببيان الشروط التي لا بد من تقديمها في الارادة فهو رفع السد
والحجاب عن الخلق سبحانه سببه تراكم الحجب ووقوع السد عن الطريق قال
الله تعالى وجعلنا من بين ايديهم سدا ومن خلفهم سدا فاغشيناهم
فهم لا يبصرون والسد بين المريد وبين الحق سبحانه وتعالى اربعة المال
والجاه والتقليد والمعصية ويرتفع حجاب المال باخراجه بحيث
لا يبقى له الا قدر الضرورة ويرتفع حجاب الجاه بالبعد من مواضع الجاه
بالتواضع وايثار الخمول والهرب من اسباب الذكر وتعاطي اعمال تنفر قلوب الخلق
ويرتفع حجاب التقليد بان يترك التعصب لعقيدة ولم يبق في قلبه متسع
لغيرها صار ذلك قيدا له وحجابا اذ ليس من شرط المريد الانتماء الى مذهب

معين اصلا ويرتفع حجاب المعصية بالتوبة والخروج عن المظالم وارضاء
الخصوم وتصميم العزم على ترك العود وتحقيق الندم على ما مضى فاذا قدم
هذه الشروط الاربعة وتجرد عن المال والجاه والتعصب والمعصية كان كمن تطهر
وتوضأ ودفع الحدث وصار صالحا للصلوة فيحتاج الى امام يقتدي به فكذلك
المريد يحتاج الى شيخ واستاذ يقتدي به لا محالة ليهديه الى سواء السبيل فان
سبيل الدين غامضة وسبل الشيطان كثيرة ومن لم يكن له شيخ يهديه قاده الشيطان
لا محالة الى طريقه فمن سلك البوادي المهلكة بنفسه من غير خفير فقد خاطر بنفسه
واهلكها او يكون المستقل بنفسه كالشجر التي تنبت بنفسها فانها تجف على القرب
وان بقيت مدة واورقت لم تثمر فمعتصم المريد بعد تقديم الشروط المذكورة شيخه
فليتمسك الاعمى على شاطئ البحر بالقائد بحيث يفوض اليه امره بالكلية ولا
يخالفه في ورد ولا صدر فاذا وجد في مثل هذا المعتصم وجب على معتصمه يعني
شيخه ان يحميه ويعصمه بحصن حصين يدفع عنه قواطع الطريق وهي
اربعة امور الخلوة والصمت والجوع والسهر على ما اشار سهل رحمة الله عليه
بقوله ما صار الابدال ابدالا الا باربع خصال اخماص البطن والسهر والصمت
والاعتزال عن الناس واصل الكل الخلوة والانقطاع قال بعضهم قلت لبعض
الابدال كيف الطريق الى التحقق ودلني الى عمل اعمله اجد فيه قلبي مع الله في كل
وقت مع الدوام قال لا تنظر الى الخلق فان النظر اليهم ظلمة قلت لا بد لي قال لا تسمع

كلامهم فان كلامهم قسوة قلت لابد لي من ذلك قال لا تعاملهم فانها وحشة قلت
انا بين اظهرهم لابد لي من معاملتهم قال يا هذا انتنظر الي الغافلين وتسمع كلام الجاهلين
وتعامل البطالين وتريد ان تجد قلبك مع الله علي الدوام هذا لا يكون ابدًا
فاذا فعل المريد الامور الاربعة التي ذكرناها سلك بعد ذلك وهذا تحصن
من القواطع فان مقصود المريد اصلاح قلبه ليشاهد به ربه عز وجل ويصلح
القربة **اما** الجوع فانه ينقص دم القلب فيبيضه وفي بياضه نوره ويذيب
شحم الفواد وفي ذوبانه رقته ورقته مفتاح المكاشفة كما ان قسوته سبب
الحجاب ففايدة الجوع في تنوير القلب امر ظاهر يشهد له التجربة **واما** السهر فانه
يجلوا القلب ويصفيه وينوره وينضاف الي الصفاء الذي حصل من الجوع ويصير
القلب كالكوكب الدري والمراة المجلوة فيلوح فيه جمال الحق سبحانه وتعالي
ويشاهد فيه رفيع الدرجات في الاخرة وحقارة الدنيا وافاتها **واما** الصمت
فانه تسهله العزلة فانه ينبغي ان لا يتكلم الا بقدر الضرورة فان الكلام يشغل
القلب **واما** الخلوة ففايدتها دفع الشواغل وضبط السمع والبصر فانهما دهليز
القلب فلا بد من ضبط الحواس الا عن قدر الضرورة وليس ذلك الا بالخلوة في مكان
مظلم فان لم يكن مكان مظلم فيلف راسه في الجيب او يتدثر بكساء او ازار ففي
مثل هذه الحالة يسمع نداء الحق سبحانه وتعالي ويشاهد جلال حضرة الربوبية
اما تري ان رسول الله صلي الله عليه وسلم بلغه النداء وهو علي هذه الصفة

مطلب لف الرأس

فقيل له يا ايها المزمل يا ايها المدثر فهذه الاربعة جنة وحصن يمنع عنه العوارض
القاطعة للطريق فاذا فعل ذلك اشتغل بعده بسلوك الطريق فانما سلوكه بقطع
العقبات ولا عقبة علي طريق الله الا صفات القلب التي سببها الالتفات الي
الدنيا وبعض تلك العقبات اعظم من بعض والترتيب في قطعها ان تشتغل بالاسهل
وهي المال والجاه وحب الدنيا والالتفات الي الخلق والتشوق الي المعاصي وان يخلي
الباطن عن اثارها كما اخلي الظاهر عن اسبابها الظاهرة فاذا صار كذلك الزمه الشيخ
زاوية ينفرد بها ويوكل به من يقوم بقوته من الحلال ويمنعه من كثير الاوراد
الظاهرة بل يقتصر علي الفرايض والرواتب ويكون ورده وردًا واحدًا وهو لباب
الاوراد وثمرتها اعني ملازمة القلب لذكر الله تعالي بعد الخوف عن ذكر غيره وعند
ذلك يلقنه ذكرا من الاذكار مثلا الله الله الله او سبحان الله او غيره حتي يشتغل
به لسانه وقلبه ولا يزال يواظب عليه حتي تسقط حركة لسانه وتكون الكلمة
كانها جارية علي لسانه وتبقي صورة اللفظ في القلب ثم لا يزال كذلك حتي تمحي
تمحي عن القلب حروف اللفظ وصورته وتبقي حقيقة معناه ملازما للقلب حاضرا معه
غالبًا عليه وقد فرغ القلب عن كل ما سواه وعند ذلك تعتريه الخواطر يفتح عليه
باب الفكر وربما يرد عليه من وساوس الشيطان ما هو كفر وبدعة وينبغي للشيخ
ان يحتاط في هذا الموضع فانها مهالك فكم من مريد عرض له في اثناء المجاهدة خيال
فاسد لم يقو عليه دفعه فقطع عليه الطريق فالتحق باهل الاباحة ولاجل

هذا الخطر قال عليه السلام عليكم بدين العجايز اي باصل الايمان وظاهر الاعتقاد
بطريق التقليد والاشتغال باعمال الخير فهذا منهاج رياضة المريد وتربيته
في التدرج الي لقاء الله تعالي فاما تفصيل الرياضة في كل صفة فيأتي ان شاء
الله تعالي فان اغلب الصفات علي الانسان بطنه وفرجه وكذلك قدمنا كتاب
كسرهما والله اعلم

كتاب كسر شهوة البطن والفرج

اعلم ان اعظم المهلكات لابن آدم شهوة البطن فيها اخرج آدم وحوي عليهما
السلام من الجنة اذ نهيا عن الشجرة فغلبتهما حتي اكلا منها فبدت لهما سوآتهما
واذ عظمت افة شهوة البطن الي هذا الحد وجب شرح غوايلها وآفاتها
تحذيرا منها ووجب ايضاح طريق المجاهدة لها والتنبيه علي فضلها ترغيبا
فيها وكذلك شرح شهوة الفرج فانها تابعة لها ونحن نوضح ذلك في فصول
وهي بيان فضيلة الجوع وفوايده ثم طريق الرياضة في كسر شهوة البطن
ثم القول في شهوة الفرج **فصل** في فضيلة الجوع وفوايده اما فضيلة الجوع
فقد **قال** رسول الله صلي الله عليه وسلم جاهدوا انفسكم بالجوع والعطش
فان الاجر في ذلك كاجر المجاهد في سبيل الله وما من عمل احب الى الله تعالي
من جوع وعطش **وقيل** يا رسول الله اي الناس افضل من قل طعمه وضحكه
ورضي بما يستر به عورته **وقال** افضلكم منزلة عند الله اطولكم جوعا
وتفكرا وابغضكم الي الله كل نؤوم اكول شروب **وقال** ان الله تعالي يباهي

الملايكة بمن قل طعمه في الدنيا يقول انظروا الي عبدي ابتليته بالطعام
والشراب في الدنيا فتركهما اشهدوا يا ملايكتي ما من اكلة يدعها الا ابدلته
بها درجات في الجنة وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه انه قال **قال** رسول الله
صلي الله عليه وسلم ان اقرب الناس من الله يوم القيمة من طال جوعه وعطشه
وحزنه في الدنيا الاخفياء الاتقياء الذين اذا شهدوا لم يعرفوا واذا غابوا
لم يفتقدوا وافترش الناس الفرش وافترشوا اللحاة والركب تبكي الارض لفقدهم
ويسخط الله علي كل بلدة ليس فيها منهم واذا رايتهم في بلدة فاعلم انهم امان لاهل
تلك البلدة لا يعذب الله قوما هم فيهم **وقال** ان المومن ياكل في معا واحد والمنافق
ياكل في سبعة امعاء اشار الي ان اكله تكون سبعة اضعاف ما ياكله المومن او يكون
بشهوته سبعة امثال شهوة المومن **وعن** عايشة رضي الله عنها قالت ادموا
قرع باب الجنة يفتح قلت وكيف نديم قرع باب الجنة قال بالجوع والظماء **وقال**
اطول الناس جوعا يوم القيمة اكثرهم شبعا في الدنيا **وقالت** عايشة رضي الله عنها
ما شبع رسول الله صلي الله عليه وسلم قط وربما بكيت رحمة له مما اري من الجوع
واقول لو شبعت فقال يا عايشة اخواني من اولي العزم من الرسل قد صبروا علي ما
هو اشد من هذا فمضوا علي حالهم فاستحي ان ترفهت في معيشتي **الاثار** قال عمر رضي
الله عنه اياكم والبطنة فانها ثقل في الحيوة نتن في الممات والتودية اتق الله واذا
شبعت فاذكر الجايع **وقال** ابو سليمان الداراني رحمة الله عليه لان اترك

لقمة من عشائي احب الي من قيام ليلة الي الصبح **وقال** ايضا الجوع عند الله في
خزانته لا يعطيه الا لمن احبه **وكان** سهل التستري رحمة الله عليه يكفيه
لطعامه في السنة درهم **وروي** ان عيسي عليه السلام مكث يناجي ربه ستين
صباحا لم ياكل فخطر بباله الطعام فانقطع عن المناجاة فاذا رغيف في موضع
فقعد يبكي لفقد المناجاة فاذا شيخ اظله فقال له عيسي عليه السلام يا ولي
الله ادع الله لي فاني كنت في حالة فخطر ببالي الطعام فانقطعت عني قال الشيخ
اللهم ان كان الطعام خطر ببالي منذ عرفتك فلا تغفر لي **وروي** ان موسي عليه السلام
لما قربه الله نجيا كان قد ترك الاكل اربعين يوما ولعلك تقول هذا الفضل العظيم
للجوع من اين وما سببه وليس فيه الا ايلام المعدة ومقاساة الاذي فان كان كذلك
فينبغي ان يعظم الفضل في كل ما يتاذي به الانسان من ضربة نفسه وقطعه لحمه
وتناوله الاشياء الكريهة وما يجري مجراه اعلم ان هذا يضاهي قول من شرب
دواء فانتفع به فظن ان منفعته المرارة الدواء وكراهته فاخذ يتناول
كل مكروه مر المذاق وهو غلط بل نفعه في خاصية في الدواء وليس لكونه
مرا وانما يقف علي تلك الخاصية الاطباء فكذلك لا يقف علي علة نفع الجوع
الا سماسرة العلماء هذا فضيلة الجوع واما فوايده فعشرة الاولي صفاء القلب
وانقاد القريحة ونفاذ البصيرة فان الشبع يورث البلادة ويعمي القلب
ويكثر البخار في الدماغ كشبه السكر حتي يحتوي علي معادن الفكر فيثقل

القلب بسببه وعن الجريان في الافكار عن سرعة الادراك بل الصبي اذا اكثر الاكل
بطل حفظه وفسد ذهنه وصار بطي الفهم والادراك الثانية رقة القلب
وصفاوه الذي به يتهيا الادراك لذة المناجات **وقال** ابو سليمان رحمة الله
القلب اذا جاع وعطش صفا ورق واذا شبع عمي وبار فاذا تاثر القلب بلذة
المناجاة امر وراء تيسر الفكر الثالثة الانكسار وزوال البطر الذي هو مبداء
الطغيان والغفلة عن الله تعالي ولا تنكسر النفس بشيء كما تنكسر بالجوع فعنده تسكن
لربها وتخشع له وتقف علي عجزها وذلها ومالم تشاهد ذل نفسها وعجزها لا تري
عزة مولاها وقدرته وانما سعادته في ان يكون مشاهدا نفسه بعين الذل والعجز
ومولاه بعين العزة والقهر الرابعة ان لا ينسي بلاء الله تعالي وعذابه ولا ينسي
اهل البلاء فان الشبعان ينسي الجايعين والعبد الفطن لا يشاهد بلاء الله تعالي
في الدنيا الا ويتذكر بلاء الاخرة فيتذكر من عطشه عطش الخلق في القيمة ومن جوعه
جوع اهل النار ولذلك قيل ليوسف عليه السلام لم تجوع وفي يدك خزاين الارض
فالا اذا شبع فانسي الجايع فذكر الجايعين والمحتاجين احدي فوايد الجوع الخامسة وهي
كبار الفوايد كسر شهوات المعاصي كلها فان الجايع لا تتحرك عليه شهوة فضول الكلام فيتخلص به
من آفات اللسان كالغيبة والفحش والكذب والنميمة وغيرها فيمنعه الجوع من كل ذلك
واذا شبع افتقر الي فاكهة فيتفكه لا محالة باعراض الناس السادسة دفع النوم ودوام
السهر فان من شبع شرب كثيرا ومن كثر شربه كثر نومه واجمع سبعون صديقا ان

كثرة النوم من كثرة الشرب ولذلك كان يقول بعض الشيوخ علي السفرة معاشر المريدين
لا تاكلوا كثيرا فتشربوا كثيرا فتناموا كثيرا فتحسروا كثيرا السابعة تيسر المواظبة
علي العبادة فان كثرة الاكل تمنع من كثرة العبادات لانه يحتاج الي زمان
يشتغل فيه بالاكل وربما احتاج الي زمان في شراء الطعام او طبخه والاوقات
المصروفة الي هذه لو صرفها الي الذكر والعبادات كثر ربحه **قال** سري رحمة
الله رايت مع علي الجرجاني سويقا يستف منه فقلت ما دعاك الي هذا قال حسبت
ما بين المضغ الي الاستفاف سبعين تسبيحة فما مضغت الخبز منذ اربعين سنة
انظر كيف اشفق علي وقته فلم يضيعه في المضغ الثامنة من قلة الاكل صحة
البدن ودفع الامراض فان سببها كثرة الاكل **وحكي** ان الرشيد رحمة الله جمع
اربعة من الاطباء الكبار فقال ليصف لي كل واحد منكم الدواء الذي لا داء فيه
فقال احدهم هو الاهليلج الاسود وقال الاخر هو حب الرشاد وقال الاخر هو الماء
الحار وقال الاخر وكان اعلمهم قال الدواء الذي لا داء فيه ان لا تاكل حتي تشتهيه
وان ترفع يدك عن الطعام وانت تشتهيه التاسعة خفة المونة فان من تعود
قلة الاكل كفاه من المال قدر يسير والذي تعود الشبع صار بطنه غريما له ياخذ
بمخنقه كل يوم فيقول ماذا تاكل اليوم فيحتاج الي ان يدخل المداخل فيكتسب
من الحرام ومن الحلال فيذل ويتعب **وقال** ابو سليمان رحمة الله عليه من
شبع دخل عليه ست افات فقد حلاوة العبادات وتعذر حفظ الحكمة

الدواء الذي لا داء فيه

وحرمان الشفقة علي الخلق لانه اذا شبع ظن ان الخلق كلهم شباعا وثقل العبادة
وزيادة الشهوات وان سائر المؤمنين يدورون حول المساجد والشباع يدورون
حول المزابل العاشرة ان يتمكن به من الايثار والتصدق بما فضل من الطعام علي
المساكين ويكون يوم القيمة في ظل صدقته كما ورد الخبر فما ياكله فخزانته الكنيف
وما يتصدق به فخزانته عند الله اللطيف فليس للعبد من ماله الا ما اكل فافني
او لبس فابلي او تصدق فابقي فالتصدق بفضلات الطعام اولي من التخمة والشبع
ونظر صلي الله عليه وسلم الي رجل سمين البطن فاومي الي بطنه باصبعه وقال
لو كان هذا في غير هذا لكان خيرا لك اي لو قدمته لاخرتك واثرت به غيرك **سئل**
صلي الله عليه وسلم فقيل ما بال الانسان اذا تغوط او بال يكون نظره علي بوله فقال
ان ابن ادم اذا جلس للغايط يجي ملك ويقوم علي راسه فيقول يا ابن ادم انظر فيما
بخلت به ولم تقدمه الي ما ذا صار بهذا **روي** عن حاتم الاصم رحمة الله عليه كان
لم يذق طعاما ثلثة ايام فبعث اليه صديقه حلواه فذاق منه شيا يسيرا فوجد
طيبا حلوا فقال لمريده ارفعوه فمن المحال ان نبعث مثل هذا الطعام الي الكنيف ارفعوا
الي فقير لعل الله ان يرزقنا يوم القيمة اطيب واحلي منه فهذه عشر فوايد الجوع يتشعب
من كل واحدة فوايد لا تنحصر دررها **فصل** في بيان طريق الرياضة في كسر
شهوة البطن اعلم ان علي المريد في بطنه وما كونه اربع وظايف الاولي ان لا ياكل
الا حلالا فالعبادة مع اكل الحرام كالبناء علي امواج البحر وقد ذكرنا ما يجب

مراعاته من درجات الورع في كتاب الحلال والحرام وتبقى ثلث وظايف خاصة
بالاكل وهو تقدير قدر الطعام في القلة والكثرة وتقدير وقته في الابطاء
والسرعة وتعيين الجنس الماكول الثانية في تقليل الطعام فمن تعود الاكل
الكثير فانتقل دفعة الي القليل لم يحتمله مزاجه وضعف وعظمت مشقته
فينبغي ان ينقص قليلا قليلا من طعامه المعتاد فان كان ياكل رغيفين مثلا
واراد ان يرد الي واحد فينقص كل يوم ربع سبع رغيف وهو ان ينقص جزء
من ثمانية وعشرين جزء او جزء من ثلاثين جزء فيرجع الي رغيف في شهر
ولا يتضرر به ولا يظهر اثره فان شاء فعل ذلك بالوزن وان شاء بالمشاهدة
فيترك كل يوم مقدار لقمة وسيل سهل عن بدايته وما كان يقوت به فقال قوتي
في سنة ثلاثة دراهم كنت اخذ بدرهم دبسا وبدرهم سمنا وبدرهم دقيقا
واجعل منها ثلثمائة وستين كرة افطر كل يوم بكرة فقيل الساعة فقال في كل
سنة درهم وكان عادة عمر رضي الله عنه اذا كان ياكل سبع لقم او تسع
لقم وهو يقول قال صلى الله عليه وسلم يكفي لابن ادم لقيمات لان هذه
الصيغة للجمع للقلة فهو لما دون العشرة وقال صلى الله عليه وسلم لو
كانت الدنيا دما عبيطا لكان قوت المومن منها حلالا لان اكل المومن عند
ضرورة بقدر القوام فقط الثالثة في وقت الاكل كان ابو بكر الصديق رضي
الله عنه يطوي ستة ايام وعبد الله بن الزبير كان يطوي سبعة ايام واكثرهم

ثلثة ايام مثل ابرهيم ابن ادهم والثوري رحمهم الله قال بعض العلماء من طوى
اربعين يوما من الطعام ظهرت له قدرة في الملكوت اي كوشف ببعض الالهية
وقد وقف بعض هذه الطايفة علي راهب فذاكره بحاله وطمع في اسلامه
وترك ما هو عليه من الغرور فكلمه في ذلك بكلام كثير الي ان قال له الراهب
ان المسيح كان يطوي اربعين يوما وانه معجز لا يكون الا لنبي قال له الصوفي فان
طويت خمسين يوما تترك ما انت عليه وتدخل في دين الاسلام قال نعم فقعد
لا يبرح الا حيث يراه حتى طوى خمسين يوما قال انيد كاننا فطوى الي تمام
الستين فعجب الراهب منه وكان ذلك سبب اسلامه فهذه درجة عظيمة قل من
يبلغها الا مكاشف محمول شغل بمشاهدة ما قطعه عن طبعه وعادته واستوفى
نفسه في لذته وانساه جوعه واوساط المراتب ان يطوي يومين الي ثلاث وليس ذلك
خارجا عن العادة وادناها ان يقتصر في اليوم والليلة علي اكلة واحدة وهذا
هو الاقل وما جاوز ذلك اسراف ومداومة للشبع عادة المترفين وهو بعيد من السنة
وقال صلى الله عليه وسلم لعايشة رضي الله عنها اياك والاسرف فان اكلتين
في يوم سرف واكلة واحدة في يومين اقتار واكلة في كل يوم قوام بين ذلك وهو المحمول
في كتاب الله تعالى الرابعة في نوع الطعام واعلاه مخ البر فهو غاية الترفه واوسطه
شعير منخول وادناه شعير لم ينخل واعلا الادام اللحم والحلاوة وادناه الملح والخل
واوسطه المزورات بالادهان من غير لحم وعادة سالكي طريق الاخرة الامتناع

مطلب الشبع

عن الادام على الدوام بل الامتناع عن الشهوات فان كل لذيذ يشتهيه الانسان
واكله اقتضى ذلك بطرا في نفسه وقسوة في قلبه وانسا لقلبه بلذات الدنيا
حتى يالفها ويكره الموت ولقاء الله تعالى وتصير الدنيا جنة في حقه فيكون الموت
سجنا له واذا منع نفسه شهواتها وضيق عليها لذاتها صارت الدنيا سجنا
عليه ومضيقا اشتهت الافلات منها فيكون اطلاقها واليه اشارة يحيى بن معاذ
رضي الله عنه حيث قال جوعوا انفسكم لوليمة الفردوس فان شهوة الطعام
على قدر تجويع النفس قال الله تعالى كلوا واشربوا هنيئا بما اسلفتم في الايام الخالية
واعلم ان الافضل بالاضافة الى الطبع المعتدل ان ياكل بحيث لا يحس بثقل المعدة
ولا يحس بالم الجوع فان المقصود من الاكل بقاء الحيوة وقوة العبادة وثقل الطعام
يمنع من العبادات والم الجوع يشغل القلب فالمقصود ان ياكل اكلا لا يبقى للاكل فيه
اثر ليكون متشبها بالملائكة عليهم السلام فانهم مقدسون عن ثقل الطعام وعن
الجوع وغاية الانسان الاقتداء بهم وعبر عنه قوله عليه السلام خير الامور اوسطها
واليه الاشارة بقوله تعالى فكلوا واشربوا ومهما لم يحس الانسان بجوع ولا شبع
تيسرت له العبادة والفكر وخف في نفسه وقوي على العمل مع خفته ولم يكن
لرسول الله صلى الله عليه وسلم تقدير تاقيت لطعامه قالت عايشة
رضي الله عنها كان صلى الله عليه يصوم حتى نقول انه لا يفطر ويفطر حتى نقول
لا يصوم وكان يدخل على اهله فيقول هل عندكم من شيء فان قالوا نعم اكل وان

قالوا لا قال اني اذا صوم وقد كان يقدم اليه شيء فيقال اما اني كنت اردت الصوم
ثم لا ياكل وخرج يوما وقال اني صايم فقالت عايشة رضي الله عنها قد اهدي
الينا حيس قال كنت اردت الصوم ولكن قربيه وكذلك حكي ان سهل
قيل له كيف كنت في بدايتك فاخبر بضروب من الرياضة فقيل له كيف انت في وقتك
قال اكل بلا حد اني اكل كثيرا اي لا اقدر بمقدار واحد ما اكله فصل في شهوة
الفرج اعلم ان شهوة الوقاع سلطت على الانسان لفايدتين احديهما ان يدرك
لذاته فيقيس به لذات الاخرة فان لذة الوقاع لو دامت لكانت اقوى لذات
الاجساد كما ان النار والمها اعظم الام الاجسام والثانية بقاء النسل ودوام
الوجود فهذه فايدتها ولكن فيها من الافات ما يهلك الدين والدنيا ان لم يضبط ولم
يقهر ولم يرد الى حد الاعتدال ولا ينبغي للمريد في ابتداء امره ان يشغل نفسه
بالتزويج فان ذلك شغل شاغل يمنعه عن السلوك ويستجره بالانس بالزوجة
ومن انس بغير الله يشتغل عن الله ولا يغرنه كثرة نكاح رسول الله صلى الله عليه وسلم
فان جميع ما في الدنيا لا يشغل قلبه عن الله تعالى فلا يقاس الملايكة بالحدادين
وكيف يقاس غير رسول الله صلى الله عليه وسلم به وكان استغراقه بحب الله تعالى
بحيث كان احتراقه الى حد كان يخشى في بعض الاحوال ان يسري ذلك الى قالبه
فيهدمه فلذلك كان يضرب يده على فخذ عايشة رضي الله عنها احيانا ويقول
كلميني يا عايشة لتشغله بكلامها عن عظيم ما هو فيه لقصور طاقة قالبه

فقد كان طبعه الانس بالله تعالى وكان انسه بالخلق عارضا فقا بدنه
ثم كان لا يطيق الصبر مع الخلق اذا جالسهم فاذا ضاق صدره قال ارحنا يا
بلال حتى يعود الى ما هو قرة عينه فالضعيف اذا لاحظ احواله في مثل هذا
فهو مغرور لان الافهام تقصر عن الوقوف على اسرار افعاله فشرط المريد العزوبة
في الابتداء الى ان يقوى في المعرفة وهذا لم تغلبه الشهوة فان غلبته الشهوة
فليكسرها بالجوع الطويل والصوم الدايم فان لم تنقمع الشهوة بذلك فكان بحيث
لا يقدر على حفظ العين مثلا وان قدر على حفظ الفرج فالنكاح اولى لتسكين الشهوة
ومن لم يقدر على غض بصره لم يقدر على حفظ دينه قال عيسى عليه السلام
اياكم والنظرة فانها تزرع في القلب شهوة وكفى بالله فتنة وقال داود عليه السلام
لابنه عليه السلام يا بني امش خلف الاسد والاسود الحية ولا تمش خلف المراة
وقال بعضهم ينبغي ان تكون المراة دون الرجل باربع والا استحقرته بالسن
والطول والمال والحسب وان تكون فوقه باربع بالجمال والادب والخلق والورع تم
الكتاب

كتاب فضيلة الصمت

وافات اللسان اما فضيلة الصمت فاعلم ان اللسان صغير جرمه كبير جرمه
ولا نجاة من خطره الا بالصمت فلذلك قال صلى الله عليه وسلم من صمت نجا
وقال من تكفل لي ما بين لحييه ورجليه اتكفل له بالجنة وقال رحمهم الله
عبد تكلم فغنم او سكت فسلم وقالوا لعيسى عليه السلام دلنا على عمل

الوقوف به

مطلب خاصة النساء

ندخل به الجنة قال لا تنطقوا ابدا قالوا لا نستطيع ذلك قال فلا تنطقوا الا
بخير وقال صلى الله عليه وسلم اذا رايتم المومن صموتا وقورا فادنوا منه فانه
يلقى الحكمة وقال ابن مسعود قال صلى الله عليه وسلم الناس ثلث غانم
وسالم وشاجب فالغانم الذي يذكر الله والسالم الساكت والشاجب الذي يخوض
في الباطل لهذا كان الصديق رضي الله عنه يضع حجرا في فيه يمنع بها نفسه عن
الكلام وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما من احوج الى طول سجن من لسان
وقال طاووس رحمة الله عليه لساني سبع ان اطلقته اهلكني وروي ان
الناس كانوا يتكلمون عند معوية والاحنف ساكت فقالوا ما لك لا تتكلم يا ابا بحر قال
اخشى الله ان كذبت واخشاكم ان صدقت وقيل ما تكلم ربيع بن خثيم بكلام
الدنيا عشرين سنة حذرا عن افاتها اما مجامع افاتها فنيف وعشرون ونحن
اوردنا منها اربعة عشر الافة الاولى فضل الكلام وهو على نوعين احدهما الزيادة
على قدر الحاجة مثل ان يتادى مقصوده بكلمة فياتي بكلمتين والثانية فضول
الكلام قال عليه السلام طوبى لمن امسك الفضل من قوله وانفق الفضل من ماله
واعلم ان فضول الكلام لا تنحصر بل المهم في كتاب الله تعالى لا خير في كثير من نجويهم الا من امر
بصدقة او معروف او صلاح بين الناس والثاني الكلام فيما لا يعنيك مثاله
ان تجلس مع قوم فتحكي معهم اسفارك وما رايت فيها من جبال وانهار وما وقع
لك من الوقايع وما تعجبت منه من مشايخ البلاد فهذه امور لو نطقت بها لم تاثم

مطلب سكوت الاحنف

اذا بالغت في الاجتهاد حتى تمتزج حكايتك زيادة ونقصان وانت مع ذلك
مضيع زمانك فان المؤمن لا يكون صمته الا فكرة ونظره الا عبرة ونطقه الا ذكرا
هكذا قاله رسول الله عليه السلام بل راس مال العبد اوقاته ومهما صرفه الى ما
لا يعنيه ولا يدخر به ثوابا في الاخرة فقد ضيع راس ماله ولهذا **قال** صلى الله
عليه وسلم من حسن اسلام المرء تركه ما لا يعنيه **وقال** انس رضي الله عنه استشهد
غلام منا يوم احد فوجد على بطنه حجرا مربوطا من الجوع فمسحت امه التراب عن
وجهه وقالت هنيئا لك الجنة يا بني فقال صلى الله عليه وسلم وما يدريك لعله
كان يتكلم فيما لا يعنيه ولاجل هذا دخل لقمان على داود عليهما السلام وهو يسرد
درعا ولم يكن راها قبل ذلك فجعل يتعجب مما راى فاراد ان يساله عن ذلك فمنعته
الحكمة فامسك نفسه ولم يساله فلما فرغها قام داود عليه السلام ولبسها ثم
قال نعم الدرع للحرب فقال لقمان الصمت حكمة وقليل فاعله **الافة الثانية** الخوض
في الباطل وهو الكلام في المعاصي لحكايات احوال النساء ومجالس الخمر ومقامات الفساق
وتنعم الاغنياء وتجبر الملوك ومراسيمهم المذمومة واحوالهم المكروهة فان كل ذلك
مما لا يحل الخوض فيه فهذا حرام **وقال** صلى الله عليه وسلم اعظم الناس خطايا يوم
القيمة اكثرهم خوضا في الباطل واليه الاشارة بقوله تعالى وكنا نخوض مع الخائضين
وقال سليمان عليه السلام اكثر الناس ذنوبا يوم القيمة اكثرهم كلاما في معصية الله
عليهم **الافة الثالثة** الخصومة والجدال **قال** صلى الله عليه وسلم ما ضل

مطلب خوض في الباطل

قوم الا اوتوا الجدل **وروي** ان ابا حنيفة رحمة الله عليه قال لداود الطائي
رحمة الله عليه لم اثرت الانزواء فقال لاجاهد نفسي فقال احضر المجالس
واسمع ما يقال ولا تتكلم قال ففعلت ذلك فما رايت مجاهدة اشد علي منها وهو
كما قال لان من يسمع من غيره خطاء وهو قادر على كشفه يعسر عليه الصبر عنه جدا
قال الله تعالى وقولوا للناس حسنا **الرابعة** الفحش والسب وبذاءة اللسان
وهو منهي عنه **قال** صلى الله عليه وسلم ان الله لا يحب الفاحش المتفحش الصياح
في الاسواق والفحش عبارة عن تعبير امور مستقبحة بالعبارات الصريحة ويجري
اكثر ذلك في الفاظ الوقاع وما يتعلق به **وقال** ابن عباس رضي الله عنهما ان الله
حيي كريم يعف ويكني باللمس عن الجماع فالمسيس والدخول والصحبة كنايات
عن الوقاع ليست بفاحشة وليس يختص هذا بالوقاع بل الكناية بقضاء الحاجة
عن البول والتغوط والخراءة وغيرها فان هذا ايضا مما يخفى فكل ما يخفى ويستحيى منه
فلا ينبغي ان يذكر بالفاظه الصريحة فانه فحش **وقال** المستبان ما قالا فهو
على البادي ما لم يعتد المظلوم **وقال** سباب المؤمن فسق وقتاله كفر **وقال**
ملعون من يسب والديه قالوا يا رسول الله وكيف يسب والديه قال يسب
الرجل ويسب اباه فيسب الاخر اباه **الخامسة** اللعن اما لحيوان او جماد او لانسان
وذلك مذموم **قال** صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بلعان **وقال**
ما لعن احد الا قالت الارض لعن الله من اعصانا لله **وروي** ان الصديق رضي الله عنه

مطلب ما ينهى عن الفحش

الله

لعن بعض رقيقه فسمع النبي صلى الله عليه وسلم يا ابابكر الصديق
واللعانين كلا ورب الكعبة فاعتق ابو بكر يومئذ بعض رقيقه واللعن
عبارة عن الطرد والابعاد من الله تعالى **واعلم** ان الصفات المقتضية
للعن على ثلث مراتب الاولى غير جايز الاعلى من يتصف بصفة مبعدة من الله مطلب اللعن
وهو الكفر والظلم والفسق واعلم ان اللعن بالوصف الاعم كقوله لعنة الله على
الفسقة او على الظلمة الثانية اللعن بوصف اخص منه كقوله لعنة
الله على اليهود او على القدرية او على المبتدعة وكل ذلك جايز الثالثة
للشخص المعين كقولك لعن الله فلان اليهودي وهذا فيه خطر لانه ربما
اسلم وعليه يحمل قوله تعالى ليس لك من الامر شيء او يتوب عليهم او يعذبهم
اي ربما تابوا فان قيل لم لا يجوز لعنه لكونه كافرا في الحال كما يجوز ان يقال
للمسلم رحمه لكونه مسلما في الحال وان كان يتصور ان يرتد قلنا ان معنى
قوله رحمه الله اي ثبته الله على الاسلام الذي هو سبب الرحمة ولا يمكن ان يقال
ثبت الله الكافر على الكفر فان هذا سؤال الكفر وهو في نفسه كفر بل الجايز ان
يقال لعنه الله ان مات على الكفر واما لعن النبي عليه السلام جماعة المعينين
كابي جهل وعتبة وابي لهب فهو محمول على انه علم من جهة الوحي انهم يموتون على الكفر
فلذلك لعنهم واعلم ان مات على الكفر جاز لعنه الا اذا تعلق ايذا المسلم و
ويقرب من اللعن الدعاء على الانسان بالشر كقولهم فلان ظالم لا صح الله جسمه مطلب الظلم

ولا سلمه وما يجري مجراه فهو مذموم وفي الحديث ان المظلوم ليدعو على الظالم
حتى يكافيه ثم تبقى المظالم عنده يوم القيمة **السادسة** الغناء والشعر فان
التجرد له مذموم **قال** صلى الله عليه وسلم لان يمتلي بطن احدكم قيحا
خير من ان يمتلي شعرا **وعن** مسروق انه سئل عن بيت من الشعر فكرهه فقال مطلب الشعر
انا اكره ان يوجد في صحيفتي شعر وعلى الجملة فانشاد الشعر ونظمه ليس بحرام
اذا لم يكن فيه كلام يكره **قال** صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة نعم
مقصود الشاعر في الغالب المدح والذم والتشبيه وقد يدخل فيه الكذب
السابعة المزاح وافراطه المداومة عليه وهو مذموم لانه يورث كثرة
الضحك وكثرة الضحك تميت القلب وتسقط المهابة والوقار فما يخلو عن هذه
الامور فلا يذم وقد **قال** صلى الله عليه وسلم اني لامزح ولا اقول الا حقا
ومثله يقدر على ان يمازح ولا يقول الا حقا واما غيره فلا عليه **وقال** صلى الله عليه وسلم
ان الرجل ليتكلم بالكلمة يضحك بها جلساؤه فيهوي بها ابعد من الثريا وقال عمر رضي الله عنه
من كثر ضحكه قلت هيبته ومن مزح استخف به ولان الضحك يدل على الغفلة عن
الآخرة **وقال** صلى الله عليه وسلم لو علمتم ما اعلم لبكيتم كثيرا ولضحكتم قليلا
وقال رجل لاخيه هل اتاك انك وارد النار قال نعم قال فهل اتاك انك خارج منها
فقال لا قال ففيم الضحك قال فما رآه احد ضاحكا حتى مات **وقال** يوسف بن اسباط
اقام الحسن رضي الله عنه ثلاثين سنة لم يضحك **وقيل** ان عطاء السلمي رحمه الله

عليه لم يضحك اربعين سنة ونظر وهيب ابن الورد الى قوم يضحكون فقال
ان كان هؤلاء قد غفر لهم فما هذا فعل الشاكرين وان لم يغفر فما هذا فعل الخائفين
وقال محمد بن واسع اذا رايت في الجنة رجلا يبكي الست تعجب من بكائه قال بلى قال
فالذي يضحك في الدنيا ولا يدري الى ما يصير هو اعجب منه قال سعيد بن العاص
لابنه لا تمازح الشريف فيحقد عليك ولا تمازح الدني فيجتري عليك ويقال لكل
شيء بذر وبذر العداوة المزاح وقال عمر رضي الله عنه اتدرون لم سمي المزاح
مزاحا قالوا لا قال لانه زاح عن الحق ومن مزاحات النبي عليه السلام انه اتت
اليه عجوز فقال لا تدخل الجنة عجوز فبكت فقال انك لست يومئذ بعجوز
قال الله تعالى انا انشأناهن انشاء فجعلناهن ابكارا وروي ان امراة
جاءت اليه فقالت ان زوجي يدعوك فقال من هو اهو الذي بعينه بياض فقالت
لا والله صلى الله عليه وسلم ما من احد الا بعينه بياض وجاءته امراة اخرى
فقالت يا رسول الله احملني على بعير فقال صلى الله عليه وسلم نحملك على ابن البعير
فقالت ما اصنع به لا يحملني فقال صلى الله عليه وسلم هل من بعير الا وهو ابن
البعير الثامنة السخرية والاستهزاء وهذا محرم بهما كان موذيا قال الله
تعالى لا يسخر قوم من قوم عسى ان يكونوا خيرا منهم ومعنى السخرية الاستحقار
والاستهانة والتنبيه على العيوب على وجه يضحك منه وروي عن معاذ بن
جبل رضي الله عنه انه قال صلى الله عليه وسلم من عير اخاه بذنب قد تاب

لم يمت حتى يعمله السابعة افشاء السر وهو منهي عنه لما فيه من الايذاء
والتهاون بحق المعارف والاصدقاء قال صلى الله عليه وسلم الحديث
بينكم امانة وقال عليه السلام المجالس بالامانات الا ثلثة مجالس مجلس
يسفك فيه دم حرام ومجلس يستحل فيه فرج حرام ومجلس يستحل فيه مال حرام
وقال الحسن رضي الله عنه ان من الخيانة ان تحدث بسر اخيك قال العباس لابنه
رضي الله عنهما اني ارى هذا الرجل يعني عمر رضي الله عنه يقدمك على الاشياخ
فاحفظ عني خمسا لا تفشين له سرا ولا تغتابن عنده احدا ولا تجرين
عليك كذبا ولا تعصين له امرا ولا يطلعن لك على خيانة قال الشعبي رحمة
الله عليه كل كلمة من هذه الخمسة خير من الف وقيل لابي يزيد من نصحب من الناس
قال من يعلم منك ما يعلمه الله ثم يستر عليك كما ستره الله وقيل صدور
الاحرار قبور الاسرار العاشرة الوعد الكاذب قال صلى الله عليه وسلم
ثلث من كن فيه فهو منافق وان صام وصلى وزعم انه مسلم اذا حدث كذب
واذا ائتمن خان واذا وعد اخلف وقد اثنى الله تعالى على نبيه اسمعيل عليه السلام
فقال انه كان صادق الوعد فيقال انه واعده انسان في موضع فلم يرجع اليه
فبقي اثنان وعشرين يوما في انتظاره وقال صلى الله عليه وسلم ليس الخلف ان
يعد الرجل ومن نيته ان يفي فلم يجد فلا اثم عليه وكان ابن مسعود رضي الله عنه
لا يعد وعدا الا قال ان شاء الله وهذا هو الاحتياط ومن جزم بالوعد

فلا بد له من الوفاء الا لعذر الحادي عشر الكذب في القول واليمين قال
صلى الله عليه وسلم كبرت خيانة ان تحدث اخاك حديثا وهو لك
به مصدق وانت به كاذب وقال من حدث بحديث وهو يرى انه كذب
فهو من الكاذبين وقال عثمان رضي الله عنه ما تمنيت منذ اسلمت اي
ما كذبت وقيل لخالد بن صبيح من يكذب كذبة واحدة هل يسمى فاسقا
قال نعم وقال مالك بن دينار رحمة الله عليه قرأت في بعض الكتب ما من خطيب
الا عرضت خطبته على عمله فان كان صادقا صدق وان كان كاذبا قرضت
شفتاه بمقراضين من نار كلما قرضت نبتتا وكلم عمر بن عبد العزيز الوليد رحمهما
الله في شيء فقال له كذبت فقال عمر ما كذبت منذ علمت ان الكذب يشين
صاحبه واعلم ان الكلام وسيلة الى المقاصد وكل مقصود محمود يمكن التوصل
اليه بالصدق والكذب جميعا فالكذب حرام وان امكن التوصل بالكذب
دون الصدق فالكذب فيه مباح ان كان تحصيل ذلك المقصود مباحا
وواجب ان كان المقصود واجبا كما ان عصمة دم المسلم واجب فمهما كان في
الصدق سفك دم مسلم قد اختفى من ظالم فالكذب فيه واجب ومهما كان
لا يتم مقصود حرب او صلاح ذات البين واستمالة قلب المجني عليه الا
بكذب فالكذب فيه مباح والكذب حرام في الاصل الا بضرورة والذي
يدل على الاستثناء قوله صلى الله عليه وسلم ليس بكذاب من اصلح بين اثنين

وعن ام كلثوم رضي الله عنها قالت ما سمعت النبي صلى الله عليه وسلم
يرخص في شيء من الكذب الا في ثلث الرجل يقول القول ويريد الاصلاح والرجل
يقول القول في الحرب والرجل يحدث امرأته والمرأة تحدث زوجها ومن الكذب الذي
لا يوجب الفسق ما جرت به العادة في المبالغة كقوله قلت لك مائة مرة وطلبت
منك مائة مرة فانه لا يراد تفهيم المرات بعددها بل تفهيم المبالغة فان لم يكن
طلب الا مرة واحدة كان كاذبا وان طلب مرات فلا تأثم ومما يعتاد الكذب فيه
ويتساهل به مثل ان يقال كل الطعام وهو جائع فيقول لا اشتهيه وذلك
كذب منهي عنه وربما يكذب في حكاية المنام والاثم فيه عظيم قال صلى الله عليه وسلم
من كذب في حلمه كلف يوم القيمة ان يعقد شعرتين قال عليه السلام ان من
اعظم الفرى ان يدعي الرجل الى غير ابيه او يري عينه في المنام ما لم ترا ويقول
علي ما لم اقول الثانية عشر الغيبة وقد شبه الله صاحبه باكل لحم الميتة
فقال ولا يغتب بعضكم بعضا ايحب احدكم ان يأكل لحم اخيه ميتا فكرهتموه
قال صلى الله عليه وسلم كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه
والغيبة تنال العرض وقد جمع بينه وبين الدم والمال وقال اياكم والغيبة
فانها اشد من الزنا الرجل قد يزني فيتوب الله عليه وان صاحب الغيبة لا يغفر له
حتى يغفر صاحبه وقال البراء رضي الله عنه خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
اسمع العواتق في بيوتها فقال يا معشر من آمن بلسانه ولم يؤمن بقلبه لا تغتابوا

المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم فانه من يتبع عورة اخيه يتبع الله عورته ومن
يتبع عورته يفضحه في جوف اوحي الله تعالي الي موسي عليه السلام من مات
تايبا من الغيبة فهو آخر من يدخل الجنة ومن مات مصرًا عليها فهو اول من
يدخل النار وقال انس رضي الله خطبنا رسول الله صلى الله عليه وسلم
فذكر الربا وعظم شانه فقال الدرهم يصيبه الرجل من الربا اعظم عند الله
من ست وثلثين زنية وان اذنا الربا عرض الرجل المسلم وروي ان الله تعالى
لما غذي الانسان حين كان في بطن امه بالدم ما اوصل اليه هذا الغدا من
طريق الفم بل من طريق السرة والحكمة فيه ان الفم موضع الذكر والتسبيح والتهليل
والدم نجس فلا يليق بالحكمة تلطيخ الفم الذي هو موضع ذكر الله تعالى بالدم
النجس والاشارة فيه ان الفم الذي لم يصر محل الذكر بل ليس له الاجرة وصلاحية
ان يصير محل الذكر فان الله تعالى نزهه عن التلطيخ بالدم فالآن وقد صار
هذا الفم محل التهليل منذ خمسين سنة فلا يجوز ان يلطخه باكل الميتة
وهي الغيبة والنميمة واكل الحرام وروي ان عيسى عليه السلام مر بالحواريين
علي جيفة كلب فقال الحواريون ما انتن ريح هذا فقال عيسى عليه السلام
ما اشد بياض اسنانه كانه ينهاهم عن غيبة الكلب وينبههم انه لا يذكر شي
من خلق الله تعالى الا احسنه وحقيقة الغيبة ما روي انه عليه السلام
قال هل تدرون ما الغيبة قالوا الله ورسوله اعلم قال ذكرك اخاك بما يكره قيل

مطلب الغيبة والربا

ان كان في اخي ما اقول فقال ان كان فيه ما تقول فقد اغتبته وان لم يكن
فقد بهته وقال الحسن رضي الله عنه ذكر الغيبة ثلثة الغيبة والبهتا ن
والافك والكل في كتاب الله تعالي فالغيبة ان تقول ما فيه والبهتان ان تقول
ما ليس فيه والافك ان تقول ما بلغك عنه فظهر ان حقيقة الغيبة وحدها
ان تذكر اخاك بما يكرهه لو بلغه سواء ذكرت نقصًا في بدنه او في نسبه او في
خلقه او في فعله او في قوله او في دينه او في دنياه وحتى في ثوبه ودا ره
ودابته اما البدن فذكرك العمش والحول والقرع والقصر والطول والسواد
والصفرة وجميع ما يتصور ان يوصف به مما يكرهه واما النسب فتقول ابوه
قبطي او هندي او فاسق او خسيس او شي مما يكرهه كيف ما كان واما الخلق
فتقول انه بخيل متكبر مرائي شديد الغضب جبان عاجز وما يجري مجراه و
اما في افعاله المتعلقة بالدين كقولك سارق كذاب وشارب وخاين
وظالم ومتهاون بالصلوة والزكوة اما افعاله المتعلقة بالدنيا كقولك
انه قليل الادب كثير الكلام وانه نووم اكول كسلان واما في ثوبه فانه
واسع الكم طويل الذيل وسخ الثياب فالكل غيبة وقال بعضهم لا غيبة في امر
الدين كقولك فلان فاسق ومتهاون بالصلاة واخبث انواع الغيبة غيبة
القراء مثل ان يذكر عند احدهم انسان فيقول الحمد لله الذي لم يبتلينا بالدخول
علي السلطان وغرضه اعلام عيب الغير وهذا جمع بين الغيبة والربا ومن هذا

القبيل قول السامع للغيبة على سبيل التعجب ما كنت اظن فلانا الا صالحا
فكيف بدا (اظهر) منه هذا وهذا منهي عنه قال عليه السلام المستمع احد
المغتابين الان ينكر بقلبه ولسانه صريحا فان خاف فيقوم او يقطع الكلام
بكلام آخر وقال صلى الله عليه وسلم من اذل عنده مؤمن وهو يقدر على ان
ينصره اذله الله يوم القيمة على رؤس الخلايق واعلم ان الغيبة نقصان
اخيك وتعريفه بما يكرهه فالتعريض فيه كالتصريح والفعل فيه كالقول
والايماء والغمز والحركة وكل ما يفهم المقصود فهو داخل في الغيبة وفي ذلك
المحاكات بان يمشي متعارجا او كما يمشي فهو غيبة واعلم ان سوء الظن حرام مثل
سوء القول وكما يحرم عليك ان تحدث غيرك بلسانك بمساوي الغير فليس لك
ان تحدث نفسك وتسيء ظنك باخيك وقال تعالى اجتنبوا كثيرا من الظن ان بعض
الظن اثم وسبب تحريمه ان اسرار القلوب لا يعلمها الا علام الغيوب وما لم
تشاهده بعينك ولم تسمع باذنك ثم وقع في قلبك فانما الشيطان يلقيه
اليك فينبغي ان يكذبه فانه فاسق وقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا
ان جاءكم فاسق بنبإ فتبينوا فلا يجوز تصديق ابليس ومن ثمرات سوء
الظن التجسس فان القلب لا يقنع بالظن ويطلب التحقيق فيشتغل بالتجسس وهو
ايضا منهي عنه قال تعالى ولا تجسسوا والغيبة وسوء الظن والتجسس
منهي عنه في رواية واحدة ومعنى التجسس ان لا تترك عباد الله تحت ستر الله

فتوصل الى الاطلاع وهتك الستر حتى ينكشف لك ما كان مستورا عنك وقد
ذكرناه في كتاب الامر بالمعروف حكم التجسس فان قيل ما الاعذار المرخصة في الغيبة
قلنا هي ستة احدها دفع الظلم عن نفسه قال عليه السلام ان لصاحب الحق
يدا ومقالا وقال الواجد يحل عرضه وعقوبته الثاني الاستعانة على تغيير
المنكر الثالث الاستفتاء الرابع التحذير روي انه قال صلى الله عليه وسلم
اذكروا الفاسق بما فيه يحذره الناس وكانوا يقولون ثلثة لا غيبة لهم الامام
الجاير والمبتدع والمجاهر بالفسق الخامس الشهرة المانعة من التأذي لكونه متلقبا
بالاعرج والاعمش السادس الاعلان بالفسق قال عليه السلام من القى
جلباب الحياء فلا غيبة له الثالثة عشر النميمة قال الله تعالى هماز مشاء
بنميم اخبر ان النميمة من خصال المنافقين قال عبد الله بن المبارك ولد
الزنا لا يكتم الحديث وقال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة نمام وفي رواية
قتات وهو النمام وقال الا اخبركم بشراركم قالوا بلى قال المشاؤن بالنميمة
المفسدون بين الاحبة الباغون للبراء العيب وعن ابي الدرداء رضي الله
عنه قال قال صلى الله عليه وسلم من اشار على مسلم بكلمة ليشينه (او ليعيبه) وهو
منها بريء شانه الله تعالى يوم القيمة في النار وعن ابن عمر رضي الله عنهما عن
رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى لما خلق الجنة قال لها تكلمي قالت
سعد من دخلني قال تعالى وعزتي وجلالي لا يسكن فيك ثمانية نفر مدمن خمر ومصر

مطلب معنى الزنطي

على الزنا وقتات هو النمام وديوث وشرطي ومخنث وقاطع رحم
والذي لا يوفي بعهد الله يعني يقول على عهد الله ان لم افعل كذا ثم لم يف به
وحدها نقل القول الى الغير وافشاؤه وما يكره كشفه وقيل من نم اليك
نم عليك وعلى الجملة فشر النمام عظيم ينبغي ان يتوقى منه قال حماد بن سلمة
رحمة الله عليه باع رجل عبدا وقال للمشتري ما فيه عيب الا النميمة قال
رضيت فاشتري الغلام فمكث اياما عنده ثم قال لزوجة مولاه ان زوجك
لا يحبك وهو يريد ان يشتري عليك سرية فخذي الموس واحلقي من قفاه عند
نومه شعرات حتى اسحر عليها فيحبك ثم قال للزوج ان امراتك اتخذت خليلا
وتريد ان تقتلك فتناوم لها حتى تعرف فتناوم فجاءت المراة بالموس فظن
انها تقتله فقام وقتلها فجاء اهل المراة وقتلوا الرجل فوقع القتال بين
القبيلتين وطال الامر الرابعة عشر المدح قال صلى الله عليه وسلم لو مشى
رجل الى رجل بسكين مرهف كان خيرا له من ان يثني عليه في وجهه وروي
ان رجلا مدح رجلا عند النبي صلى الله عليه وسلم فقال ويحك قطعت
عنق صاحبك وقال اذا مدحت اخاك في وجهه فكانما امررت على حلقه موسى
رميضا ونعوذ بالله اذا كان الممدوح فاسقا او ظالما قال صلى الله عليه وسلم
ان الله يغضب اذا مدح الفاسق وقال من دعا لظالم بالبقاء فقد احب
ان يعصى الله في ارضه واليه الاشارة بقوله صلى الله عليه وسلم احثوا

التراب في وجوه المداحين قال سفيان بن عيينة رحمة الله عليه لا يضر مدح
من عرف نفسه لما اثني عليه رجل من الصالحين فقال اللهم ان هؤلاء لا يعرفوني
وانت تعرفني وقال علي رضي الله عنه لما اثني عليه اللهم اغفر لي ما لا يعلمون
ولا تواخذني بما يقولون واجعلني خيرا مما يظنون وكذلك اثنى رسول الله
صلى الله عليه وسلم على الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين حتى قال لو وزن
ايمان ابي بكر بايمان العالمين لرجح وقال لعمر رضي الله عنه لو لم ابعث لبعثت
يا عمر واي ثناء يزيد على هذا ولكنه قال عن صدق وبصيرة وكانوا اجل
رتبة من ان يورثهم ذلك كبرا وعجبا وفتورا تم الكتاب بعون الله تعالى

كتاب افة الغضب والحقد والحسد

اعلم ان الغضب شعلة نار اقتبست من نار الله الموقدة الا انها لا تطلع على الافئدة
وانها المستكنة في طي الفؤاد استكنان الجمر تحت الرماد وقد انكشف عن الناظرين
بنور اليقين ان الانسان ينزع منه عرق الى الشيطان اللعين فمن استقر به نار الغضب
فقد قويت قرابة الشيطان اليه حيث قال خلقتني من نار وخلقته من طين فان
شان الطين السكون والوقار وشان النار الاشتعال والحركة والاضطراب ومن
نتايج الغضب الحقد والحسد وهذه الثلاثة يسوق العبد الى مواطن العطب
فما احوجه الى معرفة معاطبه ومساويه فان من لا يعرف الشر يقع فيه ومن
عرفه فالمعرفة لا تكفيه ما لم يعرف الطريق الذي به يدفع الشر ويقصيه ونحن

نبين افات هذه الثلثة المهلكة في فصلين الفصل الاول في بيان ذم
الغضب وبيان حقيقته وعلاجه وبيان فضيلة الحلم والحلم والعفو
اما بيان ذم الغضب فعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما انه قال رجل
لرسول الله صلي الله عليه وسلم اي شي اشد قال غضب الله قال فما يبعدني
من غضب الله قال ان لا تغضب وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
قال رسول الله صلي الله عليه وسلم ليس الشديد بالصرعة انما الشديد
الذي يملك نفسه عند الغضب وعن عكرمه رضي الله عنه في قوله تعالي
وسيدًا وحصورا قال السيد الذي لا يغلبه الغضب قال صلي الله عليه
وسلم الغضب يفسد الايمان كما يفسد الصبر العسل الاثار قال بعضهم من
اطاع شهوته وغضبه قاده الي النار وكتب عمر بن عبد العزيز الي عامله
ان لا تعاقب احدًا عند غضبك واذا غضبت علي رجل فاحبسه واذا سكن
غضبك فاخرجه فعاقبه علي قدر ذنبه وقال جعفر بن محمد رحمهما الله
الغضب مفتاح كل شر وقال بعضهم اعقل الناس اقلهم غضبًا والغضب
عدو العقل وغوله فهذا ذمه من الاخبار والاثار اما حقيقته فهو غليان
دم القلب بيانه خلق الله تعالى الغضب من النار وغرزها في الانسان
فمهما قصد في غرض من اغراضه ومقصود من مقاصده اشتعل نار الغضب
يغلي بها دم القلب وينتشر في العروق ويرتفع الي اعلي البدن كما يرتفع الماء

الذي يغلي في القدر فلذلك تغير اللون اما بان يحمر اذا كان غضبه علي من
دونه لفوران الدم بالغليان الي اعلي البدن واما بان يصفر اذا كان غضبه
علي من فوقه لانقباض الدم ظاهر الجلد الي الباطن ليأسه من الانتقام فيصير
حزينا وبالجملة فقوة الغضب محلها القلب ومعناها غليان دم القلب لطلب دفع
الموذيات قبل وقوعها والانتقام بعد وقوعها ثم الناس في هذه القوة علي درجات
ثلث في الاول الفطرة وفي التفريط والافراط والاعتدال اما التفريط فبفقد
هذه القوة او ضعفها وذلك مذموم وهو الذي يقال فيه انه لا حمية له ولذلك
قال الشافعي رحمة الله عليه من استغضب فلم يغضب فهو حمار فمن فقد قوة
الحمية والغضب اصلا فهو ناقص جدًا وقد وصف الله تعالي الصحابة رضوان الله
عليهم بالشدة والحمية فقال اشداء علي الكفار وقال لنبيه صلي الله عليه وسلم
جاهد الكفار والمنافقين واغلظ عليهم وانما الغلظة والشدة من اثار قوة الحمية
وهو الغضب واما الافراط فهو ان تغلب هذه الصفة حتي تخرج من سياسة العقل والدين
وطاعته ولا يبقي للمرء معه بصيرة ونظر وفكر واختيار بل يصير في صورة المضطر
وهذا مذموم ايضا وانما المحمود غضب ينتظر اشارة العقل والدين فينبعث حيث
تجب الحمية وتنطفي حيث يحسن الحلم وحفظه علي حد الاعتدال هو الاستقامة
فمن مال غضبه الي الفتور حتي احس من نفسه ضعف الغيرة فينبغي ان يعالج نفسه
حتي يقوي غضبه ومن مال غضبه الي الافراط حتي جره الي التهور واقتحام الفواحش

فينبغي ان يعالج نفسه ليقف على الوسط الحق بين الطرفين فهو الصراط المستقيم
وهو ادق من الشعر واحد من السيف فان عجز عنه فليطلب القرب منه قال تعالى ولن
تستطيعوا ان تعدلوا بين النساء ولو حرصتم فلا تميلوا كل الميل فليس كل من
عجز عن الاتيان بالخير كله ينبغي ان لا ياتي بالشر كله ولكن بعض الشر اهون من بعض
وبعض الخير ارفع من بعض فهذه حقيقة الغضب واما علاجه فهو اما قبل وقوعه
فيترك الاخلاق المهيجة له كالكبر والحرص والاستهزاء ونحوها واما حال وقوع الغضب
فعلاجه بالعلم والعمل اما العلم فهو ثلثة امور الاول ان يتفكر في الاخبار التي
قد وردت في كظم الغيظ والعفو والحلم فيرغب في ثوابه قال صلى الله عليه وسلم
من كف غضبه كف الله عنه عذابه وقال من كظم غيظا ولو شاء ان يمضيه
امضاه ملأ الله قلبه يوم القيمة رضى وفي رواية ملأ الله قلبه امنا وايمانا
وقال ايوب عليه السلام حلم ساعة يدفع شرا كثيرا وقال سفيان الثوري
رحمة الله عليه خير الاعمال الحلم عند الغضب والصبر عند الطمع وقال محمد
كعب رحمها الله ثلثة من كن فيه استكمل الايمان بالله اذا رضي لم يدخله رضاه في
الباطل واذا غضب لم يخرجه غضبه عن الحق واذا قدر لم يتناول ما ليس له
وقال لقمن لابنه رحمهما الله ثلاثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحلم الا عند
الغضب والشجاع الا عند الحرب ولا الاخ الا عند حاجتك اليه الثاني ان
يخوف نفسه بعقاب الله تعالى وهو ان يقول قدرة الله علي اعظم قدرتي على هذا

مطلب كظم الغضب

الانسان وقد قال الله تعالى في بعض الكتب يا ابن آدم اذكرني حين تغضب اذكرك حين
اغضب وبعث النبي عليه السلام وصيفا الى حاجة فابطأ عليه فقال لولا القصاص
لاوجعتك الثالث ان يتفكر في قبح صورته عند غضبه
بان يتذكر صورة غيره في حالة الغضب فهذا وامثاله ينبغي ان يقرره على نفسه واما
العمل فان يقول بلسانه ما كان يقوله النبي صلى الله عليه وسلم عند الغضب اعوذ
بالله من الشيطان الرجيم فان لم يزل غضبه فليتوضؤ فانما الغضب من الشيطان الذي
خلق من النار وانما يطفا بالماء قال ابو هريرة رضي الله عنه كان النبي صلى الله عليه وسلم
اذا غضب وهو قايم جلس واذا غضب وهو جالس اضطجع فيذهب غضبه واعلم
ان الناس في الغضب اربعة اجناس فبعضهم كالحلفاء سريع الوقود سريع
الخمود وبعضهم كالغضا بطيء الوقود سريع الخمود وهو الاحمد ما لم ينته
الى فتور الحمية والغيرة وبعضهم سريع الوقود بطيء الخمود وهذا هو شرهم
وفي الخبر المؤمن سريع الغضب فهذه بتلك وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه
قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الا ان بني آدم خلقوا على طبقات
منهم بطيء الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب سريع الفيء ومنهم سريع الغضب
بطيء الفيء الا وان خيرهم البطيء الغضب السريع الفيء وشرهم السريع الغضب
البطيء الفيء ولما كان الغضب في الحال تهيج ويورث العقاب والانتقام في كل انسان
وجب على السلطان ان لا يعاقب احدا في حال غضبه لانه ربما يتعدى الواجب ولانه

يكون متشفيا غيظه وحرجا لنفسه فيكون صاحب حظ فيه وينبغي ان يكون
انتقامه وانتصاره لله تعالى لا لنفسه وروي ان عمر رضي الله عنه راي
سكرانا فاراد ان ياخذه ويعزره فشتمه السكران فرجع عمر رضي الله عنه
فقيل له يا امير المؤمنين لما شتمك تركته فقال لانه اغضبني ولو عزرته
لكان ذلك لغضبي لنفسي واما باب الحلم وكظم الغيظ فقد قال انس بن مالك
رضي الله عنه في قوله تعالى فاذا الذي بينك وبينه عداوة كانه ولي حميم
الي قوله عظيم هو الرجل يشتمه عدوه ان كنت كاذبا يغفر الله لك وان كنت
صادقا يغفر الله لي وقال الحسن رضي الله عنه في قوله تعالى واذا خاطبهم الجاهلون
قالوا سلاما اي قالوا حلما اي اذا جهل عليهم لم يجهلوا وقال مجاهد في قوله تعالى
واذا مروا باللغو مروا كراما اي اذا اوذوا واوذوا صفحوا تحملوا وقال عليه السلام
من كف غضبه كف الله عنه عذابه وقال رجل لعمر رضي الله عنه والله
ما تقضي بالعدل ولا تعطي الجزل فغضب عمر حتى عرف ذلك في وجهه فقال له
رجل يا امير المؤمنين الم تسمع ان الله تعالى يقول خذ العفو وامر بالعرف واعرض
عن الجاهلين وهذا من الجاهلين قال عمر صدقت فكانما كانت نارا فاطفيت
وجاء رجل الي سلمان الفارسي رضي الله عنه فقال اوصني قال لا تغضب قال
لا اقدر قال فان غضبت فامسك لسانك ويدك وقال علي رضي الله عنه
ان اول عوض الحليم ان الناس كلهم اعوانه علي الجاهل وقال لقمان عليه السلام

ثلثة لا يعرفون الا عند ثلثة لا يعرف الحليم الا عند الغضب ولا الشجاع
الا عند الحرب ولا اخاك الا عند الحاجة اليه واعلم ان الحلم افضل من كظم الغيظ
لان كظم الغيظ عبارة عن التحلم اي تكلف الحلم وذلك يكون عند هيجان الغضب
فيحتاج الي مجاهدة شديدة الي ان يصير بحيث لا يهيج غضبه واما
العفو وحقيقته فهو ان يستحق حقا فيسقطه وهو نوع من الحلم وكظم
الغيظ قال الله تعالى وامر بالمعروف واعرض عن الجاهلين وقال الله تعالى وان تعفوا
اقرب للتقوي وقال عليه السلام ثلثة والذي نفسي بيده ان كنت لحالفا عليهن
ما نقص مال من صدقة فتصدقوا ولا عفي رجل عن مظلمة يبتغي بها وجه الله تعالى الا زاده الله
بها عزا يوم القيمة ولا فتح رجل باب مسئلة الا فتح الله باب فقر وقال عليه السلام
عليك بالرفق فانه لا يدخل في شيء الا زانه ولا ينزع عن شيء الا شانه الفصل
الثاني في الحقد والحسد اما الحقد فقد قال صلى الله عليه وسلم المؤمن ليس بحقود
واعلم ان الحقد ثمرة الغضب لحقد اذا لزم كظمه لعجز عن التشفي في الحال رجع الي الباطن
واحتقن فيه فصار حقدا ومعني الحقد ان يلزم قلبه استثقاله والبغضة له
والنفار منه وان يدوم ذلك ويبقي واما الحسد فهو من نتايج الغضب فهو فرع
الغضب والغضب اصل اصله ثم للحسد اضرار قد وردت فيه قال صلى الله عليه وسلم
الحسد ياكل الحسنات كما تاكل النار الحطب روي ان موسى عليه السلام لما
تعجل الي ربه راي في ظل العرش رجلا فغبطه بمكانه وقال ان هذا لكريم علي ربه

فسأل ربه ان يخبره باسمه وقال احدثك من عمله بثلث كان لا يعق والديه ولا يمشي
بالنميمة ولا يحسد الناس بما اتيهم من فضلي وقال بعض السلف ان اول خطيئة
كانت هي الحسد حسد ابليس آدم عليه السلام ان يسجد له فحمله الحسد على المعصية
وحكي ان عون بن عبد الله دخل على الفضل رحمهما الله فقال عظني فقال اياك
والكبر فانه اول ذنب عصي الله به واياك والحسد فانه اول دم سفك من الحسد قتل
ابن آدم اخاه حين حسده فهذا ذم الحسد واما حقيقته فاعلم انه لا حسد الا على نعمة
الله فاذا انعم الله على اخيك بنعمة فلك فيها حالتان احديهما ان تكره تلك النعمة وتحب
زوالها وهذه الحالة تسمى حسدا فالحسد حده كراهة النعمة وحب زوالها عن المنعم
عليه الحالة الثانية ان لا تحب زوالها ولكنك تشتهي لنفسك مثلها وهذا يسمى
غبطة وقد يخص باسم المنافسة حسدا والحسد منافسة ويوضع احد اللفظين
بدل الآخر ولا حجر في الاسامي بعد فهم المعاني قال صلى الله عليه وسلم المؤمن
يغبط والمنافق يحسد فاما الاولى فهو حرام بكل حال الا نعمة اصابها فاجر او كافر
وهو يستعين بها على الفتنة والفساد فلا يضرك كراهتك لها ومحبتك لزوالها
فانك لا تحب زوالها من حيث هي آلة الفساد واما المنافسة فليس بحرام قال الله
تعالى فليتنافس المتنافسون فالمنافسة مشتقة من النفاسة بل هي اما واجبة
واما مندوبة او مباحة فان كانت تلك النعمة نعمة دينية واجبة كالايمان
والصلوة والزكاة فهذه المنافسة واجبة وهو ان تحب ان تكون مثله وان كانت

مطلب فرق الحسد والمنافسة والغبطة

النعمة من الفضايل كانفاق الاموال في المكارم والصدقات فالمنافسة فيها مندوب
اليها وان كانت نعمة يتنعم فيها على وجه مباح فالمنافسة فيها مباح واما علاجه
فاعلم ان الحسد من الامراض العظيمة للقلوب ولا تداوى امراض القلوب الا بالعلم والعمل
اما العلم النافع لمرض الحسد وهو ان تعرف تحقيقا ان الحسد ضرر عليك في الدنيا والدين
وانه لا ضرر به على المحسود في الدنيا والدين بل ينتفع به في الدنيا والدين ومهما عرفت
هذا عن بصيرة ولم تكن عدو نفسك وصديق عدوك فارقت الحسد لا محالة اما كونه
ضررا عليك في الدين فهو انك بالحسد سخطت قضاء الله تعالى وكرهت نعمة التي قسمها
لعباده وعدله الذي اقامه في ملكه لخفي حكمته واستنكرت ذلك وهذه جناية
عظيمة وناهيك بها جناية على الدين انك غششت رجلا من المؤمنين وتركت نصيحته
وفارقت اولياء الله وانبياءه عليهم السلام في حبهم الخير لعباد الله تعالى وشاركت
ابليس وساير الكفار في محبتهم للمؤمنين البلايا وزوال النعم وهذه خبايث في القلب
تاكل حسنات القلب كما تاكل النار الحطب واما كونه ضررا في الدنيا عليك فهو انك
تتألم بحسدك وتتعذب به ولا تزال في كمد وغم ومحسودك في ترفه ونعمة ولا تزول
النعمة عنه بحسدك فما اعجب من العاقل ان يعذب نفسه بلا فايدة بل مع ضرر تحتمله
والم يقاسيه فيهلك دينه ودنياه واما المحسود فينتفع به في الدين والدنيا فواضح
اما منفعته في الدين فانه مظلوم من جهتك لا سيما اذا اخرجت الحسد الى القول والفعل
بالغيبة والقدح فيه وهتك ستره وذكر مساويه فهي هدايا تهديها اليه يعني انك تهدي

اليه حسناتك حتى تلقاه يوم القيمة مفلساً محروماً عن النعمة كما حرمت في الدنيا
عن النعمة واما منفعته في الدنيا فهو ان اهم اغراض الخلق مساءة الاعداء وغمهم
وكونهم معذبين مغمومين فلا عذاب اعظم مما انت فيه من الم الحسد وغاية اماني
اعدائك ان يكونوا في نعمة وان تكون في غم وحسرة بسببهم وقد فعلت بنفسك
ما هو مرادهم فاذا املت هذا عرفت انك عدو نفسك وصديق عدوك اذا تعاطيت
ما تضررت به في الدنيا والآخرة وصرت مذموماً عند الخلق والخالق شقياً في الحال والمال
فهذه هي العلاج العلمية واما العمل النافع فيه فهو ان يحكم الحسد من قول وفعل فينبغي
ان يكلف نفسه نقيضها فان بعثه الحسد على القدح فيه كلف لسانه المدح
له والثناء عليه وان حمله على التكبر عليه الزم نفسه التواضع له والاعتذار
اليه وان بعثه على كف الانعام عنه الزم نفسه الزيادة في الانعام فمهما فعل ذلك
عن تكلف وعرفه المحسود طاب قلبه واحبه وتولد منها الموافقة التي يقطع تارة الحسد
وبه تستريح القلوب من الم الحسد وغم التباغض فهذه ادوية الحسد وهي نافعة جداً
ولكن النفع في الدواء المر فمن لم يصبر على مرارة الدواء لم ينل حلاوة الشفاء وانما
يهون مرارة هذا الدواء يعني التواضع للاعداء والتقرب اليهم بالمدح والثنا بقوة
العلم بالمعاني التي ذكرناها وقوة الرغبة في ثواب الرضا بقضاء الله تعالى واحباب
ما احبه وعزة النفس وترفعها عن ان يكون في العالم شيء على خلاف مرادها وعند
ذلك يريد ما يكون اذ لا مطمع في ان يكون ما يريد وفوات المراد ذل وخسة

ولا طريق الى الخلاص من هذا الذل الا باحد امرين اما بان يكون ما تريد او بان تريد ما يكون
والاول ليس اليك ولا مدخل للتكلف والمجاهدة فيه واما الثاني فللمجاهدة
فيه مدخل وتحصيله بالرياضة ممكن فيجب تحصيله على كل عاقل هذا هو الدواء
الكلي وبه يتم كتاب آفة الغضب والحسد

كتاب ذم الدنيا

اعلم ان الدنيا عدوة لله تعالى وعدوة الاوليائه وعدوة لاعدائه اما عداوتها
لله تعالى فانها قطعت الطريق على عباد الله تعالى ولذلك لم ينظر اليها منذ خلقها
واما عداوتها لاوليائه فانها تزينت لهم بزينتها وعمتهم بزهرتها ونضارتها حتى
تجرعوا مرارة للصبر في مقاطعها واما عداوتها لاعدائه فانها تقتطع منها
اقتنصتهم لشبكتها حتى وثقوا بها وعددوا اليها فخذلتهم احوج ما كانوا عليها
فاجتنوا منها حسرة تنقطع منها الاكباد ثم حرمتهم السعادة ابد الاباد واذا
عظمت غوايل الدنيا وشرورها فلا بد اولاً من بيان ذمها وبيان حقيقتها واصناف مثلتها
الاشتغال المتعلقة بها وسبب انصراف الخلق عن الله بسبب التشاغل بفضولها

فصل في ذم الدنيا

اعلم ان الآيات الواردة في ذم الدنيا كثيرة واكثر القرآن
الكريم مشتمل على ذمها فلا حاجة في الاستشهاد بآيات القرآن لظهورها وانما
نورد بعض الاخبار الواردة فيها

الاخبار روي انه صلى الله عليه وسلم
مر على شاة ميتة فقال اترون هذه الشاة هينة على اهلها قالوا من هوانها
القوها قال والذي نفسي بيده الدنيا اهون على الله من هذه الشاة على اهلها وقال

وقال الدنيا ملعونة ملعون ما فيها الا ما كان لله تعالى منها وروي انه وقف
على مزبلة فقال هلموا الى الدنيا واخذ خرقا قد بليت وعظاما قد نخرت فقال
هذه الدنيا اشارة الى ان زينتها ستخلق مثل تلك الخرق وان الاجسام التي
تربيتها ستصير عظاما بالية وروي ان سليمان عليه السلام مر في موكبه
والطير تظله والجن عن يمينه والانس عن شماله فمر بعابد من عباد بني اسرائيل
فقال والله يا ابن داود لقد اتاك الله ملكا عظيما فقال سليمان عليه السلام
لتسبيحة في صحيفة مؤمن خير مما اعطي ابن داود فان ما اعطي ابن داود يذهب
والتسبيحة تبقى وقال صلى الله عليه وسلم الهاكم التكاثر يقول ابن آدم مالي
وهل له من ماله الا ما اكل فافنى او لبس فابلى او تصدق فامضى وقال الدنيا
دار من لا دار له ومال من لا مال له ولها يجمع من لا عقل له وعليها يعادي
من لا علم عنده وعليها يحسد من لا فقه له ولها يسعى من لا يقين له وقال
من اصبح والدنيا اكبر همه فليس من الله في شيء والزم الله قلبه اربع خصال
هما لا ينقطع عنه ابدا وشغلا لا يتفرغ منه ابدا وفقرا لا يبلغ غناه ابدا
واملا لا يبلغ ابدا وروي ان آدم عليه السلام لما اكل من الشجرة تحركت
معدته لخروج الثفل فلم يكن ذلك مجعولا في شيء من اطعمة الجنة الا في — مطلب آدم
هذه الشجرة فلذلك نهيا عن اكلها قال فجعل يدور في الجنة فامر الله ملكا
يخاطبه فقال قل له اي شيء تريد قال آدم عليه السلام اريد ان اضع

ما في بطني من الاذى فقال الملك قل له في اي مكان تضعه هل ترى ههنا موضعا
يصلح لذلك فاهبط الى الدنيا فاوحى الله تعالى الى موسى عليه السلام يا موسى
لا تركن الى حب الدنيا فلن تاتيني بكبيرة هي اشد عليك منها ومر موسى عليه السلام
برجل وهو يبكي ورجع وهو يبكي فقال موسى عليه السلام يا رب عبدك يبكي من
مخافتك فقال يا ابن عمران لو نزل دماغه مع دموعه ورفع يديه حتى يسقطا
لم اغفر له وهو يحب الدنيا وقال عيسى عليه السلام يا معشر الحواريين ارضوا بدني
الدنيا مع سلامة الدين كما رضي اهل الدنيا بدني الدين مع سلامة الدنيا وفي معناه
قيل شعر
أرى رجالا بادنى الدين قد قنعوا ولا اراهم رضوا في العيش بالدون
فاستغن بالدين عن دنياك كما استغنى الملوك بدنياهم عن الدين — مطلب ست خصال

الآثار

قال علي كرم الله وجهه من جمع ست خصال لم يدع [اي ما ترك] للجنة مطلبا ولا عن النار مهربا
اولها من عرف الله فاطاعه وعرف الشيطان فعصاه وعرف الحق فاتبعه وعرف الباطل — طل
فاتقاه وعرف الدنيا فرفضها وعرف الآخرة فطلبها وقال لقمان لابنه عليهما السلام
ان الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير فلتكن سفينتك تقوى الله تعالى وحشوها
الايمان بالله عز وجل وشراعها التوكل على الله لعلك تنجو وما اراك فيأخذك
ناجيا وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنه الدنيا حانوت الشيطان فلا تسرق من
حانوته شيئا فيجيء في طلبه فيأخذك وقال الفضيل رحمة الله عليه لو كانت
الدنيا من ذهب يفنى والآخرة من خزف يبقى لكان ينبغي لنا ان نختار خزفا يبقى

علي ذهب يفني فكيف وقد اخترنا خزفا يفني علي ذهب يبقي وقال ابو حازم
اياكم والدنيا فانه بلغني انه يوقف العبد يوم القيمة اذا كان معظما للدنيا
فيقال هذا عظم ما حقره الله تعالي وقال ابن مسعود رضي الله عنه ما اصبح
احد من الناس الا وهو ضيف وماله عارية فالضيف مرتحل والعارية
مردودة وقيل شعر وما المال والاهلون الا وديعة ٥ ولا بد يوما ان ترد الودايع
وقيل شعر ومن يحمد الدنيا بعيش يسره ٥ فسوف لعمري عن قليل يلومها ٥ اذا ادبرت
كانت علي المرء حسرة وان اقبلت كانت كثيرا همومها وروي ان عمر رضي الله عنه
لما قدم الشام فاستقبله ابو عبيدة ابن الجراح رضي الله عنه ثم اتي به منزله
فلم ير فيه الا سيفه وترسه ورحله فقال له عمر لو اتخذت متاعا فقال يا امير المومنين
ان هذا يبلغنا المقيل وقال الحسن رضي الله عنه لا تخرج من الدنيا الا بثلث حسرات
انه لم تشبع مما جمع ولم يدرك مما امل ولم يحسن الزاد لما قدم عليه وقيل
لحكيم الدنيا لمن هي قال لمن تركها فقيل الاخرة لمن هي قال لمن طلبها وقال حكيم الدنيا
دار خراب واخرب منها قلب من يعمرها والجنة دار عمران واعمر منها قلب من يطلبها
وقال ابراهيم ابن ادهم رحمة الله عليه لرجل ادرهم في المنام احب اليك ام دينار
في اليقظة فقال دينار في اليقظة فقال كذبت لان الذي تحبه في الدنيا كانك
تحبه في المنام والذي تحبه من الاخرة كانك تحبه في اليقظة وقال الفضيل
رحمة الله عليه الدخول في الدنيا يقين ولكن التخلص منها شديد وقال

يحيي بن معاذ رحمة الله عليه العقلاء ثلث من ترك الدنيا قبل ان تتركه وعمر قبره
قبل ان يدخله وارضي ربه قبل ان يلقاه وقال بكر بن عبد الله من اراد ان يستغني
عن الدنيا بالدنيا كان كمطفي النار بالتبن وقال علي رضي الله عنه الدنيا ستة
اشياء مطعوم ومشروب وملبوس ومركوب ومنكوح ومشموم فاشرف
المطعومات العسل وهو مذقة ذباب واشرف المشروبات الماء يستوي فيه البر والفاجر
واشرف الملبوسات الحرير وهو نسج دود واشرف المركوبات الفرس وهو مخلوق من الريح
وعليه يقتل الرجال واشرف المنكوحات المراة وهي مبال في مبال وقيل شعر هب الدنيا
تساق اليك عفوا اليس مصير ذاك الي انتقال وما دنياك الا مثل في ءاظلك ثم اذن
بالزوال فصل في بيان حقيقتها وماهيتها في حق العبد اعلم ان معرفة
ذم الدنيا لا يكفيك ما لم تعرف الدنيا المذمومة ما هي وما الذي ينبغي ان تكون مذموما مة
فنقول دنياك واخرتك عبارتان عن حالتين من احوالك فالقريب الداني منهما يسمي
دنيا وهو كل ما قبل الموت والاخرة عبارة عن حالتك بعد الموت فكل ما لك فيه حظ ولذة
في العاجل فهو من دنياك الا ان هذا ينقسم ثلاثة اقسام فليس كلها مذموم احدها
ما يصحبك في الاخرة وتبقي ثمرته بعد الموت وهو شيئان العلم والعمل وقد يانس
العالم بالعلم حتي يصير ذلك الذ الاشياء عنده فيهجر النوم والمنكح والمطعم فقد صار
ذلك حظا عاجلا في الدنيا ولكنا اذا ذكرنا المذمومة لم نعد هذا من الدنيا صلا
قلنا انه من الاخرة وكذلك العابد قد يانس بعبادته فيستلذها حتي لا يصبر

عنها فقد صارت الصلوة حظا عاجلا من الحظوظ العاجلة وكل حظ عاجل
فاسم الدنيا ينطلق عليه من حيث الاشتقاق من الدنو ولكنا لسنا نعني بالدنيا
المذمومة ذلك واليه الاشارة بقوله عليه السلام حبب الي من دنياكم ثلث
الطيب والنساء وجعلت قرة عيني في الصلوة فجعل الصلوة من جملة ملاذ
الدنيا وذلك لان كل ما يدخل في الحس والمشاهدة فهو من عالم الشهادة وهو من
الدنيا الا انا في هذا الكتاب لسنا نتعرض الا للدنيا المذمومة فنقول هذه ليست
من الدنيا الثاني هو كل ما فيه حظ عاجل ولا ثمرة في الاخرة اصلا كالتلذذ بالمعاصي
كلها والتنعم بالمباحات الزايدة علي قدر الضرورات والحاجات الداخلة في جملة
الرفاهية والرعونات كالتنعم بالذهب والفضة والخيول والانعام والحرث
والغلمان والجواري والدور والقصور ورفيع الثياب ولذايذ الاطعمة فهذا
كله هي الدنيا المذمومة وفيما يعد فضولا او في محل الحاجة نظر طويل اذ
روي عن عمر انه استعمل ابا الدرداء رضي الله عنهما علي حمص فاتخذ كنيفا انفق
عليه درهمين فكتب اليه عمر الي ابي الدرداء قد كان لك في بناء فارس والروم
ما تكتفي عن عمران الدنيا حين اذن الله بخرابها فاذا اتاك كتابي هذا فسر
الي دمشق فلم يزل بها حتي مات فهذا اراه فضولا من الدنيا فتامل فيه وكل
من كانت معرفته اقوي وايقن كان حذره من نعم الدنيا اشد وحتي ان
عيسي صلوات الله عليه وضع راسه علي حجر لما نام ثم رماه اذ تمثل ابليس وقال

رغبت

رغبت في الدنيا وحتي ان سليمان عليه السلام في ملكه كان يطعم الناس
لذايذ الاطعمة وهو ياكل خبز الشعير فجعل الملك علي نفسه بهذا الطريق امتحانا وشدة
كالصبر علي لذايذ الاطعمة مع القدرة عليها ووجودها اشد ولهذا زوي الله عن نبينا عليه السلام
الدنيا فكان يطوي اياما وكان يشد الحجر علي بطنه من الجوع الثالث هو متوسط بين
الطرفين في كل حظ في العاجل معين علي اعمال الاخرة كقدر القوت من الطعام والقميص
الواحد الخشن ونحوه مما لا بد منه ليتاتي للانسان البقاء والصحة التي بها يتوصل
الي العلم والعمل وهذا ليس من الدنيا كالقسم الاول لانه معين علي القسم الاول ووسيلة
اليه فمهما تناوله العبد علي قصد الاستعانة علي العلم والعمل لم يكن به متناولا
للدنيا ولم يصر به من ابناء الدنيا وان كان باعثه الحظ العاجل دون الاستعانة
علي التقوي والتحق بالقسم الثاني وصار من جملة الدنيا فقد عرفت بهذا ان كل ما ليس لله تعالى
فهو الدنيا وما هو لله تعالي فهو لك ليس من الدنيا فانظر كيف اختلف ذلك بالقصد
فاذا الدنيا حظ نفسك العاجل الذي لا حاجة اليه لامر الاخرة ويعبر عنه بالهوي
واليه الاشارة بقوله تعالي ونهي النفس عن الهوي ومجامع الهوي خمسة امور وهي
ما جمعه الله تعالي في قوله الكريم انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة وتكاثر
في الاموال والاولاد والاعيان التي تحصل منها هذه الخمسة سبعة يجمعها قوله
تعالي زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب
والفضة والخيل المسومة والانعام والحرث ذلك متاع الحيوة الدنيا واعلم ان

ما قلنا كل ما اريد به الله تعالى مما يوخذ بقدر الضرورة من الدنيا لاجل قوة طاعة الله
تعالى وذلك ليس من الدنيا يتبين بمثال وهو ان الحاج اذا حلف انه في طريق الحج
بل يتجرد له ثم اشتغل بحفظ الزاد وعلف الجمل وخرز الراوية وكل ما لا بد للحج منه
لم يحنث يمينه ولم يكن مشغولا بغير الحج فكذلك البدن مركب النفس يقطع بها
مسافة العمر فتعهد البدن مما يبقي به قوته على سلوك الطريق بالعلم والعمل هو
من الاخرة لا من الدنيا لان كل ذلك لا يمكن الا بصحة البدن وصحة البدن لا
تنال الا بقوت وملبس ومسكن ويحتاج الى كل واحد من اسباب المعاش فالقدر
الضروري لا بد له من هذه الثلاثة اذا اخذه العبد من الدنيا للاخرة لم يكن من ابناء
الدنيا وكانت الدنيا في حقه مزرعة الاخرة ومن ههنا يعلم سر قوله صلى الله عليه وسلم
الدنيا مزرعة الاخرة وان اخذ ذلك لحظ النفس وعلى قصد التنعم صار من ابناء
الدنيا والراغبين في حظوظها فهذا بيان حقيقة الدنيا في حقك فصل
في بيان ماهية الدنيا في نفسها واشغالها التي استغرقت همم الخلق حتى انستهم
انفسهم وخالقهم ومصدرهم ومورهم اعلم ان الدنيا عبارة عن اعيان
موجودة وللانسان فيها حظ وله في اصلاحها شغل فهذه امور ثلثة
قد يظن ان الدنيا عبارة عن احادها وليس كذلك اما الاعيان الموجودة
التي الدنيا عبارة عنها فهي الارض وما عليها قال الله تعالى انا جعلنا ما على
الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا فالارض فراش لبني ادم ومهاد

لا يشتغل بغير الحج ع

ومسكن ومستقر وما عليهم لهم ملبس ومطعم ومشرب ومنكح ومركب فهذه
الاعيان التي يعبر عنها بالدنيا وقد جمعها الله تعالى في قوله الكريم زين
للناس حب الشهوات الاية لان ما على الارض ثلثة اقسام المعادن والنبات
والحيوان اما النبات فيطلبه الادمي للاقتيات والتداوي واما المعادن
فيطلبها الادمي للالات والاواني كالنحاس والرصاص والنقد كالذهب والفضة
ولغير ذلك من المقاصد اما البهايم فيطلب لحومها للماكل وظهورها للمركب واما
الانسان فقد يطلب الادمي ان يملك ابدان الناس ليستخدمهم كالغلمان والجواري
فقد جمعها الله تعالى في هذه الاية الكريمة فقوله زين للناس حب الشهوات
من النساء والبنين اشارة الى الانس وقوله القناطير المقنطرة من الذهب
والفضة اشارة الى الجواهر والمعادن والخيل المسومة والانعام والحرث
وهي البهايم والحيوانات والحرث وهو النبات والزرع فهذه اعيان الدنيا الا
ان لها مع العبد علاقتين علاقة مع القلب وعلاقة مع البدن اما علاقتها
مع القلب وهو حبه لها وحظه منها وانصراف همه اليها حتى يصير قلبه كالعبد او
المحب المستهتر بالدنيا ويدخل في هذه العلاقة جميع صفات القلب المتعلقة بالدنيا
كالكبر والحسد والسمعة وسوء الظن والمداهنة وحب الثناء وحب التكاثر
والتفاخر وهذه هي الدنيا الباطنة واما الظاهرة فهي الاعيان التي ذكرناها
واما علاقتها مع البدن وهو اشتغاله باصلاح هذه الاعيان ليصلح

بحظوظه وحظوظ غيره وهي جملة الصناعات والحرف التي الخلق مشغولون بها
والخلق انما نسوا انفسهم ومآبهم ومنقلبهم بالدنيا لهاتين العلاقتين علاقة
القلب بالحب وعلاقة البدن بالشغل ولو عرف نفسه وربه وعرف حكمة
الدنيا وسرها علم ان هذه الاعيان التي سميناها دنيا لم يخلق الا لعلف الدابة
التي نسير بها الى الله تعالى واعني بالدابة البدن فانه لا يبقى الا بمطعم وملبس
ومسكن كما لا يبقى الجمل في طريق الحج لا بعلف وماء وجلال ومثال العبد في
نسيانه نفسه ومقصده مثال الحاج الذي يقف في منازل الطريق و
لا يزال يعلف الناقة ويتعهدها وينظفها ويكسوها الوان الثياب ويحمل
انواع الحشيش ويبرد لها الماء بالثلج حتى تفوته القافلة وهو غافل عن
الحاج وعن مرور القافلة وعن بقائه في البادية وفريسة السباع هو و
ناقته والحاج البصير لا يهمه امر الجمل الا القدر الذي يقوى به على المشي
فيتعهده وقلبه متوجه الى الكعبة والحج وانما يلتفت الى الناقة بقدر
الضرورة وكذلك البصير في سفر الآخرة لا يشتغل بتعهد البدن الا بالضرورة
ولا فرق بين ادخال الطعام من البطن واخراجه من البطن في ان كل واحد منهما
ضرورة البدن ومن كانت همته ما يدخل في بطنه فقيمته ما يخرج من بطنه
واكثر ما شغل الناس عن الله تعالى هو البطن فان القوت ضروري وامر المسكن
والملبس هون ولو عرفوا سبب الحاجة الى هذه الامور لاقتصروا عليه ولم تستغرقهم

اشغال الدنيا ولكنهم جهلوا عن حكمتها وغفلوا عن حظوظهم منها وتتابعت
اشغالها عليهم واتصل بعضها ببعض وتداعت الى غير نهاية محدودة فتاهوا
في كثرة الاشغال ونسوا مقصودهم ومقصدهم فتشعبت بهم الهموم ومن كثرة
الاشغال ومن تشعب به الهموم في اودية الدنيا فلا يبالي الله في اي واد اهلكه
منها بل ينبغي ان يتبع العدل ويراعيه فلا يترك كل شيء من الدنيا ولا يطلب كل
شيء منها بل ياخذ من القوت ما يقوى به البدن على العبادة ومن المسكن ما يحفظ
من اللصوص والحر والبرد ومن الكسوة كذلك حتى اذا فرغ القلب من شغل البدن
اقبل على الله تعالى بكنه همته واشتغل بعبادته الى ان يلقى ربه وهذا احب الامور
الى الله تعالى **فصل** في بيان صفة الدنيا بالامثلة المثال الاول قال الله تعالى
انما مثل الحيوة الدنيا كماء مثلها الله تعالى بالماء ليس له قرار كذلك الدنيا وقيل
لان الماء قليله ينفع وكثيره يضر كذلك الدنيا كثيرها يطغي وقيل لان الماء قصده
نحو السفلى لا الى العليا كذلك الدنيا تطلب الدون والسفلة وقيل لان الماء
يطهر النجاسة كذلك الدنيا اذا انفقها الرجل في سبيل الله تعالى يطهر من الذنوب
وقيل لان الماء يسيل عن الجبال ويستقر في الاوديه كذلك الدنيا تجري عن الاسخياء
وتبقى في ايدي البخلاء المثال الثاني الدنيا سجن المومن وجنة الكافر مثلها
النبي صلى الله عليه وسلم بالسجن يعني هي سجن المومن في جنب ما وعد الله تعالى في الآخرة
من الثواب وجنة الكافر بالنسبة الى ما وعد الله من العقاب وقيل لان المومن

مطلب ابتلاء العبد

مطلب مثل الدنيا

لايخلو فيها كالمسجون في السجن وقيل لايكون للمسجون راحة الي ان يصل الي
اهله ووطنه وكذلك المومن لايكون له راحه وسرور حتي يصل الي اهله
ووطنه في الاخرة وقيل المسجون يرسل كل شي يصل اليه الي اهله ومنزله
كذلك ينبغي للمومن ان يقدم ماله بين يديه وقيل حيلة المسجون ان يتوسل بمن
يكون اقرب الي الامير ليشفع له كذلك حيلة المومن ان يتوسل بالاولياء والصالحين
ليدعوا اليه وقيل حيلة المسجون التضرع والدعاء والصلوة والصدقة وكذلك
ينبغي حال المومن في الدنيا قال بعضهم مثل الدنيا كمثل الظل من حيث يعتقد
سكونها وهي سايرة كما قال الشاعر احلام نوم او كظل زايل ۞ ان اللبيب بمثلها لا يخدع ۞
الثالث قال بعضهم مثلها مثل احلام النايم من حيث تخيلها والافلاس عنها
وان الرجل يري في منامه مايكره ومايحب فبينما هو كذلك اذا انتبه فكذلك الناس
ينام فاذا ماتوا انتبهوا فاذا ليس في ايديهم شيء منها ركنوا اليه وفرحوا به الرابع
قال بعضهم مثلها مثل العجوز الشوهاء مزينة الظاهر قبيحة السراير تخدع الناس
بظاهرها فاذا القت نقابها عن وجهها ووقفوا على باطنها فندموا على
اتباعها وخجلوا من ضعف عقولهم في الاغترار بظاهرها الخامس قال بعضهم الدنيا
قنطرة فاعبروها ولا تعمروها وهذا مثال واضح فان الحيواة معبر الي الاخرة
والمهد هو الميل الاول على راس القنطرة واللحد هو الميل الاخر وبينهما مسافة
محدودة فمن الناس من قطع نصف القنطرة ومنهم من قطع ثلثها ومنهم من قطع

ثلثيها ومنهم من لم يبق له الا خطوة واحدة وهو غافل عنها وكيف ما كان فلا بد له
من العبور والبناء على القنطرة وتزيينها بانواع الزينة غاية الجهل والحمق
والخذلان السادس قال بعضهم ان الخوض في الدنيا سهل والخروج منها مع
السلامة شديد وقد كتب علي رضي الله عنه الي سلمان الفارسي رضي الله عنه
مثل الدنيا مثل الحية يلين مسها ويقتل سمها السابع قال بعضهم قال
صلى الله عليه وسلم مثل صاحب الدنيا كمثل الماشي في الماء هل يستطيع ان يمشي
في الماء الا ابتل قدماه وهذا يعرفك جهالة قوم ظنوا انهم يخوضون في نعيم الدنيا
بابدانهم وقلوبهم عنها مطهرة وذلك مكيدة من الشيطان فكما ان المشي في الماء
يقتضي بللا لا محالة يلتصق بالقدم فذلك ملابسة الدنيا تقتضي علاقة
وظلمة في القلب بل علاقة الدنيا مع القلب تمنع حلاوة العبادة الثامن وقال
بعضهم في مثالها لما بقي منها وقلته بالاضافة الي ما سبق قال رضي الله عنه
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم مثل هذه الدنيا مثل ثوب شق من اوله
الي اخره فبقي متعلقا بخيط في آخره فيوشك ذلك ان ينقطع التاسع قال عيسي
عليه السلام طالب الدنيا مثل شارب ماء البحر كلما ازداد شربا ازداد عطشا
حتي يقتله العاشر قال بعضهم الدنيا كالخانات يرتحل واحد وينزل واحد
وقال بعضهم الدنيا كالمراة المسافحة (الزانية) متزوجها مذموم نادم ومطلقها
محمود سالم وقال سليمان عليه السلام الدنيا كالناووس (نجاس) نقي ظاهره منتن

داخله وقال بعضهم الدنيا خضراء الدمن الحادي عشر قال بعضهم مثل اهل
الدنيا في الدنيا مثل ذباب على قصعة فيها عسل فوقع فيها يطلب الاكل
فعلق بجناحيه فقتله والاخر قربه قد نال من بعض فنال حاجته ورجع
سالما الثاني عشر قال بعضهم مثلهم مثل دود القز ينسج على نفسه بجهله حتى
لا يكون له مخلص فيقتل نفسه ويصير القز لغيره والتعب لنفسه وهذا حقيقة
حال المكتسب الذي هلكه اهله وماله فلا يدري اي الحسرتين عليه اعظم اذهاب
عمره لغيره وانظره الى ماله في ميزان غيره الثالث عشر قال بعضهم مثل الدنيا مثل
العذرة وكما ان الطعام كلما كان الذ طعما واكثر دسما واظهر حلاوة كان رجيعه
اقذر واشد نتنا فكذلك كل شهوة في القلب هي اشهى والذ والتذاذ بها عند
الموت اشد بل هي في الدنيا مشاهدة فان من نهبت داره واخذ اهله وماله
وولده فيكون مصيبته والمه وتفجعه في كل ما فقد بقدر لذته به وحبه
له وحرصه عليه فكل ما كان عند الوجود اشهى والذ فهو عند الفقدان ادهى وامر
ولا معنى للموت الا فقد ما في الدنيا ونرجع الى ما قلنا ان مثل الدنيا كمثل العذرة
قال الله تعالى فلينظر الانسان الى طعامه قال ابن عباس رضي الله عنه الى رجيعه
ان الله تعالى ضرب مثل الدنيا لما يصير اليه طعام ابن آدم وقال رجل لابن
عمر رضي الله عنهما اني اريد ان اسالك واستحيي واسال قال اذا قضى
احدنا حاجته وقام ينظر الى ذلك الذي خرج منه قال نعم ان الملك يقول

انظر

انظر هذا الذي بخلت به الى ما صار قال يحيى بن معاذ رضي الله عنهما
الدنيا خمر الشيطان من سكر منها لم يفق الا في عسكر الموتى نادما بين النادمين
الرابع عشر مثل اهل الدنيا فيما اعطوا من الدنيا مثل رجل هيا دارا وزينها
لضيافة الواردين والصادرين فدخل واحد اليها فقدم اليه طبق من
ذهب وعليه بخور ورياحين يشمها ويترك الطبق وظن انه وهب منه فتعلق به
قلبه فلما استرد منه تالم وتوجع ودخل آخر على الرسم ولم يتعلق به قلبه
فلما استرد منه رده بانشراح صدر فكذلك من عرف سنة الله في الدنيا علم
انها دار ضيافة سبلت على المجتازين لا على المقيمين ليتزودوا منها وينتفعوا
بما فيها كما ينتفع المسافرون بالعواري ولا يصرفون اليها كل قلوبهم حتى تعظم
مصيبتهم عند فراقها وقال الشاعر ارى طالب الدنيا وان طال عمره ونال
من الدنيا سرورا وانعما . كبان بنى بنيانا فاقامه . فلما استوى ما قد بناه تهدما
فهذه امثلة الدنيا وآفاتها وها تم الكتاب كتاب
ذم البخل وحب المال اعلم ان فتن الدنيا كثيرة لكن الاموال اعظم فتنتها
واطم محنها واعظم فتنة فيها انه لا غنى عنها ثم اذا وجدت فلا سلامة
منها فان فقد المال حصل منه الفقر الذي كاد ان يكون كفرا وان وجد
حصل منه الطغيان الذي لا يكون عاقبته الا خسرا وبالجملة فهي لا تخلو من
الفوائد والآفات وتمييز خيرها عن شرها من المغوصات وشرح ذلك

منهم على الانفراد فان ما ذكرناه في كتاب ذم الدنيا لم يكن نظراً في المال خاصة
بل في الدنيا عامة والدنيا تينا ولكل حظ والمال بعض اجزاء الدنيا والجاه
بعضها واتباع شهوة البطن والفرج بعضها والغضب والحسد بعضها والكبر
وطلب العلو بعضها ولها ابعاض كثيرة ويجمعها كلما للانسان فيه حظ عاجل
ونظرنا الآن في هذا الكتاب في المال وحده اذ فيه افات وغوايل وللانسان
من فقده صفة الفقر ووجوده وصف الغنى وهما حالتان يحصل بهما الاختبار
والامتحان ثم للفاقد حالتان القناعة والحرص واحديهما مذمومة
والاخرى محمودة وللحرص حالتان طمع فيما في ايدي الناس وتشمر للحرف والصناعات
مع الياس عن الخلق والطمع شر الحالتين وللواجد حالتان احدهما مذمومة و
الاخرى محمودة امساك بحكم البخل والشح وانفاق بحكم الايثار والسخاء فهذه
امور متشابهة وكشف الغطاء عنها مهم ونحن نشرح ذلك في اربعة فصول
وهو بيان ذم الدنيا ومدحه وفوايده وافاته ثم مدح القناعة ثم ذم الحرص
والطمع وعلاجها ثم فضيلة السخاء وذم البخل وحدهما وعلاج البخل وحكايات
الاسخياء والبخلاء ثم مجموع الوضايف في المال وبيان ذم الغنا ومدح الفقر

فصل في بيان ذم المال ومدحه وفوايده وافاته اما ذم المال وكراهة
حبه فقد قال الله تعالى يا ايها الذين امنوا لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم
عن ذكر الله الى قوله هم الخاسرون وقال انما اموالكم واولادكم فتنة وقال

من كان يريد الحيوة الدنيا وزينتها الآية وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم
حب المال والشرف ينبتان النفاق كما ينبت الماء البقل وقال ما ذيبان
ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا فيها من حب المال في دين الرجل
المسلم وقيل يا رسول الله اى امتك شر قال الاغنياء سيأتي بعدكم
قوم ياكلون اطايب الدنيا والوانها وينكحون اجمل النساء والوانها ويلبسون
الين الثياب والوانها ويركبون فره الخيول والوانها لهم بطون من القليل لا تشبع
وانفس بالكثير لا تقنع عاكفين على الدنيا يغدون ويروحون اليها اتخذوها آلهة
من دون الههم وربا من دون ربهم الى امرهم ينتهون وهواهم يتبعون فعزيمة من محمد
لمن ادركه ذلك الزمان ان لا يسلم عليهم ولا يعود مرضاهم ولا يعود جنايزهم
فمن فعل ذلك فقد اعان على هدم دين الاسلام وقال رجل يا رسول الله
مالي لا احب الموت فقال هل معك من مال قال نعم قال قدم مالك فان المؤمن مع
ماله ان قدمه احب ان يلحقه وان خلفه احب ان يتخلف معه وقال اذا
مات العبد قالت الملائكة ما قدم ويقول الناس ما خلف وقال اخلاء ابن
آدم ثلثة واحد يتبعه الى قبض روحه فهو ماله والثاني يتبعه الى قبره فهو
اهله والثالث الى محشره وهو عمله وكل ما اوردنا في كتاب الزهد والفقر يرجع
جميعه الى ذم المال فلا نطول بتكريره الاثار روي ان رجلا من على ابي
الدرداء رضي الله عنه واراه سوءا فقال اللهم من فعل بي سوءا فاصح

جسمه واطل عمره واكثر ماله فانظر كيف راي كثرة المال غاية البلاء مع
صحة الجسم وطول العمر لانه لا بد وان يفضي الي الطغيان **وقال** الحسن
رضي الله عنه والله ما اعز الدرهم احدا الا اذله الله **وقيل** ان اول
ما ضربت الدنانير والدراهم رفعهما ابليس ثم وضعهما علي جبهته
ثم قبلهما وقال من احبكما فهو عبدي حقا **وروي** ان محمد بن كعب القرظي
رحمه اصاب مالا كثيرا فقيل لو ادخرته لولدك من بعدك قال ولكني
ادخره لنفسي عند ربي وادخر ربي لولدي ويروي ان رجلا قال
لابي عبد الرب رحمه الله يا اخي لا تذهب بشر وتترك اولادك بخير فاخرج
ابو عبد الرب من ماله الف درهم **قيل** من اعز فلسه اذل نفسه **وقال**
يحيي بن معاذ رضي الله عنهما الدرهم عقرب فان لم تحسن رقيته فلا
تاخذه والا قتلك سمه وقيل ما رقيته قال اخذه من حله ووضعه في حقه
وقال يحيي بن معاذ رضي الله عنهما مصيبتان لم تسمع الاولون والاخرون
بمثلهما للعبد في ماله عند موته وقيل وما هما قال يوخذ منه كله ويسال
عنه كله لهذا مات عمر بن العبد العزيز رحمة الله عليه وكان عنده ثلثة عشر
من الولد وما ترك لهم دينارا ولا درهما فقيل له عند موته صنعت
صنيعا لم يصنعه احد قبلك تركتا ولادا ليس لهم درهم ولا دينار
فقال اقعدوني فاقعدوه فقال اني لم امنعهم حقا لهم ولم اعطهم حقا

مطلب الدرهم لا الدنانير

لو ه

لغيرهم وانما ولدي احد رجلين اما مطيع لله فالله كافيه وهو يتولي الصالحين
واما عاص لله فلا ابالي علي ما وقع واما مدحه فاعلم ان الله تعالي قد سمي
المال خيرا في مواضع كقوله ان ترك خيرا الوصية الاية **وقال** صلي الله
عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح وكل ما جاء في ثواب الصدقة
والحج فهو ثناء علي المال لا يمكن الوصول اليه الا به **وقال** تعالي ويستخرجا
كنزهما رحمة من ربك **وقال** تعالي ممتنا علي عباده ويمددكم باموال وبنين
ويجعل لكم جنات ويجعل لكم انهارا **وقال** عليه السلام كاد الفقر ان يكون
كفرا وهو ثناء علي المال ولا تقف علي وجه الجمع بين المدح والذم الا بان تعرف
حكمة المال ومقصوده وافاته وغوايله حتي ينكشف لك انه خير من وجه
وشر من وجوه وانه محمود من حيث هو خير ومذموم من حيث هو شر فانه ليس
بخير محض ولا هو شر محض بل هو سبب للامرين جميعا وما هذا وصفه فيمدح
لا محالة مرة ويذم اخري ولكن البصير المميز يدرك ان المحمود غير المذموم وبيانه
بالاستمداد مما ذكرناه في كتاب الشكر من بيان الخيرات وتفصيل درجات النعم
والقدر المقنع فيه هو ان مقصد الاكياس وارباب البصاير سعادة الاخرة
التي هي النعيم الدايم والملك المقيم وهذه السعادة لا تنال الا بثلث وسايل
في الدنيا وهي الفضايل النفسية كالعلم وحسن الخلق والفضايل البدنية
كالصحة والسلامة والفضايل الخارجية عن البدن كالمال وساير الاسباب.

واعلاها النفسية ثم البدنية ثم الخارجية فالخارجية اخسها والمال من
جملة الخارجيات وادناها الدراهم والدنانير فانهما خادمان ولا خادم لهما
ومرادان لغيرهما ولا يرادان لذاتهما اذ النفس هو الجوهر الشريف المطلوب
سعادتها وانها تخدم العلم والمعرفة ومكارم الاخلاق ليحصلها صفة في
ذاتها والبدن يخدم النفس بواسطة الحواس والاعضاء والمطاعم والملابس
تخدم البدن وقد سبق ان المقصود من المطاعم ابقاء البدن ومن المناكح
ابقاء النسل ومن البدن تكميل النفس وتزكيتها بالعلم والخلق ومن عرف
هذا الترتيب فقد عرف قدر المال ووجه شرفه فانه من حيث هو ضرورة
بقاء البدن التي هي ضرورة كمال النفس خير فمن اخذ من الدنيا ما يزيد على قدر
الكفاية وجعل المال آلة ووسيلة الى مقاصد المضادة عن سعادة الآخرة
ويسد سبيل العلم والعمل فهو اذا شر في حقه ولما كانت الطباع مايلة
الى اتباع الشهوات القاطعة لسبيل الله تعالى وكان المال مسهلا لها وآلة
فيها اعظم الخطر على قدر الكفاية لهذا استعاذ الانبياء عليهم السلام
من شره حتى قال نبينا صلى الله عليه وسلم اللهم اجعل قوت آل محمد كفافا
فلم يطلب من الدنيا الا ما يتمحض خيره وقال اللهم احيني مسكينا وامتني
مسكينا وقال تعس عبد الدنيا وتعس عبد الدرهم تعس وانتكس واذا
شيك فلا انتقش وقال ابرهيم عليه واجنبني وبني ان نعبد الاصنام

اي الحجر

مطلب الشرك

اي الحجر من الذهب والفضة اذ رتبة النبوة اجل من ان يخشى على اعتقاد
الهية الاصنام وانما عنى بعبادتهما حبهما والاغترار بهما والركون اليهما وهذا
شرك فالشرك شركان شرك خفي لا يوجب الخلود في النار وقل ما ينفك عنه المؤمنون
وشرك جلي يوجب الخلود في النار واما آفاته وفوايده فاعلم ان المال مثل حية
فيها سم وترياق ففوايده ترياقه وآفته سمومه فمن عرف غوايله وفوايده
امكنه ان يحترز من شره ويستدر من خيره اما الفوايد فانها تنقسم الى دنيوية
والى دينية اما الدنيوية فكثيرة منها الخلاص من ذل السوال وحقارة الفقر
والوصول الى العز والمجد بين الخلق وكثرة الاعوان والاخوان والاصدقاء
والوقار والكرامة في القلوب وكل ذلك مما يقتضيه المال الحظوظ من الدنيوية
اما الدينية فينحصر جميعها في ثلثة انواع الاول ان ينفقه على نفسه اما في عبادة
والاستعانة على العبادة اما في العبادة فهو كالاستعانة به على الحج والجهاد فانه
لا يتوصل اليهما الا بالمال واما فيما يقويه على العبادة وذلك هو المطعم والملبس
والمسكن والمنكح وضرورات المعيشة الثاني ما يصرفه الى الناس وهي اربعة
اقسام الصدقة والمروة ووقاية العرض واجرة الاستخدام اما الصدقة
فلا يخفى ثوابها وقد ذكرنا فضايلها في كتاب الزكوة واما المروة فهي صرف
المال الى الاغنياء والاشراف في ضيافة وهدية واعانة وما يجري مجراه
فانها دون الصدقة اذ الصدقة تسلم الى المحتاج فقط وهذا ايضا

لما يعظم الثواب فيه فقد ورد اخبار كثيرة في الهدايا والضيافات واطعام
الطعام واما وقاية العرض فبذل المال لدفع هجو الشعراء وسفاهة السفهاء
وقطع السنتهم ودفع شرهم فهو ايضا من الحظوظ الدينية قال رسول الله صلي
الله عليه وسلم ما وقي به المؤمن عرضه كتب له صدقه واما الاستخدام فهو
ان الاعمال التي يحتاج اليها الانسان لتهيئة اسبابه كثيرة ولو تولاها بنفسه
ضاعت اوقاته وتعذر عليه سلوك سبيل الاخرة بالفكر والذكر ومن لا مال له
فيفتقر الي ان يتولي بنفسه خدمة نفسه من شرى الطعام وطبخه وكنس البيت
وكل ما يتصور ان يقوم به غيرك ويحصل غرضك فانت مغبون اذا اشتغلت
به اذ عليك من العلم والعمل والفكر والذكر ما لا يتصور ان يقوم به غيرك
فتضييع الوقت في غيره خسران الثالث ما لا يصرفه الي انسان معين ولكن
ويحصل به خير عام كبناء المساجد والقناطر والرباطات ودار المرضي ونصب
اجباب الطرق وغير ذلك من الخيرات المؤبدة بعد الموت المستجلبة بركة
ادعية الصالحين الي اوقات المتمادية فهذه فوايد المال في الدين اما الافات
فدينية ودنياوية اما الدينية فثلاثة الاولي ان يجر الي المعاصي والعجز
قد يحول بين المرء وبين المعصية الثانية ان يجر الي التنعم في المباحات
ويجره البعض واذا اشتد انسه به ربما لا يقدر علي التوصل اليه بالكسب الحلال
فيقتحم الشبهات ويخوض في الكذب والمداهنة وساير الاخلاق الردية

لينتظم

لينتظم له امر دنياه ويتيسر له تنعمه الثالثة وهي التي لا ينفك عنها احد
وهو انه يلهيه اصلاح ماله عن ذكر الله تعالي وكل ما شغل العبد عن الله تعالي
وهو خسران فاصل العبادات ومخها وسرها ذكر الله تعالي والتفكر في جلاله
وذلك يستدعي قلبا فارغا وصاحب الضيعة يمسي ويصبح متفكرا في خصومة
الفلاح ومحاسبته وفي خصومة الشركاء ومنازعتهم وخصومة الاجراء
علي التقصير في العبادة وخصومة العمال في خيانتهم وكذا التاجر وساير
اصناف اصحاب الاموال واودية افكار اهل الدنيا لا نهاية لها والذي معه قوت
يومه في سلامة عن جميع ذلك واما الدنيوية فهو ما يقاسيه ارباب الاموال
في الدنيا من الخوف والحزن والغم والهم والتعب في دفع الظالم والحاسد وتجشم
المصاعب في حفظ الاموال وكسبها فاذا ترياق المال اخذ القوت وصرف
الباقي الي الخيرات وما عداه سموم وافات فصل في مدح القناعة وذم
الحرص والطمع وعلاجها اعلم ان الادمي جبل علي الحرص والطمع والقناعة
واليه الاشارة بقوله صلي الله عليه وسلم لو كان لابن ادم واديان
من ذهب لابتغي لها ثالثا ولا يملأ جوف ابن ادم الا التراب وقوله يهرم ابن
ادم ويشيب منه اثنان الامل وحب المال ولما كانت هذه الجبلة للادمي
مضلة وغريزة مهلكة اثني الله تعالي ورسوله علي القناعة فقال
صلي الله عليه وسلم طوبي لمن هدي الي الاسلام وكان عيشه كفافا

وقنع به وقال ما من احد غني ولا فقير الا ود يوم القيمة انه كان اوتي
قوتا في الدنيا ونهى صلى الله عليه وسلم عن الطمع فيما رواه ابو ايوب الانصاري
رضي الله عنه ان اعرابيا اتى النبي صلى الله عليه وسلم فقال يا رسول الله
عظني واوجز فقال اذا صليت فصل صلوة مودع ولا تحدثن بحديث
يعتذر منه غدا واجمع مما في ايدي الناس وقال عمر رضي الله عنه
ان الطمع فقر وان اليأس اغنى فهذا ذم الحرص والطمع واما علاجها فخمسة
امور الاول الاقتصاد في المعيشة والرفق في الانفاق وقال صلى الله
عليه وسلم ما عال من اقتصد وقال التدبير نصف العيش وقال من
اقتصد اغناه ومن بذر افقره الله ومن ذكر الله احبه الله الثاني
ترك الحرص في الاكتساب قال صلى الله عليه وسلم اجملوا في الطلب فانه
ليس لعبد الا ما كتب له بل ينبغي ان يعلم ان الرزق الذي قدر له لا بد
وان يأتيه وان لم يشتد حرصه وان شدة الحرص ليس هو السبب لوصول
الارزاق بل ينبغي ان يكون واثقا بوعد الله تعالى اذ قال تعالى وما من
دابة في الارض الا على الله رزقها الثالث ان يعرف ما في القناعة
من العز وما في الطمع والحرص من الذل فاذا تحقق ذلك عنده انبعث رغبته
الى القناعة لانه في الحرص لا يخلو من تعب وفي الطمع لا يخلو من ذل وليس
في القناعة الا الم الصبر عن الشهوات والفضول وهذا لا يطلع عليه

احد وفيه ثواب الآخرة الرابع ان يتفكر في تنعم اليهود والنصارى واراذل
الناس ومن لا دين لهم ولا عقل ثم ينظر الى احوال الانبياء والاولياء عليهم
السلام والى سمت الصحابة والتابعين لهم رضوان الله عليهم اجمعين ويخير
عقله بين ان يكون على مشابهة اراذل الخلق وعلى الاقتداء بمن هو اعز
اصناف الخلق عند الله تعالى حتى يهون عليه بذلك الصبر على القناعة
باليسير فانه ان تنعم في البطن فالحمار اكثر اكلا منه وان تنعم في الوقاع فالخنزير
اعلى رتبة منه وان تزين في الملبس والخيل ففي اليهود من هو اعلى منه وان
قنع بالقليل ورضي به لم يشاركه في رتبته الا الاولياء والانبياء عليهم السلام
الخامس ان يتفهم ما في جمع المال من الخطر والخوف من السرقة والنهب والضياع ع
وما في خلو اليد من الامن والراحة ويتأمل ما ذكرناه من آفات المال مع ما يفوته
من المدافعة عن باب الجنة الى خمسمائة عام وانه اذا لم يقنع بما يكفيه التحق
بزمرة الاغنياء واخرج عن جريدة الفقراء الذين قال صلى الله عليه وسلم
واحشرني في زمرة المساكين فبهذه الامور يقدر على الاكتساب القناعة وعماد
الامر الصبر وقصر الامل وان يعلم ان غاية صبره في الدنيا ايام قلائل للتمتع دهورا دا
طويلة فيكون كالمريض الذي يصبر على مرارة الدواء لشدة طمعه في انتظار
الشفاء فصل في فضيلة السخاء وذم البخل وحدهما وعلاج البخل
وحكايات الاسخياء اما فضيلة السخاء فاعلم ان المال ان كان مفقودا
فينبغي ان يكون حال العبد القناعة وقلة الحرص وان كان موجودا فينبغي

ان يكون حاله الايثار والسخاء وهو من اخلاق الانبياء عليهم السلام
وهو اصل من اصول النجاة وعنه عبر النبي صلى الله عليه وسلم حيث قال
السخاء شجرة من شجر الجنة اغصانها متدلية الى الارض فمن اخذ منها غصناً
قاده ذلك الغصن الى الجنة **وقال** عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال
صلى الله عليه وسلم خلقتان يحبهما الله وخلقتان يبغضهما الله
فاما اللذان يحبهما الله فحسن الخلق والسخاء واما اللذان يبغضهما الله
فسوء الخلق والبخل واذا اراد الله بعبد خيراً استعمله على قضاء حوايج
الناس **وقال** طعام الجواد دواء وطعام البخيل داء **وقال** الجنة دار
الاسخياء **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم ان
السخي قريب من الله قريب من الناس قريب من الجنة بعيد من النار ان البخيل
بعيد من الله بعيد من الناس بعيد من الجنة قريب من النار وجاهل سخي
احب الى الله من عابد بخيل **الاثار** قال علي رضي الله عنه اذا اقبلت الدنيا
فانفق منها فانها لا تفني واذا ادبرت عنك فانفق منها فانها لا تبقى
وقال قال ابن السماك عجبت لمن يشتري المماليك بماله ولا يشتري الا
حرار بمعروفه **وقال** علي ابن الحسين رضي الله عنهما من وصف ببذل
ماله لطلابه لم يكن سخياً وانما السخي من يبتدي بحقوق الله في اهل
طاعته ولا تنازعه نفسه الى حب الشكر له اذا كان يقينه بثواب
الله تاماً وراى احنف بن قيس رجلاً في يده درهم فقال لمن هذا الدرهم

فقال لي فقال اما انه ليس لك حتى يخرج من يدك **وقال** لبعض الحكماء من احب
الناس اليك قال من كثرت اياديه عندي وكثرت ايادي عنده فهذا مدح السخاء
واما ذم البخل قال الله تعالى ولا تحسبن الذين يبخلون بما اتاهم الله من
فضله هو خيراً لهم بل هو شر لهم سيطوقون ما بخلوا به يوم القيمة **قال**
صلى الله عليه وسلم اياكم والشح فانه اهلك من كان قبلكم حملهم على ان سفكوا
دماءهم ويستحلوا محارمهم **وروي** ان رسول الله صلى الله عليه وسلم
كان يطوف بالبيت فاذا رجل متعلق باستار الكعبة وهو يقول بحرمة هذا
البيت الا غفرت لي قال وما ذنبك صفه لي قال هو اعظم من ان اصفه قال
ويحك ذنبك اعظم ام الارضون والجبال قال بل ذنبي يا رسول الله قال صف لي
ذنبك قال اني رجل ذو ثروة من المال وان السائل ليأتيني فكانما يستقبلني بشعلة
من نار فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اليك عني لا تحرقني بنارك فوالذي
بعثني رسولاً لو قمت بين الركن والمقام ثم صليت الفي الف عام وبكيت حتى تجري
من عيونك العيون وانت بخيل لئيم لكبك الله في النار اما علمت ان السخاء من
الايمان والايمان في الجنة والبخل من الكفر والكفر في النار ثم قرا ومن يوق شح
نفسه فاولئك هم المفلحون **الاثار** قال ابن عباس رضي الله عنهما لما خلق الله
جنة عدن قال تزيني فتزينت فنظر اليها فقال لها تكلمي فقالت طوبى لمن دخلني
فقال الله عز وجل لا اسكنتك بخيلاً **وقال** محمد بن المنكدر رحمه الله كان يقال

فقال خصلتان لا يجتمعان في مؤمن البخل وسوء الخلق ع

لهم

اذا اراد الله بقوم شرًا امّر عليهم شرارهم وجعل ارزاقهم بايدي بخلا
وقال عبد الله عمر رضي الله عنهما الشح اشدّ من البخل لان الشحيح هو الذي
يشح ما في يد غيره حتى يأخذه ويشحّ بما في يده فيحبسه والبخيل هو الذي
يبخل بما في يده وقال كعب ما من صباح الا وقد وكّل به ملكان يناديان
اللهم عجّل لممسك تلفا ولمنفق خلفا وقال الاصمعي رحمة الله عليه سمعت
اعرابيا يقول قد صغر فلان في عيني لعظم الدنيا في عينه وكانه يرى السائل
اذا اتاه كذا يراه ملك الموت اذا اتاه وقال بشر بن الحارث البخيل لا غيبة
له ومدحت امراة عند النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا صوامة قوامة الا
ان فيها بخلا قال فما خيرها اذن وقال بشر رحمة الله عليه النظر الى
البخيل يقسي القلب وقال يحيى بن معاذ رضي الله عنهما ما في القلب للاسخياء
الا حبا ولو كانوا فجارا وللبخلاء الا بغضا ولو كانوا ابرارا وقال ابن
المعتز رحمة الله ابخل الناس بماله اجودهم بعرضه فهذه ذم البخل واما
حدّ السخاء والبخل وحقيقتهما فاعلم ان البخل من المهلكات وقد عرف هذا
بشواهد الشرع ولكن لعلك تقول ما حدّ البخل وبماذا يصير الانسان
بخيلا وما من انسان الا يرى نفسه سخيا وربما يراه غيره بخيلا فما البخل
الذي يوجب الهلاك وما حدّ السخاء الذي يستحق العبد به صفة
السخاوة وثوابها فنقول قد قال القائلون حدّ البخل منع الواجب

يستصعب

فكل من ادّى ما يجب عليه فليس ببخيل وقال قائلون البخيل هو الذي العطية
وكذلك تكلموا في الجود فقيل الجود عطاء بلا منّ واسعاف بلا روية و
قيل الجود السرور بالسائل والفرح بالعطاء لما امكن وقيل الجود عطاء
على رؤية ان المال لله تعالى والعبد لله فيعطي مال الله عبد الله على غير
رؤية الفقر وقيل من اعطى البعض وابقى البعض فهو صاحب سخاء ومن بذل
الاكثر وابقى لنفسه شيئا فهو صاحب جود ومن قاسى الضر واثر غيره بالبلغة
فهو صاحب ايثار ومن لم يبذل شيئا فهو صاحب بخل وجملة هذه الكلمات غير
محيطة بحقيقة البخل والجود بل نقول المال خلق لحكمة ومقصود وهو
صلاحه لحاجات الخلق ويمكن امساكه عن الصرف الى ما خلق للصرف اليه
ويمكن بذله بالصرف الى ما لا يحسن الصرف اليه ويمكن التصرف فيه بالعدل
وهو ان يحفظ حيث يجب الحفظ ويبذل حيث يجب البذل فالامساك بحيث
يجب البذل بخل والبذل حيث يجب الامساك تبذير وبينهما وسط هو المحمود
وينبغي ان يكون السخاء والجود عنه اذ لم يؤمر الرسول عليه السلام الا
بالسخاء وقد قيل له ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها
كل البسط وقال تعالى والذين اذا انفقوا لم يسرفوا ولم يقتروا فالجود
وسط بين الاسراف والاقتار وبين البسط والقبض وهو ان يقدر بذ له
وامساكه بقدر الواجب لا يكفي ان يفعل ذلك بجوارحه ما لم يكن قلبه

طيبا به غير منازع له فيه فان بذل في محل وجوب البذل ونفسه تنا زعه
وهو يصابرها فهو متسخي وليس بسخي فان قلت فقد صار هذا موقوفا
معرفة الواجب فيما الذي يجب بذله فاقول الواجب قسمان واجب
بالشرع وواجب بالمروة والعادة والسخي الذي لا يمنع واجب الشرع ولا واجب
المروة فان منع واحدا منهما فهو بخيل ولكن الذي يمنع الواجب الشرع ابخل
كالذي يمنع اداء الزكوة ويمنع عياله واهله النفقة او يؤديها ولكن يشق
عليه فانه بخيل بالطبع وانما يسخي بالتكلف والذي يتيمم الخبيث من ماله
ولا يطيب له ان يعطي من اطيب ماله ومن وسطه فهذا كله بخل واما واجب
المروة فهو ترك المضايقة والاستقصاء في المحقرات فان ذلك مستقبح
واستقباح ذلك يختلف بالاحوال والاشخاص فمن كثر ماله يستقبح
من الفقير من المضايقة في المتابعة والمعاملة والضيافة والثياب
وغير ذلك فهذه بيان حد السخاء والبخل واما علاج البخل فاعلم ان البخل
سببه حب المال ولحب المال سببان احدهما حب الشهوات التي لا وصول
اليها الا بالمال مع طول الامل فان الانسان لو علم انه يموت بعد يوم
ربما كان لا يبخل بماله الثاني ان يحب عين المال فمن الناس من معه اموال
كثيرة ولا تسمح نفسه باخراج الزكوة ولا بمداواة نفسه عند المرض ولا با
لاكل في الصحة بل صار محبا لها يلتذ بوجودها في يده وهذا مرض عظيم

للقلب عسير العلاج لا سيما في كبر السن وهو مرض مزمن لا يرجى علاجه فهذه
اسباب حب المال واما العلاج لكل مرض فبمضادة سببها فيعالج حب الشهوات
بالقناعة باليسير وبالصبر ويعالج طول الامل بكثرة ذكر الموت والنظر في موت
الاقران وطول تعبهم في جمع المال وضياعه بعدهم ويعالج التفات القلب الي
الولد بان الذي خلقه خلق معه رزقه وكم من ولد لم يرث من ابيه مالا
وحاله احسن ممن ورث وبانه يعلم انه يجمع المال لولده يريد ان يترك ولده
بخير وينقلب الي شر وان ولده ان كان تقيا صالحا فالله كافيه وان كان فاسقا
فيستعين بماله علي المعصية وترجع مظلمته اليه ويعالج ايضا قلبه في
كثرة التامل في الاخبار الواردة في ذم البخل ومدح السخاء ومن الادوية
النافعة كثرة التامل في احوال البخلاء ونفرة الطبع عنهم واستقباحه لهم
فانه ما من بخيل الا ويستقبح البخل من غيره فيعلم انه مستقبح في قلوب الناس
مثل ساير البخلاء في قلبه ويعالج ايضا قلبه بان يتفكر في مقاصد المال وانه
لماذا خلقت فلا يحفظ من المال الا بقدر حاجته والباقي يدخره لنفسه بان
يحصل ثواب بذله ولا تزول صفة البخل الا بالبذل تكلفا كما لا يزول
العشق الا بمفارقة المعشوق بالسفر تكلفا فكذلك من يعالج البخل ينبغي
ان يفارق المال تكلفا بان يبذله ولو علي قصد الريا فيكون قد ازال عن
نفسه خبث البخل واكتسب لها خبث الريا ولكن ينعطف بعد ذلك علي الريا

ويزيل بعلاجه الان هذا مفيد في حق من كان البخل اغلب عليه من الريا
فيبدل الاقوي بالاضعف ومثال دفع هذه الصفات بعضها ببعض
ما يقال ان الميت يستحيل جميع اجزائه دودا ثم ياكل بعض الديدان
بعضا حتي يرجع الي اثنين عظيمين قويين ثم لا يزالان يتقاتلان
حتي يغلب احدهما الاخر فياكله ثم لا يزال يبقي جايعا الي ان يموت فكذلك
هذه الصفات الخبيثة يمكن ان يسلط بعضها علي بعض حتي يقمعها
فيجعل الاضعف قوتا للاقوي الي ان لا يبقي الا واحدة ثم تقع العناية
بمحوها وادابتها بالمجاهدة وهو منع القوت عنها ومنع القوت عن الصفات
لا يعمل بمقتضاها وانها لا تقتضي لا محالة اعمالا فاذا خولفت خمدت
الصفات وماتت مثل البخيل فانه يقتضي امساك المال فاذا منع مقتضاه
وبذل المال مع الجهد مرة بعد اخري ماتت صفة البخل وصار البذل طبعا
وسقط التعب فيه فمن لا يسلك هذا السبيل انس بالدنيا واحبها
فان كان له الف متاع كان له الف محبوب وكذلك اذا سرق كل واحد من ذلك
صار له مصيبته بقدر حبه له فاذا مات نزلت به الف مصيبة دفعة
واحدة لانه كان يحب الكل وقد سلب عنه فهذه علاج البخل واما حكايات
الاسخياء فهي كثيرة منها ما روي عن ام درة وكانت تخدم عايشة رضي
الله عنها قالت ان ابن الزبير بعث اليها بمال في غرارتين ثمانين ومائة

الف

الف درهم فقسمتها فلما امست افطرت بخبز وزيت فقالت لها ام درة ما
اشتريت لنا بدرهم لحما نفطر عليه فقالت لو كنت ذكرتيني لفعلت
وقال ابو الحسن المدايني رضي الله عنه خرج الحسن والحسين وعبد الله بن
جعفر رضي الله عنهم حجاجا فمروا بعجوز في خباء لها فقالوا هل من شراب
فقالت نعم ثم قالوا هل من طعام قالت لا الا هذه الشاة وكانت لها شويهة
فذبحتها وهيئت لهم طعاما فاكلوا وقالوا وارتحلوا فاقبل زوجها فاخبرته
بخبر القوم والشاة فغضب الرجل وقال ويلك تذبحين شاتي لقوم
لا تعرفينهم ثم بعد مدة دخلت العجوز المدينة لحاجة فمرت العجوز في
بعض سكك المدينة فرءاها الحسن بن علي رضي الله عنهما فعرفها وهي له منكرة
فبعث لها غلامه ودعاها فقال لها تعرفيني قالت لا قال ضيفك يوم
كذا وكذا قالت انت هو قال نعم فامر الحسن لها الف شاة والف درهم
وبعث بها مع غلامه الي الحسين فقال لها بكم وصلك اخي قالت الف شاة
والف درهم فامر لها الحسين ايضا مثل ذلك ثم بعث مع غلامه الي عبد الله
بن جعفر فقال بكم وصلك الحسن والحسين قالت بالفي شاة والفي درهم فامر لها
بالفي شاة والفي درهم فرجعت العجوز الي زوجها باربعة الاف شاة والاف
درهم وقال الواقدي رحمة الله عليه حدثنا ابي انه دفع رقعة الي المأمون
يذكر فيها كثرة الدين وقلة صبره عليه فوقع المأمون رحمة الله علي ظهر رقعته

انك رجل اجتمع فيك خصلتان سخاء وحياء فاما السخاء فهو الذي
اطلق ما في يدك واما الحياء فهو الذي يمنعك عن تبليغنا ما انت عليه وقد
امرت لك بمائة الف درهم وقيل ان قوما من العرب جاؤا الى قبر بعض اسخيائهم
فنزلوا عند قبره وباتوا عنده فرأى رجل منهم في النوم صاحب القبر وهو
يقول له هل لك ان تبادل بعيرك بنجيبي وقد كان خلف السخي نجيبا معروفا
ولهذا الرجل بعير سمين فقال في النوم نعم فباع بعيره بنجيبه فنحر هذا
الرجل بعيره في النوم فانتبه الرجل من النوم فرأى الدم يثج من بعيره فقام
الرجل فنحره وقسم لحمه وطبخوا واكلوا ثم رحلوا فلما كان اليوم الثاني وهم
في الطريق استقبلهم ركب فقال رجل منهم من فلان بن فلان منكم باسم
ذلك الرجل فقال انا فقال هل بعت من فلان شيئا وذكر الميت صاحب القبر قال
نعم بعت منه بعيري بنجيبه في النوم فقال خذ هذا نجيبه ثم قال هو ابي
رايته في النوم وهو يقول لي ان كنت ابني فادفع نجيبي الى فلان وسماه
باسمه وقيل انفذ هارون الرشيد الى مالك بن انس خمسمائة دينار
فبلغ ذلك الى الليث بن سعد رحمة الله عليه فبعث اليه الف دينار
فغضب هارون وقال اعطيته خمسمائة وتعطيه الفا وانت من رعيتي
فقال يا امير المؤمنين ان لي من غلتي كل يوم الف دينار واستحييت ان
اعطي مثله اقل من دخل يوم وحكي انه لم تجب عليه الزكوة قط مع ان دخله

وستين
كل يوم الف دينار وحكي انه كان لا يتكلم كل يوم حتى يتصدق على ثلثمائة
مسكينا وروي ان الامام الشافعي رحمة الله عليه لما مرض موته قال
مروا فلانا يغسلني فلما توفي الى رحمة الله تعالى بلغه خبر موته فحضر فقال ائتوني خبر وفاته
بتذكرته فاتي بها فنظر اليها فاذا على الشافعي سبعون الف درهم دين فكتبها
على نفسه وقضاها عنه فقال هذا غسلي اياه اي اراد به هذا وقال
عمر رضي الله عنه اهدي الى رجل من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم شاة
فقال ان اخي كان احوج اليه مني فبعث بها اليه فلم يزل يبعث كل واحد الى آخر
حتى تداوله سبعة ابيات ورجع الى الاول وبات علي رضي الله عنه على فراش
رسول الله صلى الله عليه وسلم فاوحى الله تعالى الى جبرئيل وميكائيل عليهما السلام
اني آخيت بينكما وجعلت عمر احدكما اطول من الآخر فايكما يؤثر صاحبه بالحيوة
فاختار كلاهما الحيوة فاوحى الله اليهما افلا كنتما مثل علي بن ابي طالب آخيت بينه
وبين محمد فبات على فراشه يفديه بنفسه ويؤثره بالحيوة اهبطا الى الارض
فاحفظاه من عدوه وكان جبرئيل عند راسه وميكائيل عند رجله وجبرئيل
ينادي من مثلك يا علي فانزل الله تعالى ومن الناس من يشري نفسه ابتغاء مرضات
الله وقال حذيفة العدوي رضي الله عنه انطلقت يوم احد اطلب ابن عم لي
ومعي شيء من ماء وانا اقول ان كان به رمق سقيته ومسحت به وجهه فاذا
انا به فقلت اسقيك فاشار اي نعم فاذا رجل يقول آه فاشار ابن عمي انطلق به

تاليه فاذا هو هشام بن عاص فقلت اسقيك فسمع به آخر فقال آه فاشار
هشام انطلق به اليه فجئته فاذا هو قد مات فرجعت الي هشام فاذا هو
قد مات فرجعت الي بن عمي فاذا هو قد مات رضي الله عنهم وقال عباس
بن دهقان رضي الله عنهما خرج احد من الدنيا كما دخلها الا بشر ابن الحارث
فانه اتاه رجل في مرضه فشكي اليه الحاجة فنزع قميصه فاعطاه واستعار
ثوبا فمات فيه **فصل** في بيان وظايف المال وبيان ذم الغنا ومدح الفقير
اما مجموع الوظايف التي علي العبد في ماله فخمسة احدها ان يعرف مقصود المال
ولما ذا خلق ولا يحفظ الا مقدار الحاجة ولا يعطيه من همته فوق ما يستحقه
الثانية ان يراعي جهة دخل المال فيجتنب الحرام كمال السلاطين ويجتنب الجهات
المكروهه القادحة في المروة وما يجري مجراه الثالثة في المقدار الذي يكتسبه
لا يستكثر منه ولا يستقل بل القدر الواجب ومعياره الحاجة والحاجة
ملبس ومسكن ومطعم ولكل واحد ثلث درجات ادني واوسط واعلي
وقد ذكرنا تفصيل هذه الدرجات في كتاب الزهد الرابعة براعي جهة الخرج
ويقتصد في الانفاق غير مبذر ولا مقتر كما ذكر فيضع ما اكتسبه من حله
في حقه ولا يضعه في غير حقه فان الاثم في الاخذ من غير حقه والوضع في غير حقه
سوء الخامسة ان يصلح نيته في الاخذ والترك والانفاق والامساك فياخذ
ما ياخذ ليستعين به علي العبادة ويترك ما يترك زهدا فيه واستحقارا له

واذا فعل ذلك لم يضره وجود المال ولذلك **وقال** علي رضي الله عنه لو ان
رجلا اخذ جميع ما في الارض واراد به وجه الله تعالي فهو زاهد فهذه بيان
الوظايف في المال اما بيان ذم الغني ومدح الفقر فقد اختلف الناس
وقد اوردنا ذلك في كتاب الفقر والزهد وكشفنا عن تحقيق الحق فيه
فاطلبه هناك تجد ان شاء الله تعالي والله اعلم بالصواب

كتاب ذم الجاه والريا

اعلم ان الجاه
محبوب القلوب ولا يسمح بتركه الا الصديقون ولذلك قيل آخر ما يخرج من رؤس الصد يقين
حب الرياسة ويتبين الغرض من ذلك في فصلين **الفصل الاول** في ذم
الشهرة والجاه وحقيقته وعلاجه اما الجاه فقد قال الله تعالي تلك الدار
الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا في الارض ولا فسادا جمع بين ارادة
الفساد والعلو وبين ان الدار الآخرة للخالي عن الارادتين **وقال** صلي الله
عليه وسلم حب الجاه والمال ينبتان النفاق في القلب كما ينبت الماء البقل
وقال ما ذئبان ضاريان ارسلا في زريبة غنم باكثر فسادا من حب الشرف
والمال في دين المسلم **وقال** انما هلاك الناس باتباع الهوي وحب الثناء
وقال الا ادلكم علي اهل الجنة كل ضعيف مستضعف لو اقسم علي الله لابره
وقال الحسن رضي الله عنه ان خفق النعل حول الرجال قل ما يثبت معه
الحمقي **وقال** ابراهيم بن ادهم رحمة الله عليه ما صدق الله من احب الشهرة

ويروي ان ابن مسعود رضي الله عنه خرج يوماً من منزله فاتبعه اناس
فالتفت اليهم فقال علي ما يتبعوني فوالله لو تعلمون ما اغلق عليه بابي
ما ابتعني منكم رجلان وقال عليه السلام اغتنموا دعاء الضعفاء من امتي
فان دعاءهم يستجاب لهم فيكم ولا يستجاب لهم فيهم وقال رب اشعث
اغبر ذي طمرين لا يؤبه له لو اقسم على الله لابره يعني لو قال اللهم اني اسئلك
الجنة لاعطاه ولم يعطه من شيء وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم ان اهل الجنة كل اشعث اغبر ذي طمرين لا
يؤبه له الذين اذا استاذنوا علي الامراء لم يوذن لهم واذا خاطبوا النساء
لم ينكحوا واذا قالوا لم ينصت لهم حوايج احدهم تتلجلج في صدره لو قسم نوره
يوم القيمة بين الناس لوسعهم وقال عمر رضي الله عنه سمعت رسول
الله صلي الله عليه وسلم يقول ان الله تعالي يحب الاتقياء الاخفياء الذين
اذا غابوا لم يفقدوا واذا حضروا لم يعرفوا قلوبهم مصابيح الهدي
يعرفون في اهل السماء ويخفون في اهل الارض فهذه الاخبار تدل علي مذمة
الشهرة وفضيلة الخمول فان قلت فاي شهرة وجاه اعظم من شهرة الانبياء
والاولياء وجاههم فكيف يظن بهم الاتصاف بما هو مذموم قلنا المذموم
طلب الشهرة والجاه اما وجودهما من الله تعالي من غير تكلف من العبد فليس
بمذموم وهم لم يطلبوا ذلك واما حقيقة الجاه ومعناه اعلم ان الجاه والمال

لا يلتفت

مطلب الشهرة

هما ركنا الدنيا ومعني المال ملك الاعيان المنتفع بها ومعني الجاه ملك القلوب
المطلوب تعظيمها وكما ان الغني هو الذي يملك الدراهم والدنانير ليتوصل بها
الي الاغراض والمقاصد وكذلك ذو الجاه هو الذي يملك قلوب الناس ليستعمل
بواسطتها اربابها في اغراضه ومآربه وكما انه يكتسب الاموال بانواع من
الحرف والصناعات فكذلك تكتسب قلوب الخلق بانواع من المعاملات وهذا اعظم
من تملك الرقاب لان المالك يملك العبد قهراً ولصاحب الجاه عباد من الاحرار
بالطبع والطوع والفرح بالعبودية والطاعة له فاذن معني الجاه قيام
المنزلة في قلوب الناس بسبب نعت من نعوت الكمال فيه فبقدر ما يعتقدون
من كماله تذعن قلوبهم فهذا هو معني الجاه وحقيقته وله ثمرات كالمدح
والاطراء فان المعتقد للكمال لا يسكت عن ذكر ما يعتقده فيثني عليه والمبالغة
فيه كالخدمة والاعانة والايثار وترك المنازعة والتوقير بالمفاتحة
بالسلام والتقديم في جميع المقاصد فهذه اثار تصدر عن قيام ومعني
قيام الجاه في القلب اشتمال القلوب علي اعتقاد صفات الكمال في الشخص اما
بعلم او عبادة او نسب او ولاية او جمال وقوة او شيء مما يعتقده الناس
كمالا والكمال الحقيقي متلبس بالكمال الوهمي واما علاج حب الجاه فهو ان يعلم ان
ملك القلوب الذي هو معني الجاه فلا ينبغي ان يترك لاجله الدين الذي هو
سبب النعيم الدايم من العلم والعمل اما العلم وعلاج حب المدح ان كان الما

دح

كاذبًا ان لا يفرح بما ليس فيه بل يغتم لانه استهزئ به وان كان صادقا
فان كان من الامور الدنياوية فكيف يغتر بالفاني وان كان من الامور
الدينية فكيف يفرح مع ان خطر الخاتمة قائم **فصل** الثاني في بيان
ذم الريا وحقيقته ودرجاته وعلاجه اما ذمه فقد قال تعالى
فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملا صالحًا ولا يشرك بعبادة ربه احدًا
انزل فيمن يطلب الاجر والحمد بعباداته واعماله **قال** صلى الله عليه وسلم
ان اخوف ما اخاف عليكم الشرك الاصغر قالوا وما الشرك الاصغر قال الريا
وقال يقول الله تعالى من عمل لي عملا اشرك فيه غيري فهو له كله وانا منه
بريئ واذا جاز العباد باعمالهم يقول اذهبوا الى الذين كنتم تراؤن في
الدنيا فانظروا هل تجدون عندهم الجزاء **وقال** لا يقبل الله عملا فيه
مقدار ذرة من رياء **وقال** على رضي الله عنه للمرائي ثلث علامات يكسل
اذا كان وحده وينشط اذا كان في الناس ويزيد في العمل اذا اثني عليه وينقص
اذا ذم **وقال** الفضيل رحمة الله عليه كانوا يراؤن بما يعملون وصار
واليوم يراؤن بما لا يعملون **واما** حقيقته فهو مشتق من الريائة و
الرؤية والسمعة مشتقة من السماع والرياء اصله طلب رؤية الناس
للمنزلة عندهم باراءتهم خصال الخير وطلب المنزلة تارة يكون عند الناس
بعمل غير العبادة وتارة يكون بالعبادة واسم الرياء مخصوص بطلب المنزلة

مطلب علامات الرياء ثلثة

في القلوب بالعبادات واظهارها فحد الريا هو ارادة العبادة بطاعة الله تعالى واما
درجاته فهي ان تعلم ان الرياء اولا ان كان باصل الايمان فهو النفاق وهو مخلد
في النار وان كان باصول الفرايض لا باصل الايمان فهو اخف وان كان بالنوافل
او باوصاف العبادات فهو اخف منه ان المرائي هو العابد والمرائي هو الناس المطلوب
رؤيتهم لطلب المنزلة في قلوبهم والمرائي به هو الخصال التي قصد المرائي اظهار ها
والرياء هو قصد اظهار ذلك والمرائي به كثير ويجمعه خمسة اقسام البدن
والزي والقول والعمل والاشياء الخارجة وفي كل واحد من هذه الامور رياء
وكل ذلك حرام فالرياء بالبدن كقلة الاكل وعظم الحزن وخفض الصوت
واطراق الراس في المشي وذبول الشفتين وتعبيس الوجه يستدل بذلك
على انه مواظب على الصوم وعن هذا قول عيسى عليه السلام اذا صام احدكم
فليدهن راسه ويرجل شعره ويكحل عينيه والرياء بالزي كغلظ الثياب
ولبس الصوف وتشميرها الى القريب من الساق وتقصير الاكمام وترك تنظيف
الثياب وتركها خرقا كل ذلك يرائي به ليظهر من نفسه انه متبع لسنة ومن
ذلك لبس المرقعة والصلوة على السجادة تشبيها بالصوفية مع افلاسه عن
حقايق التصوف والرياء بالقول كالوعظ والتذكير والنطق بالحكمة و
حفظ الاخبار والاثار لاجل الاستعمال في المحاورة وكتحريم الشفتين
بالذكر في محضر الناس والامر بالمعروف والنهي عن المنكر بمشهد الخلق واظهار الغضب

المنكوات والرياء بالعمل كالمصلي بطول الصلوة وبطول السجود والركوع
واطراق الراس وترك الالتفات والريا بالخارج كمرايات الاصحاب والزا
والزايرين كالذي يتكلف ان يستزير عالماً من العلماء ليقال ان فلانا
عابداً من العباد او ملكا من الملوك فهذه مجامع ما يرائي به المرائيون فهذه
حقيقة الريا ودرجاته واما علاجه فهو من المهمات واصله حب
المنزلة والجاه واذا فصل رجع الي ثلثة اصول وهو حب لذة الحمد والفرار
من الم الذم والطمع لما في ايدي الناس فهذه الامور الثلاثة هي الذي يحرك
المرائي الي الريا وعلاجه انه ليس يخفي ان الانسان انما يقصد الشيء ويرغب
فيه لظنه خيرا او نافع ولذيذا ما في الحال واما في المال فان علم انه لذيذ
في الحال ولكنه ضار في المال سهل عليه قطع الرغبة لكن يعلم ان العسل لذيذ
ولكن اذا بان له ان فيه سماً اعرض عنه فكذلك قطع طريق هذه الرغبة
ان يعلم ما فيها من المضرة ومهما عرف العبد مضرة الريا وما يفوته من صلاح
قلبه وما يحرم عنه في الحال من التوفيق وفي الاخرة من المنزلة عند الله
تعا وما يتعرض له من العقاب العظيم والمقت الشديد والخزي الظاهر حيث
ينادي علي رؤس الاشهاد يا فاجر يا مرائي يا غاوي اما استحييت اذا
راقبت قلوب العباد واستهزات بطاعة الله تعا وطلبت رضاهم
بالتعرض لسخط الله تعا فمهما تفكر العبد في هذا الخزي وبما يحبط

علبه من ثواب الاعمال ربما يتوب من الريا ويرجع الي الاخلاص واما الطمع
لما في ايديهم فبان يعلم ان الله تعالي هو المسخر للقلوب بالنعم والاعطاء والارزا
ولا مسخر الا الله عز وجل ومن طمع في الخلق لم يخل من الذل والخيبة وان وصل
الي المراد لم يخل عن المنة والمهانة فكيف يترك ما عند الله برجاء كاذب ووهم
فاسد قد يصيب وقد يخطي واذا اصاب فلا يفي لذته بالم منته ومذلته
واما ذمهم فلم يحذر منه ولا يزيد ذمهم شيئا مما يكتبه الله تعالي عليه ولا
يعجل اجله ولا يوخر رزقه ولا يجعله من اهل النار ان كان من اهل الجنة
ولا يبغضه الي الله ان كان محموداً عند الله تعا ولا بالعكس والعباد كلهم
عجزة فاذا قرر في قلبه آفة هذه الاسباب وضررها فترت رغبته واقبل علي
الله تعا قلبه ويكتم العمل كما يكتم الذنب ويرضي باطلاع الله تعا وحده فاذا
التزم هذا مرة هان عليه الامر والله اعلم بالصواب

كتاب ذم الكبر والعجب

وفيه فصلان فصل في ذم الكبر وفضيلة
التواضع وحقيقة الكبر وعلاماته وفصل في اسباب الكبر وعلاجه
وبيان العجب

الفصل الاول

في ذم الكبر وفضل التواضع وحقيقة
الكبر وآفته وعلاماته اما ذم الكبر فقد قال الله كذلك يطبع الله علي
كل قلب متكبر جبار وقال ابو هريرة رضي الله عنه يقول الله تعا الكبرياء
ردائي والعظمة ازاري فمن نازعني واحدا منهما القيته في جهنم

وقال سليمان بن داود عليهما السلام يوماً للطير والجن والانس والبهايم
اخرجوا فخرج في ماتي الف من الانس والجن فرفع حتي سمع رجل الملائكة عليهم
السلام بالتسبيح في السموات ثم خفض حتي مست قدماه البحر فسمع صوت
لو كان في قلب صاحبكم مثقال ذرة من كبر لخسفت به ابعد مما رفعه
وقال صلي الله عليه وسلم لا يدخل الجنة جبار ولا بخيل ولا سيئ
الملكة وقال اهل النار كل جعظري جواز مستكبر جماع مناع واهل
الجنة الضعفاء المغلبون وقال يحشر المتكبرون يوم القيمة وصورة
الذر يطاهم الناس لهوانهم علي الله وقال من فارق روحه جسده
وهو بريئ من ثلث دخل الجنة الكبر والدين والغلول الاثار
قال ابو بكر الصديق رضي الله عنه لا يحقرن احد احداً من المسلمين فان
صغير المسلمين عند الله كبير وقال وهب لما خلق الله الجنة نظر اليها
فقال انت حرام علي كل متكبر وقال الحسن رضي الله عنه العجب لابن ادم
قد خرج من مجري البول مرتين ويغسل الخراين كل يوم مرة او مرتين ثم
يتكبر وقد قيل وفي انفسكم افلا تبصرون هو سبيل الغايط والبول
وسئل سلمان رضي الله عنه عن السيئة التي لا تنفع معها حسنة
فقال الكبر وقال النعمان بن بشر رحمة الله ان للشيطان مصاليا
وفخوخا وان من مصالي الشيطان وفخوخه البطر بانعم الله والفخر

باعطاء الله والكبر علي عباد الله واتباع الهوي في غير ذات الله وحكي
ان محمد بن واسع راي ابنه رحمهما الله يتبختر ويختال في ثيابه فدعاه فقال
يا بني ما هذا التبختر وانما اشتريت امك بمايتي درهم واما ابوك فلا يكون
في امة محمد مثله في سوء افعاله فما هذا التكبر وانت ابن حقيرين ذليلين
وحكي عن رجاء بن حيوة رحمه الله انه قال اصليت القيمة مع عمر بن عبد
العزيز وقعدنا نتحدث وكاد المصباح السراج ان يطفاء وغلامه جالس
فنام واردت ان اوقظ الغلام فقال هي اول نومة نامها فقام بنفسه واصلح
السراج ثم جلس فقال ذهبت وانا عمر بن عبد العزيز ورجعت وانا عمر بن عبد
العزيز قبح الله نفسا لا يتواضع لربه تعالي واما فضل التواضع فقد قال
صلي الله عليه وسلم ما من احد الا ومعه ملكان وعليه حكمة
يمسكانه بها فان هو رفع نفسه جبذاها ثم قالا اللهم ضعه وان وضع
نفسه قالا اللهم ارفعه وقال طوبي لمن تواضع في غير مسكنة وانفق مالا جمعه
من غير معصية ورحم اهل الذل والمسكنة وخالط اهل الفقه والحكمة
وعن ابي سلمة عن ابيه عن جده رضي الله عنهم قال كان النبي صلي الله عليه وسلم
عندنا وكان صايما فاتيناه عند افطاره بقدح من لبن وجعلنا فيه
شيئاً من عسل فلما ذاقه وجد حلاوة العسل فقال ما هذا قلنا يا رسول الله
جعلنا فيه شيئا من عسل فوضعه وقال اما اني لا احرمه ومن تواضع

لله رفعه الله ومن تكبر وضعه الله ومن اقتصد اغناه الله ومن بذر ا
فقره الله ومن اكثر ذكر الله احبه الله **وروي** انه صلى الله عليه وسلم
كان يطعم فجاءه رجل اسود به جدري قد تقشر فجعل لا يجلس الى احد
الا قام من جنبه فاجلسه صلى الله عليه وسلم الى جنبه وقال اذا
رايتم المتواضعين فتواضعوا لهم واذا رايتم المتكبرين فتكبروا عليهم
فان ذلك لهم مذلة وصغار **الاثار** قال قتادة رضي الله عنه من
اعطي مالا او جمالا او ثيابا او علما ثم لم يتواضع فيه فكان عليه وبالا
يوم القيمة **وقيل** اوحى الله تعالى الى عيسى عليه السلام اذا انعمت
عليك نعمة فاستقبلها بالاستكانة اتممها عليك **ودخل** ابن السماك
على هارون رحمة الله عليهما فقال يا امير المؤمنين ان تواضعك في
شرفك اشرف لك من شرفك وان امرئ اتاه الله جمالا في خلقته وتوضعا
في حسبه وبسط في ذات يده وعف في جماله واسى في ماله وتواضع في
حسبه كتب في ديوان الله من خالص الله **وكان** سليمان عليه السلام
اذا اصبح تصفح وجوه الاغنياء والاشراف حتى يجيء الى المساكين فيقعد
معهم ويقول مسكين مع المساكين **وسئل** الحسن رضي الله عنه ما
التواضع فقال التواضع ان تخرج من منزلك فلا تلقى مسلما الا رايت له
عليك فضلا **وقال** ابو سليمان ان الله اطلع على قلوب الادميين فلم

يجد قلبا اشد تواضعا من قلب موسى عليه السلام فخصه بالكلام
وقال يونس بن عبيد رحمة الله حين انصرف من عرفات لم اشك في الرحمة
لولا اني كنت معهم اني اخشى انهم حرموا بسببي **وقال** مالك بن دينار لو ان
مناديا نادي بباب المسجد ليخرج شركم والله ما كان يسبقني احد الا رجل
بفضل قوة او سعي **وقال** موسى بن قاسم كانت عندنا زلزلة وريح حمراء
فذهبت الى محمد بن مقاتل فقلت يا ابا عبد الله انت امامنا فادع الله لنا
فبكى ثم قال ليتني لم اكن سبب هلاككم قال فرايت النبي صلى الله عليه وسلم
في النوم فقال ان الله تعالى دفع عنكم بدعاء محمد بن مقاتل **وعن** الفتح
ابن شخرف قال رايت علي بن ابي طالب رضي الله عنه في المنام فقلت يا ابا الحسن
عظني فقال ما احسن التواضع بالاغنياء في مجالس الفقراء رغبة منهم
في ثواب الله تعالى واحسن من ذلك تيه الفقراء على الاغنياء ثقة منهم بالله
تعالى **وقال** ابو سليمان رحمة الله عليه لا يتوضع العبد حتى يعرف نفسه
وقال الفضيل رحمة الله عليه من راى لنفسه قيمة فليس له من التواضع نصيب
وقال ابو يزيد رحمة الله عليه ما دام العبد يظن ان في الخلق من هو شر
منه فهو متكبر **وقال** يحيى بن معاذ رحمة الله عليه التكبر على ذي التكبر
عليك بماله تواضع **وعن** عمر بن شيبة رضي الله عنه قال كنت بمكة
بين الصفا والمروة واذا برجل راكبا بغلة وبين يديه غلمان يعنفون الناس

يكلمون الناس بكلام شديد

قال ثم عدت بعد حين فدخلت بغداد فكنت على الجسر فاذا برجل حاسر
قال فجعلت انظر اليه فقال لي مالك تنظر الي قلت شبهتك برجل رايته بمكة
ووصفت له الصفة فقال انا ذاك الرجل فقلت ما فعل الله بك فقال اني ترفعت
في موضع يتواضع فيه الناس فوضعني حيث يترفع الناس قيل لما هاجر
النبي صلى الله عليه وسلم استقبله الاغنياء من اهل المدينة كل منهم
يطمع ان ينزل في داره فلما دخل المدينة كانوا يتعلقون بزمام الناقة
ويقولون انزل في داري فقال صلى الله عليه وسلم خلوا زمام الناقة
فانها مامورة فتركوا زمامها عليها فكانت الناقة يتقدم والقوم وراءها
فكلما جاوزت دار رجل كان يحزن صاحبه فلما انتهى الى باب ابي ايوب
الانصاري وهو فقر اهل المدينة فنظر الى ذله وتواضعه فشرفه الله
تعالى على جميع اهل المدينة لتواضعه فما بركت الناقة الا على بابه
فجعلوا ينخسونها لتقوم فلم تقم فنزل النبي صلى الله عليه وسلم في داره
فقال ان الناس يزورونني فانزل في السفل والعلو لك ولاهلك فلما
اصبح ابو ايوب قال له النبي صلى الله عليه وسلم كيف اصبحت يا ابا ايوب
فقال كيف ينام عبد فوق الله الاحد وتحته النبي محمد فعلم النبي
عليه السلام انه لا ياخذه النوم فجعل السفل لابي ايوب والعلو لنفسه
فهذا آخر الكلام في التواضع واما حقيقة الكبر وآفته فاعلم ان الكبر

ينقسم

ينقسم الى باطن وظاهر فالباطن هو خلق في النفس والظاهر هو اعمال
من الجوارح واسم المتكبر بالخلق الباطن احق واما الاعمال فانها ثمرات لذلك
الخلق فان الكبر يستدعي متكبرا عليه ومتكبرا به وبه ينفصل الكبر عن
العجب كما سياتي فان العجب لا يستدعي غير المعجب بل لو لم يخلق الانسان الا وحده
تصور ان يكون معجبا ولا يتصور ان يكون متكبرا الا ان يكون مع غيره وهو
يرى نفسه فوق ذلك الغير في صفات الكمال فعند ذلك يكون متكبرا فاذن
المتكبر هو الذي لنفسه مرتبة ولغيره مرتبة ثم يرى مرتبة نفسه فوق
مرتبة غيره فعند هذه الاعتقادات الثلاثة يحصل فيه خلق الكبر لان
هذه الرؤية هي الكبر بل هذه الرؤية وهذه العقيدة تنفخ فيه فيحصل في
قلبه هزة وفرح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اعوذ بك من نفخة الكبر
ولذلك قال عمر رضي الله عنه اخشى ان تنتفخ حتى تبلغ الثريا للذي استاذنه
ان يعظ بعد صلوة الصبح ولذلك قال صلى الله عليه وسلم لا يدخل الجنة
من في قلبه مثقال ذرة من كبر وانما صار حجابا دون الجنة لانه يحول بين
العبد وبين اخلاق المومنين كلها وتلك الاخلاق هي ابواب الجنة والكبر وعزة
النفس يغلق تلك الابواب كلها لانه لا يقدر على ان يحب للمومنين ما يحب لنفسه
فما من خلق ذميم الا وصاحب العز والكبر مضطر اليه ليحفظ به عزه وما من
خلق محمود الا وهو عاجز عنه خوفا من ان يفوته عزه فمن هذا لم يدخل

الجنة من في قلبه مثقال حبة منه واما علاماته فكثيرة فمنها
ان يحب قيام الناس له او بين يديه وقد قال علي رضي الله عنه
من اراد ان ينظر الي رجل من اهل النار فلينظر الي رجل قاعد وبين يديه
قوم قيام وروي ان الصحابة رضوان الله عليهم كانوا اذا ارادوا نبيهم
لم يقوموا له لما يعلموا من كراهته لذلك ومنها ان لا يمشي الا ومعه غيره
يمشي خلفه وقال ابو الدرداء رضي الله عنه لا يزال العبد من الله بعيدا
ما مشي خلفه ومنها ان لا يزور غيره وان كان يحصل من زيارته خير
لغيره في الدين ومنها ان يستنكف من جلوس غيره بالقرب منه الا ان
يجلس بين يديه ومنها ان يتوقي مجالسة المرضي والمعلولين ويتحاشي
عنهم وهو من الكبر ودخل رجل علي رسول الله صلي الله عليه وسلم به جدري
قد تقشر ذكر في فضيلة التواضع ومنها ان لا يتعاطي بيده شغلا في
بيته والتواضع خلافه ومنها ان لا ياخذ متاعه ويحمله الي بيته
وهو خلاف عادة المتواضعين وكان رسول الله صلي الله عليه وسلم
يفعل ذلك وقال علي رضي الله عنه لا ينقص الرجل من كماله ما حمل من شيء الي
عياله وقال بعضهم رايته اشتري لحما بدرهم فحمله فقلت له احمل
عنك يا امير المؤمنين فقال لا ابو العيال احق بحمله ومنها حب اللباس
الفاخر من الكبر وقد قال صلي الله عليه وسلم البذاذة من الايمان

مطلب عدم القيام لرجل

زيد بن وهب رضي الله عنه رايت عمر رضي الله عنه وعليه ازار فيه اربعة
عشر رقعة بعضها من ادم وكان اويس القرني رضي الله عنه الذي لاجله
قال صلي الله عليه وسلم اني لاجد نفس الرحمن من قبل اليمن وكان هو يجمع
وقطع الخروق من المزابل ويغسلها ويضم بعضها بعضا ويلبسها فان قلت
فقد قال عيسي عليه السلام جودة الثياب خيلاء القلب وسئل نبينا عليه السلام
عن الجمال في الثياب هل هو من الكبر فقال لا ولكن من سفه الحق وغمض الناس
فكيف طريق الجمع بينهما فاعلم ان الثوب الجيد ليس من ضرورته ان يكون من التكبر
في كل حال وهو الذي عرفه رسول الله صلي الله عليه وسلم من حال ثابت بن قيس
رضي الله عنه اذ قال اني امرء حبب الي من الجمال ما تري فعرف ان ميله الي
النظافة وجودة الثياب لا للتكبر علي غيره فانه ليس من الضرورية ان يكون
من الكبر وقد يكون ذلك من الكبر وعلامة المتكبر ان يطلب التجمل اذا راه
الناس ولا يبالي اذا انفرد بنفسه كيف كان فاذا قسمت الاحوال نزل
قول عيسي عليه السلام علي بعض الاحوال وقول نبينا عليه الصلوة و
السلام انه ليس من الكبر يعني ان الكبر لا يوجبه وبالجملة الاحوال تختلف
في مثل هذا والمحبوب الوسط من اللباس الذي لا يوجب شهرة بالجودة ولا بالرذالة
وقد قال صلي الله عليه وسلم كلوا واشربوا والبسوا وتصدقوا في
غير سرف ولا مخيلة فان الله يحب ان يري اثر نعمته علي عبده

مطلب اويس رح القرني

الفصل الثاني في بيان التكبر وعلاجه اعلم انه لا يتكبر الا من
استعظم نفسه ولا يستعظمها الا وهو يعتقد لها صفة من
صفات الكمال والكمال نوعان حقيقي ووهمي فالحقيقي هو الذي لا يفني
بالموت كالعلم والعمل الصالح فاما ما عداه مما يفني بالموت فكمال وهمي و
مجامع ذلك يرجع الي كمال ديني او دنيوي فالديني هو العلم والعمل والدنيوي
هو النسب والجمال والقوة والمال وكثرة الاقرباء والتلامذة فهذه سبعة
اسباب الاول العلم فما اسرع الكبر الي العلماء بان يري نفسه ويستحقر
الناس كانهم عبيده وليس ذلك الا لسببين احدهما ان يكون اشتغاله بما يسمي
علما وليس بعلم حقيقي وانما العلم الحقيقي ما يعرف العبد به ربه ونفسه
وخطر امره في لقاء الله تعالي والحجاب منه وهذا يورث الخوف والخشية
والتواضع دون الكبر والامن واليه الاشارة بقوله تعالي انما يخشي الله
من عباده العلماء وانما وراء ذلك من العلوم كعلم الطب والحساب واللغة
والنحو والشعر وفصل الخصومات وطرق الجدال فاذا تجرد الانسان لها حتي
امتلا بها كبرا ونفاقا وهذه بان تسمي صناعات اولي من ان تسمي علوما
وثانيها ان يخوض في العلم وهو خبيث الباطن ردي النفس سيئ
الاخلاق فاذا خاض في العلم اي علم كان صادف العلم من قلبه منزلا
خبيثا فلم يطب ثمره ولم يظهر في الخير اثره وقد ضرب وهب لهذا مثلا

فقال العلم كالغيث ينزل من السماء حلوا صافيا فتشرب الاشجار بعروقها
وتحوله علي قدر طعومها فيزداد المر مرارة والحلو حلاوة فكذلك العلم
يحفظه الرجال فتحوله علي قدر هممها واهوائها فيزداد المتكبر كبرا والمتوا ضع
تواضعا وكذلك تميم الداري عمر رضي الله عنه في القصص فابي ان ياذن له
وقال اني اخاف ان تنتفخ حتي يبلغ الثريا وصلي حذيفة رضي الله عنه
بقوم فلما سلم قال لتلتمسن اماما غيري او لتصلين وحدانا فاني رايت في
نفسي انه ليس في القوم افضل مني وعلاج هذا المرض شيئان احدهما ان يعلم
ان حجة الله تعالي علي اهل العلم اوكد وانه يحتمل من الجاهل ما لا يحتمل من العالم
وانه عصي الله تعالي عن علم ومعرفة فجنايته افحش وقد مثل الله سبحانه
وتعالي من يعلم ولا يعمل بالحمار والكلب فقال مثل الذين حملوا التورات ثم لم
يحملوها كمثل الحمار اراد به علماء اليهود وقال في بلعم باعوراء واتل عليهم
نبا الذي اتيناه اياتنا حتي بلغ فمثله كمثل الكلب قال ابن عباس رضي الله عنهما
اوتي بلعم كتابا فاخلد الي شهوات الارض ان تحمل عليه يلهث او تتركه يلهث
اي سواء اتيته الحكمة او لم اوته فلا يدع شهوته ويكفي العالم هذا الخطر فاي
عالم لم يتبع شهوته واي عالم لم يامر بالخير الذي لا ياتيه فكيف يتكبر من
هذا حاله ومهما تامل في الخطر الذي بصدره زال بالكلية كبره وراي
نفسه كانه شر الخلق الثاني ان العالم يعرف ان الكبر لا يليق الا بالله تعالي وحده

ولانه اذا تكبر صار ممقوتا عند الله تعالى بغيضا وقد احب الله تعالى منه
ان يتواضع وقال له ان لك عندي قدرا ما لم تر لنفسك قدرا فان
رايت لنفسك قدرا فلا قدر لك عندي فلا بد وان يكلف نفسه ما
يحب مولاه وهذا يزيل التكبر عن قلبه فان قلت كيف يتواضع العالم
العابد للفاسق الجاهل اعلم ان ذلك انما يمكن بالتفكر في خطر الخاتمة
بل لو نظر الي كافر لا يمكنه التكبر عليه اذ يتصور ان يسلم الكافر فيختم له بالايمان
ويضل هذا العالم ويختم له بالكفر وهو لا يدري ذلك فكم من مسلم نظر
الي عمر رضي الله عنه قبل اسلامه فاستحقره وازدراه لكفره وقد رزقه
الله الاسلام وفاق جميع المسلمين الا ابا بكر رضي الله عنه وحينئذ فا
فالعواقب مطوية عن العباد ولا ينظر العاقل الا الي العاقبة فاذن
حق العبد ان لا يتكبر على احد الثاني العمل والعبادة وليس يخلو العباد
والزهاد عن رذيلة الكبر حتي يري الناس هالكين ويري نفسه ناجيا
وهو الهالك تحقيقا مهما راي ذلك قال صلى الله عليه وسلم اذا سمعتم الرجل
يقول هلك الناس فهو اهلكهم وانما قال ذلك لان هذا القول يدل على انه
مزدري لخلق الله تعالى مغتر بالله تعالى آمن من مكره غير خائف من سطوته
ويكفيه شرا احتقاره لغيره وروي ان رجلا في بني اسرائيل يقال له
خليع بني اسرايل لكثرة فساده مر برجل اخر يقال له عابد بني اسرائيل

وكان

وكان على راس العابد غمامة تظله لما مر الخليع به فقال في نفسه هذا عابد
بني اسرائيل فلو جلست اليه لعل الله يرحمني فجلس اليه فقال العابد انا عابد
وهذا فاسق فكيف يجلس الي فانف منه وقال له قم عني فاوحى الله الي نبي
ذلك الزمان مرهما فليستانفا العمل فقد غفرت للخليع واحبطت
عمل العابد وفي رواية اخري فتحولت الغمامة الي راس الخليع وهذا يعرفك
ان الله تعالى انما يريد من العبيد قلوبهم فالجاهل والعاصي اذا تواضع وذل
هيبة لله تعالى وخوفا منه فقد اطاع الله تعالى في قلبه فهو اطوع لله من
العالم المتكبر والعابد المعجب وقد ينتهي الحمق والغباوة ببعضهم الي انه لو
استخف بهم مستخف او اذاهم موذ يقول سترون ما يجري عليه واذا
اصيب بنكبة زعم ان ذلك من كراماته مع انه يري طبقات من الكفار يسبون
الله ورسوله وعرف جماعة اذوا الانبياء عليهم السلام فمنهم من ضربهم ومنهم
من قتلهم ثم ان الله تعالى امهل اكثرهم ولم يعاقبهم في الدنيا بل ربما اسلم بعضهم
فلم يصبه مكروه في الدنيا ولا في الاخرة ثم الجاهل المغرور يظن انه اكرم
على الله تعالى من انبيائه عليهم السلام وانه قد انتقم له بما لم ينتقم لانبيائه
فهذه عقيدة المغترين واما الاكياس من العباد يقولون ما كان يقوله عطا
السلمي حين كان يهب الريح او تقع صاعقة ما يصيب الناس ما يصيبهم الا
بسببي ولو مات عطاء لتخلصوا وما قاله فضيل بن عياض بعد انصرافه

من عرفات كنت ارجو الرحمة لجميعهم لولا كوني فيهم فانظر الى الفرق بين
الرجلين وعلاج هذا المرض هو ان يعلم ان من يتقدم عليه بالعلم لا ينبغي
ان يتكبر عليه كيف ما كان لما عرفه من فضيلة العلم وقد قال الله تعالى
قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون قال صلى الله عليه وسلم
فضل العالم على العابد كفضلي على ادنى رجل منكم ولا ينبغي ان يتكبر على غير
العالم ايضا وان كان فاسقا ولا يمكن ان يقول هو اكثر مني ذنبا لان عدد ذنوبك
وذنوب غيرك في طول العمر لا تقدر على احصائه حتى تعلم الكثرة نعم يمكن ان
تعلم ان ذنوبه اشد كما لو رايت منه القتل والشرب والزنا ومع ذلك فلا
ينبغي ان يتكبر اذ ذنوب القلوب من الكبر والحسد والريا والغل واعتقاد
الباطل كل ذلك شديد عند الله تعالى وقد جرى للفاسق الظاهر الفسق من
طاعات القلوب من حب الله تعالى واخلاص وخوف وتعظيم ما انت خال عنه
وقد كفر ذلك سيئاته فيكشف الغطاء يوم القيمة فتراه فوق نفسك
بدرجات فهذا ممكن والامكان البعيد فيما عليك ينبغي ان يكون قريبا
عندك ان كنت مشفقا على نفسك الثالث التكبر بالنسب فالذي له
نسب شريف يستحقر من ليس له ذلك النسب وان كان ارفع منه علما
وعملا وروي ان رجلين تفاخرا عند النبي صلى الله عليه وسلم بالنسب
فقال عليه السلام لا فضل لاحد كما على الاخر الا بالتقوى وعلاج

هذا المرض هو ان يداوي قلبه بامرين احدهما ان هذا جهل من حيث انه
تعزز بكمال غيره ولذلك قيل لئن فخرت بآباء ذوي شرف لقد صدقت
ولكن لبئس ما ولدوا فالمتكبر بالنسب ان كان خسيسا في صفات ذاته فمن
اين يجبر خسته بكمال غيره بل لو كان الذي ينسب اليه حيا لكان له ان يقول
الفضل لي ومن انت الثاني ان يعرف نسبه الحقيقي فيعرف اباه وجده فان
كان اباه القريب النطفة القذرة وجده البعيد التراب الذليل وقد عرفه
الله تعالى نسبه فقال الذي احسن كل شيء خلقه وبدأ خلق الانسان من طين
ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين فمن اصله التراب المهين الذي يداس
بالاقدام ثم خمر طينه حتى صار حمأ مسنونا كيف يتكبر ويكفيه ان يعرف
معنى آية واحدة من كتاب الله تعالى وقد قال الله تعالى قتل الانسان
ما اكفره من اي شيء خلقه من نطفة خلقه فقدره ثم السبيل يسره ثم
اماته فاقبره ثم اذا شاء انشره فقد اشارت الآية الكريمة الى اول خلق
الانسان والى آخر امره والى وسطه اما اول الانسان فهو انه لم يكن شيئا
مذكورا وقد كان في كتم العدم دهورا ثم خلقه الله تعالى من اذل الاشياء
ثم من اقذرها اذ خلقه من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة
ثم جعله عظما ثم كسى العظم لحما فقد كان هذا بداية وجوده حيث
صار شيئا مذكورا فهذا معنى قوله من اي شيء خلقه من نطفة خلقه

فقذره واما اوسط احواله فهو مدة حيوته الى الموت واليه الاشارة
بقوله تعالى ثم السبيل يسره وهذا اشارة الى ما يتسر له في مدة الحيوة
يعني انه احياه بعد ما كان جمادا ميتا ترابا اولا ونطفة ثانيا واسمعه
بعد ان كان اصم وبصره بعد ما كان فاقدا للبصر وقواه بعد الضعف
وعلمه بعد الجهل واغناه بعد الفقر واشبعه بعد الجوع وكساه بعد
العري وهداه بعد الضلال فكان في ذاته لا شي ثم صار بالله شيا انما
خلقه من التراب ليعلم انه اذل من كل ذليل وانه لا يليق به الا التواضع والذلة
ويعلم انه لا يليق العظمة والكبرياء الا بالله تعالى واما آخره ومورده فهو
الموت المشار اليه ثم اماته فاقبره ومعناه انه يسلب روحه وسمعه وبصره
وعلمه وقدرته وحسه وحركته فيعود جمادا كما كان اول مرة لا يبقي
الا شكل اعضائه وصورته ثم يوضع في التراب فيصير جيفة منتنة قذرة
كما كان في الاول ثم تبلي اعضائه وتفتت اجزائه ويأكله الدود فيصير ترابا
كما كان تعمل منه الكيزان والبنيان وكان صار كان لم تغن بالامس وليته
بقي كذلك فما احسنه لو ترك ترابا بل يحييه بعد طول البلاء ليقاسي
البلاء وهو معني قوله تعالى ثم اذا شاء انشره فمن هذا حاله كيف يتكبر
الرابع التفاخر بالجمال وذلك اكثر ما يجري بين النساء وعلاجه ان ينظر الي باطنه
نظر العقلاء ولا ينظر الي الظاهر نظر البهايم ومهما نظر الي باطنه رأي من

الفضايح ما يكدر عليه تعززه بجماله فانه وكل به الاقذار في جميع الجوانب
الرجيع في امعائه والبول في مثانته والمخاط في انفه والبزاق في فمه
والوسخ في اذنه والدم في عروقه والصديد تحت بشرته والصنان
تحت ابطيه ويتردد الي الخلاء كل يوم مرتين ويتغسل كل يوم من الغايط مطلب
مرتين ويخرج في اول امره من مجري البول مرتين ولو ترك نفسه في حيوته اياما
لم يتعهدها بالتنظيف والغسل لثارت منه الانتان والاقذار وصار اقذر
وانتن من الدواب المهملة التي لا تتعهد نفسها قط فاذا نظر انه خلق
من اقذار واسكن في اقذار وسيموت فيصير جيفة اقذر من ساير الا قدار
لم يفتخر بجماله الذي هو كخضراء الدمن الخامس الكبر بالمال وذلك بين
يجري بين الملوك في الخزاين وبين التجار في بضايعهم وبين الدهاقين
في اراضيهم وبين المتجملين في لباسهم وخيولهم ومراكبهم ويستحقر الغني
الفقير ويتكبر عليه ويقول له انت مكد مسكين وانا لو اردت لا شتريت
مثلك كذا وكذا وانا انفق كل يوم ما تنفقه في سنة وكل ذلك جهل منه
بآفة الغني وفضيلة الفقر وعلاج الغني وكثرة المال وفي معناه كثرة
الاتباع والانصار والتكبر بولاية السلطان وكل ذلك تكبر بمعني خارج من
ذات الانسان لا كالجمال والقوة والعلم وهذا اقبح انواع التكبر فان المتكبر
بماله كانه متكبر بفرسه وداره ولو مات فرسه وانهدمت داره لعاد

ذليلا فكل متكبر بامر خارج من ذاته فهو ظاهر الجهل كيف والمتكبر بالغني
لو تامل لراي في اليهود من يزيد عليه في الغني والثروة والتجمل فاف
لشرف تسبقك فيه اليهود واف لشرف ياخذه السارق في لحظة
فيعود صاحبه ذليلا مفلسا فهذه اسباب ليست في ذاته وما
في ذاته ليست اليه دوام وجوده وهو في الآخرة وبال ونكال فالتفاخر
به غاية الجهل وكل ما ليس اليك فليس لك وشي من هذه الامور ليس اليك
بل الي واهبه ان ابقاه بقي وان استرجعه زال وما انت الا عبد مملوك
لا تقدر علي شئ فمن عرف ذلك لا بد وان يزول كبره السادس الكبر
بالقوة وشدة البطش فالتكبر به علي اهل الضعف جهل وعلاجه
ان يعلم ما سلط عليه من العلل والامراض وانه لو توجع عرق واحد في يده
لصار اعجز من كل عاجز وانه لو سلبه الذباب شيئا لم يستنقذه منه
وان بقة لو دخلت انفه او نملة دخلت اذنه لقتلته وان شوكة [لم يخلص]
لو دخلت رجله لاعجزته وان حمي يوم تحلل من قوته ما لا ينجبر في مدة
فمن لا يطيق شوكة ولا يقاوم بقة ولا يقدر علي ان يدفع ذبابة فلا
ينبغي ان يتفخر بقوته ثم ان اقوي انسان لا يكون اقوي من حمار او بقرة
او فيل وجمل وثور واي افتخار في صفة تسبقك البهايم فيها السابع
التكبر بالاتباع والانصار والتلامذة والغلمان وبالعشيرة والاقارب

والبنين ويجري ذلك بين الملوك في المكاثرة بالجنود وبين العلماء في المكاثرة
بالمستفيدين وعلاج ذلك مذكور في علاج المكبر في المال في السبب الخامس
فهذا اسباب الكبر وعلاجه واما العجب فهذه مذموم ايضا قال الله وهم
يحسبون انهم يحسنون صنعا وقال تعالى ولا تزكوا انفسكم قال صلى الله
عليه وسلم ثلث مهلكات شح مطاع وهوي متبع واعجاب المرء بنفسه وقال
ابن مسعود رضي الله عنه الهلاك في اثنين القنوط والعجب وانما جمع بينهما
لان السعادة تنال بالجد والسعي والقانط لا يسعي والمعجب يعتقد حصول
السعادة فلا يطلبها وقيل لعايشة رضي الله عنها متى يكون الرجل مسيئا
قالت اذا ظن انه محسن وآفة العجب انه يدعو الي الكبر وينسي الذنوب و
يعظم الطاعات ويستنكف من سؤال من هو اعلم منه ولا يسمع نصح ناصح
ولا وعظ واعظ بل ينظر الي غيره بعين الاستجهال ولا يقبل الحق من قايله
في امر دينه ودنياه فيهلك فهذا وامثاله من آفات العجب فلذلك كان
من المهلكات وحقيقة العجب استعظام النعمة والركون اليها مع نسيان
المنعم واعتقاد ان له علي الله حقا ومنة حتى يترفع كرامة في الدنيا و
يستبعد ان يجري عليهم مكروه فهو اذلال والفرق بين العجب والكبر ما ذكر ناه
في حقيقة الكبر فلا نعيده وعلاج العجب ان يعلم ان علاج كل علة هو مقابلة
سببها بضده وعلة العجب الجهل المحض فعلاجه المعرفة المضادة لذلك

الجهل فقط والموفق لذلك

كتاب ذم الغرور

وفيه فصلان فصل في بيان ذم الغرور وحقيقته و
امثلته وفصل في اصناف المغترين

الفصل الاول في ذمه وحقيقته

وامثلته اما ذمه فقد قال الله تعالى فلا تغرنكم الحيوة الدنيا ولا
يغرنكم بالله الغرور قال تعالى وغرتكم الاماني حتى جاء امر الله وغركم
بالله الغرور وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم حبذا نوم الاكياس
وفطرهم كيف يغبنون سهر الحمقى واجتهادهم ولمثقال ذرة من صاحب
تقوى ويقين افضل من ملاء الارض من المغترين وقال الكيس من دان
نفسه وعمل لما بعد الموت والاحمق من اتبع نفسه هواها وتمنى على الله
الرحمة والمغفرة وبالجملة فكل ما ورد في فضل العلم وذم الجهل فهو دليل
على ذم الغرور واما حد الغرور وحقيقته فهو سكون النفس الى
ما يوافق الهوى ويميل اليه الطبع عن شبهة وخدعة من الشيطان
فمن اعتقد انه على خير اما في العاجل او في الآجل عن شبهة فاسدة
فهو مغرور واكثر الناس يظنون بانفسهم خيرا وهم مخطئون فاكثر
الناس اذن مغرورون وان اختلفت اصناف غرورهم حتى كان
غرور بعضهم اظهر واشد من بعض واظهرها غرورا غرور الكفار
وغرور العصاة والفساق فنورد لهما امثلة لحقيقة الغرور

المثال الاول غرور من غرتهم الحيوة الدنيا ومنهم من غرهم بالله الغرور
اما الذين غرتهم الحيوة الدنيا فهم الذين قالوا النقد خير من النسيئة ⁶ والدنيا نقد في الاخرة نسيئة صح
فاذن هو خير فلا بد من ايثارها وقالوا ايضا لذات الدنيا يقين ولذات
الاخرة شك واليقين خير من الشك فاذن لا يترك اليقين الذي هو
الدنيا بالشك الذي هو الاخرة وهذه اقيسة فاسدة تشبه قياس
ابليس حيث قال انا خير منه خلقتني من نار وخلقته من طين والى
هؤلاء الاشارة بقوله تعالى اولئك الذين اشتروا الحيوة الدنيا بالاخرة
فلا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون وعلاج هذا الغرور اما بتصديق يق
الايمان واما بالبرهان اما التصديق بمجرد الايمان فهو ان يصدق الله
تعالى في قوله ما عندكم ينفد وما عند الله باق وفي قوله الكريم وما
عند الله خير وهذا ايمان العامة وهو مخرج من الغرور وينزل هذا
منزلة تصديق الصبي والده في ان حضور المكتب خير من حضور الملعب
مع انه لا يدري وجه كونه خيرا واما المعرفة بالبرهان فهو ان يعرف
وجه ⁶ وفساد هذا القياس الذي نظمه في قلبه الشيطان ويعلم ان لهذا وجه فساده صح
القياس اصلين احدهما ان الدنيا نقد والاخرة نسيئة وهذا صحيح والآخر
قوله ان النقد خير من النسيئة وهذا محل التلبيس فليس الامر كذلك بل
ان كان النقد مثل النسيئة في المقدار فهو خير وان كان اقل منه فالنسيئة

خير من النقد واذا حذره الطبيب الفواكه ولذيذ الاطعمة ترك ذلك في
الحال خوفا من الم المرض في المستقبل وقد ترك النقد ورضي بالنسيئة والتجار
كلهم يركبون البحار ويتعبون في الاسفار لاجل الراحة والربح نسيئة
وعند هذا ينزع الشيطان الي القياس الاخر وهو ان اليقين خير من الشك
والآخرة شك وهذا القياس اكثر فسادًا من الاول لان كلي اصليه باطل
اذ اليقين خير من شك اذا كان مثله والا فالتاجر في تعبه علي يقين وفي
ربحه علي شك والمتفقه في اجتهاده علي يقين وفي ادراكه رتبة العلم
علي شك والمريض في شربه الدوآء علي يقين وهو من الشفاء علي شك
وكل ذلك ترك اليقين بالشك ولكن التاجر يقول ان لم اتجر بقيت جائعا
وعظم ضرري وان اتجرت كان تعبي قليلا وربحي كثيرا والمريض ايضًا
يقول ضرر مرارة الدوآء قريب بالاضافة الي ما اخافه من المرض والموت
وكذلك من شك في الاخرة فواجب عليه ان يقول الصبر اياما قلايل وهو
منتهي العمر قريب بالاضافة الي ما يقال من امر الاخرة وان كان ما قيل فيه كذبا
فما يفوتني الا التنعم ايام حيوتي وقد كنت في العدم من الازل الي الآن
لا اتنعم فاحسب اني بقيت في العدم وان كان ما قيل فيه صدقا فابقي
في النار ابد الاباد وهذا لا يطاق ولذلك قال علي رضي الله عنه لبعض
الملحدين ان كان ما قلته حقا فقد تخلصت وتخلصنا وان كان ما

قلنا حقا فقد تخلصنا وهلكت وما قال هذا عن شك منه في الاخرة
ولكن كلم الملحد علي قدر عقله وبين له وانه وان لم يكن متيقنا فهو مغرور
واما الاصل الثاني من كلامه وهو ان الآخرة شك فهو ايضًا خطاء بل
ذلك يقين عند المومنين فهذا امثال الغرور بالدنيا المثال الثاني مثال
غرور من غرهم بالغرور وهو انهم يقولون قد احسن الله الينا بنعيم الدنيا — مطلب الغرور
وكل محسن فهو محب وكل محب فهو محسن في المستقبل ايضا كما قال الشاعر
رضيت بما قسم الله لي وفوضت امري الي خالقي ولقد احسن الله فيما مضي
وكذلك يحسن فيما بقي ويقول لولا اني كريم ومحبوب عند الله تعالي
لما احسن الي وتلبيس تحت ظنه ان كل محسن محب لا بل تحت ظنه ان انعامه
عليه في الدنيا احسان فقد اغتر بالله سبحانه وتعالي اذ ظن انه كريم — اغتر
عنده بدليل لا يدل علي الكرامة بل عند ذوي البصاير يدل علي الهوان ومثاله
ان يكون للرجل عبدان صغيران يبغض احدهما ويحب الآخر فالذي يحبه
يمنعه من اللعب ويلزمه المكتب ويحبسه فيه ليعلمه الادب ويمنعه من
الفواكه وملاذ الاطعمة التي تضره ويسقيه الادوية البشيعة التي
تنفعه والذي يبغضه يهمله ليعيش كيف ما يريد فيلعب ولا يدخل المكتب
ويأكل كلما يشتهي فيظن هذا الصبي المهمل انه عند سيده محبوب كريم وذلك
محض الغرور وهكذا نعيم الدنيا ولذاتها فانها مهلكات ومبعدات من الله

وان الله يحمي عبده من الدنيا كما يحمي احدكم مريضه الطعام والشراب وهو
يحبه هكذا ورد في الخبر لهذا كان السلف اذا اقبلت عليهم الدنيا حزنوا
وقالوا ذنب عجلت عقوبته وراوه ذلك امارة المقت والاهمال واذا
اقبل عليهم الفقر قالوا مرحبا بشعار الصالحين واذا اقبلت عليه الدنيا
ظن انها كرامة من الله تعالي واذا صرفت عنه ظن انه هوان كما اخبر
الله تعالي عنه اذ قال فاما الانسان اذا ما ابتلاه ربه فاكرمه الي
قوله اهانني فكذبهما الله تعالي جميعا بقوله اذ ليس هذا بكرامتي ولا هذا
لهواني ولكني الكريم من اكرمته بطاعتي غنيا كان او فقيرا والمهان
من اهنته بمعصيتي غنيا كان او فقيرا وعلاج هذا الغرور معرفة
دلايل الكرامة والهوان اما بالبصيرة واما بالتقليد اما البصيرة فهو ان
يعرف وجه كون الالتفات الي شهوات الدنيا مبعدا عن الله تعالي
ووجه كون التباعد عنها مقربا الي الله تعالى ويدرك ذلك بالالهام
في منازل الاولياء العارفين وشرحه من جملة علوم المكاشفة ولا
يليق بعلم المعاملة واما المعرفة بطريق التقليد والتصديق فهو ان
يؤمن بكتاب الله تعالى ويصدق رسوله صلي الله عليه وسلم وقد
قال الله تعالى ايحسبون انما نمدهم به من مال وبنين نسارع لهم في الخيرات
بل لا يشعرون وقال فتحنا عليهم ابواب كل شيء حتي اذا فرحوا بما

اوتوا اخذناهم بغتة فاذا هم مبلسون وقال سنستدرجهم من حيث
لا يعلمون ومعني سنستدرجهم انهم كلما احدثوا ذنبا احدثنا لهم نعمة
ليزيدهم فمن آمن به تخلص من هذا الغرور فان منشاء هذا الغرور الجهل غرور
بالله تعالى وبصفاته فان من عرفه لا يامن مكره ولا يغتر بامثال هذه الخيالات
وينظر الي فرعون وقارون والي ملوك الارض كيف احسن اليهم ابتداء ثم دمرهم
تدميرا المثال الثالث هو غرور العصاة من المؤمنين بقولهم ان الله كريم وانا مطلب غرور العصاة
نرجوا عفوه واتكالهم علي ذلك واهمالهم الاعمال وتحسين ذلك بتسميتهم
واغترارهم رجاء وظنهم ان للرجاء مقام محمود في الدين وان نعمة الله تعالى
واسعة ورحمته شاملة وكرمه عميم واين معاصي العباد في بحار رحمته
وانا موحدون ومؤمنون فنرجوه بوسيلة الايمان وربما كان مستندا رجاؤهم
التمسك بصلاح الاباء وعلو رتبتهم كاغترار العلوية بنسبهم ومخالفتهم
سيرة ابائهم في الخوف والورع والتقوي وظنهم انهم اكرم علي الله من ابائهم
اذ اباؤهم من غاية الورع والتقوي كانوا خائفين وهم مع غاية الفجور والفسق
امنون وذلك نهاية الاغترار بالله عز وجل وينسي المغرور ان نوحا عليه السلام
اراد ان يستصحب ولده في السفينة وقال ان ابني من اهلي فقال تعالي انه
ليس من اهلك انه عمل غير صالح وان ابرهيم عليه السلام استغفر لابيه ولم ينفعه
وان نبينا عليه الصلوة والسلام استاذن ربه عز وجل في ان يزور قبر امه

ويستغفر لها فاذن له في الزيارة والبكاء ولم يؤذن له في الاستغفار
ومن ظن انه ينجو بتقوي ابيه كمن ظن انه يشبع باكل ابيه ويروي
بشرب ابيه ويصير عالما بتعلم ابيه وهذا حمق وغرور وليس برجاء
وقد شرح الله تعالي الرجاء ان الذين امنوا والذين هاجروا وجاهدوا
في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله يعني ان الرجاء يليق بهم لانهم
عملوا وكما ان الذي يرجوا في الدنيا ولدا وهو بعد لم ينكح ولم يجامع او
جامع ولم ينزل فهو معتوه فكذلك من رجا رحمة الله تعالي وهو لم يؤمن
او آمن ولم يعمل صالحا او عمل مجبورا ولم يترك المعاصي فهو مغرور وكما انه
اذا نكح ووطئ وانزل بقي مترددا في الولد يخاف ويرجوا فضل الله تعالي
في خلق الولد ودفع الافات عن الرحم وعن الام الي ان يتم فهو كيس وكذلك
اذا آمن وعمل الصالحات وترك السيئات وبقي مترددا بين الخوف
والرجاء يخاف ان لا يقبل منه وان لا يدوم عليه وان يختم له
بالسوء ويرجو من الله ان يثبته علي دينه حتي يموت فهو كيس ومن
عدا هولاء فهو المغرورون بالله تعالي وسوف يعلمون حين يرون
العذاب من اضل سبيلا فهذه امثلة الغرور بالله تعالي وبيان الفرق
وبين الرجاء والغرور **الفصل الثاني** في بيان اصناف المغترين
واصناف كل صنف الصنف الاول اهل العلم المغترين منهم فرق فرقة

منهم احكموا العلوم الشرعية والعقلية واهملوا العمل وعلموا علم الطاعات
ولم يعملوها وتحققوا علم المعاصي ولم يجتنبوها وعرفوا علم الاخلاق
المذمومة وما زكوا انفوسهم عنها وعلموا علم الاخلاق المحمودة ولم يتصفوا بها
فهم مغرورون اذ قال تعالي قد افلح من زكاها ولم يقل قد افلح من يعلم كيفية تز كيتها
وكتب علم ذلك وعلمه الناس وكيف يطمع في البرء من المرض من اقتصر علي معرفة
مجرد الدواء ومثال آخر من اراد خدمة ملك معرفة الملك وعرف اخلاقه
واوصافه وعاداته ولم يتعرف ما يحبه ويكرهه وما يغضب عليه وما
يرضا به او عرف ذلك الا انه قصد خدمته وهو ملابس لجميع ما يغضب به
وعاطل عن جميع ما يحبه فورد علي الملك ويريد التقرب منه والاختصاص
فهو مغرور جدا وفرقة اخري احكموا العلم فواظبوا علي الطاعات الظاهرة
والمعاصي الا انهم لم يتفقدوا قلوبهم ليمحوا عنها الصفات المذمومة من الكبر
والحسد والريا وغيرها من الاخلاق السوء ومثال هولاء كقبور الموتي ظاهرها
مزين وباطنها جيفة وكرجل زرع زرعا فنبت معه حشيش يفسده
فامر بتنقية الزرع عن الحشيش بقلعه من اصله فاخذ يجز رؤسه
واطرافه فلا يزال يقوي اصوله وتثبت لان مغارس المعاصي هي الاخلاق
الذميمة في القلب فمن لا يطهر القلب منها لا يتم له الطاعات الظاهرة الا مع
الافات الكثيرة بل هو كمريض ظهر به الجرب وقد امر بالطلاء وشرب الدواء

والطلاء ليزول ما علي ظاهره والدواء ليقلع مادته من باطنه
فقنع بالطلاء وترك الدواء فلا يزال يطلي الظاهر والجرب دايم
من المادة التي في الباطن وفرقة اخري من العلماء من اقتصر علي علم الفتاوي
في الحكومات والخصومات وضيع مع ذلك الاعمال الظاهرة والباطنة
ولم يحرس اللسان عن الغيبة ولا الباطن عن الحرام ولا الرجل عن المشي
الي دور السلاطين وكذا ساير الجوارح ولم يحرس قلبه عن الكبر والرياء
والحسد وساير المهلكات فهو مغرور ومثاله به البواسير والبرسام وهو
مشرف علي الهلاك محتاج الي تعلم الدواء واستعماله واشتغل بتعلم
دواء الاستحاضة مع علمه بانه رجل لا يحيض ولكن يقول ربما يقع الا
ستحاضة لامراءة وتسئلني عن ذلك وذلك غاية الغرور ومثاله مثال
من اقتصر من سلوك طريق الحج علي علم خرز الراوية والخف ولا شك انه
في غرور وكذلك اذا ترك علم كتاب الله وسنة رسوله وترك علم
تهذيب الاخلاق وترك الفقه عن الله عز وجل بادراك جلاله و
عظمته وهو العلم الذي يورث الخوف والخشية والخشوع والهيبة
فهو غافل مغرور وسبب غروره ما سمع في الشرع من تعظيم الفقه ولم يدر
ان ذلك هو الفقه عن الله تعالي ومعرفة صفاته المخوفة والمرجوة
ليستشعر القلب الخوف ويلازم التقوي اذ قال تعالي فلولا نفر من كل

فرقة منهم طائفة ليتفقهوا في الدين ولينذروا قومهم اذا رجعوا اليهم
والذي يحصل به الانذار غير هذا العلم فان مقصود هذا العلم حفظ
الاموال بشروط المعاملات وحفظ الابدان بالاموال وبدفع القتل
والجراحات في طريق الله تعالي آلة والبدن مركب وانما العلم المهم هو معرفة
سلوك الطريق وقطع عقبات القلب التي هي الصفات المذمومة فهي الحجاب
بين العبد وبين الله تعالي واذا مات ملوثا بتلك الصفات كان محجوبا
عن الله تعالى وفرقة اخري اشتغلوا بعلم القراءات واعرضوا عن معرفة المعاني
وضيعوا اعمارهم في تصحيح علم مخارج الحروف في القراءات وهي غرور واغا الحروف
ظروف واوعية ومثاله مثال من احتاج ان يشرب السكنجبين ليزول
ما به من الصفراء فضيع اوقاته في تحسين القدح الذي يشرب فيه
السكنجبين وتزويقه الصنف الثاني ارباب العبادات والمغرورون
منهم فرق كثيرة فمنهم من اهملوا الفرايض واشتغلوا بالفضايل والنوافل فهم
مغرورون لتركهم الاهم ومنهم من تغلب عليه الوسوسة في اخراج حروف الفاتحة
وساير الاذكار من مخارجها فلا يزال يحتاط في التشديد والفرق بين الضاد
والظاء وتصحيح مخارج الحروف في جميع صلوته ولا يتفكر فيما سواه ذاهلا
عن معني القرآن والاتعاظ به وصرف الفهم الي اسراره ومثال هولاء مثال من
حمل رسالة الي مجلس سلطان وامر ان يؤديها علي وجهها فاخذ يؤدي الرسالة

مطلب التصوف

وتتنوق في مخارج الحروف ويكررها مرة بعد اخرى وهو في ذلك غافل عن
مقصود الرساله ومراعات حرمة المجلس فما احراه ان تقام عليه السياسة
ويرد الى دار المجانين ويعذب الصنف الثالث المتصوفة ترى كثيرا
من الصوفية قنعوا بلبس المرقعات ويتعلموا الالفاظ الهايلة واستحقروا
المشتغلين بمعرفة المفترضات ويغفلون عن قول النبي صلى الله عليه
وسلم حكاية عن الله تعالى لن يتقرب الي المتقربون بمثل اداء ما افترضت
عليهم وهذا ايضا غرور الصنف الرابع ارباب الاموال والمغترون منهم
كثير وترى ناسا قنعوا ببناء القناطير والرباطات والمدارس والصدقة
على من يمدحهم ولا ينظرون الى من غصب منهم الاموال ليردوها عليهم خاتمة
في التحذير عن امور دقيقة من الغرور اعلم ان الله تعالى سبعين حجابا من
نور ولا يصل السالك الى حجاب منها الا ويظن انه وصل واليه الاشارة
في قول ابراهيم عليه السلام فلما راى كوكبا قال هذا ربي فانه لم يرد انه معتقد
لربوبية الجسم المنير فانه يراه من صغره الى كبره والجهال يعلمون انه ليس ربا
فكيف يعتقد ابرهيم عليه السلام بل المراد به نور الانوار التي في الحجب
فان بعضها انور من بعض واصغر المنيرات الكواكب فاستعير لادناها
وهو الحجاب الاول لفظه واعظم المنيرات الشمس فاستعير لاعلاها وهو الحجاب
الاخير لفظها والقمر متوسط بينهما فاستعير لاوسطها لفظها وكان

ابرهيم عليه السلام لما نظر الى الحجاب الاخير وراه غير خال عن النقص والا
نحطاط عن ذروة الكمال تعداه وقال لا احب الافلين اني وجهت وجهي
للذي فطر السموات والارض اذا عرفت هذا فاعلم ان السالك قد يغتر
عند الاطلاع على بعض هذه الحجب بنفسه فانه امر رباني نوراني اعني سر
القلب الذي يتجلى فيه حقايق الامور وهو يشرق اشراقا عظيما عند تجلي
الحقايق فيه وزوال الحجب التي اشرنا اليها في كتاب عجايب القلب فربما التفت
صاحب القلب الى القلب في هذه الحالة فدهش وسبق لسانه وقال انا الحق كما
صدر من منصور الحلاج وغيره فمثل هذا اذا وقف وقع ولم يتضح له ما
وراء ذلك هلك وكان مغترا بكوكب صغير من انوار الحضرة الالهية وصار
كمن راى الكوكب في الماء فظن انه لون الماء وكمن التبس عليه الخمر بالزجاج
كما قيل رق الزجاج ورقت الخمر فتشابها فتشاكل الامر فكانما خمر ولا قدح
وكانما قدح ولا خمر وبهذا العين نظر النصارى الى المسيح عليه السلام
فهلكوا فانهم ان كنت تعرف منطق الطير واعبر على الماء والى هذا وقعت
الاشارة بقوله عليه السلام لما قيل له ان عيسى عليه السلام مشى على
الماء فقال لو ازداد يقينا لمشى على الهواء وهذا اخر قسم المهلكات ويتلوه
ربع المنجيات وهو ايضا يشتمل على عشر كتب وصلى على سيدنا محمد
واله وصحبه بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب التوبة

اعلم ان التوبة مبداء طريق السالكين واول اقدام المريدين فان
التجرد لمحض الخير داب الملائكة المقربين عليهم السلام والتجرد للشر
دون التلافي تحية السلطين والرجوع الي الخير بعد الوقوع في الشر
ضرورة الادميين فقد ازدوج في طينة الانسان شايبتان واصطحب
فيه سجيتان وكل عبد مصحح نسبه اما الي الملك او الي آدم عليه السلام
او الي الشيطان فالتايب قد اقام البرهان علي صحة نسبه الي ادم عليه السلام
والمصر علي الطغيان مسجل علي نفسه بنسب الشيطان فاما تصحيح النسب
بالتجرد الي الملائكة فخارج عن حيز الامكان وان الشر معجون مع الخير في
طينة آدم عليه السلام عجنا محكما لا يخلصه الا احدي نارين نار الندم
او نار جهنم فالاحراق بالنار ضروري في تخليص جوهر الانسان عن خبايث
الشيطان واليك الآن اختيار اهون الشرين والمبادرة الي اخف النارين
قبل ان يطوي بساط الاختيار ويساق الي دار الاخطرار اما في الجنة
والي النار واذا كانت التوبة موقعها من الدين هذا الموقع وجب تقديمها
في صدر ربع المنجيات بشرح حقيقتها وجميع مجامعها ونفتتح ذلك
بذكر ثلثة ابواب الفصل الاول في نفس التوبة وبيان حقيقتها وحدها
وانها واجبة علي الفور علي جميع الاشخاص في جميع الاحوال وانها اذا

صحت كانت مقبولة اما فضيلة التوبة قال الله تعالي ان الله يحب التوابين
وقال تعالي وتوبوا الي الله جميعا قال النبي صلي الله عليه وسلم التايب
من الذنب كمن لا ذنب له وقال رجل حبشي لرسول الله صلى الله عليه وسلم
اني كنت اعمل الفواحش فهل لي من توبة قال نعم فولي ثم رجع فقال يا رسول الله
اكان الله يراني وانا يعملها قال نعم فصاح الحبشي صيحة خرجت منها نفسه
رحمة الله عليه وقال عليه السلام لله تعالى افرح بتوبة عبده المؤمن
من رجل نزل بارض دوية مهلكة مع راحلته عليها طعامه وشرابه فوضع
راسه فنام نومة فاستيقظ وقد ذهب راحلته فطلبها حتي اشتد عليه
الحر والعطش او ما شاء الله قال ارجع الي مكاني الذي كنت فيه فانام نومة
حتي اموت فوضع راسه ليموت فاستيقظ فاذا راحلته عند راسه عليها
زاده وشرابه فالله تعالي اشد فرحا بتوبة العبد المؤمن من هذا براحلته
وقال بعض السلف رحمة الله عليهم زاده وقد سمع قوله تعالى قل للذين
كفروا ان ينتهوا يغفر لهم ما قد سلف اني لارجوا ان يكون المسلم احسن حالا
عند الله تعالى وقال قد بلغني ان توبة المسلم كاسلام بعد اسلام اما النفس
التوبة فهي عبارة عن الرجوع عن طريق العبد من الله تعالى الي طريق القرب منه
الا ان انتظامها من ثلثة امور مترتبة علم وحال وفعل والاول موجب للثاني
والثاني موجب للثالث فالاول علم ومعرفة بان الذنوب سم مهلكة وكونها

حجابا بين العبد وبين كل محبوب والثاني انه اذا عرف ذلك معرفة محققة
ثار من هذه المعرفة حالة وهي تألم للقلب بسبب فوات المحبوب بواسطة
الذنوب يسمى ندمًا والثالث انه اذا غلب هذا الالم علي القلب والمستولي انبعث
من هذا الالم في القلب حالة أخرى تسمى ارادة وقصدا الي فعل له تعلق بالحال
والماضي والاستقبال اما تعليقه بالحال فبالترك للذنب واما تعليقه
بالاستقبال فبالعزم علي ترك الذنب الي اخر العمر واما تعليقه بالماضي فبتلافي
ما فات بالجبر والقضاء ان كان قابلا للجبر فالعلم والندم والقصد
المتعلق بالترك في الحال والاستقبال والتلافي للماضي ثلاثة معان مترتبة
في الحصول يطلق اسم التوبة علي مجموعها وكثيرا ما يطلق اسم التوبة علي معنى
الندم وحده وبهذا الاعتبار قال عليه السلام الندم توبة اذ لا يخلو الندم
عن علم اوجبه واثمره وعن عزم يتبعه ويتلوه فيكون الندم محفوفا بطرفيه
اعني ثمرته ومثمره والاقاويل في حدود التوبة كثيرة واذا فهمت هذه
المعاني الثلاثة وتلازمها وترتبها عرفت ان جميع ما قيل في حدودها قاصر
عن الاحاطة بجميع معانيها وطلب العلم بحقايق الامور اهم من طلب الالفاظ
المجردة واما وجوبها فظاهر بالآيات والاخبار وواضح ايضا بنور البصيرة
عند انفتحت بصيرته وشرح الله بنور الايمان صدره حتي اقتدر علي
ان يسعى سرّه في ظلمات الجهل مستغنيا عن قايد يقوده في كل خطوة

فالسالك

فالسالك اما اعمى لا يستغني عن القايد في خطوة واما بصير يهدى الي اول الطريق
ثم يهتدي بنفسه وكذلك الناس في طريق الدين ينقسمون هذا الانقسام
فمن قاصر لا يقدر علي مجاوزة التقليد في خطوة فيفتقر الي ان يسمع في كل
قدم نصا من كتاب الله تعالى وسنة رسوله ومن سعيد يتنبه بادني اشارة
لسلوك طرق معوجة وقطع عقبات صعبة فيشرق في قلبه نور القرآن
ونور الايمان وهو بشدة نور باطنه تجتزئ بادنى بيان فهذا لا يحتاج الي نص
منقول في كل واقعة فمن هذا حاله اذا اراد ان يعرف وجوب التوبة فينظر
ايضا بنور البصيرة الي التوبة ما هي ثم الي الوجوب ما معناه ثم يجمع بين معني الوجوب
والتوبة فلا يشك في ثبوته لها وذلك بان يعلم ان معني الواجب ما هو واجب في
الوصول الي سعادة الابد والنجاة من هلاك الابد وانه لولا تعلق السعادة
والشقاوة بفعل الشيء وتركه لم يكن لوصفه بكونه واجبا معني فاذا عرف
معني الوجوب وانه وسيلة الي سعادة الابد وعلم انه لا سعادة في دار
البقاء الا بلقاء الله تعالي وان كل محجوب عنه يشقى لا محالة يحول
بينه وبين ما يشتهيه محترق بنار جهنم ونار الفراق وعلم انه لا
مبعد عن لقاء الله تعالي الا اتباع الشهوات والانس بهذا العالم الفاني
والاكباب علي حب ما لا بد من فراقه قطعا وعلم انه لا مقرب من لقاء الله تعالى
الا قطع علاقة القلب عن زخرف هذا العالم والاقبال بالكلية علي الله تعالى

طلب الانس به بدوام ذكره وعلم الذنوب هي المبعدة عن الله تعالى وحضرته
وسبب كونه محجوبا عن الله عز وجل فلا يشك في الانصراف عن طريق البعد
واجب للوصول الى القرب وانما يتم الانصراف بالعلم والندم والعزم كما ذكرناه
واما من لم يبلغ هذا المقام فحاله التقليد والاتباع لقول الله وقول رسوله
وقول السلف الصالحين قال الله تعالى وتوبوا الى الله جميعا ايها المؤمنون
لعلكم تفلحون وقال صلى الله عليه وسلم التايب من الذنب كمن لا ذنب له
والاخبار والاثار في ذلك لا تحصى واما وجوبها على الفور فلا يستراب
فيه اذ معرفة كون المعاصي مهلكات من نفس الايمان وهو واجب على الفور
والمقتضي عن وجوبه هو الذي عرفه معرفة زجره ذلك عن الفعل وكل علم يراد
ليكون باعثا على عمل فلا يقع المقتضي عن عهدته ما لم يصير باعثا فالعلم بضرر
الذنوب انما اريد ليكون باعثا على تركها فمن لم يتركها فهو فاقد لهذا الجزء من
الايمان وهو المراد بقوله عليه السلام لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن
ومن اراد به نفي الايمان الذي يرجع الى علوم المكاشفة كالعلم بالله تعالى
ووحدانيته وصفاته وكتبه ورسله فان ذلك لا ينافيه الزنا والمعاصي
وانما اراد به نفي الايمان بكون الزنا مبعدا عن الله تعالى وموجبا للمقت
فالعاصي بالضرورة ناقص الايمان وليس الايمان بابا واحدا بل هو نيف
وسبعون بابا اعلاه الشهادة وادناه اماطة الاذى عن الطريق ومثاله

قول

قول القايل ليس الانسان موجودا واحدا بل هو نيف وسبعون موجودا اعلاها
القلب والروح وادناها اماطة الاذى عن البشرة بان يكون مقصوص الشارب
مقلوم الاظفار نقي البشرة عن الخبث حتى يتميز عن البهايم المستكوهة بطول
مخالبها واظلافها فالايمان كالانسان وفقد شهادة التوحيد يوجب البطلان
بالكلية كفقد الروح والذي ليس له الا شهادة التوحيد والرسالة هو
كالانسان مقطوع الاطراف مقطوع العينين فاقد لجميع اعضائه الظاهرة
والباطنة الا اصل الروح وكما ان من هذا حاله قريب من ان يموت فيزايله
الروح الضعيفة المنفردة التي تخلف عنها الاعضاء التي تقويها فكذلك
من ليس له الا اصل الايمان وهو مقصر في الاعمال قريب من ان ينقلع شجرة
ايمانه اذا اصدمتها الرياح العاصفة المحركة للايمان في قدوم ملك الموت
وورده فكل ايمان لم يثبت في اليقين اصله ولم تنتشر في الاعمال فروعه
لم يثبت على عواصف الاهوال عند ظهور ناصية ملك الموت وخيف عليه
سوء الخاتمة الا ما سقي بماء الطاعات على توالي الايام والساعات حتى رسخ
وثبت وقول العاصي للمطيع اني مؤمن كما انك مؤمن كقول شجرة القرع لشجرة
الصنوبر اني شجرة وانت شجرة وما احسن جواب الشجرة اذ قالت ستعرفين
اعترارك بشمول الاسم اذ عصفت رياح الخريف فعند ذلك تنقلع
اصولك وتتناثر اوراقك وينكشف غرورك بالمشاركة في اسم الشجر مع

مطلب خوف الخاتمة

الغفلة عن اسباب ثبات الاشجار سوف ترى اذا انجلي الغبار افرس تحتك
ام حمار فالمعاصي للايمان كالماكولات المضرة للابدان فلا يزال يجمع
في الباطن مغيرة المزاج وهو لا يشعر بها الا ان يفسد المزاج فيمرض دفعة
واحدة ثم يموت دفعة فكذلك المعاصي فالخايف من الهلاك في الدنيا المنقضية
يجب عليه ترك السموم وما يضره من الماكولات في كل حال علي الفور فالخايف
من هلاك الابدان اولي بان يجب عليه ذلك وان كان متناول السم اذا ندم
يجب عليه ان يتقيا ويرجع عن تناوله بابطاله واخراجه عن المعدة علي سبيل الفور
فتناول سموم الدين وهي الذنوب اولي بان يجب عليه النزوع عنها بالتدارك
واما وجوبها علي جميع الاشخاص في الاحوال علي العموم فلا ينفك عنه احد البتة
اذ قال الله تعالي وتوبوا الي الله جميعا ايها المومنون فعم الخطاب ونور
البصيرة يرشد اليه اذ معني التوبة الرجوع عن الطريق المبعد عن الله تعالي
المقرب الي الشيطان ولا يتصور ذلك الا من عاقل ولا تكمل غريزة العقل
الا بعد كمال غريزة الشهوة والغضب وساير الصفات المذمومة التي هي وسايل
الشيطان الي اغواء الانسان اذ مبادي العقل تظهر بعد سبع سنين واصله
انما يتم عند البلوغ وكماله عند الاربعين والشهوات جنود الشياطين
والعقول جنود الملايكة عليهم السلام فقد سبق جند الشيطان واستولي
علي المكان ووقع للقلب به انس والف لا محالة مقتضيات الشهوات

بالعادات

بالعادات ثم يلوح العقل الذي هو حزب الله وجنده ومنقذ اوليائه
من ايدي اعدائه شيئا فشيئا علي التدريج فان لم يقو ولم يكمل سلمت
مملكة القلب للشيطان وانجز اللعين موعده حيث قال لاحتنكن ذريته
الا قليلا اذا كمل العقل وقوي كان اول شغله قمع جنود الشيطان بكسر
الشهوات ومفارقة العادات ورد الطبع علي سبيل القهر الي العبادات
ولا معني للتوبة الا هذا وهو الرجوع عن طريق دليله الشهوات وخفيره الشيطان
الي طريق الله تعالي وليس في الوجود ادمي الا وشهوته سابقة علي عقله فكان
الرجوع عما سبق اليه علي مساعدة الشهوات ضروريا في حق كل انسان نبيا كان
او غبيا وعلي الكافر التوبة من كفره وعلي المنافق التوبة من نفاقه وعلي الغافل
التوبة من غفلته وكل هذا رجوع وتوبة فدل ان التوبة فرض عين في حق كل
شخص واما بيان وجوبها علي الدوام في كل حال فهو ان كل انسان لا يخلو
من العصيان بجوارحه فان خلا في بعض الاحوال عن معصية الجوارح
فلا يخلو عن الهم بالذنوب بالقلب فان خلا عن الهم فلا يخلو عن الوسواس
المذهل عن الله تعالي فان خلا عنه فلا يخلو عن غفلة وقصور في العلم بالله
وصفاته وافعاله وكل ذلك نقص فكلما ارتقي الي مقام استغفر عما
قبله ولهذا قال عليه السلام انه ليغان علي قلبي حتي استغفر الله في
اليوم والليلة سبعين مرة ولذلك اكرمه الله بان قال ليغفر لك الله

ما تقدم من ذنبك وما تأخر واذا كان حاله هذا فكيف حال غيره
فاذن كل انسان احتيج الي التوبة في جميع الاحوال وليس معني التوبة
تركها فقط بل تمام التوبة تدارك ما مضي وكل شهوة اتبعها الانسان
ارتفع منها ظلمة الي قلبه كما يرتفع من نفس الانسان ظلمة الي وجه المرآءة
الصقيلة فان تراكمت ظلمة الشهوات صار رينا كما يصير بخار النفس
في وجه المرآءة عند تراكمه خبثا كما قال تعالي كلا بل ران علي قلوبهم
ما كانوا يكسبون فاذا تراكم الدين صار طبعا فيطبع علي قلبه كالخبث
علي وجه المرآءة اذا تراكم وطال زمانه غاص في جرم الحديد وافسده
وصار لا يقبل الصقل وصار كالمطبوع من الخبث ولا يكفي في تدارك
اتباع الشهوات تركها في المستقبل بل لا بد من محو تلك الاثار التي انطبعت
في القلب كما لا يكفي في ظهور الصور في المرآءة قطع الانفاس والبخارات
المسودة لوجهها في المستقبل ما لم يشتغل بمحو ما انطبع فيها من الاثار و
كما ترتفع الي القلب من المعاصي والشهوات فيرتفع اليه نور من الطاعات
وترك الشهوات فتمحي ظلمة المعصية بنور الطاعة واليه الاشارة بقوله
تعالي ان الحسنات يذهبن السيئات في قوله صلي الله عليه وسلم اتبع
السيئة الحسنة تمحها وفي رواية اذا عملت سيئة فاتبعها حسنة
تكفرها السر بالسر والعلانية بالعلانية والحسنات المكفرات اما بالقلب

كالخضوع

كالخضوع لله تعالي بحيث يظهر علي قلبه اثره واما بالجوارح كالعبادات
والصدقات واما باللسان مثل ان يقول ظلمت نفسي وعملت سوءً فاغفر لي
ذنوبي انك غفور رحيم قال سهل رحمة الله عليه لا بد للعبد ان يرجع
الي مولاه في كل حال فان عصي قال يا رب استر علي فاذا فرغ من المعصية قال
يا رب تب علي فاذا تاب قال يا رب ارزقني العمل فاذا عمل قال يا رب تقبل
مني وهذا سر قوله وليست التوبة للذين يعملون السيئات الي قوله ثم يتوبون
من قريب ومعناه عن قرب عهد بالخطيئة بان يتندم عليها ويمحو اثرها
بحسنة قبل ان تراكم الدين علي القلب ولذلك قال لقمان لابنه عليهما السلام
لا تؤخر التوبة فان الموت يأتي بغتة فينبغي للعاقل ان يتدارك المعصية
بالتوبة قبل الموت علي ما اشار اليه قوله تعالي من قبل ان يأتي احدكم الموت فيقول
رب لولا اخرتني الي اجل قريب قيل معناه ان يقول عند الكشف عن الغطاء
ما ملك الموت اخرني يوما اعتذر فيه الي ربي فاتوب واتزود صالحا لنفسي
فيقول فنيت الايام فلا يوم فيقول اخرني ساعة فيقول فنيت الساعات
فلا ساعة فيغلق عليه باب التوبة ويموت بالحسرة والندامة علي تضييع
العمر ومن ترك المبادرة الي التوبة بالتسويف كان بين خطرين عظيمين احدهما
ان يتراكم الظلمة علي قلبه من المعاصي حتي يصير رينا وطبعا فلا يقبل المحو
والثاني ان يعالج المرض او الموت فلا يجد مهلة للاشتغال بالمحو ولذلك

وورد في الخبر ان اكثر صياح اهل النار من التسويف فما هلك الا بالتسويف
الى ان يختطفه الاجل فيأتي الله بقلب غير سليم ولا ينجو الا من اتى الله بقلب
سليم فالقلب امانة الله عند عبده وكذا ساير اسباب الطاعة فمن
خان في الامانة ولم يتدارك في خيانته فامره على خطر قال بعض
العارفين ان لله تعالى الى عبده سرين يسرهما اليه على سبيل الالهام
احدهما اذا خرج من بطن امه يقول له عبدي قد اخرجتك الى الدنيا
طاهرا نظيفا انظر كيف تلقاني على العهد فالقاك على الوفاء او اضعتها
فالقاك بالمطالبة والعقاب والى هذه الاشارة قوله تعالى واوفوا
بعهدي اوف بعهدكم وفي قوله والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون
واما ان التوبة اذا استجمعت شرايطها فهي مقبولة لا محالة لانك اذا
فهمت معنى القبول لم تشك في ان كل توبة علم وحال وفعل كما ذكرنا في
اول الباب صحيحة فهي مقبوله وشرط صحتها فيما يتعلق بالماضي ان يفتش
عن حاله من اول بلوغه الى الحالة التي هو فيه ويعتبر كل جارحة من جوارحه
وعضو من اعضائه وما حصل بها من خلل فيتداركه وطريق التدارك
ان كانت المعاصي بينه وبين الله فتداركه بالندم والحزن والايثار بمثلها
من الحسنات في المدة وان كانت المعاصي سماع الملاهي فيكفرها بسماع القرآن
والعلم وان كانت في المسجد فيكفرها بالاعتكاف فيه وعلى هذا القياس

مطلب سر الله الى عبده

[illegible]

وان كانت

وان كانت بينه وبين العبد فيتداركه على ما سبق من الندم والمقابلة
بالمثل كمقابلة الايذاء بالاحسان والغيبة بالثناء والقتل باعتاق
الرقاب واخذ المال بالتسليم والاستحلال وان تعذر فطريقه ان يعمل من
الحسنات ما يعطيه عوضا يوم القيمة فالناظرون بنور البصاير علموا ان كل
قلب سليم مقبول عند الله تعالى ومتنعم في الآخرة في جوار الله تعالى ومستعد
بان ينظر بعينه الباقية الى وجه الله تعالى وعلموا ان القلب خلق سليما في
الاصل فكل مولود يولد على الفطرة وانما تفوت السلامة بكدورة ترهق
وجهه من غبرة الذنوب وظلمتها وعلموا ان نار الندم تحرق تلك الغبرة
وان نور الحسنة يمحو عن وجه القلب ظلمة السيئة وانه لا طاقة لظلمة
المعاصي مع بياض الصابون وكما ان الثوب نور الحسنات كما لا طاقة لظلام
الليل مع نور النهار بل كما لا طاقة لكدرة الوسخ مع بياض الصابون وكما
ان الثوب الوسخ لا يقبله الملك لان يكون لباسه فالقلب المظلم لا يقبله الله
تعالى لان يكون في جواره فمن توهم ان التوبة تصح ولا تقبل كمن يتوهم ان الشمس
تطلع والظلام لا يزول والثوب يغسل بالصابون والوسخ لا يزول الا ان
يغوص الوسخ لطول تراكمه في تجاويف الثوب وخلله فلا يقوى الصابون
على قلعه فمثال ذلك ان يتراكم الذنوب حتى يصير طبعا ورينا على القلب فمثل
هذا القلب لا يرجع ولا يتوب نعم قد يقول باللسان تبت فيكون ذلك كقول

القصار بلسانه وقد غسلت الثوب وذلك لا ينظف الثوب اصلا ما لم
يغير القلب باستعماله ما يضاد الوصف المتمكن منه ومن الناس من شرط
لصحة التوبة ان يكون عن جميع الذنوب وليس كذلك اذ من الممكن ان
يتحقق العزم لشخص بترك السرقة دون الشرب وقد قال عليه السلام
التايب من الذنب كما لا ذنب له ولم يقل التايب من الذنوب واختلفوا في تايبين
احدهما نسي الذنب ولم يتفكر فيه والاخر مشتغل بالتفكر ايهما افضل
والمختار انه ان كان من المريدين فالتفكر له افضل وان كان من العارفين
فنسيان الذنب في حقه افضل لان ذكره يشغله عن الحق عز وجل واما
بكاء داود عليه السلام على خطيئته فذلك فعله ليقتدي به امته
فهذا البيان كاف عند ذوي البصاير في قبول التوبة ولكنه نعضد حجة
بنقل الايات والاخبار والاثار فكل استبصار لا يشهد له الكتاب والسنة
لا يوثق به فقد قال الله تعالى وهو الذي يقبل التوبة عن عباده وقال عز
من قائل غافر الذنب وقابل التوب الى غير ذلك من الايات وقال صلى الله عليه وسلم
ان الله تعالى افرح بتوبة العبد من المضل الواجد والعقيم الوالد والظمان
الوارد والفرح وراء القبول وزيادة وقال سعيد بن المسيب رضي الله
عنه انه كان للاوابين غفورا في الرجل يذنب ثم يتوب ثم يذنب ثم يتوب

الباب الثاني فيما عنه التوبة وهي الذنوب وصغايرها

وبيان

وبيان كيفية توزع الدرجات والدركات في الاخرة على الحسنات والسيات في الدنيا
وبيان ما يعظم به الصغاير من الذنوب

الفصل الاول في بيان ما عنه

التوبة اعلم ان التوبة ترك الذنب ولا يمكن ترك الشي الا بعد معرفته واذا
كانت التوبة واجبة كان ما لا يتوصل اليها الا به واجبا فمعرفة الذنوب
اذا واجب والذنب عبارة عن كل ما هو مخالف لامر الله تعالى من قول وفعل
وتفصيل ذلك يستدعي شرح التكليفات ولكنا نشير الى مجامعها وروابطها
واقسامها اعلم ان للانسان اوصافا كثيرة على ما عرف شرحه في كتاب عجايب
القلب ولكن تنحصر مثارات الذنوب في اربع صفات صفات ربوبية
وصفات شيطانية وصفات بهيمية وصفات سبعية وذلك لان طينة
الانسان عجنت من اخلاط مختلفة فاقتضى كل واحد من الاخلاط في المعجون
منه اثرا من الاثار فاما ما يقتضيه النزوع الى الصفات الربوبية فمثل
الكبر والفخر وحب المدح والثناء والعز والغناء وحب البقاء وطلب
الاستعلاء على الكافة وهذا تتشعب منه جملة من كباير الذنوب غفل
عنها الخلق ولم يعدوها ذنوبا وهي من المهلكات العظيمة كالامهات لاكثر
المعاصي الثانية هي الصفات الشيطانية التي منها يتشعب منه الحسد
والبغي والحيلة والخداع والامر بالفساد والمنكر وفيه يدخل الغش
والنفاق والدعوة الى البدع والضلال الثالثة الصفة البهيمية ومنها

من ترك

يتشعب الشره والحرص على قضاء شهوة البطن والفرج ومنه يتشعب الذنا
واللواطة والسرقة واكل مال الايتام وجمع الحطام لاجل الشهوات والرابعة
الصفة السبعية ومنها تتشعب الغضب والحقد والتهجم على الناس بالضرب والشتم
والقتل واستهلاك الاموال وتتفرع من هذا الجمل من الذنوب وهذه الصفات
لها تدريج في الفطرة والصفة البهيمية هي التي تغلب اولا ثم تتلوها الصفة
السبعية ثانيا ثم اذا اجتمعتا استعمل العقل في الخداع والمكر والحيلة
وهي الصفة الشيطانية تغلب الصفات الربوبية وهي الفخر والعز والعلو
والكبرياء فهذه امهات الذنوب ومنابعها ثم تنفجر الذنوب من هذه المنابع
على الجوارح فبعضها في القلب خاصة كالكفر والبدعة والنفاق واضمار
السوء للناس وبعضها على العين والسمع وبعضها على اللسان وبعضها
على البطن والفرج وبعضها على اليدين والرجلين وبعضها على جميع
البدن ولا حاجة الى بيان تفصيل ذلك فانه واضح القسمة الثانية اعلم
ان الذنوب تنقسم الى ما بين العبد وبين الله تعالى والى ما يتعلق بحقوق العباد
فما يتعلق بالله تعالى كالصوم والصلوة وما يتعلق بحقوق العباد كالزكوة
وقتل النفس وغصب الاموال وشتم الاعراض وتناول الدين بالاغواء و
والدعاء الى البدعة والترغيب في المعاصي وتهييج اسباب الجراة على الله
تعالى كما يفعله بعض الوعاظ لتغليب جانب الرجاء على جانب الخوف وما

يتعلق

يتعلق بالعبادة فالامر فيه اغلظ وما بين العبد وبين الله تعالى اذا لم
يكن شركا فالعفو فيه ارجى واقرب وقد جاء في الخبر الدواوين ثلاثة ديوا
يغفر وديوان لا يغفر وديوان لا يترك فالديوان الذي يغفر الذنوب العباد
بينهم وبين الله تعالى واما الديوان الذي لا يغفر فالشرك واما الذي
لا يترك فظالم العباد اي لا بد ان يطالب بها القسمة الثالثة اعلم ان الذنوب
تنقسم الى صغاير والى كباير وقد كثر اختلاف الناس فيها فقال بعضهم لا صغيرة
بل كل مخالفة فهي كبيرة وهذا ضعيف اذ قال الله تعالى ان تجتنبوا كباير ما
تنهون عنه وقال والذين يجتنبون كباير الاثم والفواحش الا اللمم وقال
صلى الله عليه وسلم الصلوات الخمس والجمعة الى الجمعة كفارات لما بينهن
الا الكباير وروي عن عبد الله عمرو بن العاص انه قال قال رسول الله
عليه السلام الكباير الاشراك بالله وعقوق الوالدين وقتل النفس واليمين
الغموس وقال بعضهم كل ما نهى الله عنه فهو كبير وقال بعضهم كلما استصغره
العبد فهو كبير وقال بعضهم كل ما اوعد الله عليه النار فهو من الكباير و
قال ابو طالب المكي رحمه الله الكباير سبع عشرة اربعة في القلب وهو الشرك
بالله تعالى والاصرار على معصية والقنوط من رحمته والامن من مكره
واربعة في اللسان وهي شهادة الزور وقذف المحصن واليمين
الغموس والسحر وهو كل كلام يغير الانسان وساير الاجسام وعن موضو

مطلب الدواوين

مطلب

الخلقة وثلاثة في البطن وهو شرب الخمر والسكر من كل شراب واكل مال
اليتيم ظلماً واكل الربو بعلم اثنتان في الفرج وهو الزنا واللواطة واثنتان
في اليد القتل والسرقة وواحد في الرجل وهو الفرار من الزحف الواحد
من اثنين والعشرة من عشرين وواحدة في جميع الجسد وهو عقوق
الوالدين والحق في ذلك ان الكباير لا يعرف الا بالسماع من رسول الله صلى الله عليه وسلم
بان يقول اني اردت بالكباير عشرا او خمساً فاذا لم يرد هذا المرد ود في بعض
الالفاظ ثلاث من الكباير وفي بعض سبع من الكباير ثم ورد السبتان
بالسبة الواحدة من الكباير وهو خارج عن السبع والثلاثة انه لم يقصد به
العدد والحصر فكيف يطمع في عد ما لم يعده الشرع وربما قصد الشرع
ابهامه ليكون العباد منه على وجل كما ابهم ليلة القدر ليعظم جد
الناس في طلبها نعم لنا سبيل بان نعرف اكبر الكباير واما اصغر الصغاير فلا سبيل
الى معرفته وبيانه انا نعلم بشواهد الشرع وانوار البصاير ان مقصود الشرايع
كلها سياقة الخلق الى جوار الله تعالى وسعادة لقائه وانه لا وصول لهم الى
ذلك الا بمعرفته ومعرفة صفاته ورسله وكتبه واليه الاشارة بقوله
تعالى وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون اي ليكونوا عبيداً ولا يكون
العبد عبداً ما لم يعرف ربه بالربوبية ونفسه بالعبودية فلا بد
ان يعرف نفسه وربه فهذا هو المقصود الاقصى ببعثة الانبياء عليهم

السلام

السلام ولكن لا يتم هذا الا في الحيوة الدنيا وهو المعني بقوله عليه السلام
الدنيا مزرعة الآخرة فصار حفظ الدنيا ايضاً مقصوداً تابعاً للدين لانه
وسيلة اليه والمتعلق من الدنيا بالآخرة شيآن النفوس والاموال فكلما
يسد باب معرفة الله تعالى فهو اكبر الكباير ويليه ما يسد باب حيوة النفوس ويلي
ذلك ما يسد باب المعايش التي بها حيوة النفوس فهذه ثلث مراتب فحفظ
المعرفة على القلوب والحيوة على الابدان والاموال على الاشخاص ضروري في
مقصود الشرايع وهذه ثلاثة امور لا يتصور ان تختلف فيها الملل فلا يجوز
ان يبعث الله تعالى نبياً يريد ببعثه اصلاح الخلق في دينهم ودنياهم ثم يأمرهم
بما يمنعهم من معرفته ومعرفة رسوله او يأمرهم باهلاك النفوس واهلاك
الاموال فحصل من هذا ان الكباير على ثلث مراتب الاولى ما يمنع من معرفته و
معرفة رسله وهو الكفر فلا كبيرة فوق الكفر اذ الحجاب بين العبد وبين الله تعالى هو
الجهل والوسيلة المقربة اليه هي العلم والمعرفة وقربه بقدر معرفته وبعده
بقدر جهله ويتلوا الجهل الذي يسمى كفراً الامن من مكر الله والقنوط من رحمته
فان هذا ايضاً عين الجهل فمن عرف الله تعالى لم يتصور ان يكون امنا ويتلوا
هذه الرتبة البدع كلها المتعلقة بذات الله تعالى وصفاته وافعاله
وبعضها اشد من بعض وتفاوتها على حسب تفاوت الجهل بها الثانية النفوس
اذ ببقائها وحفظها تدوم الحيوة وتحصل المعرفة بالله تعالى فقتل النفس

لا محالة من الكباير وان كان دون الكفر لان ذلك يصدم عين المقصود
وهذا يصدم وسيلة المقصود اذ حيوة الدنيا لا تراد الا للآخرة والتوصل
اليها بمعرفة الله تعالي ويتلوا هذه الكبيرة قطع الاطراف وكلما يفضي الي الهلاك
حتي الضرب وبعضها اكبر من بعض ويقع في هذه الرتبة تحريم الزنا واللواطة
لانه لو اجتمع الناس علي الاكتفاء بالذكور في قضاء الشهوة انقطع النسل واما
الزنا فانه لا يفوت اصل الوجود ولكن يشوش الانساب ويبطل التوارث و
ينبغي ان يكون الزنا في الرتبة دون القتل لانه ليس يفوت دوام الوجود
ولا يمنع اصله ولكن يفوت تمييز الانساب ويحرك الاسباب ما يكاد يفضي الي
التقاتل وينبغي ان يكون اشد من اللواطة لان الشهوة داعية اليه من
الجانبين فيكثر وقوعه ويعظم اثر الضرر بكثرته الرتبة الثالثة الا
موال فانها معايش الخلق فلا يجوز تسليط الناس علي تناولها كيف
شاؤا بالسرقة وغيرها بل ينبغي ان يحفظ لتبقي ببقائه النفوس ولا يجوز
ان تختلف الشرايع في تحريمها اصلا وكلها دون الرتبة الثانية المتعلقة
بالنفوس وهذه الاربعة اعني السرقة واكل مال اليتيم والغصب و
اخذ الوديعة جدير بان يكون مرادة بالكباير وان لم يوجب الشرع
الحد في بعضها ولكن كثر الوعيد عليها وعظم في مصالح الدنيا تاثيرها
واما اكل الربوا فليس فيه الا اكل مال الغير بالتراضي مع الاخلال بشرط

وضعه الشرع ولا يبعد ان يختلف الشرايع في مثله ليكون ضروريا في الدين

الفصل الثاني

في بيان كيفية توزع الدرجات والدركات في
الآخرة علي الحسنات والسيئات في الدنيا اعلم ان الدنيا من عالم الملك
والشهادة والآخرة من عالم الغيب والملكوت اعني بالدنيا حالتك قبل الموت
وبالآخرة حالتك بعد الموت فدنياك واخرتك صفاتك واحوالك يسمي
القريب الداني منها دنيا والمتاخر آخرة ونحن الآن نتكلم من الدنيا في الآخرة
فانا الآن في الدنيا وهو عالم الملك وغرضنا شرح الاخرة وهي عالم الملكوت
ولا يتصور شرح عالم الملكوت في عالم الملك الا بضرب الامثال فليفهم من المثل
الذي نضربه معناه الصورية فنقول الناس في الاخرة منقسمون الي اربعة
اقسام هالكين ومعذبين وناجين وفايزين ومثاله من الدنيا ان يستولي
ملك من الملوك علي اقليم فيقتل بعضهم فهم الهالكون ويعذب بعضهم مدة ولا
يقتلهم فهم المعذبون ويخلي بعضهم فهم الناجون ويخلع علي بعضهم فهم الفايزون
فان كان الملك عادلا لم يقسمهم كذلك الا بالاستحقاق فلا يقتل الا جاحدا
لاستحقاقه الملك لكنه لم يقصر ليعذب ولم يحرم لينخلع عليه ولا يخلع الا علي
من القي عذره في الخدمة والنصرة ثم ينبغي ان يكون خلع الفايزين متفاوتة
الدرجات بحسب درجات خدمتهم واهلاك الهالكين اما تحقيقا بحز
الرقبة او تنكيلا بالمثلة بحسب درجات معاندتهم وتعذيب المعذبين

في الشدة وطول المدة وقصرها بحسب درجات تقصيرهم فتنقسم كل رتبة
من هذه الرتبة الى درجات لا تحصى فكذلك فافهم ان الناس في الآخرة
هكذا يتفاوتون فمن هالك ومعذب مدة ومن ناج يحل في دار السلامة
ومن فائز والفائزون ينقسمون الى من يجذب يحلون في جنات عدن
او جنات المأوى وجنات الفردوس والمعذبون ينقسمون الى من يعذب
قليلا والى من يعذب الف سنة الى سبعة الاف سنة وذلك آخر من يخرج
من النار كما ورد في الخبر وهكذا الهالكون تتفاوت دركاتهم وهذه الدرجات
والدركات بحسب اختلاف الطاعات والمعاصي فلنذكر كيفية توزعهما
اما رتبة الاولى وهي الهلاك ونعني بالهالكين الآيسين من رحمة
الله تعالى هم الجاحدون والمعرضون والمتجردون للدنيا والمكذبون
بالله ورسله وكتبه فان السعادة الاخروية في القرب من الله تعالى
والنظر الى وجهه الكريم وذلك لا ينال اصلا الا بالمعرفة التي يعبر عنها
بالايمان والتصديق والجاحدون هم المنكرون والمكذبون وهم عن ربهم
يومئذ لمحجوبون عن محبوبه يحول بينه وبين ما يشتهيه محترقا وكل محجوب
بنار الفراق وبنار جهنم فان نار الفراق نار الله الموقدة التي تطلع على
الافئدة ونار جهنم لا شغل لها الا مع الاجسام والم الاجسام د
تستحقر مع الم الفؤاد ولذلك قيل ففي فؤاد المحب نار هوى ٥

احر نار الجحيم ابردها ٥ واحتراق الفؤاد اشد من احتراق الاجساد ولا
يبعد ان لا يدرك من لا قلب له شدة هذا الالم ومستحق بالاضافة الى
الم الجسم فالصبي لو خير بين الم الحرمان عن الكرة والصولجان وبين الم
الحرمان عن رتبة السلطان لم يحس بالم الحرمان عن رتبة السلطان اصلا
ولم يعد ذلك الما وقال العدو في الميدان مع الصولجان احب الى من سرير
الف سلطان فمن لا قلب له ليس له هذا الحس وليس لكل انسان قلب ولو كان
لما صح قوله تعالى ان في ذلك لذكرى لمن كان له قلب فجعل من لم يتذكر بالقرآن
مفلسا عن القلب الرتبة الثانية رتبة المعذبين وهذه رتبة من تحلى
باصل الايمان ولاكن قصر في الوفاء بمقتضاه فان راس الايمان التوحيد
وهو ان لا يعبد الا الله تعالى ومن اتبع هواه فقد اتخذ الهه هواه فهو موحد
بلسانه لا بالحقيقة بل معنى قولك لا اله الا الله قوله تعالى قل الله ثم ذرهم وهو
ان تذر بالكلية غير الله عز وجل ومعنى قوله تعالى ان الذين قالوا ربنا الله ثم
استقاموا ولما كان التوحيد لا يكمل الا بالاستقامة عليه فلا ينفك بشر
عن ميل الاستقامة ولو في امر يسير ولا يخلوا عن اتباع الهوى ولو في فعل
قليل وذلك قادح في كمال التوحيد فذلك يقتضي لا محالة نقصان في درجة
القرب ومع كل نقصان اران نار الفراق كذلك كمال الغايب بالنقصان ونار
جهنم فيكون كل مايل عن الاستقامة معذبا مرتين من وجهين بسبب امرين

احدهما قوة امرين وضعفه والثاني كثرة اتباع الهوي وقلته واذا لا يخلوا
بشر في غالب الامر عن واحد من الامرين فلاجرم كل انسان داخل النار وان منكم
الا واردها كان علي ربك حتما مقضيا ثم ننجي الذين اتقوا ونذر الظالمين فيها
جثيا وكذلك قال الخايفون في السلف انما خوفي لا تيقنا علي النار وشكنا
في النجاة ولما روي الحسن رضي الله عنه في الخبر الوارد فيمن يخرج من النار
بعد الف عام وانه ينادي يا حنان يا منان قال الحسن يا ليتني كنت ذلك
الرجل ولا يخرج من النار موحد ولست اعني بالتوحيد ان يقول بلسانه لا اله
الا الله فان اللسان من عالم الملك والشهادة فلا ينفع الا في عالم الملك فيدفع مطلب
السيف عن رقبته وايد الغانمين عن ماله وانما ينفع الصدق في التوحيد ان
لا يري الامور كلها الا من الله تعالي وعلامته ان لا يغضب علي احد من الخلق
بما يجري عليه اذ لا يري الوسايط وانما يري مسبب الاسباب وقوله عليه
السلام آخر من يخرج من النار يعطي مثل الدنيا كلها عشرة اضعاف ولا
تظنن ان المراد تقديره بالمساحة لاطراف الاجسام بان يقابل فرسخ بفرسخين
او عشرة فان هذا جهل بضرب الامثال بل هذا كقول القايل اخذ منه جملا
واعطاه عشرة امثاله وكان الجمل مثلا يسوي عشرة دنانير فاعطاه مائة
دينار فان لم يفهم من المثل الا المثل في الوزن والثقل فلا يكون مائة دينار
لو وضعت في كفة الميزان والجمل في الكفة الاخري عشر عشيره بل

هو

بل هو يوازنه معاني الاجسام وارواحها دون اشخاصها وهياكلها فان
الجمل لا يقصد لثقله وطوله وعرضه ومساحته بل لماليته فروحه الماليه
وجسمه اللحم والدم ومائة دينار عشرة امثالها بالموازنة الروحانية
لا بالموازنة الجسمانية فاذا عرفت هذه الدقيقة فامن بقوله عليه السلام
انه يعطي آخر من يخرج من النار مثل الدنيا عشر مرات واياك ان تقتصر
تصديقك علي ما يدركه البصر والحواس فقط فتكون حمارا برجلين لان
الحمار يشاركك في الحواس الخمس وكل من لم يعرف الا المدرك بالحواس فقد نسي الله
تعالي اذ ليس ذات الله تعالي مدركا في هذا العالم بالحواس الخمس وكل من نسي الله
تعالي انساه الله تعالي لا محالة نفسه ونزل الي رتبة البهايم واليه الاشارة
بقوله تعالي ولا تكونوا كالذين نسوا الله فانساهم انفسهم اولئك هم الفاسقون
الرتبة الثالثة رتبة الناجين واعني بالنجاة السلامة فقط دون السعادة
والفوز وهم قوم لم يخدموا ليخلع عليهم ولم يقصروا فيعذبوا ويشبه ان
يكون هذا حال المجانين والصبيان من الكفار والمعتوهين والذين لم
تبلغهم الدعوة في اطراف البلاد وعاشوا علي البله وعدم المعرفة فلم تكن لهم
معرفة ولا جحود ولا طاعة ولا معصية ولا وسيلة تقربهم ولا جناية
تبعدهم فما هم من اهل الجنة ولا من اهل النار بل ينزلون في منزلة بين
المنزلتين عبر الشرع عنه بالاعراف الرتبة الرابعة الفايزون وهم العارفون

فون

دون المقلدون فلهم ما قال الله تعالى فلا تعلم نفس ما اخفي لهم من قرة
اعين وقوله اعددت لعبادي الصالحين ما لا عين رات ولا اذن
سمعت ولا خطر على قلب بشر والعارفون مطلبهم تلك الحالة التي لا يتصور
ان يخطر على قلب بشر في هذا العالم فاما جميع نعم الجنة فانهم لا يقنعون بها
ولا يطلبون الا النظر الى وجه الله تعالى فهي غاية السعادات ونهاية
اللذات وكذلك قيل الرابعة العدوية كيف رغبتك في الجنة فقالت الجار
ثم الدار

في بيان ما يعظم به الصغاير من الذنوب

اعلم ان الصغيرة تكبر باسباب خمسة الاول الاصرار والمواظبة ولذلك
قيل لا صغيرة مع الاصرار ولا كبيرة مع الاستغفار فكبيرة واحدة
تنصرم ولا يتبعها مثلها تصور ذلك كان العفو عنه ارجى من صغيرة
يواظب العبد عليها ومثال ذلك قطرات من الماء تقع على الحجر على توال
فيؤثر فيه وذلك القدر من الماء لو صب عليه دفعة واحدة لم يؤثر
وذلك قال صلى الله عليه وسلم خير الاعمال ادومها وان قل والاشياء
تستبان باضدادها فاذا كان النافع من العمل هو الدايم وان قل
والكبيرة المتصرمة قليل النفع في تنوير القلب وتطهيره فكذلك
القليل من السيات اذا دام عظم تاثيره في اظلام القلب والثاني
ان يستصغر الذنب بان الذنب كلما استعظمه العبد في نفسه

صغر

صغر عند الله تعالى وكلما استصغر كبر عند الله تعالى وقد جاء في
الخبر المومن يري ذنبه كالجبل فوقه يخاف ان يقع عليه والمنافق
يري ذنبه كذباب مر علي انفه فاطاره وقال بعضهم الذنب الذي
لا يغفر قول العبد ليت كل شي عملته مثل هذا وانما يعظم الذنب
في قلب المومن لعلمه بجلال الله تعالى فاذا نظر الي عظم من عصي به راي
الصغير كبيرا وقد اوحي الله الي بعض انبيايه عليهم السلام لا تنظر
الي قلة العطية وانظر الي عظم معطيها ولا تنظر الي صغر الخطيئة
وانظر الي كبرياء من عصيته وبهذا الاعتبار قال بعض العارفين
لا صغيرة بل كل مخالفة فهي كبيرة ولذلك قال بعض الصحابة رضوا ن
الله عليهم اجمعين انكم لتعملون اعمالا هي ادق في اعينكم من الشعر
كنا نعدها علي عهد رسول الله عليه السلام من الموبقات اذ كانت
معرفة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين بجلال الله تعالى اتم وكا نت
الصغاير عندهم بالاضافة الي جلال الله عز وجل كباير وبهذا السبب
يعظم من العالم ما لا يعظم من الجاهل والثالث السرور بالصغيرة
والفرح بها فكلما غلبت حلاوة الصغيرة عند العبد كبرت وعظم
تاثيرها في تسويد قلبه حتى ان من المذنبين من يتمدح بذنبه كما يقول
اما رايتني كيف مزقت عرضه ويقول المناظر في مناظرته اما رايتني

كيف فضحته وكيف ذكرت مساويه حتى اخجلته وكيف استخففت
به ويقول العامل في بجارته اما رأيت كيف دوجت عليه الزايف
كيف خدعته وكيف غلبته فهذا وامثاله مما يكثر به الصغاير
ونعوذ بالله منه والرابعة ان يتهاون بستر الله تعالى عليه
وحلمه عنه وامهاله اياه ولا يدري انه انما يمهل مقتًا ليزداد بالامهال
اثما فيظن ان تمكينه من المعاصي عناية من الله تعالى به فيكون
ذلك لامنه من مكر الله تعالى وجهله بمكامن الغرور بالله تعالى
كما قال الله عز وجل ويقولون في انفسهم لولا يعذبنا الله بما
نقول حسبهم جهنم والخامسة ان يأتي الذنب ويظهره بان
يذكره بل بعد اتيانه او يأتيه في مشهد غيره فان ذلك منه
خيانة على ستر الله تعالى الذي اسدله عليه وتحريك لرغبة
الشر فيمن اسمعه ذنبه واشهده فعله فهما جنايتان انضمتان الى
جناية فتغلظت به فان انضاف الى ذلك الترغيب للغير فيه والحمل
عليه وتهيئة الاسباب له صارت جناية رابعة وتفاحش الامر
وفي الخبر كل الناس معافا الا المجاهرون يبيت احدهم على ذنب قد
ستره الله عليه ويتحدث بذنبه ويكشف ستر الله وهذا لان
من صفات الله تعالى ونعمه انه يظهر الجميل ويستر القبيح ولا يهتك

يستحقر
الستر فالاظهار كفران لهذه النعمة فبهذه الاسباب يكبر الصغيرة وينبغي ان لا
ان
درجات الطاعات والمعاصي وكذلك قال جعفر الصادق رضي الله عنه ان
الله تعالى خبا ثلاثا في ثلاث رضاه في طاعته فلا تحقروا منه شيئا فلعل
رضاه فيه وغضبه في معاصيه فلا تحقروا منه شيئا فلعل غضبه فيه
وخبا ولايته في عباده المؤمنين فلا تحقروا منهم احدا فلعله ولي الله واعلم
النفس
ان التايب على اربع طبقات الاولى ان يتوب عن المعاصي ويستقيم عليها الى اخر
عمره وهذه النفس المطمئنة وهي التوبة النصوح والى هذا وقعت الاشارة
مطلب التوبة
بقوله تعالى يا أيتها النفس المطمئنة الاية الثانية ان يتوب عن كباير المعاصي
ويستقيم في امهات الطاعات ويجتنب عن كباير المعاصي الا انه لا ينفك عن ذنوب
تعتريه لا عن قصد وعزم لكن يبتلى به في مجاري احواله وهذه النفس هي النفس
اللوامة والى هذا وقعت الاشارة بقوله تعالى الذين يجتنبون كباير الاثم
والفواحش الا اللمم ان ربك واسع المغفرة الثالثة ان يتوب ويستمر مرة
ثم تغلبه شهوته في بعض الذنوب فيندم عليها وينوي التوبة في المستقبل
الا ان شهوته تغلبه على معاودتها مع اجتنابه لباقي الذنوب فهذه النفس
تعالى
المسولة وهذا بين الخوف والرجا والى هذا وقعت الاشارة بقوله تعالى
واخرون اعترفوا بذنوبهم خلطوا عملا صالحا وآخر سيئا الرابعة ان يتوب
بالتوبة
ويستقيم مدة ثم يعود الى الذنوب ولا يتأسف ولا يحدث نفسه

فهذه النفس هي النفس الامارة بالسوء والى هذا وقعت الاشارة بقوله تعالى
وما ابرئ النفس نفسي ان النفس لامارة بالسوء وهذا اعظم خطرا مما تقدم
والله اعلم **الباب الثالث** في داء التوبة وطريق علاج لحل
عقدة الاصرار اعلم ان الدنيا دار المرضى والعلماء والاطباء والسلاطين قوام
دار المرضى فليس في بطن الارض ميت ولا على ظهرها حي الا وهو سقيم
وهو لكن لا يعلمون انهم مرضى لان عاقبة مرضهم غير مشاهدة في هذا
العالم بخلاف مرض البدن فان عاقبته موت تنفر الطباع منه فالعاصي
ان علم عصيانه بقلبه طلب العلاج من الطبيب وهو العالم وان كان
لا يدري ان ما يرتكبه ذنب فعلى العالم ان يعرفه فالواجب على السلاطين
ان يرتبوا في كل بلدة وقرية ومحلة عالما يعلم الناس دينهم ويميز ما
يضرهم عما ينفعهم وما يشقيهم عما يسعدهم وان الاطباء في هذه
الاعصار قد مرضوا مرضا شديدا عجزوا عن علاجه وهو حب
الدنيا وقد غلب هذا الداء المهلك على الاطباء فلم يقدروا على
تحذير الخلق منه استنكافا من ان يقال لهم فما بالكم تامرون بالعلاج
وتنسون انفسكم فبهذا السبب عم الداء وعظم الوباء وهلك
الخلق لفقد الاطباء ونحن نشير الى الانواع النافعة في حل عقدة
الاصرار وحمل الناس على ترك الذنوب وهي اربعة انواع الاول

مطلب اداء التوبة

ان نذكر ما في القران من الايات المخوفة وكذلك ما ورد من الاخبار
والاثار **مثل قوله** صلى الله عليه وسلم ما من يوم طلع فجره ولا ليلة
غاب شفقها الا وملكان يتجاوبان باربعة اصوات يقول احدهما
ياليت هذا الخلق لم يخلقوا ويقول الاخر ياليتهم اذا خلقوا علموا لماذا
خلقوا فيقول الاخر ياليتهم اذا لم يعلموا لماذا خلقوا عملوا بما علموا فيقول
الآخر وياليتهم اذا لم يعملوا بما علموا تابوا مما عملوا **وقال** بعض السلف
رحمهم الله اذا اذنب العبد امر صاحب اليمين صاحب الشمال وهو امير
عليه ان يرفع القلم عنه ست ساعات فان تاب واستغفر لم يكتبها عليه
وقال بعضهم ما من عبد يعصى الا استاذن مكانه من الارض ان يخسف به
واستاذن سقفه من السماء ان يسقط عليه كسفا فيقول الله تعالى
كفا عن عبدي وامهلاه لعله يتوب لي فاغفر له الثاني حكايات الانبياء
عليهم السلام والسلف وما جرى عليهم من المصايب بسبب ذنوبهم فذلك
شديد الموقع ظاهر النفع في قلوب الخلق مثل احوال آدم عليه السلام
من عصيانه وما لقيه من الاخراج من الجنة حتى روي انه لما اكل من الشجرة
تطايرت الحلل عن جسده وبدت عورته فجاء جبريل عليه السلام
فاخذ تاج الخلافة عن راسه وحل الاكليل عن جبينه ونودي من
فوق العرش اهبطا من جواري فانه لا يجاورني من عصاني فالتفت آدم

الي حوى عليهما السلام باكيا وقال هذا اول شوم المعصية **وروي**
ان سليمان عليه السلام كان علي سريره والريح كانت تسير به فنظر
الي قميصه نظرة وكان عليه قميص جديد فكان اعجبه فوضعه
الريح بسريره علي الارض فقال لم فعلت ولم امر فقالت انما نطيعك اذا طعت
الله **وروي** ان يوسف عليه السلام لما قال لصاحبه في السجن اذكرني
عند ربك قال تعالي فانساه الشيطان ذكر ربه فلبث في السجن بضع
سنين وامثال هذه الحكايات لا تحصر قد وردت للاعتبار منها
ليعلم ان الانبياء عليهم السلام لم يتجاوز عنهم في الذنوب الصغاير فكيف
يتجاوز عن غيرهم في الكباير فهذا ايضا مما ينبغي ان يكثر جنسه علي
اسماع المصرين فانه نافع في تحريك دواعي التوبة الثالث ان يقرر
عندهم ان تعجيل العقوبة في الدنيا متوقع علي الذنب وان كل ما يصيب
العبد من المصايب فهو بسبب جنايته فرب عبد يتساهل في امر الآخرة
ويخاف من عقوبة الله تعالي في الدنيا اكثر لفرط جهله فينبغي ان
يخوف به فان الذنوب كلها يتعجل شومها في الدنيا في غالب الامر كما
جاء في الخبر ان العبد ليحرم الرزق بذنب يصيبه **وقال** بعض
السلف رحمهم الله ليست اللعنة سوادا في الوجه ونقصا في المال
انما اللعنة ان لا يخرج من ذنب الا وقع في مثله او شر منه وهو كما

قاله لان اللعنة هي الطرد والابعاد فاذا لم يوفق للخير ويسر له فقد
ابعد وقال بعضهم اني اعرف عقوبة ذنبي في سوء خلق حماري وقال ابو
سليمان الداراني رحمة الله عليه الاحتلام عقوبة وقال لا تفوت احدا
صلوة جماعة الا بذنب وفي الخبر ان ما انكرتم في زمانكم فيما غيرتم من
اعمالكم والاخبار كثيرة في افات الذنوب في الدنيا في الفقر والمرض وغيره
واما المطيع فمن بركة طاعته ان يكون كل نعمة في حقه جزاء علي طاعته وكل
بلية كفارة لذنوبه وزيادة في درجاته النوع الرابع ذكر ما ورد من
العقوبات علي احاد الذنوب كالخمر والزنا والسرقة والغيبة والكبر
والحسد وغيرها وذكره مع غيره وضع الدواء في غير موضعه بل ينبغي
ان يكون العالم كالطبيب الحاذق يستدل ولا بالنبض والسحونة ووجوه
الحركات علي العلل الباطنة ويشتغل بعلاجها فيستدل بقراين الاحوال
علي خفايا الصفات وليقعوض لما وقف عليه اقتداء برسول الله صلى الله
عليه وسلم حيث قال له واحد اوصيني ولا تكثر علي فقال لا تغضب
وقال له آخر اوصيني فقال عليك باليأس مما ايدي الناس فان ذلك هو
الغني واياك والطمع فانه الفقر الحاضر وصل صلاة مودع واياك وما
اي بقوله بعد ان اسه صلوة كانه اخر صلوة [illegible]
يعتذر منه **وقال** رجل لمحمد بن واسع رحمة الله عليه اوصني
فقال اوصيك ان تكون ملكا في الدنيا والاخرة فقال كيف لي بذلك قال

قال الزم الزهد في الطمع في الناس وطول الامل وتخيل محمد بن واسع
في السائل الحرص علي الدنيا وقال رجل لمعاذ بن جبل رضي الله عنهما اوصني
فقال كن رحيما اكن بالجنة لك زعيما فكانه تفرس فيه اثار الفظاظة و
الغلظة وكتب معاوية الى عايشة رضي الله عنها ان اكتبي لي كتابا
توصيني به فكتبت اليه من عايشة الى معاويه سلام عليك اما بعد فاني
سمعت رسول الله صلي الله عليه وسلم يقول من التمس رضا الناس بسخط الله
وكله الله الي الناس ومن التمس رضي الله بسخط الناس كفاه الله مؤنة الناس
والسلام عليك فانظر الي فقهها كيف تعرضت للافة التي يكون الولاة
بصددها وهو مراعات الناس وطلب مرضاتهم فان الكلام على قدر حال
السائل اولي من ان يكون بحسب القائل فان علوم الشرع اغذية وادوية
الاغذية للكافة والادوية لارباب العلل وقال لقمان لابنه عليهما
السلام لا تضحك من غير عجب ولا تمش في غير ارب ولا تسال عما لا يعنيك
ولا تضيع مالك وتصلح غيرك فان مالك ما قدمت ومال غيرك ما
تركت يا بني من يرحم يرحم ومن يصمت يسلم ومن يقل الخير يغنم ومن يقل
الشر ياثم ومن يملك لسانه يندم وقال رجل لمحمد بن كرام رحمهما
الله اوصني فقال اجتهد في رضا خالقك بقدر ما تجتهد في رضا
نفسك فهكذا ينبغي ان يكون وعظ العامة وعظا ما لا يدري

خصوص

خصوص واقعة فمثل هذه المواعظ مثل الاغذية التي تشترك العامة
في الانتفاع بها ولاجل فقد مثل هذا الوعاظ انغلق باب الاتعاظ وغلبت
المعاصي وبلي الخلق بوعاظ يزخرفون اسجاعا وينشرون ابياتا ولم يكن
كلامهم صادرا من القلب ليصل الي القلب بل القايل متصلف والمستمع متكلف
وكل واحد منهما مدبر متخلف فهذا هو الطريق الذي ينبغي ان يسلكه الوعاظ
ووعظه مع الخلق

كتاب الصبر والشكر

اعلم ان الايمان نصفان نصف صبر ونصف شكر وهما ايضا وصفان
من اوصاف الله تعالى واسمان من اسمائه اذ سمي نفسه صبورا شكورا
ونحن نوضحهما في كتاب واحد لارتباط احدهما بالاخر لكن في بابين

الباب الاول

في الصبر وفيه بيان فضيلة الصبر وبيان حده
وحقيقته وبيان كونه نصف الايمان وبيان اقسامه وبيان الحاجة
اليه في جميع الاحوال **اما فضيلة** فقد قال الله تعالى اولئك يؤتون
اجرهم مرتين بما صبروا وقال تعالى انما يوفى الصابرون اجرهم بغير حساب فما من
قربة الا واجرها بتقدير وحساب الا الصبر وقال تعالى اولئك عليهم صلوات
من ربهم ورحمة واوليك هم المهتدون فالهدي والصلوات والرحمة مجموعة
لهم ولم يجمعها لغيرهم وقال عمر رضي الله عنه نعم العدلان ونعم العلاوة
فاشار بالعدلان الي الصلوة والرحمة وبالعلاوة الي الهدي وقال

صلى الله عليه وسلم الصبر كنز من كنوز الجنة وقال عمر رضي الله عنه
الصبر صبران احدهما افضل من الآخر الصبر في المصايب حسن وافضل منه
الصبر على ما حرم الله وقال علي رضي الله عنه الصبر من الايمان بمنزلة
الرأس من الجسد ولا جسد لمن لا رأس له ولا ايمان لمن لا صبر له وقال
حبيب بن ابي حبيب حين سمع هذه الاية انا وجدناه صابرا نعم العبد
انه اواب واعجباه اعطى واثنى اي هو المعطي للصبر وهو المثني واما
حقيقته ومعناه عبارة عن ثبات جند في مقابلة جند اخرى فاما
العمل بينهما لتصادم مقتضياتها ومطالبهما وليس في الصبي الا جند الهوى
كما في البهايم ولكن الله تعالى بفضله اكرم بني آدم ورفع درجتهم عن
درجة البهايم فوكل به عند كمال شخصه بمقاربة البلوغ ملكين احدهما
يهديه والاخر يقويه يتميز بمعونة الملكين عن البهايم فالهادي اشرف
من المقوي لهذا اعطي الهادي اليمين فهو صاحبه واعطي المقوي الشمال
فهو صاحبه واختص بصفتين احدهما معرفة الله تعالى ومعرفة
رسوله صلى الله عليه وسلم والثاني معرفة المصالح المتعلقة
بالعواقب فالبهيمة لا معرفة لها ولا هداية الى مصلحة العواقب
بل تميل الى مقتضى شهواتها في الحال فقط فلنسم هذه الصفة التي بها
فارق الانسان البهايم في قمع الشهوات وقهرها باعثا دينيا ولنسم

مطالبة الشهوات بمقتضياتها باعث الهوى وليفهم ان القتال قايم بين
باعث الدين وبين باعث الهوى والحرب بينهم سجال ومعركة هذا
القتال قلب العبد فان ثبت حتى قهره واستمر على مخالفة الشهوة فقد نصر
حزب الله والتحق بالصابرين وان تخاذل وضعف حتى غلبت الشهوة ولم
يصبر في دفعها التحق باتباع الشياطين فاذا ترك الافعال المشتهاه عمل
يثمرها حال يسمى الصبر وهو ثبات باعث الدين التي في مقابلة الشهوة وثبات
باعث الدين حال يثمرها المعرفة بعداوة الشهوات ومضادتها لاسباب
السعادة في الدنيا والاخرة وبالجملة الصبر على التحقيق عبارة عن هذه الثلا ثه
اعني العمل والحال والمعرفة ولا يعرف هذا الا بمعرفة كيفية الترتيب بين
الملايكة والانسان والبهايم فان الصبر خاصية الانسان ولا يتصور ذلك
في البهايم والملايكة اما في البهايم فلنقصانها لانها سلطت عليها الشهوات
وصارت مسخرة لها فلا باعث لها على الحركة والسكون الا الشهوة وليس فيها
قوة تصادم الشهوة وتردها عن مقتضاها حتى يسمى صبرا واما الملايكة
عليهم السلام فكمالها لانهم مجردون للشوق الى الحضرة المقدسة ولم تسلط
عليهم شهوة صارفة عنها حتى تحتاج الى مصادمة ما يصرفها عن حضرة
الجلال بجند اخرى واما الانسان خلق في ابتداء الصبى ناقصا مثل البها يم
لم يخلق فيه الا شهوة الغذاء التي يحتاج اليه ثم تظهر فيه شهوة اللعب

والذينة ثم شهوة النكاح على الترتيب ولم يخلق له قوة الصبر البتة فقد
ظهر ان الصبر من خاصة الادميين لما وكل بهم الكرام الكاتبين ولا يكتبان
شياءً على الصبيان والمجانين لان الصبي والمجنون لم يحصل لهما
الاستفادة من الكرام الكاتبين وانما سموا الكاتبين لان ثبوت
الحسنات والسيئات بكتابتهما وسموا كراما لكونهما اذ الملائكة كلهم
كراما فى انهما يكتبان في صحايف مطوية في سر القلب حتى لا يطلع
عليها في هذا العالم لانهما وكتابتهما من عالم الغيب وعالم الغيب غير مدرك
فى عالم المشاهدة وانما تنشر الصحايف من حالتين احديهما القيمة
الصغري وهي الموت والثانية القيمة الكبري وهو الحشر واما
كونه نصف الايمان فهو ان الايمان تارة يختص في اطلاقه بالتصديقات
باصول الدين وتارة يختص باعمال الصادرة منها وتارة يطلق
عليهما جميعًا وللمعارف ابواب وللاشتمال لفظ الايمان علي جميعها
كان الايمان بعضًا وسبعين بابًا واختلاف هذه الاطلاقات
التى ذكرناها في كتاب قواعد العقايد من ربع العبادات ولكن الصبر
نصف الايمان باعتبارين احدهما ان يطلق على التصديقات والاعمال
جميعًا فيكون الايمان ركنان احدهما اليقين والاخر الصبر والمراد
باليقين المعارف القطعية الحاصلة بهداية الله تعالي عنده

الي اصول الدين والمراد بالصبر العمل بمقتضي اليقين اذ اليقين يعرفه ان
المعصية ضارة والطاعة نافعة ولا يمكن ترك المعصية والمواظبة
علي الطاعة الا بالصبر وهو استعمال باعث الدين في قهر باعث الهوي
والكسل فيكون الصبر نصف الايمان بهذا الاعتبار الاعتبار الثاني ان يطلق
على الاحوال المثمرة للاعمال لا علي المعارف وعند ذلك ينقسم جميع ما يلاقيه
العبد الي ما ينفعه في الدنيا والاخرة او يضره فيهما وله بالاضافة الي
ما يضره حال الصبر وبالاضافة الى ما ينفعه حال الشكر فيكون الشكر
احد شطري الايمان بهذا الاعتبار كما ان اليقين احد الشطرين بالاعتبار
الاول ولهذا النظر قال بن مسعود رضي الله عنه الايمان نصفان نصف
صبر ونصف شكر وقد يرفع الى رسول الله صلى الله عليه وسلم ولما كان
الصبر صبرًا عن باعث الهوي بثبات باعث الدين وكان باعث الهوي
قسمين باعث من جهة الشهوة وباعث من جهة الغضب فالشهوة لطلب
اللذيذ والغضب للهرب من المولم وكان الصوم صبرًا عن مقتضي الشهوة فقط
وهو شهوة البطن والفرج دون مقتضي الغضب قال صلي الله عليه وسلم
بهذا الاعتبار الصوم نصف الصبر لان كمال الصبر عن دواعي الشهوة ودواعي
الغضب جميعًا فيكون الصبر بهذا الاعتبار ربع الايمان فهكذا ينبغي ان
يفهم تقديرات الشرع لحدود الاعمال والاحوال ولنسبتها الي الايمان

والاصل فيه ان يعرف كثرة ابواب الايمان وان كان اسم الايمان يطلق
علي وجود مختلفة **واما** بيان اقسامه واساميه فهو ان الصبر ضربان
ضرب بدني لتحمل المشاق بالبدن والثبات عليه وهو اما بالفعل كتعاطي
الاعمال الشاقة اما من العبادات وغيرها واما بالاحتمال كالصبر علي
الضرب الشديد والمرض العظيم والجراحات الهايلة وذلك قد يكون محمودا
اذا وافق الشرع والضرب الاخر هو الصبر النفسي عن مشتهيات الطبع و
مقتضيات الهوي ثم هذا الضرب ان كان صبرا عن شهوة البطن والفرج
سمي عفة وان كان مصيبة اقتصر علي اسم الصبر وتضاده حالة تسمي
الجزع وان كان في احتمال الغنا سمي ضبط النفس وتضاده حال تسمي
البطر وان كان حرب ومقابلة تسمي شجاعة ويضاده الجبن وان كان
في كظم الغيظ والغضب سمي حلما وان كان في نوايب الزمان سمي سعة
الصدر ويضاده التبرم وان كان في اخفاء سمي كتمان السر وسمي
صاحبه كتوما وان كان عن فضول العيش سمي زهدا ويضاده الحرص
وان كان صبرا علي قدر يسير من الحظوظ سمي قناعة ويضاده الشره
فاكثر اخلاق الايمان داخل في الصبر فلذلك لما سئل النبي عليه السلام
مرة عن الايمان فقال هو الصبر لانه اكثر اعماله واعزه كما قال عليه السلام
الحج عرفة وقد جمع الله اقسام ذلك وسمي الكل صبرا **واما** بيان الحاجة

مطلب الصبر

اليه في جميع الاحوال فاعلم ان العبد لا يستغني عن الصبر في كل حال من
الاحوال لان جميع ما يلقيه العبد في هذه الحيوة لا يخلوا من نوعين
احدهما هو الذي يوافق هواه والاخر هو الذي لا يوافقه هواه بل
يكرهه وهو محتاج الي الصبر في كل واحد منهما وهو في جميع الاحوال
لا يخلوا عن احد هذين النوعين او كلاهما فهو اذا لا يستغني عن الصبر
النوع الاول ما يوافق الهوي وهو الصحة والسلامة والمال والجاه و
ملاذ الدنيا وما احوج العبد الي الصبر علي هذه الامور فانه ان لم يضبط
نفسه عن الاسترسال والركون اليها والانهماك في ملاذها المباحة
منها اخرجه ذلك البطر والطغيان ان رآه استغني حتي قال بعض
العارفين البلاء يصبر عليه المؤمن والعوافي لا يصبر عليها الا صديق
ولذلك حذر الله تعالي عباده من فتنة المال والولد والزوج وقال
لا تلهكم اموالكم ولا اولادكم وقال تعالي انما اموالكم واولادكم عدو لكم
فاحذروهم وقال صلي الله عليه وسلم الولد مبخلة مجبنة النوع الثاني
ما لا يوافق الهوي والطبع وذلك لا يخلوا اما ان يرتبط باختيار
العبد كالطاعات والمعاصي او لا يرتبط باختياره كالمصايب والنوايب
او لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته كالتشفي من المؤذي
بالانتقام منه فهي ثلثة اقسام القسم الاول ما يرتبط باختياره

كطاعته ومعصيته والعبد يحتاج الي الصبر عليها وعنها اما الصبر
علي الطاعة فشديد لان النفس بطبعها تنفر عن العبودية و
تشتهي الربوبية ولذلك قال بعض العارفين ما من نفس الا
وهي مضمرة ما اظهره فرعون من قوله انا ربكم الاعلي وما من احد
الا وهو يدعي ذلك مع عبده وخادمه واتباعه فان العبودية شاقة
علي النفس مطلقا ثم من العبادات ما يكره بسبب الكسل في الصلوة
والسعي والطواف ومنها ما يكره بسبب البخل كالزكوة ومنها ما يكره
بسببهما جميعا كالحج والجهاد فالصبر على الطاعة صبر علي الشدايد
واما الصبر علي المعاصي فما احوج العبد الي الصبر عنه واشد انواع الصبر
عن المعاصي التي صارت مألوفة بالعادة فان العادة طبيعة خامسة
القسم الثاني ما لا يرتبط اوله باختياره ولكن له اختيار في ازالته
كالواوذي بفعل او قولا وجني عليه احد في نفسه او ماله فالصبر
على ذلك بترك المكافات قال بعض الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين
ما كنا نعد ايمان الرجل ايمانا اذا لم يصبر علي الاذي وقال تعالي و
لنصبرن علي ما اذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وقال تعالي
ودع اذاهم وتوكل علي الله وقال فاصبر على ما يقولون القسم الثالث
ما لا يدخل تحت الاختيار اوله واخره كالصبر علي المصايب من الامراض

وموت الاحبة وذهاب الاموال فالصبر عليها من اعلي المقامات قال
ابن عباس رضي الله عنهما الصبر في القرآن على ثلثة اوجه صبر علي اداء
فرايض الله فله ثلثمائة درجة وصبر علي محارم الله وله ستمائة درجة
وصبر في معصية عند الصدمة الاولي فله تسعمائة درجة وقال
صلي الله عليه وسلم يقول الله تعالى اذا ابتليت عبدي ببلاء فصبر
ولم يشكني الي عواده ابدلته لحما خيرا من لحمه ودما خيرا من دمه فان
ابراته ابراته وان توفيته فالي رحمتي وقال يقول الله تعالي اذا وجهت
الي عبد من عبيدي مصيبة في ماله وولده او بدنه ثم استقبل ذلك
بصبر جميل استحييت منه يوم القيمة ان انصب له ميزانا وانشر له
ديوانا وقيل حبس الشبلي رحمة الله عليه في المارستان فدخل
عليه جماعة فقال من انتم فقالوا احبابك جاؤك زايرين فاخذ يرميهم
بالحجارة فاخذوا يهربون فقال لو كنتم احبابي لصبرتم علي بلائي وكان
بعض العارفين يحمل في جيبه رقعة يخرجها كل ساعة ويطالعها
وكان فيها واصبر لحكم ربك فانك باعيننا وروي ان ذكرياء عليه السلام
لما هرب من الكفار اختفي في الشجرة حتى بلغ المنشار الي راسه فان فاوحي
الله تعالي اليه لئن صعدت منك انة اخرى لامحونك من ديوان النبوة
فصبر حتى وقع الشطري ويقال ان امرأة فتح الموصلي عثرت فانقطع

مطلب الصبر على البلاء

مطلب الذكريا

طيفوري

ظفر رجلها فضحكت فقيل لها اما تجدين الوجع فقالت ان لذة
ثوابه ازال عن قلبي مرارة وجعه وقيل ان الله سبحانه وتعالى يحتج
علي الخلق يوم القيمة باربعة انفس علي اربعة اجناس علي الاغنياء
بسليمان عليه السلام وعلى الفقراء بعيسى عليه السلام وعلي
العبيد بيوسف عليه السلام وعلى المرضي بايوب عليه السلام و
قال داود لسليمان عليهما السلام يستدل على تقوي المومن بثلثة
حسن التوكل فيما لم ينل وحسن الرضى قد نال وحسن الصبر فيما قد
فات وروي عن بعضهم انه قال مررت على سالم مولي ابي حذيفة
رضي الله عنهما في القتلى وبه رمق فقلت له اسقيك ماء قال
اجعل الماء في الترس فاني صايم فان عشيت الي الليل شربته فهكذا
كان صبر سالكي طريق الاخرة على بلاء الله تعالى فان قيل كيف يصبر
على البلاء مضطرا الي تالم القلب بحكم الطبع قلت المطلوب ان لا يظهر
آثر الجزع كشق الجيب وضرب الخد واظهار الكاية قيل الصبر جميل
هو ان لا يعرف صاحب المصيبة بغيره ولا يخرجه عن حد الصابرين تالم
وفيضان الدمع لانه مقتضي البشرية ويدل عليه بكاء الرسول
صلى الله عليه وسلم على ابنه ابراهيم عند وفاته فظهر بهذا التفسير
الحاجة الي الصبر في جميع الاحوال حتى ان من كفي مونة الشهوات

المصايب اصح

لايخلوا

لا يخلوا عن وسواس الشيطان فان للشيطان جندين جند يطير وحركته
وهو الوسواس وجند يسير وحركته وهو الشهوة اذ هو مخلوق من النار
وطبعها الحركة والادمي مخلوق من صلصال كالفخار والفخار فيه نار وطين
وطبع الطين السكون وطبع النار الحركة وقد كلف الملعون ان ينقاد
لما خلق فاستعصى واليه الاشارة بقوله تعالى خلقتني من نار وخلقته
من طين وحيث لم يسجد والادم عليه السلام فكيف تطمع في اذعانه
وانقياده لنا مع ان ذلك روح السجود نعم قد يضعف ويقوى باعتبار قوة
الرياضة وضعفها واما بيان دواء الصبر وما يستعان به عليه
فهو ان يقابل العلل المانعة بضدها واصل ذلك قمع الشهوات الظاهرة و
الباطنة وتعين عليه العزلة والقناعة والتفكر ثم الاعتماد علي ما قال
الله تعالى وفي السماء رزقكم وما توعدون الباب الثاني في الشكر
وفيه فصول الفصل الاول في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه
واحكامه الفصل الثاني في حقيقة النعمة واقسامها الخاصة والعامة
الفصل الثالث في بيان ما يشترك فيه الصبر والشكر الفصل الاول
في فضيلة الشكر وحقيقته واقسامه اما فضيلته فقد قرنه الله
تعالى في كتابه العزيز مع انه قال ولذكر الله اكبر فقال واذكروني اذكركم
واشكروني ولا تكفرون وقال تعالى وقليل من عبادي الشكور وقال تعالى

مطلب دواء الصبر

مة

ما يفعل الله بعذابكم ان شكرتم وامنتم وكان الله شاكراً عليماً وقال
تعالى لان شكرتم لازيدنكم وهو خلق من اخلاق الربوبية قال الله
شكور حليم وجعل الشكر مفتاح كلام اهل الجنة وخاتمته فقال
سبحانه وتعالى الحمد لله الذي صدقنا وعده وقال تعالى واخر دعواهم
ان الحمد لله رب العالمين وقال صلى الله عليه وسلم الطاعم الشاكر
بمنزلة الصايم الصابر وقال ينادي يوم القيمة مناد ليقم الحامدون
فيقوم زمرة فينصب لهم لواء فيدخلون الجنة فقيل هم الذين يشكرون
الله على كل حال ولما نزل في الكنوز ما نزل قال عمر رضي الله عنه فاي
الكنوز نتخذ فقال عليه السلام ليتخذ احدكم لساناً وقلباً فامر
باقتناء القلب الشاكر بدلاً عن المال وقال بن مسعود رضي الله عنه
الشكر نصف الايمان واما حده وحقيقته فهو ايضاً ينتظم من علم
وحال وعمل فالعلم هو الاصل فيورث الحال والحال يورث العمل اما العلم
فهو معرفة النعمة من المنعم والحال هو الفرح الحاصل بانعامه والعمل هو
القيام بما هو مقصود المنعم ومحبوبه ويتعلق ذلك العمل بالقلب واللسان
والجوارح ولابد من بيان جميع ذلك ليحصل بمجموعه الاحاطة بمعانيه
فالاصل الاول العلم وهو علم بثلثة امور بعين النعمة ووجود كونها
نعمة في حقه وبذات المنعم ووجود صفاته التي بها يتم الانعام

ويصدر الانعام منه عليه فانه لابد من نعمة ومنعم عليه التي تصل
النعمة اليه فلا يتم الا بان يعرف ان النعمة كلها من الله وهو المنعم والوسا يط
مسخرون من جهته واعلم ان تمام النعمة بنفي الشرك في الافعال فمن انعم
عليه ملك من الملوك بشيء فراى لوزيره او لوكيله دخلاً في تيسير ذلك
وايصاله اليه فهو اشراك به في النعمة فلا يرى النعمة من الملك في كل وجه
بل منه بوجه ومن غيره بوجه فيتوزع فرحه عليهما فلا يكون موحداً
في حق الملك وكمال شكره ان يرى النعمة الواصلة اليه بتوقيعه الذي كتب
بقلمه وبالكاغد الذي كتب عليه فانه لا يفرح بالكاغد والقلم ولا يشكرهما
لانهما مسخران تحت قدرة الملك ويعلم ان الوكيل الموصل والخازن ايضاً
مضطران من جهة الملك في الايصال فاذا عرف ذلك كان نظره الى الخازن
الموصل كنظره الى القلم والكاغد فلا يورث ذلك شركاً في توحيده من اضافة
النعمة الى الملك وكذلك من عرف الله وعرف افعاله علم ان كل من وصل اليك
نعمة الله تعالى على يده فهو مضطر اذ سلط الله تعالى عليه الارادة وهيج عليه
الدواعي والقى في قلبه ان خيره في الدنيا والاخرة في ان نعطيك ما
اعطيك فان عرفت الامور كذلك فقد عرفت الله تعا وعرفت فعله
وكنت موحداً وقدرت على شكره بل كنت بهذه المعرفة بمجردها شاكراً مطلب
وكذلك قال موسى عليه السلام في مناجاته الهي خلقت آدم بيدك الشكر

وفعلت وفعلت فكيف شكرك فقال علم ان ذلك مني وكانت معرفته
شكرا فان الشكر لا يعتبر الا بان يعرف ان الكل منه فاذا خالجك ريب
في هذا لم تكن عارفا لا بالنعم فبنقصان معرفتك ينقص حالك في
الفرح وبنقصان فرحك ينقص عملك فهذا بيان هذا الاصل الذي
هو العلم الاصل الثاني في الحال المستمر من اصل المعرفة وهو الفرح بالمنعم
مع هيئة الخضوع والتواضع وهو ايضا في نفسه شكر عن تجرده
كما ان المعرفة شكر ولكن انما يكون شكرا اذا كان جامعا شروطه وشرطه
ان يكون فرحك بالمنعم لا بالنعمة ولا بالانعام ولعل هذا مما يتعذر
عليك فهمه فنضرب لك مثلا فنقول الملك الذي يريد الخروج الى سفر
فانعم على انسان بفرس يتصور ان يفرح المنعم عليه الفرس من ثلثة
اوجه احدها ان يفرح بالفرس من حيث انه فرس وانه مال ينتفع
به ومركوب وهذا فرح من لا حظ له في الملك بل غرضه الفرس فقط
الثاني ان يفرح به لا من حيث انه فرس بل من حيث يستدل به على
عنايات الملك به وشفقته عليه الثالث ان يفرح به ليركبه فيخرج
في خدمة الملك ويحتمل مشقة السفر لينال بخدمته رتبة القرب
منه ومشاهدته فهذه ثلث درجات فالاولى لا يدخل فيه
معنى الشكر اصلا لان نظر صاحبها مقصور على الفرس ففرحه بالفرس

لا بالمعطي وهذا حال كل فرح بنعمة من حيث انها لذيذة موافقة لغرضه
فهو بعيد عن معنى الشكر والثانية داخلة في معنى الشكر من حيث فرح
بالمنعم ولكن لا من حيث ذاته بل من حيث معرفته عنايته التي يستحقه
على الانعام في المستقبل وهذا حال الصالحين الذين يعبدون الله تعالى
ويشكرونه خوفا من عقابه ورجاء لثوابه وانما الشكر التام في الفرح الثالث
وهو ان يكون فرح العبد بنعمة الله تعالى بحيث انه يقدر بها على التوصل الى
القرب منه والنزول في جواره والنظر الى وجهه الكريم فهذه هي الرتبة العليا
وامارته انه لا يفرح من الدنيا الا بما هو مزرعة الآخرة ومعينة ويحزن
بكل نعمة تلهيه عن ذكر الله تعالى وتصده عن سبيله فلم من فرق بين من يريد
نعم الله تعالى ليصل بها اليه الاصل الثالث العمل بموجب الفرح الحاصل من معرفة
المنعم وهذا العمل يتعلق بالقلب واللسان والجوارح اما بالقلب فقصد الخير
واضماره لكافة الخلق واما باللسان فاظهار الشكر لله تعالى بالتحميدات الدالة عليه
واما بالجوارح فاستعمال نعم الله تعالى في طاعته والتوقي من الاستعانة بها
على معصيته حتى ان شكر العينين ان يستر كل عيب يراه لمسلم وشكر
الاذنين ان يستر كل عيب يسمعه فيدخل هذا في جملة شكر نعمة هذه
الاعضاء فهذه هي اصول معاني الشكر المحيطة بجميع حقيقته فان قيل
ما معنى الشكر والشكر نعمة من الله تعالى قلنا هذا السؤال خطر بال داود

وكذا لموسي عليهما السلام فقال موسي كيف اشكرك وانا لا استطيع ان اشكرك
الا بنعمة ثانية من نعمك فاوحي الله تعالى اليه اذا عرفت هذا فقد شكرتني
وفي خبر آخر اذا عرفت ان النعم مني رضيت بذلك منك شكرا فان قلت
لم افهم هذا الجواب فان العلم ايضا نعمة ثالثة فاعلم ان هذا قرع باب من
التوحيد وهو ان الله تعالى هو الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب ولا شيء
من الوجود سوي الله تعالى وان كل شيء هالك الا وجهه اذ ليس في الوجود شيء
سوى الله تعالى له قيام بذاته فهو القايم بذاته وكل ما هو سواه فهو قايم به
فهو الشاكر والمشكور والمحب والمحبوب. ومن ههنا نظر حبيب بن حبيب رحمة الله
عليه حيث قراء قوله تعالى انا وجدناه صبرا نعم العبد انه اواب فقال واعجبا
اعطي واثني اشار الي انه اثني علي اعطائه فعلى نفسه اثني فهو المثني عليه
ومن ههنا نظر الشيخ ابو سعيد رحمة الله عليه حيث قرئ بين يديه
يحبهم ويحبونه فقال لعمري يحبهم ودعه فبحق يحبهم لانه يحب نفسه
اشار به الي انه المحب وانه المحبوب وهذه رتبة عالية لا يصل الي فهمك
الا بمثال على قدر عقلك وذلك انه لا يخفى عليك ان المصنف اذا
احب تصنيفه فقد احب نفسه والصانع اذا احب صنعه فقد
احب نفسه والوالد اذا احب ولده فقد احب نفسه وكل ما في الوجود
سوي الله تعالى فهو تصنيف الله تعالى عز وجل وصنعه فان احبه فما

احب

احب الا نفسه وهذا نظر بعين التوحيد واليه الاشارة بقول الصوفية
حيث يقولون فلان فني عن نفسه وعن غير الله فلم يري الا الله والناس لا
يفهمون هذا فينكرون عليهم ويقولون كيف الفناء وطول ظلله كما كان
وهو يتناول الطعام يوما وليلة ويضحكون عليه من جهلهم وشرط
العارفين ان يكونوا ضحكة للجهال واليه الاشارة بقوله تعالى ان الذين
اجرموا كانوا من الذين امنوا يضحكون الي قوله فاليوم الذين امنوا من الكفار
يضحكون **الفصل الثاني** في حقيقة النعمة واقسامها وبيان وجه
الانموذج في كثرة نعم الله تعالى وبيان سبب الغفلة عن الشكر اعلم ان كل خير ولذة
وسعادة يسمي نعمة ولكن النعمة الحقيقة هي السعادة الاخروية التي يرجع
حاصله الي اربعة اقسام عيش لا فناء له وسرور لا غم فيه وعلم لا جهل معه
وغنى لا فقر معه وهي النعمة الحقيقية ولذلك قال صلى الله عليه وسلم
لا عيش الا عيش الاخرة وتسمية ما عداها نعمة وسعادة اما غلط واما
مجاز كتسمية السعادة الدنياوية التي لا تعين على الاخرة نعمة فان ذلك
غلط محض وقد يكون اسم النعمة للشيء صدقا وان يكون اطلاقه على السعادة
الاخروية اصدق فكل سبب يوصل الي سعادة الاخرة ويعين عليها اما بواسطة
واحدة او بوسايط فان تسميته نعمة صحيح وصدق لاجل انه يفضي الي النعمة
الحقيقية والاسباب المعينة واللذات المسماة نعمة ونحن نشرحها وهي ان

مطلب افضل النعم

سطة

المعينة

الامور كلها بالاضافة الينا ينقسم الى ما هو نافع في الدنيا والآخرة جميعًا
كالعلم وحسن الخلق والى ما هو ضار فيهما جميعًا كالجهل وسوء الخلق والى ما
ينفع في الحال ويضر في المآل كالتلذذ باتباع الشهوات والى ما يضر في
الحال ولكن ينفعه في المآل كقمع الشهوات ومخالفة النفس والنافع في الحال
والمآل وهو النعمة تحقيقا كالعلم وحسن الخلق والضار فيهما هو البلاء
تحقيقا وهو ضدهما والنافع في الحال المضر في المآل بلاء محض عند ذوي الابصار
ويظنه الجهال نعمة ومثاله الجايع اذا وجد عسلا فيه سم فانه يعده
نعمة وان كان جاهلا واذا علمه علم ان ذلك بلاء والضار في الحال النافع
في المآل نعمة عند ذوي الالباب بلاء عند الجهال ومثاله الدواء البشيع في الحال
مذاقه الا انه شاف من الامراض والاسقام وجالب للصحة والسلامة
فالصبي الجاهل اذا كلف شربه ظنه بلاء والعاقل يعده نعمة واما الوسائل
فتنقسم الى الاقرب الاخص كفضائل النفس والى ما يليه في القرب كفضائل
البدن والى ما يليه في القرب ويجاوز الى غير البدن كالاسباب المطيفة
بالبدن من المال والاهل والعشيرة والى ما يجمع بين هذه الاسباب الخارجة
عن النفس وبين الحاصل للنفس كالتوفيق والهداية فهي اذن اربعة انواع النوع
الاربع وهو الاخص للفضائل النفسية ويرجع حاصلها مع انشعاب اطرافها
الى الايمان وحسن الخلق وينقسم الايمان الى علم المكاشفة وهو العلم بالله تعالى

وصفاته

وصفاته وملائكته ورسله عليهم السلام والى علوم المعاملة وحسن الخلق
ينقسم الى قسمين ترك مقتضى الشهوة والغضب واسمه العفة ومراعاة العدل
في الكف عن مقتضى الشهوات والاقدام حتى لا يمتنع اصلا ولا يقدم كيف شاء
بل يكون اقدامه واحجامه بالمنزل العدل الذي انزله تعالى على رسوله صلى الله
عليه وسلم اذ قال الا تطغوا في الميزان واقيموا الوزن بالقسط ولا تخسروا
الميزان فمن اخصى نفسه لترك الشهوات بالنكاح او ترك النكاح مع القدرة
او ترك الاكل حتى ضعف عن العبادة والذكر والفكر فقد اخسر الميزان ومن
انهمك في شهوة البطن والفرج فقد طغى في الميزان وانما العدل ان يخلو
وزنه وتقديره عن الطغيان والخسران فاذا الفضائل الخاصة بالنفس
المقربة الى الله تعالى اربع علم المكاشفة وعلم المعاملة وعفة وعدالة ولا يتم
هذا في غالب الامر الا بالنوع الثاني وهي فضائل البدنية وهي اربع الصحة
والقوة والجمال وطول العمر ولا تتهيأ هذه الامور الاربعة الا بالمال والاهل
والجاه وكرم العشيرة ولا ينتفع بشيء من هذه الاسباب الخارجة والبدنية
الا بالانواع الاربعة وهي الاسباب التي تجمع بينها وبين ما يناسب الفضائل
النفسية الداخلة وهي اربع هداية الله ورشده وتسديده وتأييده
فمجموع هذه النعم ست عشرة وهذه الجملة يحتاج البعض الى البعض اما حاجة
ضرورية او نافعة اما الحاجة الضرورية فكحاجة سعادة الآخرة الى الايمان

وحسن الخلق اذ لا سبيل الى وصول الى سعادة الاخرة البتة الا بها فليس
للانسان الا ما سعى وليس لاحد فى الاخرة الا ما تزود من الدنيا وكذلك
حاجة الفضائل النفسية بكسب العلوم وتهذيب الاخلاق الى صحة البدن
ضروري واما الحاجة النافعة على الجملة لحاجة هذه النعم النفسية و
البدنية الى النعم الخارجة مثل المال والعز والاهل فانه لو عدم ربما يتطرق
الخلل الى بعض النعم الداخلة فان هذه الاسباب جارية مجرى الجناح المبلغ
والالة المسهلة للمقصود اما المال فالفقير فى طلب العلم والكمال وليس معه
كفاية كساع الى الهيجاء بغير سلاح وكباز يروم الصيد بلا جناح و
كذلك **قال** صلى الله عليه وسلم نعم المال الصالح للرجل الصالح **و**
قال بعض الحكماء وقد قيل له ما النعيم فقال الغنا فاني رايت الفقير لا عيش
له قيل له زدنا قال الامن فاني رايت الخائف لا عيش له قيل زدنا قال
الشباب فاني رايت الهرم لا عيش له قيل له وكان ما ذكره اشارة الى نعيم
الدنيا ولكنه من حيث انه معين على الاخرة فهو نعمة ولذلك **قال** صلى الله
عليه وسلم من اصبح امنا في سربه ومعافا في بدنه ماله قوت يومه فكانما
خيرت له الدنيا بحذافيرها واما الاهل والولد الصالح فلا يخفى وجه
الحاجة اليهما اذ **قال** عليه السلام نعم العون على الدين المراة الصالحة **و**
حكي عن الاصمعي رحمة الله عليه انه قال دخلت البادية فرايت

مطلب المراءة الصالحة

اعرابية

اعرابية من احسن الناس وجها ورايت زوجها من اقبح الناس وجها فقالت
لزوجها ابشر لك فاني واياك في الجنة فقال لها وما علمك بذلك فقالت
لاني ابتليت بقبحك فصبرت وموضع الصابرين الجنة وابتليت انت بحسني
فشكرت وموضع الشاكرين الجنة فهذا اخر الكلام في حقيقة النعمة و
اما وجه الانموذج في كثرة نعمة الله تعالى **اعلم** انا جمعنا النعم في ستة عشر
ضربا وجعلنا صحة البدن نعمة من النعم الواقعة في الرتبة المتاخرة والا كل
احد اسباب الصحة فلنذكر نبذة من جملة الاسباب التي بها تتم نعمة الاكل ولا
يخفى ان الاكل فعل من هذا النوع فهو حركة وكل حركة فلا بد لها من جسم متحرك
هو آلتها ولا بد من قدرة على الحركة ولا بد من ارادة للحركة ولا بد من علم
بالمراد وادراك له ولا بد للاكل من ماكول ولا بد للماكول من اصل منه يحصل
ولا بد من صانع يصلحه ومنها يعلم قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
فلنذكر اسباب الادراك ثم فى خلق الارادات ثم في خلق القدرة ثم في
اصول الاطعمة ثم فى الاسباب الموصلة للاطعمة في اصلاح الاطعمة ثم في
اصلاح المصلحين ثم في بيان نعم الله تعالى في خلق الملائكة اما نعم الله تعالى
في خلق اسباب الادراك فهو ان الله تعالى خلق النبات وهو اكمل وجو دًا
من الحجر والمدر والحديد والنحاس وساير الجواهر الذي لا تنمو ولا تغتذي
فان النبات خلق فيها قوة بها يجذب الغذاء الى نفسه من جهة اصله

عروقه التي في الارض وهي له الات فيها يجتذب الغذاء وهي العروق
الدقيقة التي تراها في كل ورقة الا ان النبات مع هذا الكمال ناقص فانه
لو اعوز غذاؤه الذي يماس اصله جف ويبس ولم يمكنه طلب الغذاء
من موضع اخر فان الطلب انما يكون بمعرفة المطلوب وبالانتقال اليه
والنبات عاجز عن ذلك فمن نعمة الله عليك ان خلق لك آلة الاحساس
والة الحركة في طلب الغذاء فانظر الي ترتيب حكمة الله تعا في خلق الحواس
الخمس التي هي الة الادراك فهي كالجواسيس واصحاب الاخبار والمتوكلين
بنواحي المملكة قد وكلت واحدة منها باخبار الالوان والاخري باخبار
الاصوات والاخري باخبار الاراييح والاخري باخبار الطعوم و
الاخرى باخبار الحر والبرد والخشونة والملاسة واللين والصلابة
وهذه البرد والجواسيس يستقصون الاخبار من اقطار المملكة ويسلمونها
الي الحس المشترك قاعدة في مقدمة الدماغ مثل صاحب القصص والكتب
علي باب الملك يجمع القصص والكتب الواردة من نواح العالم فياخذها وهي
مختومة اذ ليس له الا اخذها وحفظها فاما حقايق ما فيها فلا ويسلمها
الي الملك الذي هو القلب فيفتشها الملك ويخبر الجنود وهي الاعضاء مرة
في القرب ومرة في الهرب وهذا كله يشاركك فيه الحيوانات فميزك الله تعا
واكرمك بصفة اخري هي اشرف من الكل وهو العقل فيه تحتال علي البهيمة

وتاخذها

وتاخذها فلا تدري كيف تتخلص من قيدك وقد تلقي نفسها في البحر
ولا تدري ان ذلك يهلكها اذ ليس لها الا الاحساس بالظاهر فاما
ادراك العواقب فلا هذه سياقة نعم الله تعا عليك بالادراكات
واما اصناف النعم في خلق الارادات فانه لو خلق لك الصبر حتي تدرك به
الغذاء من بعد ولم يخلق لك ميل في الطبع وشوق اليه وشهوة له تستحثك
علي الحركة لكان الصبر عطلا فكم من مريض يري الطعام وهو انفع الاشياء له
وقد سقطت شهوته فلا يتناوله فيبقى الصبر والادراك معطلا في
حقه فاضطرت الي ان يكون لك ميل الي الغذاء حتي تبقي الي اجلك ثم هذه
الشهوة لو لم تسكن اذا اخذت مقدار الحاجة اسرفت واهلكت نفسك
فخلق الله تعا الكراهة عند الشبع لتترك الاكل بها واما نعم الله تعا في خلق
القدرة والات الحركة فهو ان الحس لا يفيد الا الادراك والارادة ولا معني
له الا بالميل الي الطلب والهرب وهذا لا كفاية فيه ما لم تكن آلة الطلب
والهرب حاصلة فكم من زمن مشتاق الي شيء بعيد عنه مدرك له لكنه
لا يمكنه ان يمشي اليه لفقد رجله ولا يمكنه ان يتناوله لفقد يده فلا بد
من الالات للحركة وقدرة في تلك الالات علي الحركة فتكون حركتها بمقتضي
الشهوة مطلبا وبمقتضي الكراهة هربا فلذلك خلق الله تعا لك الاعضاء
التي تنظر الي ظاهرها ولا تعرف اسرارها وكل ذلك نعمة من الله تعا عليك

ولو سكن من جملتها عرق متحرك او تحرك عرق ساكن لهلكت فانك لا تعرف
من نعمة الله تعالى الا الاكل وهي اخسها ثم لا تعرف منها الا انك تجوع فتاكل
والحمار ايضا يعلم انه يجوع فياكل ويتعب فينام ويشتهي فيجامع فاذا لم
تعرف انت من نفسك الا ما يعرف الحمار فكيف تقوم بشكر نعم الله تعالى
واما نعم الله تعالى في الاصول التي منها تحصل الاطعمة فهي ان الاطعمة
اما ادوية واما فواكه واما اغذيه فلا تتم هذه الاطعمة الا بالماء
والهوا والشمس والقمر والكواكب ولا يتم ذلك الا بالافلاك التي هي مذكورة
فيها ولا تتم الافلاك الا بحركاتها ولا تتم حركاتها الا بملايكة سمواته يحركونها
وكذلك يتمادى ذلك الى اسباب بعيدة تركنا ذكرها تنبيها بما ذكرناه
على ما اهملناه واما نعم الله تعالى في الاسباب الموصلة للاطعمة اليك فهي
ان هذه الاطعمة كلها لا توجد في كل مكان بل لها شروط مخصوصة لاجلها
يوجد في بعض الاماكن دون بعض وقد سلط الله تعالى على بعض الناس
حرص المال وشره الربح فيقاسون الشدايد في طلب الربح في الاسفار ويركبون
الاخطار في البحار فيحملون الاطعمة وانواع الحوايج من اقصى العالم اليك
واما نعم الله تعالى في اصلاح الاطعمة فلا تحصى واستقصاء ذلك في كل
طعام طويل فلنعين رغيفا واحدا ولننظر الى ما يحتاج اليه الرغيف
الواحد حتى يصلح للاكل من بعد القاء البذر في الارض فاول ما يحتاج

اليه الحراث

اليه الحراث ليزرع ويصلح الارض ثم الثور الذي به يثير الارض والفدان
وجميع اسبابه ثم التعهد ليسقي الماء مدة ثم الحصاد والالة ثم الفرك والالة
ثم الطحن والالة ثم العجن والالة ثم الخبز والالة وهذا بعد عمل الملك
الذي يزجي السحاب لينزل الماء الى اخر الاعمال من جهة الملايكة عليهم السلام
حتى تنتهي النوبة الى عمل الانسان فاذا استدار طلبه قريب من سبعة
صانع كل صانع اصل من اصول الصنايع التي تتم بها مصلحة الخلق واما نعم الله
تعالى في اصلاح المصلحين فهي ان هولاء الصناع للاطعمة وغيرها لو تفرقت
اراؤهم وتنافرت طباعهم لتبددوا وتباعدوا ولم ينتفع بعضهم ببعض
بل كانوا كالوحوش لا يجمعهم مكان واحد فانظر كيف الف الله تعالى بين قلوبهم
وسلط الانس والمحبة عليهم فالخباز يخبز العجين والطحان يطحن الحب
بالطحن والحراث يصلحه بالحصاد والحداد يصلح الة الحراثة والنجار
يصلح الات الحداد وكذا جميع ارباب الصناعات والسلطان يصلح الصناع
والعلماء يصلحون السلاطين والانبياء عليهم السلام يصلحون العلماء والملايكة
يصلحون الانبياء عليهم السلام الى ان ينتهي الى حضرة الربوبية التي هي ينبوع كل
نظام ومطلع كل حسن وجمال ومنشاء كل تاليف وترتيب وكل ذلك
نعم رب الارباب ومسبب الاسباب واما بيان نعم الله تعالى في خلق الملايكة
عليهم السلام فليس يخفى عليك ما سبق من نعمة في الملايكة باصلاح الانبياء

عليهم السلام وهدايتهم وتبليغ الوحي اليهم ولا تظن انهم مقتصرون في
افعالهم علي ذلك القدر بل طبقات الملايكة عليهم السلام مع كثرتها وترتب
مراتبها تنحصر بالجملة في ثلث طبقات الملايكة الارضية والسموية وحملة
العرش وكلهم الله تعالى بك فيما يرجع الي الاكل والغذاء الذي ذكرناه دون
ما يجاوز ذلك من الهداية والارشاد وغيرها واعلم ان كل جزء من اجزاء
بدنك بل من اجزاء النبات لا يتغذي الا بان يوكل به سبعة من الملايكة
عليهم السلام هو اقله الي عشرة الي مائة الي ما وراء ذلك وبيانه معني الغذاء
ان يقدم جزء من الغذاء مقام جزء قد تلف وذلك الغذاء يصير دما في
اخر الامر ثم يصير لحما وعظما فاذا صار لحما وعظما ثم اغتدوك والدم واللحم
اجسام ليس لها قدرة ومعرفة واختيار فهي لا تتحرك بانفسها ولا تتغير و
مجرد الطبع لا يكفي في ترددها في اطوارها كما ان البر بانفسه لا يصير طحينا
ثم عجينا ثم خبزا مستديرا مخبوزا الا بصناع فكذلك بنفسه لا يصير
لحما وعظما وعرقا وعصبا الا بالصناع في الباطن وهم الملايكة الارضية
وقد شغلوا بك وانت في النوم تستريح وفي الغفلة تتردد وهم يصلحون
الغذاء في باطنك ولا خبر لك منهم وذلك في كل جزء من اجزائك التي لا
تتجزي حتي يفتقر بعض اجزائك لعين والقلب الي اكثر من مائة وستون
ملكا يذبون عنه كما يذب عن قصعة العسل الذباب ولو وكل العبد الي

نفسه

الي نفسه طرفة عين لاختطفته الشياطين والملايكة الارضية مدد
مددهم من الملايكة السموية علي ترتيب معلوم لا محيط بكنهه الا الله تعالى
ومدد الملايكة السماوية من حملة العرش والمنعم علي جميعهم هو الله تعالى
فاذا قد اسبغ الله تعالى عليك نعمه ظاهرة باطنة قال وذروا ظاهر الاثم
وباطنه فنزل باطن الاثم ما لا يعرفه الخلق من الحسد وسوء الظن والبدعة
واضمار الشر للناس الي غير ذلك من اثام القلوب هو الشكر للنعم الباطنة وترك
الاثم الظاهر بالجوارح شكر للنعم الظاهرة فكل من عصي الله تعالى ولو في طرفة
واحدة بان فتح جفنه مثلا حيث يجب غض البصر فقد كفر كل نعمة لله تعالى
عليه في السموات والارض وما بينهما فان كلما خلقه الله تعالى حتى الملايكة و
السموات والارضين والحيوان والنبات بجملته نعمة علي كل واحد من العباد
قديم انتفاعه وان انتفع غيره به ايضا فاذا فتح العين نعمة الله تعالى في الاجفان
ولا تقوم الاجفان الا بالعين ولا العين الا بالراس ولا هو الا بجميع البدن
ولا هو الا بالغذاء ولا هو الا بالماء والارض والهواء والمطر والغيم والشمس
والقمر ولا يقوم شيء من ذلك الا بالسموات ولا السموات الا بالملايكة عليهم السلام
ومن عصي بعينه فقد كفر كل نعمة الله تعالى في الوجود من الثريا الي الثري
فلم يبق ذلك ولا ملك ولا حيوان ولا نبات الا ويلعنه وهذا بشارة الي
ان العاصي بتطريفة واحدة علي جميع ما في الملك والملكوت وقد اهلك نفسه

وترك اثام القلوب به

مطلب فاذا ... النعم

الا ان يتبع السيئة الحسنة تمحوها فيتبدل اللعن بالاستغفار وكما
عرفت ان كل طرفة عين نعماء كثيرة فان في كل نفس يبسط وينقبض نعمتين
اذ بانبساطه يخرج الدخان المحترق من القلب ولو لم يخرج لهلك و
بانقباضه يجمع روح الهواء الى القلب بل اليوم والليلة اربع وعشرون
ساعة وفي كل ساعة قريب من الف نفس يطلع وفي كل نفس قريب من عشر
لحظات فعليك في كل لحظة الاف الاف نعمة في كل جزء من اجزائك بل
في كل جزء من اجزاء العالم فانظر هل يتصور احصار ذلك ام لا ولما
انكشف لموسى عليه السلام حقيقة قوله تعا وان تعدوا نعمة الله
لا تحصوها قال الهي كيف اشكرك ولك في كل شعرة من جسدي نعمتان
ان لينت اصلها وان طمنت راسها واما بيان سبب غفلة الخلق عن الشكر
فهو ان يعلم انه لم يقصر بالخلق عن شكر النعمة الا الجهل والغفلة فانهم
منعوا بالجهل والغفلة عن معرفة النعم ولا يتصور شكر النعمة الا بعد
معرفتها ثم ان عرفوها ظنوا ان الشكر في المطاعة عليها ان يقول بلسانه
الحمد لله الشكر لله ولم يعرفوا ان معنى الشكر ان يستعمل النعمة في الطاعة
فلا يمنع من الشكر بعد حصولها تين المعرفتين الا غلبة الشهوة واستيلاء
الشيطان واما الغفلة عن النعم فلها اسباب واحد اسبابها ان الناس
بجملتهم لا يعدون ما يعم الخلق ويسلم لهم في جميع احوالهم فلا يرى كل واحد

لنفسه

لنفسه اختصاصا فلا يعده نعمة فلو ابتلي واحد منهم بشيء من ذلك
ثم تجارأى ذلك نعمة وشكر الله تعا وهذا غاية الجهل اذ صار شكرهم
موقوفا على ان تسلب عنهم النعمة ثم ترد عليهم فلا ترى البصير يشكر صحة
بصره الا ان تعمى عنه فعند ذلك لو اعيد عليه احسن به وشكره وعده
نعمة ويظن ان النعمة نعمة المال الذي يتطرق الاختصاص اليه ولا يرى
غيره نعمة كما شكى بعضهم فقره الى بعض ارباب البصاير واظهر شدة اغتمامه
به فقال له ايسرك انك اعمى ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك
انك اخرس ولك عشرة الاف درهم فقال لا فقال ايسرك انك اقطع اليدين
والرجلين ولك عشرون الفا قال لا قال ايسرك انك مجنون ولك عشرة الاف
فقال لا فقال اما تستحي ان تشكو مولاك وله عندك بخمسين الفا واذا كانت
الطباع مايلة الى اعتداد النعمة الخاصة نعمة دون العامة وقد ذكرنا
العامة فلنذكره اشارة وجيزة الى النعم الخاصة فنقول ما من عبد الا
لو امعن النظر في احواله راى من الله نعمة او نعماء كثيرة تخصه لا يشاركه
فيها الناس بل يشاركه فيها احد وذلك يعترف به عند ثلثة امور في
العقل فظاهر شرفه يجب عليه الشكر واما الخلق فما من عبد الا ويرى من
غيره عيوبا يكرهها واخلاقا يذمها ويرى نفسه بريئا عنها فيجب عليه ان
يشتغل بالشكر اذ حسن الله تعا خلقه وخلقه اما العلم فما من احد الا

العقل والخلق والعلم اما

ويعرف من بواطن امور نفسه وخفايا افكاره ما هو منفرد به ولو
انكشف الغطاء حتى اطلع عليها احد من الخلق لافتضح فكيف لو اطلع
الناس كافة فاذا ثبت ان لكل عبد علم بامر خاص لا يشاركه فيه احد
من عباد الله تعالى ايضا جعله الله تعالى مومنا لا كافرا وحيا لا جمادا وانسانا
لا بهيمة وذكرا لا انثى وصحيحا لا مريضا وسليما لا معيبا فان كل هذه
خصايص وان كان فيها عموما ايضا فان هذه الاحوال لو بدل باضدادها
لم يرض به فاذا كل من اعتبر حال نفسه وفتش عما خص به وجد لله تعالى
على نفسه نعما كثيرة لاسيما من خص بالايمان والعلم والقران قال
صلى الله عليه وسلم من لم يستغن بالقرآن فلا اغناه الله وهذا
اشارة الى نعمة العلم وقال من اتيه الله القران فظن ان احدا اغنى
منه فقد استهزء بايات الله وقال ليس منا من لم يتغن بالقران
وحكي ان بعض القراء اشتد به الفقر فراى في المنام قايلا يقول له
تود انا انسيناك سورة الانعام وان لك الف دينار قال لا فسورة هود
قال لا قال فسورة يوسف قال لا قال فمعك قيمة ما يبلغ الفا وانت تشكوا
فاصبح وقد سري عنه وقال بعض السلف رحمهم الله اوحى الله تعالى
الى بعض انبيائه عليهم السلام ان من اغنيته عن سلطان يستعبده
وعن طبيب يستشفيه وعن جار يوذيه وعما في يداخيه فقد اتممت

نعمتي فيه وعبر الشافعي رحمة الله عليه عن هذا فقال اذا القوت يأتي
والصحة والامن واصبحت اخا حزن فلا فارقك الحزن وقال صلى الله
عليه وسلم من اصبح امنا في سربه الحديث فاذا انما يعسر طريق الشكر على الخلق
لجهلهم بضروب النعمة الظاهرة والباطنة والخاصة والعامة فان قيل الشكر
افضل ام الصبر قلنا قد اختلف الناس في ذلك فمنهم من قال الشكر افضل
ومنهم من عكس والمختار ان كل واحد منهما يلتئم من علم وحال وعمل ويختلف
ذلك باختلاف الاحوال والاشخاص الذي يليق بطباع عامة الخلق ترجيح
الصبر لان النصوص الواردة فيه اكثر لان الصبر حال الفقر والشكر حال
الغنى والفقر افضل من الغناء وقد يكون الشكر في حق بعضهم افضل
روي عن بعضهم انه قال رائت في الاسفار شيخا كبيرا مسنا فسالته
عن حاله فقال اني كنت في ابتداء عمري اهوى ابنة عمي وهي كذلك تهواني
فاتفق انها زوجت مني فليلة زفافنا قلت نقم حتى نحيي هذه الليلة
شكرا لله تعالى على ما جمعنا فصلينا تلك الليلة الى الصبح فلما كانت الليلة
الثانية قلنا مثل ذلك فصلينا طول الليل فمنذ سبعين سنة او ثمانين
نحن على تلك الحالة كل ليلة فقال اليس كذلك يا فلانة قالت العجوز بلى فانظر
اليهما ولو صبر على بلاء الفرقة ان لو لم يجمع الله بينهما ونسبة صبر الفرقة
الى شكر الوصال على هذا الوجه فلا يخفى عليك ان هذا الشكر افضل والله اعلم

فان قيل ما معني الشكر للآخرة في الخبر الثالث **الفصل الثالث** فيما
يشترك فيه الصبر والشكر بان اجتماع الصبر والشكر علي شيء واحد لعلك تقول
ما ذكرته في النعم اشارة الي ان الله تعا في كل موجود نعمة وهذا يشير الي
ان البلاء لا وجود له اصلا فما معني الصبر اذًا وان كان البلاء فضلا موجودًا
فما معني الشكر علي البلاء وقد ادعي مدعون انا نشكر علي البلاء فضلا من
الشكر علي النعمة فكيف يتصور الشكر علي البلاء وكيف يشكر علي ما يصبر عنه
والصبر يستدعي المًا والشكر يستدعي فرحًا وهما متضادان وما معني
ما ذكرتموه من ان الله تعا في كل ما اوجد نعمة علي عباده فاعلم ان البلاء
موجود كما ان النعمة موجود والقول باثبات النعمة يوجب القول بنفي البلاء
لانهما متضادان فقد البلاء نعمة وفقد النعمة بلاء ولكن قد سبق ان النعمة
تنقسم الي نعمة مطلقة من كل وجه اما الاخرة فكسعادة العبد بالنزول في
جوار الله تعا واما في الدنيا فكالايمان وحسن الخلق وما يعين عليهما والي نعمة
مقيدة من وجه كالمال الذي يصلح الدين من وجه ويفسده من وجه فكيف
البلاء ينقسم الي مطلق ومقيد اما المطلق في الآخرة فالبعد من الله تعا
اما مدة واما ابدا واما في الدنيا فالكفر والمعصية وسوء الخلق وهي التي
تفضي الي البلاء المطلق واما المقيد وكالفقر والمرض والخوف وساير انواع
البلاء التي لا يكون بلاء في الدين بل في الآخرة الدنيا فالشكر المطلق للنعمة

المطلقة

المطلقة اما المطلق في الدنيا فقد لا يومن بالصبر عليه لان الكفر بلاء ولا
معني للصبر عليه وكذا المعصية بل حق الكافر ان يترك وكذا حق العاصي نعم
الكافر قد لا يعرف انه كافر فيكون كمن به علة وهو لا يتالم بها بسبب غشية
او غيرها فلا صبر عليه والعاصي يعرف انه عاص فعليه ترك المعصية فاذا يرجع
الصبر في الدنيا الي ما ليس ببلاء مطلق بل يجوز ان يكون نعمة من وجه فذلك
يتصور ان يجتمع عليه وظيفة الصبر والشكر فان الغني مثلا يجوز ان
يصير سبب هلاك الانسان حتي يقصد بسبب ماله فيقتل والصحة ايضا كذلك
فما من نعمة من هذه الدنيا وية الا ويجوز ان يصير بلاء ولكن بالاضافة اليه
وكذلك ما من بلاء الا ويجوز ان يصير نعمة ولكن بالاضافة الي حاله فرب
عبد تكون الخيرة له في الفقر والمرض ولو صح بدنه وكثر ماله لبطر وبغي
قال الله تعا ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض وقال
صلي الله عليه وسلم ان الله ليحمي عبده من الدنيا وهو يحبه كما يحمي
احدكم مريضه وكذلك الزوجة والولد والقريب وكل ما ذكرناه في الاقسام
الستة عشر من النعم سوي الايمان وحسن الخلق فانها يتصور ان يكون بلاء
في حق بعض الناس فيكون اضدادها نعمًا في حقهم اذ قد سبق ان المعرفة
كمال ونعمة فانها صفة من صفات ولكن قد يكون علي العبد في بعض
الامور بلاء وقد يكون فقدها نعمة مثاله جهل الانسان باجله نعمة اذ

اي يضيق

لو عرفه ربما تنقص عليه العيش وطال بذلك غمه وذلك جهله بما يضمره
الناس عليه من معارفه واقاربه بعمة اذ لو رفع الستر واطلع عليه لطال
المه وحقده وحسده ومنها ابهام الله تعالى القيمة وليلة القدر وساعة
الجمعة وابهامه بعض الكباير وكل ذلك نعمة لان هذا الجهل يوفر دواعيك
علي الطلب والاجتهاد فهذه وجوه نعم الله تعالى في الجهل فكيف في العلم فان
قلت فهما متضادان فكيف يجتمعان اذ لا صبر الا علي غم ولا شكر الا علي فرح
فاعلم ان الشيء الواحد قد يغتم به من وجه ويفرح به من وجه آخر فيكون
الصبر من حيث الاغتمام والشكر من حيث الفرح وفي كل فقر ومرض وخوف
وبلاء خمسة امور ينبغي ان يفرح العاقل بها ويشكر عليها احدها ان كل مطلب الوامع النعمة
مصيبة ومرض فيتصور ان يكون اكثر منها فليشكر ان لم يكن اعظم منها في
الدنيا الثاني انه كان يمكن ان يكون مصيبته في دينه ولذلك استعاذ
عيسي عليه السلام في دعائه وقال اللهم لا تجعل مصيبتي في ديني وكان
لبعض ارباب القلوب صديق فحبسه السلطان فارسل اليه فقال له اشكر
الله فضربه فقال اشكر الله فجيء بمجوس مجوسي مبطون وقيد وجعل
حلقة من قيده علي رجله وحلقة علي رجل مجوسي فارسل فقال اشكر الله
وكان يحتاج المجوسي الي ان يقوم مرات وهو يحتاج ان يقوم معه ويقف
علي رأسه حتي يقضي حاجته فكتب اليه بذلك فقال اشكر الله فقال

الي متي هذا

الي متي هذا واي بلاء اعظم من هذا فقال لو جعل الزنار الذي علي وسطه
علي وسطك ماذا كنت تصنع فاذا ما من انسان اصيب ببلاء الا ولو
تامل في سوء ادبه ظاهرا وباطنا في حق مولاه لكان يري ان يستحق اكثرها مما
اصيب به عاجلا وآجلا ومن استحق ان يضرب مائة سوط فاقتصر علي عشرة
فهو مستحق للشكر ولذلك مر بعض الشيوخ في شارع فصب علي راسه
طشت من رماد فسجد لله تعالى سجدة الشكر فقيل له ماهذه السجدة قال
كنت انتظر ان تصب علي النار فالاقتصار علي الرماد نعمة الثالث ان
لا يؤخر عقوبتك في الآخرة وجعلت في الدنيا ومصائب الدنيا تتسلى عنها
باسباب اخر تهون المصيبة فيخف وقعها ومصيبة الآخرة تدوم وان لم
تدوم فلا سبيل الي تخفيفها ومن عجلت عقوبته في الدنيا فلا يعاقب
ثانيا اذ قال صلي الله عليه وسلم ان العبد اذا اذنب ذنبا فاصابته
شدة او بلاء في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا وعن الحسن البصري
رضي الله عنه ان رجلا من الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين رأى امرأة
فكلمها ثم تركها فجعل الرجل يلتفت اليها ويمشي فصدمه حائط فاثر
في وجهه فاتى النبي صلي الله عليه وسلم فاخبره فقال عليه السلام اذا
اراد الله بعبد خيرا عجل عقوبته في الدنيا اوحي الله تعالى الي عزير
عليه السلام اذا نزلت بك بلية فلا تشتكي الي خلقي كما لا اشكو الي ملائكتي

اذا صعدت بمساويك الرابع ان هذه المصيبة والبلية كانت مكتوبة
عليه في ام الكتاب وكان لا بد من وصولها اليه وقد وصلت ووقع
الفراغ منها فهذه نعمة الخامس ان ثوابها اكثر منها فما من شيء من اسباب الدنيا
يؤخذ من العبد الا ويتصور ان يكون له خيرة فعليه ان يحسن الظن
بالله تعالى ويقدر الخيرة فيه ويشكره عليه فان حكمة الله تعالى غير معلومة
ومصالح العباد اعلم من العباد وغدا يشكره العباد على البلايا اذا
رأوا ثواب البلاء كما يشكر الصبي بعد العقل والبلوغ استاده واباه
على ضربه وتأديبه اذ يدرك ثمرة ما استفاده من التاديب والبلاء
تاديب من الله تعالى وعنايته بعباده اتم واوفر من عناية الاباء بالاولاد
فاذا بالبلاء نعم من هذا الوجه فيجب الفرح به فكل بلاء في الامور الدنياوية
مثاله الدواء الذي يولم في الحال وينفع في المال بل من دخل دار الملك
للنظارة وعلم انه يخرج منها لا محالة ورأى وجها حسنا لا يخرج معه
من الدار كان ذلك بلاء عليه والذنب دار الحلن قد دخلها الناس
من باب الرحم وهم خارجون عنها من باب اللحد فكل من تحقق انسهم
منها فهو نعمة فمن عرف هذا التصور ينبغي ان يشكر على البلاء ومن لم
يعرف هذه النعم في البلاء يشتكي كل ساعة من ربه بجهله وروي
ان معاذ بن جبل رضي الله عنه كان له ابن فمات وكتب النبي

صلى الله

صلى الله عليه وسلم كتابا يعزيه من محمد رسول الله الى معاذ بن جبل اما
بعد فان اموالنا واهلينا مواهب الله وعواريه المستودعة نمتع بها
الى ايام معدودة ثم يقبضها فحقه في ذلك الشكر اذا اعطى والصبر اذا
قبض وقد اتيك من مواهبه وعواريه المستودعة ثم قبضه ولا تجزع
فيحبط اجرك فانه لو كشف عن ثواب مصيبتك لصغرت مصيبتك
في عينك فاختر في مواعد الله بالصبر والصلوة وروي ان ابا حنيفة
رحمة الله عليه عزى ابا جعفر وكان توفي ابنه فقال يا خليفة ان الله
لجعفر خير لك لجعفر وثواب الله لك في جعفر خير لك من جعفر وحكي
ان سفيان الثوري رحمة الله عزى رجلا بابن له توفي فقال الولد سرور
في الدنيا ونور في العقبى فنور يبقى خير من سرور يفنى وروي
في الخبر ان سليمان بن داود عليهما السلام توفي ابن له وكان يحبه حبا
شديدا فحزن عليه حزنا شديدا فاوحى الله اليه ما كان يعدل له عندك
قال ملاء الارض ذهبا فقيل فان لك من الاجر مثل ذلك وقال نبينا
محمد صلى الله عليه وسلم لان اقدم سقطا احب الي من ان اخلف
مائة فرس كلهم يقاتلون في سبيل الله انما ذكر ثواب السقط تنبيها
بالادنى على الاعلى اذ الثواب على قدر محل الولد من القلب وحكي
ان اعرابيا عزى بن عباس على ابيه رضي الله عنهما شعر اصبر نكن بك صابرين

فانما

صبر الرعية بعد صبر الراس خير من العباس اجرك بعده والله خير
منك للعباس قال ابن عباس ما عزاني احد احسن من هذا

كتاب الخوف والرجا وفيه بابان

الاول في الرجاء والثاني في الخوف الباب الاول في حقيقة
وفضيلته وعلامته وبيان محله وبيان الدواء الجالب للرجاء
اما حقيقة الرجاء فاعلم ان الرجاء ايضا يتم من علم وحال وعمل
فالعلم سبب يثمر الحال والحال يقتضي العمل وكان الرجاء اسم للحال من
جملة الثلاثة وبيانه ان كل ما يلاقيك من مكروه ومحبوب فينقسم الى موجود
في الحال والى موجود فيما مضى والى منتظر في الاستقبال فاذا خطر ببالك
موجود فيما مضى سمي ذكرا وتذكرا وان كان ما خطر بقلبك موجودا
في الحال سمي وجدا وذوقا وادراكا وان كان قد خطر ببالك وجود شيء
في الاستقبال وغلب ذلك على قلبك سمي ذلك انتظارا وتوقعا وان كان
المنتظر مكروها حصل منه الم في القلب سمي خوفا واشفاقا وان كان محبوبا
حصل من انتظاره وتعلق القلب به واخطار وجوده بالبال لذة في القلب
وارتياح سمي ذلك الارتياح رجاء فالرجاء هو ارتياح القلب لانتظار ما
هو محبوب عنده ولكن ذلك المحبوب المتوقع لا بد وان يكون له سبب
وان كان انتظاره لاجل حصول اكثر اسبابه فاسم الرجاء عليه صادق

وان كان ذلك انتظارا مع انخرام اسبابه واضطرابها فاسم الغرور عليه
اصدق من اسم الرجاء فان لم تكن الاسباب معلومة الوجود ولا معلومة
الانتفاء فاسم التمني اصدق على انتظاره لانه انتظار من غير سبب ولا على
كل حال فلا يطلق اسم الرجاء والخوف الا على ما يتردد فيه اما ما يقطع به
فلا اذ لا يقال ارجو طلوع الشمس وقت الطلوع واخاف غروبها وقت الغروب
لان ذلك مقطوع به نعم يقال ارجو نزول المطر واخاف انقطاعه وقد
علم ارباب القلوب ان الدنيا مزرعة الآخرة والقلب كالارض والايمان كالبذر
فيه والطاعات جارية مجرى تقليب الارض ومجرى حفر الانهار وسياقة الماء
اليها والمستهتر بالدنيا المستغرق بها كالارض السبخة التي لا ينمو فيها
البذر ويوم القيمة يوم الحصاد ولا يحصد احد الا ما زرع فينبغي
ان يقاس رجاء العبد للمغفرة برجاء صاحب الزرع فكل من ينتظر ارضا
طيبة والقى فيها بذرا جيدا غير عفن ولا مسوس ثم امده بما يحتاج اليه
وهو سوق الماء اليه في اوقاته ثم تنقية الارض عن الشوك والحشيش والحجارة
وكل ما يمنع نبات البذر او يفسده ثم جلس منتظرا من فضل الله تعالى
دفع الصواعق والافات المفسدة الى ان يتم الزرع ويبلغ غايته سمي
انتظاره رجاء وان بث البذر في ارض صلبة سبخة مرتفعة لا ينصب
اليها ماء ولم يشتغل بتعهد البذر اصلا ثم انتظر حصاد الزرع منه سمي

انتظاره حمقا وغرورا لا رجاء وان بث البذر في ارض طيبة ولكن
لا ماء لها واخذ ينتظر مياه الامطار حيث لا يغلب الانتظار ولا يمتنع
ايضا سمي انتظاره تمنيا لا رجاء فاذا اسم الرجاء انما يصدق على
انتظار محبوب تمهدت جميع اسبابه الداخلة تحت اختيار العبد
ولم يبق الا ماليس يدخل تحت اختياره وهو فضل الله تعالى بصرف
القواطع والمفسدات والعبد اذا بث بذر الايمان وسقاه بماء
الطاعة ونقى القلب عن شوك الاخلاق الرديئة وانتظر من فضل الله تعالى
تثبيته على ذلك الى الموت كان رجاؤه حقيقيا محمودا وان قطع عن
بذر الايمان تعهده بماء الطاعات او يترك القلب مشحونا برذائل الاخلاق
وانهمك في طلب لذات الدنيا ثم انتظر المغفرة فانتظاره حمق وغرور
قال صلى الله عليه وسلم الاحمق من اتبع نفسه هواه وتمنى على المغفرة
فانتظاره حمق والرحمة ولذلك قال الله تعالى ان الذين امنوا وهاجروا
وجاهدوا في سبيل الله اولئك يرجون رحمة الله فهذه حقيقة الرجاء
واما فضيلته فقد قال الله تعالى قل يا عبادي الذين اسرفوا على
انفسهم لا تقنطوا من رحمة الله ان الله يغفر الذنوب جميعا وقال
الله تعالى والملائكة يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون لمن في الارض وقال
فانذرتكم نارا تلظى لا يصليها الا الاشقى الذي كذب وتولى وقال

ولسوف

ولسوف يعطيك ربك فترضى ولا يرضى محمد صلى الله عليه وسلم وواحد من
امته في النار وقال علي رضي الله عنه الا اخبركم بارجى اية في كتاب الله
تعالى فقالوا بلى فقرأ عليهم وما اصابكم من مصيبة فبما كسبت ايديكم و
يعفوا عن كثير فالمصايب في الدنيا بكسب الاوزار فاذا عاقبه الله تعالى
في الدنيا فالله اكرم من ان يعذبه ثانيا يوم القيمة وقيل رجاية في كتاب
الله تعالى قل كل يعمل على شاكلته وقال صلى الله عليه وسلم الحمى من فيح جهنم
وهي حظ المؤمن من النار وروي في تفسير قوله تعالى يوم لا يخزي الله
النبي والذين امنوا معه عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال قال النبي
صلى الله عليه وسلم انه سأل ربه في ذنوب امته فقال يا رب اجعل حسابهم
الي لئلا يطلع على مساويهم غيري فاوحى الله تعالى اليهم امتك وانا ارحم
بهم منك لا اجعل حسابهم الى غيري لئلا تنظر انت الى مساويهم ولا غيرك
وقال حياتي خير لكم ومماتي خير لكم اما حياتي فاسن لكم السنن واشرع
الشرايع فاما موتي فاعمالكم تعرض علي فما رايت منها حسنا حمدت الله تعالى
عليه وما رايت منها شيئا سالت الله استغفرت الله لكم وقال ان
الملك ليرفع القلم على العبد المذنب ست ساعات فان تاب لم يكتبه عليه
والا كتبها سيئة وقال ان الله لا يمل من المغفرة حتى يمل العبد الاستغفار
فاذا هم العبد بحسنة كتبها صاحب اليمين حسنة قبل ان يعملها فان

عملها كتب عشر حسنات واذا هم بخطيئة لم يكتب عليه فان عملها كتب
عليه خطيئة واحدة وقال لو تعلمون ما اعلم لضحكتم قليلاً ولبكيتم
كثيراً فهبط جبرائيل عليه السلام فقال ان الله يقول لم تقنط عبادي
فخرج عليهم ورجاهم وشوقهم وقال اوحى الله الى داود عليه السلام
احبني واحب من يحبني وحببني الى خلقي فقال يا رب كيف احببك
الى خلقك فقال اذكرني بالحسن الجميل واذكر آلائي واحساني وقال ان
اعطائي ونعمائي
رجلاً من بني اسرائيل كان يقنط الناس ويشدد عليهم فيقول الله تعالى
يوم القيمة اليوم اويسك من رحمتي كما كنت تقنط عبادي منها الا
ثار قال علي رضي الله عنه من اذنب ذنبا فستره الله في الدنيا فالله
تعالى اكرم من ان يكشف ستره في الآخرة وعن ابن عباس رضي الله
عنهما النبي صلى الله عليه وسلم كان يقنت على المشركين ويلعنهم
في صلوته فنزل قوله تعالى باجمعهم الى الاسلام فاسلموا وقال عليه السلام
يوماً يا كريم العفو فظل جبرائيل عليه السلام يقول اتدري تفسير يا كريم
العفو هو ان عفى السيئات برحمته ثم بدلها حسنات بكرمه وقال
عليه السلام ان الله شرف الكعبة وعظمها ولو ان عبداً هدمها حجراً
حجراً ثم احرقها ما بلغ جرم من استخف بولي من اولياء الله تعالى فقيل من
اولياء الله قال اما سمعتم قول الله تعالى الله ولي الذين آمنوا وقال

ان لم

ان لم تذنبوا لخلق الله تعالى خلقا يذنبون ليغفر لهم وقال بعض السلف رحمهم الله
المؤمن اذا عصى الله تعالى ستره عن ابصار الملائكة كيلا تشهد عليه وقال
ابراهيم بن ادهم رحمة الله عليه خلا لي الطواف ليلة وكانت ليلة مطيرة فوقفت
في الملتزم فقلت يا رب اعصمني حتى لا اعصيك ابداً فهتف هاتف من البيت
يا ابراهيم انت تسئلني العصمة وكل المؤمنين يطلبون ذلك فاذا عصمتهم
فعلى من اتفضل ولمن اغفر وفي حديث ربيع بن خراش وكان من خيار
التابعين رضوان الله عليهم اجمعين وهو ممن تكلم بعد الموت قال لما مات
اخي سجي بثوبه والقيناه على نعشه فكشف عن وجهه واستوى قاعداً فقال
اني رأيت ربي فحياني بروح وريحان ورب غير غضبان فاني رأيت الامر ايسر مما
تظنون قال ثم طرح نفسه فحملناه ودفناه وروي ان يحيى بن اكثم القاضي
رؤي في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال اوقفني بين يديه وقال لي
يا شيخ السوء فعلت كذا وفعلت فاخذني من الرعب ما يعلم الله ثم قلت
يا رب ما هكذا احدثت عنك فقال وما حدثت عني فقلت بلغنا عن انس
عن رسولك عنك انك قلت انا عند ظن عبدي بي فليظن بي ما شاء وكنت
اظن بك ان لا تعذبني فقال تعالى صدق نبيي وصدق انس وصدقت اذهب الى
الجنة وقيل ان مجوسيا استضاف ابراهيم الخليل فقال ان اسلمت اضفتك
فمر المجوسي فاوحى الله تعالى اليه يا ابراهيم لم تطعمه الا بتغيير دينه ونحن نطعمه

مطلب ابراهيم بن ادهم

علي كفره من سبعين سنة فلو اضفته ليلة ما ذا كان عليك فمر ابراهيم
يسعي خلف المجوسي فلما الحق به حكاه الوحي في شانه فقال اهكذا يعاملني
ربي ثم قال اعرض علي الاسلام فاسلم **وقيل** كان رجلا شرب جمع يوما ندمائه
ودفع الي غلام له اربعة دراهم وامره ان يشتري شيئا من الفواكه للمجلس فمر
الغلام بباب مجلس منصور بن عمار وهو يسال للفقير شيئا وهو يقول من دفع
اليه اربعة دراهم دعوت له اربع دعوات قال فدفع الغلام الدراهم اليه
فقال منصور رحمة الله عليه ما الذي تريد ان ادعو لك فقال لي سيد اريد ان
اتخلص منه فدعا منصور وقال الاخر ان يخلف الله علي الدراهم فدعا ثم قال
الاخر فقال ان يتوب الله علي سيدي فدعا ثم قال الاخر فقال ان يغفر الله لي و
لسيدي ولاهل المجلس فدعا منصور فرجع الغلام فقال سيده لم ابطات
فقص عليه القصة فقال وبم دعا فقال سالت لنفسي العتق قال اذهب
فانت حر وايش الثاني فقال ان يخلف الله علي الدراهم فقال لك اربعة الاف
درهم وايش الثالث فقال ان يتوب الله عليك فقال تبت الي الله تعالى وايش
الرابع قال ان يغفر الله لي ولسيدي ولاهل المجلس فقال هذا الواحد ليس
الي فلما بات تلك الليلة راي في المنام كان قائلا يقول له انت فعلت ما
كان اليك افتري اني لا افعل ما كان الي قد غفرت لك وللمنصور ولسيدك
وللقوم الحاضرين **وقال** ابراهيم الاطروش كنا قعودا ببغداد مع معروف

الكرخي

دجلة

الكرخي رحمهما الله علي دجلة اذ مر قوم احداث في زورق يضربون بالدف
ويشربون ويلعبون فقالوا للمعروف اما تراهم مجاهرين ادع الله عليهم
فرفع يديه فقال الهي كما فرحتهم في الدنيا فرحتهم في الاخرة فقالوا انما سالناك
ان تدعوا عليهم فقال اذا فرحتهم في الاخرة تاب عليهم فتابوا علي يديه في يومهم
واما علامته فتلذذ بدوام الاقبال علي الله تعالى والتنعم بمناجاته والتلطف
بين يديه كما يفعله من يخدم الملك ويرجوه واما محله ففي موضعين احدهما
عند الاياس وترك العبادة والثاني عند الاجتهاد في العبادة الي حد يكاد
يهلك نفسه الدواء الجالب للرجاء فنوعان احدهما النظر في الايات والاخبار
والاثار الواردة فيه والثاني في الاعتبار وهوان تتامل في جميع ما ذكرناه
في النعم من كتاب الشكر حتي اذا علم لطايف نعم الله تعالى في الدنيا وعجايب حكمته التي
راعاها في فطرة الانسان كل ما هو ضروري له في دوام الوجود كالات الغذاء
وما هو محتاج اليه كالاصابع والاظفار وما هو زينة له كاستقواس الحاجبين
واختلاف الوان العينين وحمرة الشفتين وغير ذلك فالعناية الالهية اذا
لم تقصر عن عبادة في مثل هذه الدقايق حتي لم يرض لعباده ان يفوتهم المزايا و المزايا
في الزينة والحاجة كيف يرضي بسياقهم الي الهلاك المؤبد بان رب الدنيا و
الاخرة واحد **الباب الثاني في الخوف** وفيه بيان حقيقته
وبيان فضيلته وبيان الدواء الجالب للخوف وبيان معني سوء الخاتمة وبيان

لاحوال الخائفين اما حقيقته فهو عبارة عن تألم القلب واحتراقه بسبب
مكروه في الاستقبال وقد ظهر هذا في بيان حقيقة الرجاء وهو ايضا
ينتظم من علم وحال وعمل اما العلم بالسبب المفضي الى المكروه وذلك كمن جنى
على ملك ثم وقع في يده فيخاف القتل مثلا ويجوز العفو والافلات فيتألم
قلبه ويحترق من ذلك والسبب الباعث المثير لاحراق القلب وتألمه و
ذلك الاحتراق هو الخوف فالخوف من الله تعالى تارة يكون لمعرفة الله تعالى ومعرفة
صفاته وانه لو اهلكهم لم يبال ولم يمنعه مانع وتارة يكون لكثرة الجناية
من العبد فاخوف الناس لربه اعرفهم بنفسه وبربه ولذلك قال
صلى الله عليه وسلم انا اخوفكم بالله ولذلك قال تعالى انما يخشى الله
من عباده العلماء ثم اذا كملت المعرفة اورثت حال الخوف واحتراق القلب
ثم يفيض اثر الحرقة من القلب على البدن وعلى الجوارح وعلى الصفات اما
في البدن فبالنحول والصفار والغشية والزعقة والبكاء واما في الجوارح
فبكفها عن المعاصي وتقييدها بالطاعات ولذلك قال الفضيل
رحمة الله عليه اذا قيل لك تخاف الله فاسكت فانك ان قلت لا كفرت
وان قلت نعم كذبت واشار به الى ان الخوف هو الذي يكف الجوارح عن
المعاصي ويقيدها بالطاعات وما لم يؤثر في الجوارح فهو حديث نفس وحركة
خاطر لا يستحق ان يسمى خوفا واما في الصفات فهو ان يقمع الشهوات ويكدر

اللذات

اللذات فيصير المعاصي عنده مكروهة كما يصير العسل المسموم عنده مكروها
اذا عرف ان فيه سما فيحرق الشهوات بالخوف وتتأدب الجوارح ويحصل في القلب
الذبول والخشوع والذلة والاستكانة ويفارقه الكبر والحقد والحسد
بل يصير مستوعب الهم بخوفه والنظر في خطر عاقبته واغلب الخائفين واعلاها
وادناها على كمال المعرفة خوف السابقة لان الخاتمة تبع السابقة فالخاتمة
تظهر ما سبق به القضاء في ام الكتاب وهذا كانقسام الخائفين الى من يخاف
معصيته وجنايته والى من يخاف الله تعالى نفسه لصفته وجلاله واوصافه
التي تقتضي الهيبة لا محالة فالذي يرفع محمدا صلى الله عليه وسلم الى اعلى عليين
من غير وسيلة سبقت منه قبل وجوده ويضع ابا جهل في اسفل السافلين
من غير جناية سبقت منه قبل وجوده جدير بان يخاف لصفته وكذلك
اوحى الله تعالى الى داود عليه السلام يا داود خفني كما تخاف السبع الضاري
يعني ان السبع لا يخاف منه لجناية سبقت اليه بل لصفته وبطشه وسطوته
وكبره ولانه يفعل ما يفعل ولا يبالي فان قتلك لم يرق قلبه ولم يبال بقتلك وان
خلاك لم يخلك شفقة عليك وابقاء لروحك بل انت عنده احقر من ان
يلتفت اليك سواء كنت عنده حيا ام ميتا بل اهلاك الف مثلك واهلاك
نملة عنده سواء فهذا المثال يفهمك سر القدر الذي لا يجوز افشاؤه واما
فضيلة الخوف فهو خارج عن الحصر وناهيك دلالة على فضيلته جمع

الله تعالى للخائفين الهدى والرحمة والعلم والرضوان وهي مجامع المقامات لاهل
الجنان قال تعالى هدى ورحمة للذين هم لربهم يرهبون وقال رضي الله
عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشي ربه وكل ما دل على فضيلة الخوف ثمرة العلم
وقال تعالى وخافون ان كنتم مؤمنين فامرهم بالخوف واوجبه وشرطه في الايمان
فلذلك لا يتصور ان ينفك مؤمن عن خوف وان ضعف ويكون ضعف خوفه
بحسب معرفته وايمانه وقال سيذكر من يخشى قال ولمن خاف مقام ربه
جنتان وقال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى وعزتي لا اجمع على عبدي
خوفين ولا اجمع امنين فاذا امنني في الدنيا اخفته يوم القيمة واذا
خافني في الدنيا امنته يوم القيمة وقال راس الحكمة مخافة الله تعالى وقال
ومن خاف الله تعالى خافه كل شيء ومن خاف غير الله خوفه من كل شيء وقال
اتمكم عقلا اشدكم لله خوفا واحسنكم فيما امر الله به ونهى عنه نظرا وقال
يحيى بن معاذ رضي الله عنه مسكين بن آدم لو خاف النار كما يخاف الفقر
لدخل الجنة وقال ابو سليمان الداراني رحمة الله عليه ما فارق الخوف قلبا الا خرب
وقال صلى الله عليه وسلم اذا اقشعر قلب المؤمن من خشية الله تعالى تحاتت
عنه خطاياه كما يتحات من الشجرة ورقها وقال صلى الله عليه وسلم
لا يلج النار احد بكى من خشية الله تعالى حتى يعود اللبن في الضرع وقالت
عائشة رضي الله عنها يا رسول الله يدخل احد من امتك الجنة بغير حساب

مطلب الامن

قال

قال نعم من ذكر ذنوبه فبكى وقال صلى الله عليه وسلم ما من قطرة احب الى
الله تعالى من قطرة دمع من خشية الله تعالى او من قطرة دم اهريقت في سبيل الله
وقال صلى الله عليه وسلم ارزقني عينين هطالتين لتسقيان بذروف
الدمع قبل ان يصير الدموع دما والاخراس جمرا قو آزودش وقال صلى الله عليه وسلم
سبعة يظلهم الله يوم لا ظل الا ظله وذكر من جملتهم رجلا ذكر الله في خلوة ففاضت
عيناه وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه من استطاع ان يبكي فليبك ومن لم
يستطع فليتباك وروي عن حنظلة رضي الله عنه قال كنا عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم فوعظنا موعظة رقت منها القلوب وذرفت منها
العيون وعرفنا انفسنا فرجعت الى اهلي فدنت مني المراة وجرى بيننا حديث
الدنيا فنسيت ما كنت عليه عند رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت في نفسي
قد نافقت حين تحول عني ما كنت فيه من الخوف والرقة فخرجت وجعلت انادي
نافق حنظلة فاستقبلني ابو بكر رضي الله عنه فقال كلا لم ينافق حنظلة فدخلت
على رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا اقول نافق حنظلة فقال صلى الله
عليه وسلم كلا لم ينافق فقلت يا رسول الله كنا عندك فوعظتنا موعظة وجلت
منها القلوب وذرفت منها العيون فرجعت الى اهلي فاخذنا في حديث الدنيا
ونسيت ما كنا عليه فقال يا حنظلة لو انكم كنتم ابدا على تلك الحالة لصافحتكم
الملائكة في الطرق وعلى فرشكم ولكن يا حنظلة ساعة وساعة فاذا كل ما ورد في فضل

مطلب حنظلة

الرجاء وفضل التقوي والورع والعلم ومذمة الامن من مكر الله تعا فهو
دلالة على فضل الخوف وقال صلى الله عليه وسلم ان الرجل ليعمل عمل اهل
الجنة خمسين سنة حتي لا يبقي بينه وبين الجنة الا شبر فيسبق عليه الكتاب
فيختم له بعمل اهل النار وقدر الشبر لا يحتمل عملاً بالجوارح انما هو بقدر خاطر
يختلج في القلب عند الموت فيقتضي سوء الخاتمة فكيف يؤمن ذلك فاذاً اقصي غايات
المؤمن ان يعتدل خوفه ورجاؤه اما غلبة الرجاء في غالب الناس يكون مستندة
الاغترار وقلة المعرفة وذلك جمع الله تعا بينهما في وصف من اثني عليهم فقال
يدعون ربهم خوفا وطمعًا وقال يدعوننا رغبًا ورهبًا وغلبة الخوف هو
الاصلح ولكن قبل الاشراف علي الموت اما عند الموت فالاصلح عليه الرجاء وحسن
الظن لان الخوف جارٍ مجري السوط الباعث علي العمل وقد انقضي وقت العمل
واما روح الرجاء فانه يقوي قلبه ويحبب اليه ربه الذي اليه رجاؤه ولا ينبغي
ان يفارق احد الدنيا الا محبًا لله تعا ليكون محبًا لقاء الله تعا فان من احب لقاء
الله تعا احب الله لقاءه والمقصود من الاعمال والعلوم كلها معرفته حتي تثمر المحبة
فان المصير اليه والقدوم اليه بالموت ومن قدم علي محبوبه عظم سروره
بقدر محبته ومن فارق محبوبه اشتدت محبته وعذابه فمهما كان الغالب
علي القلب عند الموت حب الاهل والولد والمال والمسكن والعقار والرفقاء
والاصحاب فهذا رجل محابه كلها في الدنيا فالدنيا جنته اذ الجنة عبارة عن البقعة

مطلب غاية الخوف

الجامعة لجميع المحاب فموته خروج من الجنة وحيلولة بينه وبين ما يشتهيه
ولا يخفي حال من يحال بينه وبين ما يشتهيه فاذا لم يكن له محبوب سوي الله
تعا وسوي ذكره ومعرفته فالدنيا وعلائقها شاغلة له عن المحبوب فالدنيا
اذاً سجنه لان السجن عبارة عن البقعة المانعة للمحبوس عن الاسترواح الي محابه
فموته قدوم علي محبوبه وخلاص من السجن ولا يخفي حال من افلت من السجن وخلي
بينه وبين محبوبه بلا مانع فهذا اول ما يلقاه كل من فارق الدنيا عقيب موته
من الثواب والعقاب فضلاً عما اعده الله تعا لعباده الصالحين واما بيان
ما به يستجلب الخوف فهو ان الخوف يحصل بطريقين مختلفين احدهما اعلى
من الآخر مثاله ان الصبي اذا كان في بيتٍ فدخل عليه سبُعٌ او حية ربما
كان لا يخاف وربما مد يده ليأخذها ويلعب بها ولكن اذا كان معه ابوه وهو
عاقل خاف من الحية وهرب منها فاذا الصبي الي ابيه وهو يرتعد فرايصه
ويحتال في الهرب قام معه وغلب عليه الخوف ووافقه في الهروب فخوف الاب
مع بصيرة ومعرفة بصفة الحية وسمها وخاصيتها واما خوف الابن فانما
هو بمجرد التقليد لانه يحسن الظن بابيه ويعلم انه لا يخاف الا من سبب مخوف
في نفسه فاذا عرفت هذا المثال فاعلم ان الخوف من الله تعا علي مقامين احدهما
الخوف من عذابه والثاني في ذاته فاما الخوف منه فهو خوف العلماء وارباب
القلوب العارفين من صفاته ما يقتضي الهيبة والخوف والحذر المطلعون

على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه فاما الاول خوف عموم الخلق وهو
حاصل باصل الايمان بالجنة والنار وكونهما جزائين على الطاعة والمعصية
وضعفه بسبب الغفلة وبسبب ضعف الايمان وانما تزول الغفلة بالوعظ
والتذكير وتزول ايضا بالنظر الى الخائفين ومجالستهم ومشاهدة
احوالهم واما الثاني وهو الاعلى ان يكون الله تعالى هو المخوف اعني ان يخاف
العبد البعد والحجاب منه ويرجو القرب منه قال ذو النون رحمة
الله عليه خوف النار عند خوف الفراق كقطرة قطرت في بحر لجي ولذلك
قيل ففي فؤاد المحب نار هوى اشد نار الجحيم ابردها وهذا خوف العلماء
المطلعين على سر قوله تعالى ويحذركم الله نفسه فهم يحذرون حذر السبع الضاري
من حيث بطشه وقوته ولا يبالي الجهلاء كمن هلك بل الخوف من السبع في الحقيقة
خوف منه تعالى اذ هو المعطي للسبع البطش فالكل منه وكيف لا يخاف من فعل محمد
صلى الله عليه وسلم هذا وبالى جهل ذلك كما ذكرنا قبل وعن هذا المعنى عبر
النبي صلى الله عليه وسلم اذ قال احتج آدم وموسى عليهما السلام عند ربهما
فحج آدم موسى قال موسى انت الذي خلقك الله بيده ونفخ فيك من روحه واسجد
لك ملائكته واسكنك جنته ثم اهبطت بخطيئتك الى الارض قال آدم عليه
السلام انت موسى الذي اعطاك الالواح فيها بيان كل شيء فكم وجدت الله تعالى
كتب التورية قبل ان اخلق قال موسى عليه السلام باربعين عاما قال آدم عليه السلام

فهل وجدت

فهل وجدت فيها فعصى آدم ربه فغوى قال نعم قال افتلومني على ان عملت
عملا كتب الله علي ان اعمله قبل ان يخلقني باربعين سنة قال صلى الله عليه وسلم
فحج آدم موسى فكان نبينا صلى الله عليه وسلم اشد الناس خوفا حتى روي انه
كان يصلي على طفل فسمع في دعائه اللهم قه عذاب القبر وعذاب النار وفي
رواية ثانية انه سمع قايلة تقول هنيئا عصفور من عصافير الجنة فغضب
صلى الله عليه وسلم وقال ما يدريك انه كذلك والله ما ادري ما يصنع بي
وقال علي رضي الله عنه القران كله مخاوف من اوله الى آخره لمن تدبره ولو — لم يكن
فيه الا قوله سبحانه وتعالى واني لغفار لمن تاب وآمن وعمل صالحا ثم اهتدى
لكان كافيا اذ اعلق المغفرة على اربعة شروط يعجز العبد عن احدها وكذلك
قوله تعالى والعصر ان الانسان لفي خسر الا الذين آمنوا الى آخر السورة فهذه اربعة
شروط صعبة وقال الحسن رضي الله عنه لو كنت اعلم اني بريء من النفاق — ق
كان احب الي مما طلعت عليه الشمس ولم يرد ضد الايمان فانه قال من النفاق
اختلاف السر والعلانية واختلاف اللسان والقلب واختلاف المداخل و — الخارج
والمد وينبغي للواعظ ان يتدبر حال الشخص فان غلب عليه الخوف وصيف عليه — مطلب
القنوط فالرجاء افضل في حقه وان عليه الامن والاغترار فالخوف افضل — اداب الوعظ
وينبغي له ان يقتدي بسيد الوعاظ صلى الله عليه وسلم فانه كان يسوق
الخلق بازمة الرجا والخوف وروي انه صلى الله عليه وسلم لما تلي

قوله تعالى ان زلزلة الساعة شيء عظيم قال اتدرون اي يوم هذا فقال
هذا يوم يقال لآدم قم فابعث النار من ذريتك فيقول كم فيقال من كل مائة
تسعة وتسعون الى النار وواحد الى الجنة قال فابلس القوم وجعلوا يبكون
وتعطلوا عن الاشتغال بالعمل فخرج عليهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال ما لكم لا تعملون فقالوا ومن يشتغل بعمل بعد هذا وقال كم انتم في
الامم فقالوا الله يعلم وقال انما انتم في الامم كالشعرة البيضاء في جلد الثور
الاسود فانظر كيف مزج الخوف بالرجاء وقال عمر رضي الله عنه لو
نودي ليدخل النار كل الناس الا رجل واحد رجوت ان اكون ذلك
الرجل ولو نودي ليدخل الجنة الا رجل واحد لخشيت ان اكون ذلك الرجل
واما بيان سوء الخاتمة فهو ان سوء الخاتمة على رتبتين احدهما اعظم
من الاخرى فاما الرتبة العظيمة الهائلة ان يغلب على القلب عند سكرات
الموت وظهور اهواله اما الشك واما الجحود فيقبض الروح في حال غلبة
الجحود او الشك فيكون ما غلب على القلب من عقدة الجحود حجابا بينه وبين
الله تعالى ابدا وذلك يقتضي البعد الدائم والعذاب المخلد والثانية وهي
دونها ان يغلب على قلبه عند الموت المعاصي وشهوات الدنيا ولذاتها
مع قوة الايمان فيتمثل ذلك في قلبه ويستغرقه حتى لا يبقى في تلك الحالة
متسع لغيره فيتفق بقبض روحه في الحال فيكون استغراق قلبه به

مطلب سوء الخاتمة

منكسا

منكسا رأسه الى الدنيا وصادقا وجهه اليها ومهما انصرف الوجه عن الله تعالى
حصل الحجاب نزل العذاب فيكون عذابه مرة ثم يدخل الجنة بايمانه اذ المرء
يموت على ما عاش عليه ويحشر على ما مات عليه ولذلك ينقل عن بقال انه كان
يلقن عند الموت كلمتي الشهادة وهو يقول خمسة سبعة عشرة فكان مشغول
النفس بالحساب الذي الفه قبل الموت وكذا النائم لا يغلب عليه الا ما كان
في قلبه قبل النوم واليقظة فالموت والبعث حالتان من احوالك كما ان
النوم واليقظة حالتان من احوالك وكما لا ينام العبد الا على ما غلب على
يقظته ولا يستيقظ الا على ما كان عليه في نومه وكذلك لا يموت المرء الا
على ما عاش عليه ولا يحشر الا على ما مات عليه فعلى هذا المعنى ينبغي ان لا يزال
العبد خائفا من سوء الخاتمة ولاجل هذا الاخطار كانوا يغبطون الشهادة
ويكرهون الموت فجاءة لانه ربما وافق شبهة او شهوة وقلما يخلو الانسان
عن ذلك كما قال الله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون فان قلت فما
السبب الذي يفضي الى سوء الخاتمة فاعلم ان اسباب هذه لا يمكن احصاؤها
على التفصيل ولكن يمكن الاشارة الى مجامعها اما الخاتمة على الشك والجحود
فينحصر سببه في فنين احدهما ان يعتقد اعتقادا باطلا في الله عز وجل
او في صفاته وافعاله فاذا قرب الموت وظهر له ناصية ملك الموت انكشف
بطلان ما اعتقده جهلا اذ حال الموت حال كشف الغطاء ولم يظن بنفسه

انه اخطاء فان اتفق زهوق روحه في هذا الخطر قبل ان يثبت ويعود الى
اصل الايمان فقد ختم له بالسوء وخرجت روحه على الشرك فهولاء هم المرادون
بقوله تعالى وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون وبقوله الكريم قل هل
انبئكم بالاخسرين اعمالا الاية فكل من اعتقد في الله وصفاته وافعاله
شيئا على خلاف ما هو به فهو في هذا الخطر والزهد والصلاح لا يكفي لدفع هذا
الخطر بل لا ينجي منه الا الاعتقاد الحق والبله بمعزل عن هذا الخطر اعني الذين
امنوا بالله ورسله واليوم الاخر ايمانا مجملا ولم يخوضوا في البحث والنظر
ولذلك قال صلى الله عليه وسلم اكثر اهل الجنة البله ولذلك منع السلف
رحمهم الله من البحث والنظر والخوض في الكلام والتفتيش عن هذه الامور لان
سلامة الخلق في ان يشتغلوا بالاعمال الصالحة ولا يعرضوا انفسهم لما هو
خارج عن طاقتهم ولكن الان قد استرخي العنان وفشا الهذيان وبدل
كل جاهل ما وافق طبعه وظن وحسبان وقد يعتقد ان ذلك علم و
استيقان ويظن ان ما قنع به من حدس وتخمين علم اليقين وعين
اليقين ولتعلمن نباه بعد حين ومثل هذا ينبغي ان ينشد فيه شعر
احسنت ظنك بالايام اذ حسنت ولم تخف سوء ما ياتي به القدر
وسالمتك الليالي فاغتررت بها وعند صفو الليالي يحدث الكدر
اما السبب الثاني فهو ضعف الايمان في الاصل ثم استيلاء حب الدنيا

على القلب فمهما ضعف الايمان ضعف حب الله تعالى وقوي حب الدنيا
بحيث لا يبقى في القلب موضع لحب الله تعالى الا من حيث حديث نفس
لا يظهر له اثر في مخالفة النفس والعدول عن طريق الشيطان فيورث ذلك
الانهماك في اتباع الشهوات فاذا جاء الموت يتالم القلب باستشعار فراق
ويرى ذلك من الله تعالى فيختلج ضميره بانكار ما قدر عليه من الموت وكراهة
ذلك من حيث انه من الله تعالى فيخشى ان يثور في باطنه بغض الله تعالى بدل
الحب فان اتفق زهوق روحه في تلك اللحظة التي خطرت فيها هذه الخطرة
ختم له بالسوء وهلك هلاكا مؤبدا فاذا من فارقته روحه في حالة خطرة
الانكار على الله تعالى بباله وظهور بغض فعل الله بقلبه في تفريقه بينه وبين
اهله وماله وساير محابه فيكون موته قدوما على ما ابغضه وفراقا لما
احبه فيقدم على الله تعالى قدوم العبد المبغض الابق اذا قدم به على مولاه
قهرا فلا يخفى ما يستحقه من الخزي والنكال واما الذي يتوفى على الحب فانه
يقدم على الله تعالى قدوم العبد المشتاق الى مولاه وقد عرفت بهذا ان اعمال
العمر كلها ضايعة ان لم يسلم في النفس الاخر الذي عليه خروج الروح وان
سلامته مع اضطراب امواج الخواطر مشكل جدا ولذلك كان مطرف بن عبد الله
يقول اني لا اعجب ممن هلك كيف هلك ولكني اعجب ممن نجا كيف نجا ولذلك
قال حامد اللفاف اذا صعدت الملائكة بروح المؤمن وقد مات على الخير

والاسلام تعجبت الملائكة منه وقالوا كيف نجا من دنياه فسد فيها خيا

وكذلك كان معاذ النسفي من تلاميذ حاتم الاصم رحمهما الله وكان يقول

اللهم خذ عقلي قبل موتي بثلاثة ايام فقيل له لم تدعوا بهذا الدعا

فقال خوفا من ان يختم لي بالشقاوة فان جرى على لساني في ذلك الوقت شيئ

فلا اكون مواخذا به ولا يجري علي القلم وانا مجنون وبالجملة من وقعت

سفينته في لجة البحر وهجمت عليه الرياح العاصفة واضطربت الامواج

كانت النجاة في حقه ابعد من الهلاك وقلب المومن اشد اضطرابا من

السفينة وامواج الخواطر اعظم اشد التطاما من امواج البحار وانما المخوف

عند الموت خاطر سوء يخطر فقط وهو كما قال صلى الله عليه وسلم ان الرجل

ليعمل بعمل اهل الجنة خمسين سنة حتى لا يبقي بينه وبين الجنة الا فواق

ناقة لا توجب الشقاوة بل هي الخواطر التي تضطرب وتخطر خطور البرق

الخاطف وقال سهل رحمة الله عليه رائيت كاني دخلت الجنة فرائيت ثلاث

مائة نبي فسالتهم من اخوف ما كنتم تخافون في الدنيا فقالوا سوء الخاتمة

وان كان الناس يظنون ان كل من مات على الايمان وهو في علم الله تعالى

وتيضح ذلك يوم تبلي السرائر وبالمكاشفة لارباب البصاير كما روي عن

بعض اهل العلم رحمهم الله يحكي عن ابي بكر الوداق انه لما مات راؤه

في المنام فقيل له ما حالك فقال اني حزين فقيل له ولم قال لم لا اكون حزينا

من عشر جمام

من عشر جنا ير تحمل الينا يكون المسلم واحدا واما بيان احوال الخائفين

فهو ان عقل الانبياء والعلماء والاولياء عليهم السلام وعملهم ومكانهم

عند الله تعالى لم يكن دون عقلك وعملك ومكانك فتامل في احوالهم لم اشتد

الخوف وطال بهم الحزن والبكاء حتى كان بعضهم يصعق وبعضهم يدهش

وبعضهم يسقط مغشيا عليه وبعضهم يخر ميتا وروت عايشة رضي

الله عنها انه صلى الله عليه وسلم كان اذا تغير الهواء وهبت ريح عاصفة

يتغير وجهه ويقوم ويتردد في الحجرة ويدخل ويخرج كل ذلك خوفا من عذاب

الله تعالى وقال صلى الله عليه وسلم ما جاءني جبرائيل عليه السلام

قط الا وهو يرعد فرقا من الجبار وقيل لما ظهر على ابليس ما ظهر طفق

جبرائل وميكائل عليهما السلام يبكيان فاوحي الله تعالى اليهما ما لكما تبكيان

كل هذا البكاء قالا يا رب ما نامن من مكرك فقال الله تعالى هكذا كونا لا تامنا

مكري وقال مجاهد رحمة الله عليه بكي داود عليه السلام اربعين يوما

ساجدا لا يرفع راسه حتى نبت المرعي من دموعه فنودي يا داوود اجايع

فنطعمك ام ظمان فنسقي ام عار فنكسي حتى قبلت توبته وروي انه

عليه السلام لما طال بكاؤه ولم ينفعه ذلك فضاق ذرعه واشتد غمه

قال يا رب اما ترحم بكائي فاوحي الله تعالى اليه يا داوود نسيت ذنبك

وذكرت بكاك فقال الهي كيف انسي ذنبي وكنت اذا تلوت الزبور كف الماء

الجاري عن جريه وسكن هبوب الرياح واظلني الطير على راسي الهي فما هذه
الوحشة التي بيني وبينك فاوحى الله تعالى اليه يا داوود ذاك انس الطاعة
وهذا وحشة المعصية **وروي** انه خرج ذات يوم يعظ الناس و
يخوفهم في اربعين الف رجل فمات منهم ثلاثون الف رجل وما رجع الا وقد
بقي منهم عشرة الآف **وقيل** ان يحيى بن زكريا عليهما السلام ادرع الشعر
وتبتل للعبادة في بيت المقدس وهو ابن ثمان سنين فلما بلغ خمسة عشر سنة
خرج ولزم الجبال والشعاب والاودية وكان لكثرة بكائه قد احرقت
دموعه لحم خديه حتى بدت اضراسه للناظرين فالصقت امه بلدة على
خديه فقال زكريا عليه السلام يا رب سالت الولد منك راحة لقلبي
فصار قلبي محنة وبلاء فاوحى الله تعالى اليه انك قلت فهب لي من لدنك
وليا يرثني ويرث من آل يعقوب واجعله رب رضيا والولد الرضي المرضي
يكون شك ذلك **وروي** ان فتى من الانصار اثر فيه الخوف وكان يبكي حتى
حبسه ذلك فجاءه النبي صلى الله عليه وسلم فاعتنقه فخر ميتا **وقال**
ابو بكر الصديق رضي الله عنه لطاير يا ليتني مثلك يا طاير ولم اخلق بشرا
وكان لعمر رضي الله عنه في وجهه خطان اسودان من الدموع ومر
يوما بدار انسان وهو يقرا سورة الطور فوقف عمر رضي الله عنه يسمع
فلما بلغ قوله ان عذاب ربك لواقع خر مغشيا عليه ثم رجع الى منزله فمرض

مطلب يحيى

شهرا يعوده

شهرا يعوده الناس ولا يدرون ما مرضه واخذ تبنة وقال يا ليتني انا
هذه التبنة **وقال** عثمان رضي الله عنه وددت اني اذا مت لم ابعث
وقال عمران بن حصين لوددت اني رماد انسفتني الرياح في يوم
عاصف **وقال** مالك بن دينار رحمة الله عليه بينما اطوف بالبيت اذا
انا بجويرية متعبدة متعلقة باستار الكعبة وهي تقول يا رب كم من شهوة
ذهبت لذاتها وبقيت تبعاتها يا رب اما كان لك ادب وعقوبة الا النار
وتبكي فما زال ذلك مقامها حتى طلع الفجر **وقال** حاتم الاصم رحمه الله عليه
لا تغتر بموضع صالح فلا مكان اصلح من الجنة وقد لقي عليه السلام فيها
ما لقي ولا تغتر بكثرة العبادة فان ابليس بعد طول تعبده لقي ما لقي ولا تغتر
بكثرة العلم فان بلعام كان يحسن اسم الله الاعظم فانظر ما ذا لقي ولا تغتر
برؤية الصالحين فلا شخص اكبر عند الله منزلة من النبي صلى الله عليه وسلم
ولم ينتفع به اقاربه **وقال** السري رحمه الله عليه اني انظر كل يوم الى
انفي مراة ان يكون قد اسود وجهي **وقال** الفضيل رحمه الله عليه اني
لا اغبط نبيا مرسلا ولا ملكا مقربا انما اغبط من لم يخلق **وكان** عطاء
السلمي رحمه الله عليه من الخائفين وانه ما رفع راسه الى السماء ولا ضحك
اربعين سنة **وقال** صالح المري قرات على بعض المتعبدين يوم تقلب
وجوههم في النار يقولون يا ليتنا اطعنا الله واطعنا الرسول فصعق فخر ميتا

وقال ميمون بن مهران رحمة الله عليه لما نزلت هذه الآية الكريمة وان جهنم
لموعدهم اجمعين صاح سلمان الفارسي رضي الله عنه ووضع يده على
راسه ثم خرج هاربا ثلثة ايام لا نقدر عليه **وقيل** مرض سفيان الثوري
رحمة الله عليه فعرض دليله على طبيب فقال هذا رجل قطع الخوف كبده فقال
ما علمت ان في الحقيقة مثله وقال ذر بن عمر لابيه ما بال المتكلمين يتكلمون
فلا يبكي احد فاذا تكلمت يبكون من كل جانب فقال ليست النايحة الثكلى
كالنايحة المستاجرة **وقال الحسن البصري** رحمة الله عليه يخرج من
النار رجل بعد الف عام ويا ليتني كنت ذلك اي ولا اخلد فيها **وقيل** لما مات
زوج رابعة العدوية قصدها زهاد البصرة الحسن البصري ومالك بن دينار
وحبيب العجمي ومحمد بن واسع فدخلوا عليها رحمة الله عليهم اجمعين فجلس الحسن
واخذ في فضايل التزويج حتى بلغ الى ان قال يا رابعة مات زوجك وانقضت
عدتك فلا بد لك من صاحب فتزوجي زوجا من زهاد البصرة قالت من
اعلمكم قالوا الحسن قالت اسئلك عن اربع مسايل ان اجبتني تزوجت
اذا قبض الله روحي على الاسلام يقبض ام على الكفر قال هذا في علم الله قالت
اجيب منكرا ونكيرا في القبر ام لا واذا قمت من قبري اعطي كتابي بيميني ام
بشمالي ولله داران دار الاولياء ودار الاعداء فاي الدارين انا نازل
فيها قال هذا كله في علم الله قالت كيف تشتغل بالتزويج من غم هذه الاشياء

مطلب رابعة العدوية

الاربعة

ثم قالت اخبرني كيف خلق الله العقل قال خلق الله العقل عشرة اجزاء
تسعة للرجال وواحد للنساء قالت وكيف خلق الشهوة قال خلقها عشرة
اجزاء تسعة للنساء وواحد للرجال قالت ما اعجبك انا احفظ تسعة من
الشهوة بواحدة من العقل وانت لا تحفظ جزءا من الشهوة بتسعة اجزاء من
العقل فخجلوا وخرجوا من عندها فهذه مخاوف الانبياء والاولياء والعلماء
عليهم السلام ونحن اجدر بالخوف منهم لكن ليس الخوف بكثرة الذنوب بل بصفاء
القلوب وكمال المعرفة والا فليس امننا لقلة ذنوبنا وكثرة طاعاتنا بل
قادتنا شهوتنا وغلبت علينا شقوتنا وصدتنا عن ملاحظة احوالنا
غفلتنا وقسوتنا فنسأل الله بفضله وجوده ان يصلح احوالنا بمنه وكرمه

كتاب الفقر والزهد

وفيه بابان الاول في الفقر والثاني في الزهد

الباب الاول في الفقر

وفيه بيان فضله وحقيقته وبيان فضل
الفقر على الغنى وبيان ادب الفقير في فقره **اما بيان فضله** فهو ان لا طمع
في النجاة الا بالانقطاع عن الدنيا والبعد منها لكن مقاطعتها اما ان يكون
بانزوائها عن العبد ويسمى ذلك فقرا واما بانزواء العبد عنها ويسمى ذلك
زهدا ولكل واحد منهما درجة في نيل السعادة وقد قال تعالى للفقراء المهاجرين
الذين اخرجوا من ديارهم واموالهم وقال للفقراء الذين احصروا في سبيل الله
لا يستطيعون ضربا في الارض الاخبار **قال** رسول الله صلى الله عليه وسلم

لبلال رضي الله عنه الق الله فقيرًا ولا تلقه غنيًا **وقال** يدخل فقرآء امتي
قبل اغنيائهم بخمسمائة عام وفي رواية اربعين عامًا فيكون المراد بتقدير
تقدم الفقير الحريص علي الغني الحريص بخمسمائة عام تقدير تقدم الفقير الزاهد
علي الغني الراغب **وقال** اخر الانبياء دخولًا الجنة سليمان عليه السلام
لمكان ملكه مع انه عليه السلام ما ليس في غاية مملكته الا الشعر ولا اكل
الا الشعير واخر اصحابي دخولًا الجنة عبد الرحمن بن العوف لاجل غناه
وقال موسي عليه السلام يا رب من احباؤك من خلقك حتي احبهم قال كل
فقير فقير **وروي** ان اغنياء العرب قالوا للنبي صلي الله عليه وسلم اجعل
لنا يومًا وللفقرآء يومًا يجيئون اليك ولا نجيء ونجيء اليك ولا يجيئون
يعنون بلالًا وسلمان وصهيبًا واباذر وخباب بن الارت وعمار بن ياسر
واباهريرة واصحاب الصفة من الفقراء رضوان الله عليهم اجمعين فاجابهم
النبي صلي الله عليه وسلم الي ذلك لانهم شكوا اليه رايحتهم فاشتد ذلك
عليهم مثل الاقرع بن حابس التميمي وعيينة بن بدر الفزاري وعباس بن
مرداس السلمي وغيرهم فلما اجابهم اذ لا يجمعهم واياهم في مجلس فنزل قوله
تعا واصبر نفسك الاية **وقال** صلي الله عليه وسلم اكثروا معرفة
الفقرآء واتخذوا عندهم الايادي فان لهم دولة فقالوا يا رسول الله وما
دولتهم قال اذا كان يوم القيمة يعتذر الله اليهم كما يعتذر الرجل في

مطلب الفقراء

الدنيا فيقول لهم وعزتي وجلالي ما زويت عنكم الدنيا لهوانكم علي ولكن لما
اردت ان اقفكم موقف الحساب اخرجوا الي هذه الصفوف وانظروا فيمن اطعمكم
في وكساكم في لهو لكم فيتخللون الصفوف وينظرون من فعل ذلك بهم فياخذون
بيده ويدخلون به الجنة **وروي** عن علي رضي الله عنه عن رسول الله عليه السلام
وقال اذا ابغض الناس فقرآءهم واظهروا عمارة الدنيا وتاكبوا علي جمع الدراهم
رماهم الله باربع خصال بالقحط من الزمان والجور من السلطان والخيانة
من ولاة الاحكام والشوكة من الاعدآء **الاثار** قال ابو الدرداء رضي الله عنه
ذو الدرهمين اشد حسابًا من ذي الدرهم **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه
ثلثة يدخلون الجنة بغير حساب رجل يريد ان يغسل ثوبه فلم يكن له خلق يلبسه
ورجل لم ينصب له علي مستوقد قدران ورجل دعا بشراب فلا يقال له ايها
تريد **وقال** ابن عباس رضي الله عنهما ملعون من اكرم الغني واهان بالفقر
وقيل جاء فقير الي مجلس الثوري رحمة الله عليهما فقال له تخط ولو كنت غنيًا ما
قربتك وكان الاغنياء من اصحابه يودون انهم فقرآء لكثرة تقريبه الفقرآء
واعراضه عن الاغنياء **وقال** لقمان لابنه عليهما السلام لا تحقرن احدًا لخلقان
ثيابه فان ربك وربه واحد **وقال** يحيي بن معاذ رضي الله عنهما حبك
للفقراء من اخلاق المرسلين وايثارهم ومجالستهم من علامات الصالحين وفرارك
منهم من علامات المنافقين **اما بيان حقيقته** فهو عبارة عن فقد ما هو محتاج

اي من كان في ذاته محتاجا الى الغير لانه يجب الفقر ولا يجد فهو فقير في الحقيقة

مطلب ماهية الفقر وحقيقته

اليه لا يسمى فقيرًا وان كان المحتاج اليه فقيرًا واذا فهمت هذا لم تشك في ان
كل موجود سوى الله تعالى فهو فقير لا محتاج الى دوام الوجود في ثاني الحال و
دوام وجوده مستفاد من فضل الله تعالى وجوده وان كان في الوجود موجودٌ
ليس وجوده مستفادًا له من غيره فهو الغني المطلق ولا يتصور ان يكون مثل
هذا الموجود الا واحدًا فليس في الوجود الا غني واحدٌ وكل ما عداه فانهم
محتاجون اليه لتمدد وجودهم بالدوام والى هذا الحصر الاشارة بقوله تعالى
والله الغني وانتم الفقرآء هذا الفقر مطلقًا ولكنا لسنا نفصل ببيان الفقر
المطلق بل الفقر من المال على الخصوص والا ففقر العبد بالاضافة الى اصناف
حاجاته لا ينحصر لان حاجاته لا حصر لها ومن جملة حاجاته ما يتوصل اليه بالمال
فقط فكل فاقد للمال نسميه فقيرًا بالاضافة الى المال الذي فقده اذا كان
ذلك المفقود اليه محتاجًا اليه في حقه فهذا بيان حقيقة الفقر واما
بيان فضل الفقر على الغني فقد اختلف المشايخ فيه فذهب الجنيد والخواص
والاكثرون رحمة الله عليهم الى تفضيل الفقر قال عطا رحمة الله عليه
الغني الشاكر القايم بحقه افضل من الفقير الصابر واستدل بامرين احدهما
ما روي عن النبي صلى الله عليه وسلم شكى اليه الفقرآء فقالوا سبق الاغنياء
بالخيرات والصدقات والحج والجهاد فعلمهم كلمات في التسبيح وذكر لهم
ان ما ينالون به فوق ما ناله الاغنياء فتعلموا ذلك وكانوا يقولونه

فعادوا

فعادوا اليه صلى الله عليه وسلم فقال ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء
الثاني ان الغني وصف الحق سبحانه وتعالى فهو افضل من الفقر اما دليله
الاول فضعيف بما روي عن انس بن مالك رضي الله عنه قال بعث الفقرآء
رسولا الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال اني رسول الفقرآء اليك
فقال مرحبا بك وبمن جئت من عندهم جئت من عند قوم احبهم قال قالوا
ان الاغنياء ذهبوا بالجنة يحجون ولا نقدر عليه فاذا مرضوا بعثوا اموالهم
ذخيرة قال عليه السلام بلغ عني الفقرآء ان لمن صبر واحتسب منكم ثلاث
خصال ليست للاغنياء الاولى ان في الجنة غرفًا ينظر اليها اهل الجنة كما
ينظر اهل الارض الى نجوم السماء لا يدخلها الا نبي فقير او شهيد فقير او مؤمن
فقير والثانية يدخل الفقرآء الجنة قبل الاغنياء بخمسمائة عام والثالثة
اذا قال الغني سبحان الله والحمد لله ولا اله الا الله والله اكبر وقال الفقير
مثل ذلك لم يلحق الغني الفقير وان انفق فيها عشرة الاف درهم وكذلك اعمال
البر كلها فرجع اليهم فقالوا رضينا فهذا يدل على ان قوله ذلك فضل الله
يؤتيه من يشاء اي ثواب الفقرآء على ذكرهم واما الدليل الثاني فضعيف
ايضًا لان بعض الشيوخ اجابه فقال الا ترى ان الحق عز وجل غني بالاسباب
والاغراض فانقطع ولم ينطق واجاب آخرون فقال التكبر من صفات الحق سبحانه
وتعالى فينبغي ان يكون افضل من التواضع ثم قالوا بل هذا يدل على ان الفقير

افضل لان صفات العبودية افضل للعبد كالخوف والرجاء وصفات الربوبية
لا ينبغي ان ينازع فيها ولذلك قال الله تعالى الكبرياء ردائي والعظمة
ازاري فمن نازعني فيهما قصمته ويقال ان الجنيد رحمه الله عليه دعا
علي بن عطاء لمخالفته اياه فاصابته محنة واما ادب الفقر ففي ثلاثة
مواضع احدهما ادبه في فقره والثاني ادبه في قبول العطاء بغير سؤال اما
ادبه في فقره فاربعة ادب في باطنه وادب في ظاهره وادب في مخالطته
وادب في اعماله فاما ادب باطنه فهو ان لا يكره الفقر من حيث انه فعل
الله تعالى فهذا اقل درجاته وهو واجب ونقيضه حرام ومحبط ثواب
الفقر واليه الاشارة في قوله عليه السلام يا معشر الفقراء اعطوا الله
الرضى من قلوبكم تظفروا ثواب فقركم والا فلا وارفع من هذا ان لا يكون كارها
للفقر بل يكون راضيا به وارفع منه ان يكون طالبا له وفرحا به لعلمه بغوايل
الغنى اذ قيل ما اعطي عبد شيئا من الدنيا الا قيل له خذه على ثلاثة اثلاث
شغل وهم وطول حساب لهذا قال شقيق البلخي رحمة الله عليه
اختار الفقراء ثلاثة اشيا واختار الاغنياء ثلاثة اشيا اختار الفقراء
راحة النفس وفراغ القلب وخفة الحساب واختار الاغنياء تعب النفس
وشغل القلب وطول الحساب واما ادب ظاهره فانه يظهر التعفف والتجمل
ولا يظهر الشكوى والفقر بل يستره قال تعالى يحسبهم الجاهل اغنياء من

مطلب اداب الفقراء

العفف

التعفف وقال سفيان الثوري رحمه الله افضل الاعمال التجمل عند المحنة
وقال بعضهم ثلاثة من اخلاق المرسلين ومن كنوز البر كتمان المرض
وكتمان المصايب وكتمان الفقر واما اداب الاختلاطة فانه لا يتواضع
لغني لغناه بل يتكبر عليه قال علي رضي الله عنه ما احسن تواضع الا غنياء
للفقراء رغبة في ثواب الله تعالى واحسن منه تيه الفقراء على الاغنياء ثقة
بالله تعالى فهذه رتبة المتوكلين وان لا يخالط الاغنياء ولا يرغب في مجالستهم
لان ذلك من مبادي الطمع واما ادبه في اعماله فان لا يفتر بسبب الفقر عن
العبادة وان لا يدخر ما لا بل يأخذ قدر الحاجة ويخرج الباقي وفي الادخار
ثلاث درجات احديها ان لا يدخر الا ليومه وليلته وهي درجة الصديقين
والثانية ان يدخر الاربعين يوما فان ما زاد عليه داخل في طول الامل
وهذه درجة المتقين والثالثة ان يدخر لسنة وهذه داخل رتبة الصالحين
ومن زاد على هذا فهو خارج عن الطريق واما ادبه في قبول العطاء فينبغي ان
يلاحظ الفقير فيما جاءه ثلاثة نفس المال وغرض المعطي وغرضه في الاخذ
اما نفس المال فينبغي ان يكون مالا خاليا عن الشبهات وروي ان فتح
الموصلي جاءته صرة فيها خمسون درهما فقال حدثنا عطاء عن النبي صلى الله
عليه وسلم انه قال من اتاه رزق من غير مسئلة فرده فانما يرده على الله
ثم فتح الصرة فاخذ منها درهما ورد سايرها واما غرض المعطي فلا يخلو اما

مطلب اي درجات

ان يكون غرضه تطييب قلبه وطلب محبته وهو الهداية والثواب وهو الصدقة
والزكوة والشهرة والذكر والريا والسمعة اما على التجرد واما ممزوجا
ببقية الاغراض اما الاول فالهدية فلا باس بقبولها فان قبولها سنة
بشرط ان لا تكون فيها منة والثاني ان يكون للثواب المجرد وذلك صدقة
او زكوة فعليه ان ينظر في صفات نفسه انه هل هو مستحق للزكوة ام
لا وان كانت صدقة وكان يعطيه لدينه فلينظر الى باطنه فان كان مفارقا
لمعصيته في السر يعلم ان المعطي لو علم ذلك لنفر طبعه فهذا حرام اخذه كما
لو اعطاه لظنه انه عالم او علوي ولم يكن فان اخذه حرام محض لا شبهة فيه
والثالث ان يكون غرضه الشهرة والريا والسمعة فينبغي ان يرد عليه
قصده الفاسد ولا يقبله اذ يكون معينا له على غرضه الفاسد
اما غرضه في الاخذ فينبغي ان ينظر هل هو محتاج اليه ام لا فان كان محتاجا
اليه فيما لا بد له منه فالافضل له الاخذ وقال صلى الله عليه وسلم
من اتاه شي من المال من غير مسئلة فانما هو رزق ساقه الله اليه وفي
لفظ اخر فلا يرده وقال بعض العلماء من اعطي ولم ياخذ سال ولم
يعط فاما اذا كان ما اتاه زايدا على حاجته فله فيه مقامان احدهما
ان ياخذ في العلانية ويرد في السر ويفرق في السر وهذا مقام الصديقين
وهو شاق على النفس والثاني ان يترك ولا ياخذ ليصرفه صاحبه

الى من هو احوج منه او ياخذ ويوصل الى من هو احوج منه فيفعل كلاهما
في العلانية وقد ذكرنا ان الافضل اظهار الاخذ واسراره في كتاب اسرار
الزكوة واما ادب في السوال فاعلم ان السوال من غير ضرورة حرام لانه لا ينفك
عن ثلثة امور محرمة الاول اظهار الشكوى من الله تعالى اذ السوال اظهار
للفقر وذكر لقصور نعمة الله تعالى عنه وهو عين الشكوى وكما ان العبد
المملوك لو سال لكان سواله تشنيعا على سيده فكذلك سوال العباد
تشنيع على الله تعالى وهذا ينبغي ان يحرم ولا يحل الا بضرورة كما تحل
الميتة والثاني ان فيه اذلال النفس وليس للمومن ان يذل نفسه بل عليه
ان يذل لمولاه فان فيه عزة له وللمولى والثالث انه لا ينفك عن ايذاء
المسول غالبا والايذاء حرام وقال صلى الله عليه وسلم من سال وله
ما يغنيه جاء يوم القيمة ووجهه عظم يتقعقع ليس عليه لحم واعلم
ان الناس انما يكون مضطرا اليه او محتاجا اليه حاجة مهمة او حاجة
حقيقية او استغني عنه فهذه اربعة احوال اما المضطر اليه فهو سوال
الجايع عند خوفه على نفسه موتا او مرضا وسوال العاري وبدنه مكشوف
وهو مباح مهما وجد بقية الشروط وما في المسول بكونه مباحا والمسول
منه بكونه راضيا في الباطن وفي السائل بكونه عاجزا عن الكسب واما
المستغني فهو الذي يطلب شيئا عنده مثله او امثاله فسواله حرام

مطلب [illegible] السؤال

قطعًا وهذان طريقان واضحان واما المحتاج حاجة مهمة فكالمريض
الذي يحتاج الى دوآء ليس يظهر خوفه لو لم يشغله ولكنه لا يخلو عن
خوف وكمن له جبة ولا قميص له تحتها في الشتآء فكذلك من سال
لاجل الكرآء وهو قادر على المشي بمشقة واما الحاجة الحقيقية
قيل سؤاله قميصًا يلبسه فوق ثيابه عند خروجه ليستر الخروق
من ثيابه عن اعين الناس ولكن يسئاله لاجل الادم وهو واجد للخبز
فهذا مباح مع الكراهة وقال لبشر رحمة الله عليه الفقرآء ثلاثة
فقير لا يسئال وان اعطي لم ياخذ هذا مع الروحانيين في عليين و
فقير لا يسئال وان اعطي اخذ فهذا مع المقربين في جنات الفردوس
وفقير يسئال عند الحاجة فهذا مع الصادقين من اصحاب اليمين فاذا
قد اتفق كلهم على ذم السؤال وعلى انه مع الفاقة يحط المرتبة والدرجة
وقال ابراهيم ابن ادهم لشقيق البلخي رحمة الله عليهما حين قدم عليه
من خراسان كيف تركت الفقرآء من اصحابك قال تركتهم ان اعطوا شكروا
وان منعوا صبروا وظن انه لما وصفهم بترك السؤال فقد اثني عليهم غاية
الثنآء فقال ابرهيم هكذا تركت كلاب بلخ عندنا فقال شقيق رحمة الله
عليه فكيف الفقرآء عندكم فقال الفقرآء عندنا ان منعوا شكروا وان
اعطوا اثروا فقبل راسه فانا ارباب الاحوال في الرضا والصبر والشكر

مطلب انواع الفقراء الممدوحة

السؤال

والسؤال كثيرة فلا بد لسالك طريق الاخرة من معرفتها ومعرفة انفسها واختلاف
درجاتها فانه اذا لم يعلم لم يقدر على الترقي من حضيضها الى يفاعها وارباب الاحوال
قد تغلبهم حالة يقتضي ان يكون السؤال مزيدًا لهم في درجاتهم ولكن بالاضافة
الى حالهم فان مثل هذه الاعمال بالنيات وذلك كما روي عن بعضهم انه راي
ابا الحسين النوري رحمهما الله يمد يده ويسأل الناس في بعض المواطن قال
فاستقبحت ذلك له فاتيت الجنيد فاخبرته فقال لا تقبح له فانه
لا يسال الناس الا ليعطيهم انما سالهم ليثيبهم على الاخرة كذلك قال
عمر رضي الله عنه ردوا السائل بوقار ولين بيسير او جميل او برد
جميل فانه قد ياتيكم من ليس بانس ولا جان ينظرون كيف صنيعكم
بالفقير وروي عن انس رضي الله عنه انه قال بات فقير في مسجد
فلم ينظر اليه احد وتغافلت عنه ايضًا اياما ثم ذكرت حاله وجيئته
متعذرا وقلت اني غفلت عنك فاعذرني قال ولي رب لا يغفل عني
فمات تلك الليلة فلما اصبحوا وجدوه ميتًا فكفنوه وصلوا عليه فلما
رجعوا من صلاته وجدوا الكفن موضوعا في المحراب مكتوب عليه هذا
مردود اليكم والرب ساخط عليكم الباب الباب

الثاني في الزهد

وفيه بيان فضله وحقيقته وتفضيله في
المطعم والملبس والاثاث وضرورات المعيشة وبيان علامات الزهد

اما فضله ففقد قال الله تعا فخرج على قومه فى زينته الى قوله قال الذين
اوتوا العلم ويلكم ثواب الله خير لمن آمن فنسب الزهد الى العلماء ووصف
اهله بالعلم وهو غاية الثناء وقال تعا اولئك يؤتون اجرهم مرتين
بما صبروا وجاء في التفسير على الزهد فى الدنيا وقال من كان يريد حرث
الآخرة الآية وقال صلى الله عليه وسلم من اصبح وهمه الدنيا
الله عليه امره وفرق عليه صنعته وجعل فقره بين عينيه ولم ياته
في الدنيا الا ما كتب له ومن اصبح وهمه الآخرة جمع الله همه وحفظ عليه
صنعته وجعل غناه في قلبه واتته الدنيا وهي راغمة وقال
صلى الله عليه وسلم اذا رايتم العبد قد اعطي صمتا وزهدا فى الدنيا
فاقتربوا منه فانه يلقى الحكمة ولذلك قيل من زهد في الدنيا اربعين
يوما اجرى الله ينابيع الحكمة في قلبه وانطق بها لسانه ولما سئل رسول
الله صلى الله عليه وسلم عن معنى الشرح فى قوله تعا من يرد الله ان
يهديه يشرح صدره للاسلام وقيل له ما هذا الشرح فقال ان النور
اذا دخل القلب انشرح له الصدر وانفتح قيل يا رسول الله وهل لذلك
من علامة قال نعم التجافي عن دار الغرور والانابة الى دار الخلود والاستعداد
للموت قبل نزوله فانظر كيف جعل الزهد شرطا للاسلام وهو التجافى عن
دار الغرور وروي مسروق عن عايشة رضي الله عنها انها قالت يا رسول

الله

الله الا تستطعم الله فيطعمك قالت وبكيت لما رايت به من الجوع فقال
يا عايشة والذي نفسي بيده لو سالت ربي ان يجري معي جبال الدنيا
ذهبا لاجراها حيث شئت من الارض ولكن اخترت جوع الدنيا على شبعها
وفقرها على غنائها وحزنها على فرحها وقال لا يستكمل العبد حقيقة
الايمان حتى يكون ان لا يعرف احب اليه من ان يعرف وحتى يكون قلة الشيء
احب اليه من كثرته الايثار وقال يوسف بن اسباط اني لاشتهي من الله تعا
ثلاث خصال ان اموت وليس في ملكي درهم ولا يكون على دين ولا على عظمي لحم
فاعطي ذلك كله وقال ابراهيم بن ادهم قد حجبت قلوبنا بثلاثة اغطية
فلا يكشف للعبد اليقين حتى يرتفع هذه الحجب الفرح بالموجود والحزن
على المفقود والسرور بالمدح فاذا فرحت بالموجود فانت حريص والحريص
محروم واذا حزنت على المفقود فانت ساخط والساخط معذب
واذا سررت بالمدح فانت معجب والعجب يحبط العمل واما حقيقته فهو
ان ينتظم ايضا كساير المقامات من علم وحال وعمل واصله العلم والنور الذي
ن يقذف في القلب حتى ينشرح الصدر ويتضح فيه ان الآخرة خير وابقى وان
نسبة الدنيا الى الآخرة اقل من نسبة الخزفة الى الجوهرة وهذا العلم يثمر
حال الانزواء ويظهر الحال الاعمال على الجوارح وهي عزوف النفس عن الدنيا
بد والكف عن شهواتها الا عن قدر الضرورة فى زاد الطريق فانه من المهمات فلا

بيان وجه الزهد فيه بعد بيان درجات الزهد واقسامه بالاضافة
الى نفسه وبالاضافة الى المرغوب عنه وبالاضافة الى المرغوب فيه اما
الزهد بالاضافة الى نفسه فهو على ثلثة درجات احدها ان يزهد في
الدنيا وهو لها مشتهٍ وهذا يسمى متزهدًا الثانية ان يزهد فيها لاستحقارها
بالاضافة الى نعيم الاخرة الثالثة وهي العليا ان يزهد فيها طوعًا في زهده
اي لا يرى زهده لانه لا يرى انه ترك شيئًا كمن ترك خزفة لاجل جوهرة
او رمى كسرة خبز الى الكلب ليتوصل بذلك الى الدخول الى الملك واما الزهد
بالاضافة الى المرغوب فيه فهو على ثلاث درجات احدها ان تكون رغبته
في الخلاص عن العقاب وهذا زهد الخائفين الثانية ان يكون رغبته في
حصول نعيم الجنة وهذا زهد الراجين الثالثة هي العليا ان يكون رغبته
في لقاء الله تعالى لا في ثوابه ولا رهبة من عقابه وهذا زهد الموحدين
واما الزهد بالاضافة الى المرغوب عنه ففي الدرجة الاولى هو الزهد في كل
شيء سوى الله تعالى في نفسه وفي الدرجة الثانية ان يزهد في مقتضيات
الطبع في الشهوة والغضب والكبر والجاه وفي الثالثة ان يزهد في المال والجاه
واشباههما واعلم ان الزهد ينقسم الى فرض وهو الزهد من الحرام والى نفل
وهو الزهد في الحلال والى سلامة وهو الزهد في الشبهات وقال قوم الزهد
هو الزهد في الحلال لا في الشبهة والمحظور ثم راوا انه لم يبق في الدنيا حلال

فلا يتصور الزهد واما تفصيل ما في الزهد فيطول شرحه ولكن نفصل الزهد
فيما هو من قدر الضرورات لبقاء الحيوة وهي ستة مهمات المطعم والمشرب و
والملبس والمسكن واثاثه والمنكح والمال والجاه الاول المطعم ولا بد للانسان من
قوت حلال يقيم صلبه واقل الدرجات في الزمان الاقتصار على دفع الجوع
في الحلال فاذا دفعه غدوة لم يؤخر شيئًا لعشائه واوسطه ان يدخر
لشهر الى اربعين وادناه الى سنة واما في الجنس فاقله ما يقوته ولو النخالة
واوسطه خبز الشعير واعلاه خبز البر غير منخول فان نخل فهو تنعم لا زهد
واما الادام فاقله الخل والبقل والملح واوسطه الادهان واعلاه اللحم وذلك
في الاسبوع مرة او مرتين فاذا دام لم يكن صاحبه زاهدا فانظر الى احوال الرسول
صلى الله عليه وسلم والصحابة رضوان الله عليهم اجمعين في كيفية زهدهم
في المطاعم وتركهم الادام قالت عايشة رضي الله عنها ياتي علينا اربعون
ليلة وما يوقد في بيت رسول الله صلى الله عليه مصباح ولا نار قيل لها فبم كنتم
تعيشون قالت بالاسودين المهم الثاني الملبس واقل درجاته ما يدفع
الحر والبرد ويستر العورة وهو كساء يتغطى به واوسطه قميص وقلنسوة
ونعلان واعلاه ان يكون معه منديل وسراويل وما جاوز هذا من حيث
المقدار فهو مجاوز حد الزهد وشرط الزاهد ان لا يكون له ثوب يلبسه اذا
غسل ثوبه بل يلزم القعود في البيت هذا من حيث المقدار اما الجنس فاقله .

المسوح الخشنة واوسطه الصوف الجنس واعلاه القطن الغليظ فمن وجد
زيادة على ذلك فينبغي ان يتصدق به فان امسكه لم يكن زاهدًا بل كان محبًا
للدنيا ولينظر فيه الي احوال الانبياء عليهم السلام والصحابة رضوان الله
عليهم كيف تركوا الملابس قال ابو بردة اخرجت لنا عايشة رضي الله
عنها كساءً ملبدًا وازارًا غليظا فقالت قبض رسول الله صلى الله عليه
عليه وسلم في هذين وقال صلى الله عليه وسلم انا احب المتبذل الذي
لا يبالي ما لبس وعن جابر رضي الله عنه قال دخل رسول الله صلى الله
عليه وسلم علي فاطمة رضي الله عنها وهي تطحن بالرحي وعليها كساء
فلما نظر اليها بكي وقال يا فاطمة تجرعي مرارة الدنيا لنعيم الابد فنزل ولسوف يعطيك ربك فترضى واوصي صلى الله عليه وسلم عايشة
رضي الله عنها خاصة وقال لها ان اردت اللحوق بي واياك ومجالسة
الاغنياء ولا تنزعي ثوبًا حتى ترقعيه وعد على قميص عمر رضي الله عنه اثني
عشر رقعة واشتري علي رضي الله عنه ثوبًا بثلاثة دراهم ولبسه وهو
في الخلافة وقطع كميه من الرسغين وكان جمهور العلماء من التابعين
رضي الله عنهم قيمة ثيابهم ما بين العشرين الي ثلاثين درهمًا وقال
بعضهم من رق ثوبه رق دينه وفي الخبر اوحي الله تعالى الي بعض انبيائه
عليهم السلام قل لاوليائي لا يلبسوا لباس اعدائي وقال علي رضي الله عنه

ما لبس به

ان الله

ان الله عز وجل اخذ علي ايمة الهدي العهد بان يكونوا في مثل ادني احوال
الناس ليقتدي بهم الغني ولا يزدري بالفقير فقره وجاء عبد الله بن عامر
الي ابي ذر رضي الله عنه في بزته فجعل يتكلم في الزهد فجعل ابو ذر راحته
علي فيه فغضب ابن عامر وشكاه الي ابن عمر رضي الله عنهما فقال انت صنعت
بنفسك تتكلم في الزهد بين يديه بهذه البزة وقيل للفارسي ما لك لا تلبس
الجيد من الثياب فقال وما للعبد والثوب الحسن فاذا اعتق فله والله
ثياب حسنة لا تبلي ابدًا وراي فضالة بن عبيد وهو والي مصر يمشي حافيًا
فقيل له انت الامير وتفعل هذا فقال نهانا رسول الله صلى الله عليه وسلم
عن الارفاه وامرنا ان نحتفي احيانا المهم الثالث المسكن وللزهد فيه ثلاث
مراتب اعلاها ان لا يطلب موضعًا خاصًا لنفسه فيقنع بزوايا المساجد
كاصحاب الصفة رضوان الله عليهم واوسطها ان يطلب موضعًا خاصًا لنفسه
كالخوص وشبهه وادناه ان يطلب حجرة مبنية اما بشراء او اجارة او عارة
وبالجملة كلما يراد للضرورة فلا ينبغي ان يجاوز حد الضرورة وقدر الضرورة
في الدنيا آلة الدين وما جاوز ذلك فهو مضاد للدين والغرض من المسكن
دفع المطر والبرد ودفع الاعين والايدي واقل الدرجات معلوم فيه وما زاد
عليه فهو من الفضول والفضول كله من الدنيا وطالب الفضول بعيد من الزهد
وقال الحسن رضي الله عنه مات رسول الله صلى الله عليه وسلم ولم

يضع لبنة على لبنة وقصبة على قصبة صلى الله عليه وسلم
اذا اراد الله بعبد ضرًّا اهلك ماله في الماء والطين وفي الخبر كل نفقة
العبد يوجر عليها الا ما انفقه في الماء والطين وقال الحسن رضي الله
عنه كنت اذا دخلت بيوت رسول الله صلى الله عليه وسلم ضربت
بيدي الى السقف وقال عمرو رضي الله عنه بن دينار اذا ازاد العبد
على البناء فوق ستة اذرع ناداه ملك الى اين افسق الفاسقين و
قد نهي سفيان الثوري رحمة الله عليه عن النظر الى بناء مشيد وقال
لولا نظر الناس لما شيدوه فالنظر معين عليه وقال الفضيل
رحمة الله عليه اني لا اعجب ممن بني وترك ولكن اعجب ممن نظر اليه ولم
يعتبر وقال عليه السلام من بني فوق ما يكفيه كلفه الله ان يحمله يوم
القيمة واتخذ نوح عليه السلام بيتا من قصب فاقام ضرب راسه في
سقفه فقيل له لو بنيت فقال هذا لمن يموت كثير وكان في السلف رحمهم
الله من بني داره مرارا في مدة عمره لضعف بنيانه قصر امله في احكام
البناء المهم الرابع اثاث البيت وللزهد فيه ايضا درجات واعلاها
حال عيسى عليه السلام اذ كان لا يصحبه الا مشط وكوز فراى انسانا
يمشط لحيته باصابعه فرمي المشط وراى اخر يشرب من النهر بكفيه
فرمي الكوز وهذا حكم كل اثاث فانه انما يراد للمقصود فاذا المستغني عنه

فهو

فهو وبال عليه في الدنيا والاخرة وما لا يستغني عنه فيقتصر فيه على اقل
الدرجات وهو الخزف في كل ما يكفي به الخزف ولا يبالي ان يكون مكسور الطرف اذا
كان المقصود يحصل به واوسطها ان يكون له اثاث بقدر الحاجة صحيح في
نفسه لكن يستعمل الالة الواحدة في مقاصد كالذي معه قصعة يشرب منها
ويأكل فيها ويحفظ المتاع فيها وكان السلف رحمهم الله يحبون استعمال الالة
واحدة في اشياء للتخفيف وادناه ان تكون له بعدد كل حاجة آلة من الجنس
النازل الخسيس فان زاد في العدد او في نفاسة الجنس خرج من جميع ابواب
الزهد وركن الي طلب الفضول ولينظر الي سيرة رسول الله صلى الله عليه وسلم
وسيرة الصحابة رضوان الله عليهم اجمعين فقد قالت عايشة رضي الله عنها
كانت ضجاع رسول الله صلى الله عليه وسلم الذي ينام عليه وسادة من اديم
حشوها ليف وفراشه عباءة مثنية وقال الحسن رضي الله عنه ادركت
سبعين من الاخيار ما لاحدهم ما وضع بينه وبين الارض ثوبا قط ودخل
رجل علي ابي ذر رضي الله عنه فجعل يقلب بصره في بيته فقال يا ابا ذر ما ارى
في بيتك متاعا وغير ذلك من الاثاث ارنا بيتا نتوجه صالح متاعنا فيه و
قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم من سفر فدخل علي فاطمة رضي الله عنها
فراى علي باب منزلها سترا وفي يديها قلبان فضة فرجع ودخل عليها ابو رافع
فسالته من رجوع النبي عليه السلام فقال ابو رافع من اجل الستر والسوارين.

فارسلت بهما الي رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالت قد تصدقت بهما
فضعها حيث شئت قال اذهب فبعه وادفعه الي اهل الصفة فباعهما
وتصدق بثمنهما عليه السلام ثم دخل عليها فقبلها وقال بابي وامي قد
اصفت **ولما قدم** عمير بن سعد امير حمص علي عمر رضي الله عنهما وما راي معه
الا عصا وجرابا وقصعة ومطهرة قال له ما معك من الدنيا فقال عصاي
اتوكا عليها واقتل بها الحية وجرابي احمل فيها طعامي ومعي قصعة اكل فيها
ومعي مطهرة احمل فيها شرابي ووضوء لصلوتي فما كان بعد هذا من الدنيا فهو
تبع لما معي فقال عمر صدقت رحمك الله المهم الخامس المنكح وقيل لا معني للزهد
في النكاح ولا في كثرته وكان ازهد الصحابة رضي الله عنهم علي ابن ابي طالب كرم
الله وجهه وكان له اربع نسوة وبضع عشر سرية والصحيح ما قاله ابو سليمان
الداراني رحمة الله عليه اذ قال كل ما شغلك عن الله فهو عليك مشئوم والمراة
قد تكون شاغلة عن الله وكشف الحق فيه انه قد تكون العزبة افضل في بعض
الاحوال وكما سبق في النكاح فيكون ترك النكاح من الزهد وحيث يكون
النكاح افضل لدفع الشهوة الغالبة فهو واجب فتركه كيف يكون من الزهد
فاذا ثبت هذا فما حاله حال رسول الله صلى الله عليه وسلم في انه لا
يشغله كثرة النسوة فلا اشتغال القلب بالاصلاح بهن والانفاق
عليهن فلا معني لزهده فيهن حذرا من مجرد لذة الوقاع والنظر ولكن

اني يتصور ذلك لغير الانبياء والاولياء عليهم السلام فاكثر الناس يشغلهم
كثرة النسوان فينبغي ان يترك الاصل ان كان يشغله وان لم يشغله وكان
يخاف ان يشغله الكثرة منهن او جمال المراة فلينكح واحدة غير جميلة وليراع
قلبه في ذلك قال ابو سليمان الزهد في النساء ان يختار المراة ادون الذميمة
على المراة الجميلة والشريفة المهم السادس ما يكون وسيلة الي هذه الخمسة
وهو المال والجاه اما الجاه فمعناه ملك القلوب بطلب محل فيها ليتوصل بها الي
الاستعانة في الاغراض والاعمال وكل ما لا يقدر علي القيام بنفسه في جميع حاجاته
وافتقر الي من يخدمه افتقر الي جاه لا محالة في قلب خادمه لانه ان لم يكن عنده
محل وقدر لم يقم بخدمته وقيام القدر والمحل في القلوب اصلا فان اشتغاله
بالدين والعبادة يجهد له من المحل في القلوب ولو بين الكفار فكيف بين المسلمين
واما المال فهو ضروري في المعيشة اعني القليل منه فان كان كسوبا فاذا اكتسب
حاجة يومه فينبغي ان يترك الكسب هذا شرط الزهد فان جاوز ذلك الي ما يكفيه
اكثر من سنة فليس بزاهد لا يعطي في الاخرة ما اعد للزاهد يأخذ ما يحتاج اليه
وهذا هو المعني بقولنا ليس بزاهد في جميع ما تقدم والا فكل من رغب عن محبوب
كان زاهدا فيه والحاصل ان الزاهد يأخذ ما يحتاج اليه يقينا ويترك المشكوك
احتياطا فان الدخول في الدنيا مهلك **قال الشاعر** كدود دود القز
ينسج دايما ويهلك غما وسط ما هو ناسجه فهذا آخر الكلام في تفصيل

ملفيه الزهد اما علامات الزاهد فاعلم ان الزاهد علامات فلا تظنن ان تارك
المال زاهد وليس كذلك فان ترك المال واظهار الخشونة سهل على من احب
المدح بالزهد ولكن ينبغي ان يكون في باطنه ثلاث علامات الاولى ان لا يفرح
بموجود ولا يحزن على مفقود كما قال الله تعالى لكيلا تاسوا على ما فاتكم ولا
تفرحوا بما اتاكم بل ينبغي ان يكون بالضد من ذلك وهو ان يحزن بموجود
المال ويفرح بفقده الثانية علامة الزهد في الجاه الثالثة ان يكون انسه
بالله تعالى والغالب على قلبه حلاوة الطاعة اذ لا يخلو القلب عن حلاوة المحبة
اما محبة الدنيا واما محبة الله تعالى وهما في القلب كالماء والهواء في القدح فالماء
اذا دخل خرج الهواء ولا يجتمعان وكل من انس بالله تعالى اشتغل به ولم يشتغل بغيره صح وقال ابو سليمان
الداراني من شغل بنفسه شغل عن الناس وهذا مقام العاملين ومن شغل
بربه شغل عن نفسه وهذا مقام العارفين والزاهد لا بد ان يكون في
احد هذين المقامين ومقامه الاول ان يشتغل بنفسه وعند ذلك يستوي
عنده الذم والمدح والوجود والعدم ولا يستدل بامساكه قليلا من
المال على فقد زهده اصلا قال ابن الجوزي رحمه الله قلت لابي سليمان كان
داود الطائي رحمه الله زاهدا قال نعم قلت بلغني انه ورث من ابيه
عشرين دينارا فانفقها في عشرين سنة فكيف كان زاهدا وهو يمسك
الدنانير فقال من غاية زهده تم الكتاب الفقر والزهد بعون الله تعالى

كتاب

كتاب التوحيد والتوكل وفيه بابان الباب
الاول في فضيلة التوحيد والتوكل وحقيقتهما اما فضيلة التوكل
فقد قال الله سبحانه تعالى وعلى الله فليتوكل المومنون وقال الله فتوكلوا
ان كنتم مومنين وقال اليس الله بكاف عبده اي طالب الكفاية مكذب وقال
النبي صلى الله عليه وسلم لو انكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق
الطير تغدو اخماصا وتروح بطانا وقال من انقطع الى الله كفاه الله كل
مونة ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن انقطع الى الدنيا وكله الله اليها
قيل اوصى بعضهم بماله لثلاث طوايف الاقوياء والاسخياء والاغنياء فقيل له
من هولاء فقال اما الاقوياء فهم اهل التوكل على الله تعالى والاسخياء فهم اهل حسن
الظن بالله تعالى واما الاغنياء فهم اهل انقطاع الى الله تعالى قيل لما وضع
ابراهيم عليه السلام في المنجنيق قال حسبي الله ونعم الوكيل وكانت من الدعاوي
العظام فامتحن بجبريل عليه السلام في الهواء حتى قال الك حاجة فقال
اما اليك فلا وكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله ونعم الوكيل ولما قرا
الخواص رحمة الله عليه قوله تعالى وتوكل على الحي الذي لا يموت قال ما ينبغي
للعبد بعد هذه الاية ان يلتجي الى احد غير الله تعالى واما حقيقته فهو
مشتق من الوكالة والاعتماد يقال فلان وكل امره الى فلان اذا اعتمد عليه
فالتوكل عبارة عن اعتماد القلب على الوكيل وحده وهو الله تعالى وهو متوقف

علي التوحيد وهو اصل التوكل اعلم ان معني التوحيد ما يترجمه قولك
لا اله الا الله وحده لا شريك له والايمان بالقدرة التي يترجمها قولك
له الملك والايمان بالجود والحكمة الذي يدل قولك وله الحمد فمن غلب
معني هذه الجملة علي قلبه صار متوكلا واصل ذلك التوحيد وله اربع
مراتب فهو ينقسم الي اللب والي لب اللب والي القشر والي قشر القشر كالجوز
واللوز الاولي بالقول المحض وهو قشر القشر وهو ايمان المنافقين
الثانية التصديق بمعني الكلمة وهو ايمان عموم المسلمين الثالث ان
يشاهد ذلك طريق الكشف وهو مقام المقربين وذلك بان يري اسبابا
كثيرة ولكن مع كثرتها صادرة من الواحد القهار الرابعة ان لا يري في
الوجود الا واحدا وهو مشاهدة الصديقين وتسمية الصوفية الفناء
في التوحيد فلا يري نفسه لكون باطنه مستغرقا بالواحد الحق فالاول
هو الايمان باللسان وحده لرفع السيف وعصمة المال والدم والثاني
موحد بمعني انه معتقد بقلبه ومعني الكلمة خال من الشك فيه ولكن لا
انشراح في باطنه فهذه الحالة توجب حفظه من العذاب في الاخرة ان توفي
عليها والي هذه العقيدة تتطرق حيلة المبتدع بالنقص الثالثة
موحد بمعني انه انشرح له الصدر فلم يشاهد الا واحدا وان كثرت الاسباب
فعلم ان مصدرها من الواحد الحق الرابعة موحد بمعني لم يحضر في شهوده

مطلب معنى انواع التوحيد

وقلبه

وقلبه الا الواحد الحق وفني عن الوسايط وعن نفسه فهذه الحالة هي
العليا وهي دهن اللب في الجوز مثلا فلا كلام في هذه الحالة الثالثة
وهو الذي يري الواحد الحق ويري الكل واحدا لصدوره عن الواحد الحق وعند
هذا يقول من لم يشرق علي قلبه نور الله تعا كيف يري الكل واحدا وهو يري تعدد
الاسباب من السموات والارضين وهذه اعداد كثيرة واعلم ان كشف هذه
الاسرار لا يمكن اذ قال بعض العارفين افشاء سر الربوبية كفر ولكن نورها
ينكر به سورة هذه الاستبعاد فنقول الانسان اذا نظر الي نفسه يراها
شخصا واحدا وان تامل في تفاصيل الاجزاء والتشريح يراه كثيرة ولكنه
من حيث انه شخص واحد يراه واحدا لا عدد فيه فكذلك كل ما في الوجود
من الخالق والمخلوق له اعتبارات كثيرة وهو باعتبار ما كثير و باعتبار ما
واحدا من الاعتبارات واحد ومثال الانسان وان كان لا يطابق فينبهك
علي ان الشيء قد يكون باعتبار ما كثيرا وباعتبار ما واحدا والي هذا اشار
الحسين بن منصور رحمهما الله حيث راي الخواص رحمه الله يعبد في الاسفار
فقال فيما ذا انت فقال نعبد في الاسفار لا صح حالي في التوكل فقال الحسين
رحمه الله قد افنيت عمرك في عمران باطنك فاين الفناء في التوحيد فالخواص
في المقام الثالث وهو يدعوه الي المقام الرابع فان قلت فاشرح لنا الحالة
الثالثة ان كنت لا تشرح الرابعة فاقول ذلك بان تعلم ان لا خالق الا الله تعا

وانه لا تتحرك ذرة في السموات والارضين الا باذن الله تعالى وانه لا فقر
ولا غني ولا موت ولا حيوة الا باذن الله وانه مخترع الكل فمن شاهد هذا
واعلم انه لا اله الا هو لهى عما سواه ولم ينظر الى شيء اذ الكل مسخر تحت قدرته
وهذا كما ان الملك اذا وقع بالعفو فلم ينظر الى القلم والكاغد والمداد ولم يشكرها
بل اشتغل بالكاتب وهو الملك فيشكره ومن نظر سوى الله تعالى من الاسباب فهو
كمن نظر الى القلم فيشكره او الكاغد او المداد والموحد الذي ذكرناه هو الذي
ادهشه جمال الملك عن ان يشاهد القلم والمداد بل لا يراه ولا يذكره فان قيل
هذا في الجمادات المسخرة قد فهمته ولكن كيف افهم ذلك الانسان المختار
للجزاء والعفو والاعطاء والمنع وكيف لي باحالة فعله على الاصل فاقول
عندها هذا زلت اقدام الاكثرين الا عباد الله المخلصين الذين شاهدوا بنور
البصاير كون الكاتب مسخرا مضطرا كما شاهد جميع الضعفاء كون القلم في يد
الكاتب مسخرا وان غلط الضعفاء في ذلك كغلط نملة على الكاغد قصر بصره عن
ادراك الكاتب وادراك القلم واحالة الكتبة عليه وهذا نظر الضعفاء
والذين امدهم الله تعالى بتوفيقه وشرح صدورهم بنوره شاهدوا ما فوق
ذلك اذ قد انطق الله تعالى في حقهم كل ذرة في السموات والارض بقدرته التي
انطق بها كل شيء حتى تقديسها وتسبيحها لله تعالى وشهادتها على نفسها بالعجز
بلسان طلق يتكلم بلا صوت ولا حرف ولا يسمعه الذين هم عن السمع

لمعزولون

٢١٨

لمعزولون ولكل ذرة في العالم مع ارباب القلوب مناجاة وذلك من بحر كلام
الله تعالى الذي لا نهاية له كما قال تعالى لو كانت البحر مدادا لكلمات ربي الاية فهي ابدا
تناجي ارباب القلوب باسرار الملكوت ولكن افشاء السر لوم بل صدور
الاحرار قبور الاسرار ولو جاز افشاء كل سر لما قال عليه السلام لو تعلمون
ما اعلم لضحكتم قليلا ولبكيتم كثيرا ولما نهي عن افشاء القدر ولما قال
اذا ذكر النجوم فامسكوا واذا ذكر القدر فامسكوا واذا ذكر اصحابي فامسكوا
لما خص حذيفة ببعض اسراره صلى الله عليه وسلم ولكن نورد بعض ما كان
فيه مثلا لعلك تفهمه فيقول بعض الناظرين عن مشكاة نور الله تعالى
للكاغد يقول ما انصفتني في هذه المطالبة فاني ما سودت وجهي ولكن سل
الحبر فانه فعل بي هكذا فقال صدقت فسال الحبر عن ذلك فقال الحبر ما
انصفتني فاني كنت ساكنا في قعر المحبرة ومجموعا في وطني عازما على ان لا ابرح
فاعتدى علي القلم واختطفني من وطني وفرق جمعي وبددني ونزل بسا حة
وجهي بيضاء كما ترى فالسؤال عليه لا علي قال صدقت ثم سال القلم عن
السبب في ظلمه وعدوانه وتسويد وجهه واخراج الحبر عن اوطانه فقال القلم
سل اليد والاصابع واني كنت قصبا نابتا على شط الانهار متنزها
بين خضرة الاشجار فجاءتني اليد بسكين واقطعتني ونحت عني قشري
وفرق انابيبي ثم براني وشق راسي وغمسني في سواد الحبر وهو هذا

مطلب الكاغد والمركب

يستخدمني ويمشيني على قمة راسي فسئلت اليد عن ظلمها على القلم
فقالت ما انا الا لحم ودم وعصب وعظم وهل رايت جسما
يتحرك بنفسه وانما انا مركب مسخر ركبني فارس يقال له القدرة
والقوة فهي التي تردني وتحول بي في نواحي الارض اما ترى
ايدي الموتى مساوية لي في الصورة ثم هي تتحرك بنفسها ولا معاملة
بين القدرة وبين القلم قال ايضا من حيث انه لا معاملة بيني وبين القلم
فسال القدرة والقوة عن شاني فقال صدقت ثم سال القدرة عن شانها
في استعمال اليد واستخدامها فقالت دع عنك لومي ومعاتبتي فكم من ملوم
لا ذنب له فكيف خفي عليك امري وكيف ظننت بي الظلم ولقد كنت راكبا
اياه قبل التحريك وما كنت احركه ولا اسخره بل كنت ساكنا ظن الظانون
اني ميت او معدوم لاني كنت لا اتحرك ولا احرك حتى جاءني موكل واعجزني
وارهقني الى ما تراه مني يقال له الارادة هي التي اعجزتني واعجزتني فقال
صدقت ثم قال الارادة ما الذي جراك على هذه القدرة الساكنة المطمئنة
حتى صرفتها الى التحريك فقالت الارادة لا تعجل علي فلعل لي عذرا وانت تلوم
فاني ما انتهضت بنفسي ولكني انهضت بحكم قاهر وقد كنت ساكنة قبل
مجيئه ولكن ورد علي من حضرة القلب رسول العلم على لسان العقل فاني
مسكينة مسخرة تحت قهر العلم والعقل ولا ادري باي سبب سخرت له والزمت

طاعته الزاما لا تبقى لي مع حكمه طاقة في المخالفة فسال العلم عن شاني
فقال صدقت فاقبل على العلم والعقل والقلب مطالبا لهم ومعاتبا اياهم
على استنهاض الارادة وتسخيرها لاستنهاض القدرة فقال العقل اما انا
فسراج ما اشتعلت بنفسي ولكن اشعلت فقال القلب اما انا فلوح ما
انبسطت بنفسي ولكن بسطت وقال العلم اما انا فنقش نقشت في بياض
اللوح الذي هو القلب لما اشرق سراج العقل وما انخططت بنفسي
فكم كان هذا اللوح خاليا عني قبلي فاسال القلم عني فان الخط لا يكون الا
بالقلم فعند هذا انقطع كلام السائل ولم يقنعه جوابه وقال قد طال
تعبي في هذا الطريق وكثرت منازلي ولا يزال يحيلني من طمعت فيه الى غيره
فاما قولك فاني خط ونقش وانما خطني قلم فلست افهم فاني لا اعلم قلما الا من
القصب ولا لوحا الا من الخشب ولا خطا الا بالحبر ولا سراجا الا من النار واني
لاسمع في هذا المنزل حديث اللوح والسراج والخط والقلم ولا اشاهد منه شيئا
اسمع جعجعة ولا ارى طحينا فقال له العلم ان صدقت فيما قلت فبضا عتك
مزجاة وزادك قليل ومركبك ضعيف والمهالك في الطريق الذي توجهت
اليه كثيرة فالصواب لك ان تنصرف وتدع ما انت فيه فان هذا ليس من شانك وان
كنت راغبا في استتمام الطريق الى المقصد فالق سمعك وانت شهيد واعلم ان
العوالم في طريقك هذا ثلاثة الاول عالم الحس والشهادة ولقد كان الكاغد

والجبر والعلم والبد من هذا العالم ولقد جاوزت تلك المنازل على سهولة
والثاني عالم الملكوت فاذا انتهيك الى منازله وفيها المهامة الفسيحة
والجبال الشاهقة والبحار المغرقة ولا يدري احد كيف يسلم فيها والثالث
عالم الجبروت وهو بين عالم الحس والشهادة وبين عالم الملكوت ولقد قطعت
منها ثلاث منازل اذ في اوليها منزل القدرة والارادة والعلم وهو واسطة
بين العالم الحس والشهادة وبين عالم الملكوت لان عالم الحس والشهادة اسهل
منه طريقا وعالم الملكوت اوعر منه منها وانما يكون عالم الجبروت بين عالم
الحس والشهادة وبين عالم الملكوت وعالم الملكوت يشبه السفينة التي تكون
بين الارض والسماء ولا هو في حد سكون الارض وثباتها ولا هو في حد اضطراب
الماء وكل من يمشي على الارض في عالم الحس والشهادة انجاوز بقوته الى ان يقوى
على ركوب السفينة كان كمن يمشي في عالم الجبروت فان انتهى الى ان يمشي على الماء
فانصرف فقد جاوزت الارض وخلفت السفينة ولم يبق الا الماء الصافي واول
عالم الملكوت مشاهدة القلم الذي يكتب به العلم وحصول اليقين الذي يمشي به
على الماء اما سمعت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم في عيسى عليه السلام
لو ازداد يقينا لمشى على الهواء فقال السالك للسايل قد تحيرت في امري وخوفني
من خطر الطريق ولست ادري اطيق قطع هذه المهامة التي وصفتها ام لا فهل
لذلك من علامة فقال نعم افتح بصرك وانظر نحوي فان ظهر القلم الذي به يكتب

في لوح القلب فيشبه ان يكون اهلا لذلك الطريق فان كل من جاوز عالم الجبروت
وقرع اول باب من ابواب الملكوت كوشف بالقلم اذ نزل عليه قوله تعالى اقرأ
وربك الاكرم الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم فقال السالك لقد فتحت
بصري والله ما ارى قصبا ولا خشبا ولا اعلم قلما الا كذلك فقال العلم لقد
ابعدت النجعة اما سمعت لقد فتحت ان متاع البيت يشبه رب البيت اما
علمت ان الله تعالى لا يشبه ذاته الكريمة ساير الذوات وكذلك لا تشبه يده
الايدي ولا قلمه ساير الاقلام ولا كلامه ساير الكلام ولا خطه ساير الخطوط
وهذه امور الهية من عالم الملكوت فليس الله تعالى في ذاته بجسم ولا هو بمكان
بخلاف غيره ولا يده لحم وعظم بخلاف الايدي ولا قلمه من قصب ولا لوحه
من خشب ولا كلامه صوت وحرف ولا خطه رقم ورسم ولا زاج ولا عفص
فان كنت لا تشاهد هذا فما اراك الا مخنثا في التشبيه والتنزيه مذبذبا بين
هذا وذاك ففتح السايل بصره فانكشف له العلم الالهي وانه كما وصفه العلم
بالتنزيه ما هو خشب ولا قصب ولا له راس ولا ذنب وهو يكتب على الدوام
في قلوب البشر كلهم اصناف العلوم وكان له في كل راس قلب ولا راس له فعند هذا
ودع العلم وشكره وقال جزاك الله عني خيرا اذا الان ظهر لي صدق اعانته عن اوصاف
القلم فاني اراه قلما لا كالاقلام وودع العلم وقال طال مقامي عندك وانا عازم
على ان اسافر الى حضرة القلم فاسئاله عن شانه وسافر اليه وقال ما بالك تخط

على الدوام في القلم من العلوم ما تبعث به الارادة الي اشخاص القدرة وصرفها

الى المقدورات فقال لقد نسيت ما رايت في عالم الغيب والشهادة وسمعته من

جواب القلم اذ سالته فاحالك على القلم قال فجوابي مثل جوابه قال وكيف لا تشبهه

قال اما سمعت ان الله تعا خلق آدم على صورته قال نعم قال فاسئلك عن شاني

الملقب بيمين الملك فاني في قبضته وانا مقهور مسخر له فقال ومن يمين الملك

قال القلم اما سمعت قوله تعا والسموات مطويات بيمينه قال نعم وقال والاقلام

ايضا في قبضة يمينه هو الذي يرددها فسافر السالك من عنده الي اليمين حتي

شاهده وراي من عجايبه ما يزيد على عجايب القلم فراي القلم محركا في قبضته وظهر له

عذر القلم فسال اليمين عن شانها وتحريكها القلم فقال جوابي ما سمعته من اليمين

الذي رأيته في عالم الشهادة وهو الحوالة على القدرة اذ اليد لا قدرة ولا حكم لها

في نفسها وانما محركها القدرة لا محالة فسار الى عالم القدرة وراي فيها من العجايب

ما استحقر فيها ما قبله وسالها عن تحريك اليمين فقال انما انا صفة فاسال

القادر اذ العهدة على الموصوفات لا على الصفات وعند هذا كاد ان يزيغ

ويطلق بالجرأة لسان السؤال فيثبت بالقول الثابت ونودي من وراء سرادق

الحضرة المقدسة لا يسال عما يفعل وهم يسالون فغشيته هيبة الحضرة الجليلة

فخر صعقا يضطرب في غشيته ساعة فلما افاق قال سبحانك تبت اليك وتوكلت

عليك فلا اخاف غيرك ولا ارجو سواك ولا اعوذ الا بعفوك من عقابك

وبرضاك

وبرضاك من سخطك واذا عرفت هذا فاعلم ان التوحيد هو العلم بانه

لا فاعل الا الله تعالى وان كل موجود من خلق ورزق وعطاء وتوكل

وقدرة واختيار وارض وسماء وغير ذلك من الموجودات فانه سبحانه

وتعالى انفرد باختراعه وابداعه وانه لا حول ولا قوة الا بالله فان الحول

الحركة والقوة القدرة وهما منه فان قيل ما ذكرتموه في التوحيد ظاهر الا في

الافعال الاختيارية للانسان فانا نعلم بالضرورة اذا شاء حرك اليد واذا

شاء لم يحركها فكيف تكون واقعة بفعل الله تعالى منقطعة عن العبد قلنا

الجبر في الاختيار امر لازم وبيانه ان لفظ الفعل يطلق في الانسان على ثلثة

اوجه احدها يقال خرق الماء اذا وقف عليه وهذا يسمى فعلا طبيعيا اي

ان ذلك كان بطبع الجسم لابتناء على ارادة من العبد والجبر فهذا ظاهر الثاني

يقال تنفس بالرية والحنجرة هذا يسمى فعلا اراديا اي هو بارادة الانسان

والجبر في هذا ايضا ظاهر فان نسبة الحركة الحنجرة والرية لتنفس كنسبة

خرق الماء لنقل الجسم فيما يرجع الا انه لا بد وكما ان خرق الماء ليس اليه فكذلك

الارادة ليست اليه الا يرى ان قرب الي عينه مسلة فانه يطبق الجفن

ولو تكلف ان لا يطبقه لما قدر عليه مع ان ذلك فعل ارادي الثالث

يقال كتب بالاصبع وهذا يسمى فعلا اختياريا اي هو متوقف على

روية الانسان وفكرته فاذا عرف بها الاصلح من الفعل والترك انبعثه

بالارادة انبعاثها في الوجه الثاني والجبر في هذا ظاهر ايضًا فانه لا يفارق
الثاني الا في سرعة الانبعاث ثمة لاجل ظهور وجه الصلاح بعد جهله
علي سرعته لله تعالى ويطوء ههنا لاجل ظهوره اما بعد الظهور فيما سوآء
سميت هذه الارادة اختيارًا مشتقًا من الجبراي هو انبعاث الى ما ظهر
بالعقل والفكر انه جبر ونعني كون العبد مختارًا انه محل الارادة
التي حدثت جبرًا بعد حكم العقل فظهر ان الجبر امر لازم فان قيل تدعون
ان العلم بمصلحة الفعل ولد الارادة والارادة ولدت القدرة والقدرة
ولدت الفعل ام لا والاول توجب الحدوث فعل لا بقدرة الله والثاني
يبطل معقولية الترتيب قلنا نعني به ان وجود كل واحد مشروط بوجود
الاخر والشرط لا يجب ان يكون مولدًا فاندفع الاشكال فان قيل هذا يبطل
نسبة الفعل على العبد والله تعالى صرح نسبته اليه في كتابه العزيز قلنا
نحن نثبت الاضافة اليهما جميعًا فان معني كون الله تعالى فاعلا لفعل العبد
انه هو المخترع للوجد له ومعني كون العبد فاعلا انه محل الذي خلق فيه
الفعل بعد ان خلق فيه القدرة بعد ان خلق فيه الارادة بعد ان خلق
فيه العلم فارتبط الفعل بقدرة الله تعالى ارتباط المعلول بالعلة وارتبط
بقدرة العبد ارتباط المشروط بالشرط ومحل القدرة فيسمى فاعله فلهذا
اضفنا الفعل الى الله تعالى والى العبد ولما راى بعض العلماء ان الاختيار

الحقيقي

الحقيقي ليس الا لله تعالى نسب الفعل اليه ونسب الكسب الى العبد فكان الكسب عنده
رتبة بين الاضطرار المحض والاختيار المحض الا ان واضع اللغة ظن نسبة
الفعل الى الله تعالى مجازًا كنسبة القتل الذي امر به الامير اليه فظن ان نسبة
الفعل الى العبد حقيقة كنسبة القتل الى الجلاد وذو البصاير عكسوا
الامر واذا عرفت ما ذكرناه تحققت حقيقة قوله تعالى وما رميت اذ رميت
ولكن الله رمى وربما افضى الى ان يحصل لك التوحيد والفناء حتى لا ترى
الا الواحد القهار ويضمحل ما سواه حتى نفسك وهذا هو الذي تسميه الصو فية
الفناء واليه الاشارة بقوله عليه السلام في سجوده لما قيل له واسجد واقترب
اعوذ بعفوك من عقابك واعوذ برضاك من سخطك واعوذ بك منك لا
احصي ثناءً عليك انت كما اثنيت على نفسك فان قلت منا لناس من قال
بالجبر المحض وبالاختراع المحض وبالواسطة بينهما وهو الكسب فهل يجزم بخطاء
كل فريق من كل وجه قلت لا بل كل منهم مصيب من وجه وقاصر من وجه والحق
الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه وهو ما قدمناه فان قلت
هذه المذاهب كالمتناقضة وترى كل فريق منهم يجزم بخطاء صاحبه وكيف
يكون كل واحد مصيبًا من قصوره وتخطية صاحبه اياه وهل له من مثال
يوصل ما تقولونه انتم الى الافهام قلنا نعم له مثال واضح وهو ان جماعة من
العميان سمعوا انه قد دخل الى البلدة حيوان عجيب الصورة يسمي فيلًا وما

كانوا

قد شاهدوا صورته ولا سمعوا باسمه فقالوا لابد لنا من مشاهدته
ومعرفته باللمس الذي نقدر عليه فطلبوه فلما وصلوا اليه لمسوه فوقع
يد بعضهم على رجله ويد بعضهم على نابه فقالوا قد عرفناه فلما انصرفوا
سالهم بقية العميان فاختلفت اجوبتهم فقال لامس رجله مثل اسطوانة
وقال لامس نابه ليس هو كما تقول بل هو مثل جذع معترض من شجر وقال لامس
اذنه بل هو مثل جلد عريض فكل واحد من هؤلاء صدق من وجه اذ اخبر
كل واحد اما اصابته يده ولكنهم بجملتهم قصروا عن الاحاطة بكنه صورة
الفيل فاستبصر بهذا المثال واعتبر به فانه مثال لكثر ما اختلف فيه
الناس واذا عرفت ما ذكرناه من التحقيق في ترتيب الاسباب والمسببات
فذلك هو التوحيد المثمر للتوكل الا ان التوكل على ثلث درجات احديها
ان يتوكل على نعت وكل الموكل عليه وكيله الثاني ان يكون على نعت اعتماد
الصبي على امه فيكون فيكون فانيا عن توكله بخلاف المرتبة التي قبلها
الثالث ان يكون في حركاته وسكناته بين يدي الله تعالى كالميت بين
يدي الغاسل وهذا المقام يثمر ترك الدعاء والالتماس اتكالا على كرمه
العام الا ان هذه الدرجة عشر الوجود وعليه يحمل ما روي عن سليمان
الداراني رحمة الله عليه انه قال لي من كل مقام نصيب الا من هذا المقام
فاني ما شممت منه رايحة الباب الثاني في اعمال المتوكلين

اعلم ان سعي

اعلم ان سعي العبد اما ان يكون بجلب نافع او حفظه او دفع ضار
متوقع او رفعه فهذه اربعة فنون الفن الاول في جلب النافع والا (سبب)
التي بها يجلب النافع على درجات الاولى ما يفضي مجرى العادة كالاكل مع
الشبع والزرع مع الربيع وليس التوكل فيها بترك السبب كترك الاكل
والزرع والاعتماد في حصول الشبع والربع على الله تعالى فان ذلك جنون
بل التوكل ان ياكل ويزرع ويكون الاعتماد مع ذلك على فضل الله تعالى لا على اليد
والفم والبذر الثانية ما يفضي غالبا كاستصحاب الزاد في البوادي وهذا ايضا
لا يقدح في التوكل بل هو سنة الاولين نعم ترك استصحابه جايز ايضا عند
استجماع امرين احدهما ان يكون قد راض نفسه بحيث يصبر عن الطعام ما
يقارب الاسبوع من غير تشويش خاطر روي ان ابا تراب النخشبي نظر الى صوفي
رحمهما الله قد مد يده الى قشر بطيخ لياكله بعد ثلثة ايام فقال له لا يصلح لك
التصوف الزم السوق وقال ابو علي الروذباري رحمه الله اذا قال الفقير بعد خمسة
ايام اني جايع فالزموه السوق ومروه بالكسب والعمل الثاني ان يقدر على التقوت
بالحشيش فانه لا يخلو البرية في كل اسبوع عن حشيش او شخص يلقاه
بعينه على قوته وعلى هذا يحمل ما روي عن الخواص وغيره من ركوب البر (ري)
بلا زاد يدل عليه ان الخواص رحمة الله عليه كان يحمل معه الابرة والمقراض
والركوة فكيف يهمل قوته واما المقيم في بلد فاضل الزاد لا يقدح في اتكاله

اذا كان اعتماده على الله تعا وعلامة التكال ان لا يضيق صدره بخسارة
ولا يعطل عن حرفة الثالثة ما لا يتوثق به لدقايق التدبيرات في
تحصيل الاموال كما يفعله غالب الناس وهذا يقدح في الاتكال والي
ذلك اشار سهل بقوله التوكل ترك التدبير وبالجملة فلا بد من دفع
الضرورة ثم بعد ذلك الاشتغال بالعبادة وقل من تبتل للعبادة فعا نه
قوت فان الطاف الله تعالي خفية والرزق مقسوم **قال** عيسي صلوات
الله عليه انظروا الي الطير لا تزرع ولا تحصد ولا تدخر والله سبحانه وتعا
يرزقها يومًا بيوم **وقال** امام مسجد لبعض الصالحين من اين تاكل فقال
يا شيخ اصبر حتي اعيد الصلوة التي صليتها فاعادها فقال له الامام لم
اعدت الصلوة فقال لانك لم تعلم رازقي اما علمت ان الله هو الرزاق يرزق
الكافرين الا يرزق المومنين ومن اعتبر بالجنين والطفل في رزقه كفاه
ولقد احسن الشاعر حيث قال جرى قلم القضاء بما يكون ∘ فسيان التحرك
والسكون ∘ جنون منك ان تسعي لرزق ∘ ويرزق في غشاوته الجنين ∘
ودخل جماعة على الجنيد رحمة الله عليه فقالوا نطلب الرزق فقال
ان علمتم في اي موضع هو فاطلبوه قالوا نسال الله ذلك فقال ان علمتم
انه ينساكم فذكروه فقالوا ندخل البيت ونتوكل وننتظر ما يكون فقال
التوكل على التجربة شك فقالوا فما الحيلة قال ترك الحيلة **روي** ان ابرهيم

مطلب مهم

بن ادهم رحمة الله عليه قال رايت راهبًا فقلت له من اين تاكل قال ليس هذا
العلم عندي ولكن سل ربي من اين يطعمني **وقال** بعضهم العبيد كلهم في رز ق
الله تعا بعضهم ياكل بذل السوال وبعضهم بتعب وانتظار كالتجار وبعضهم
باستهان كالصناع وبعضهم بعز كالصوفية يشهدون العزيز فياخذون
رزقهم من يده ولا يرون الواسطة وقال وهيب بن الورد لو كانت السما نحا سًا
والارض رصاصًا واهمت برزقي لظننت اني مشرك **وروي** ان حذيفة
المرتعش كان خدم ابرهيم ابن ادهم رحمهما الله فقيل له ما اعجب ما رايت منه
فقال كنا في طريق مكة اياما ثم دخلنا الكوفة فاوينا الي مسجد قد خرب فنظر الي
ابرهيم فقال يا حذيفة اري بك الجوع فسكت فقال علي بدواة وقرطاس
فجئت به فكتب بسم الله الرحمن الرحيم انا حامد انا شاكر انا ذاكر انا جايع
انا نايع انا عاري هي ستة وانا الضمين لنصفها فكن الضمين لنصفها يا با ري
مدحي لغيرك لهب نار خضتها فاجر عبيدك من دخول النار ثم دفع الي
الرقعة وقال اخرج ولا تعلق قلبك بغير الله تعا وادفع الرقعة الي اول
من يلقاك فاول من لقيني كان رجلا على بغلة فناولته الرقعة فاخذها
فلما قراها بكي وقال اين صاحب هذه الرقعة قلت هو في المسجد الفلاني فدفع
الي صرة فيها ستمائة دينار ثم لقيت آخر فسالته من صاحب البغلة فقال
نصراني فجيت الي ابراهيم فاخبرته بالقصة فقال لا تمسه الساعة فانه يجي

مطلب اهم

الساعة فلما كان بعد ساعة دخل النصراني فانكب على رأس ابراهيم يقبله واسلم **وروي** ان رجلا لازم باب عمر رضي الله عنه فقال له اذهب فتعلم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب الرجل وغاب حتى افتقده عمر رضي الله عنه فاذا هو قد اعتزل واشتغل بالعبادة فقال عمر قد اشتقت اليك فما الذي شغلك عني فقال اني قرأت القرآن فاغناني عن عمر وآله فقال رحمك الله فما وجدت فيه فقال وفي السماء رزقكم وما توعدون فقلت رزقي في السماء وانا اطلبه في الارض فبكى عمر رضي الله عنه وكان بعد ذلك يأتيه ويجلس اليه **وقال** ابو حمزة الخرساني رحمه الله حججت سنة من السنين فبينما انا امشي في الطريق اذ وقعت في بئر فنازعتني نفسي ان استغيث ثم قلت والله لا استغيث الى مخلوق ثم مر براس البئر رجلان فقال احدهما للآخر تعال حتى نسد راس هذا البئر كيلا يقع فيها احد فاتوا بخشب وقصب وطموا راس البئر فهممت ان اصيح ثم قلت في نفسي اصيح لمن هو اقرب منهما فسكت انا بعد ساعة اذا انا بشيء جاء وكشف راس البئر ودلى رجله وكانه يقول لي تعلق بي فتعلقت به فاخرجني فاذا هو سبع فمر وهتف بي هاتف يا ابا حمزة اليس هذا احسن نجيناك من التلف بالتلف وراس المتوكلين هو الخليل صلوات الله عليه لما وضع في المنجنيق قال حسبي الله ونعم الوكيل وكانت من الدعاوي العظام فامتحن بجبريل عليه السلام في الهوى

مطلب حمزة الخرساني

مطلب ابراهيم عليه السلام

قال يا ابراهيم الك حاجة فقال اما اليك فلا وكان ذلك وفاء بمقتضى قوله حسبي الله ونعم الوكيل وهو ابن سبع سنين **الفن الثاني** في حفظ النافع وله ثلث درجات اعلاها ان يأخذ ما ينتفع به في الحال ويتصدق بالباقي ولا يدخره ليصرفه الى من يحتاج اليه الثانية وهي ادناها ان يدخر لنفسه ما يكفيه لسنة ولعياله وهذا يخرج به عن التوكل وان كان له عيال لم يخرج وعياله كبدنه الا في شيء واحد وهو ان يكلف نفسه على الصبر على الجوع وليس له ذلك في عياله الثالثة ان يدخر لنفسه ما يكفيه اربعين يوما وقد اختلفوا فيه والمختار انه يختلف باختلاف الاحوال فقد كان اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم يدخرون ما يكفي لعيالهم سنة ونهى ام ايمن ان تدخر شيئا لغد ونهى بلالا رضي الله عنه ان يدخر كسرة خبز ليفطر عليها وخلف اصحاب الصفة رضي الله عنهم دينارين فقال صلى الله عليه وسلم كيتان وقد كان غيرهم يخلفون اموالا ويخلفونها ولا يقول في حقهم شيئا **الفن الثالث** في دفع الضار المتوقع والاسباب التي بها دفع الضار على ثلث درجات الاولى ما يفضي قطعا بمجرى العادة كالهروب من الجدار المايل والسبع الضاري وتركه حرام والثانية ما يفضي في الغالب و مباشرته لا يقدح في التوكل قال الله تعالى واعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل وقال عليه السلام للاعرابي الذي اهمل بعيره وقال توكلت على الله اعقل وتوكل واختفى النبي صلى الله عليه وسلم في الغار من اعين الناس الاعداء

والثالثة ما يفضي على وجه لا يوثق به ومباشرة قادحة وللمتوكل اداب
في متاع بيته اذا خرج ان يغلق بابه ولكن لا يبالغ في كثرة الاغلاق ونحوه
الثاني ان لا يترك في بيته ما عرض عليه فيكون موقعا لغيره السرقة الثالث
ان لا يحزن اذا سرق له شيء فان قال هو سبيل الله لم يزل عنه ملكه ولكن
الورع ان لا ياخذه اذا وجد كما فعل ابن عمر رضي الله عنهما حين سرقت ناقته
وهكذا اذا خرج رغيفا مثلا ليعطيه سايله فغاب فكره ان يرده الى
البيت فيعطيه فقيرا اخر فكذلك ينبغي ان يفعل في الدراهم وساير الصدقات
الرابع ان يحلل السارق ويكون له نيتان احدهما ان يستغني به فلا يسرق
ثانيا الثانية ان لا يسرق مال مسلم اخر الخامس ان لا يدعوا على السارق
وفي الخبر ان العبد ليظلم مظلمة فلا يزال يشتم من ظلمه ويسبه حتى يكون مقدار
ما ظلمه ثم يبقى المظالم عليه مطالبة بازاء ما يقتص له من المظلوم السادس
ان يغتم لعصيان السارق لله تعالى **الفن الرابع** في دفع الضار الواقع
كمداواة الامراض واسبابه ايضا على ثلث درجات احديها ما يفضي قطعا
مجرى العادة كشرب الماء مع دفع العطش وتركه حرام عند خوف الهلاك
الثانية ما يفضي في الغالب كالفصد والحجامة وشرب المسهل وفعله لا يقدح
في التوكل بخلاف الموهوم وتركه ليس بمحظور بخلاف المقطوع الثالثة ما يفضي
على وجه لا يوثق به كالكي والرقي ومباشرته قادحة في التوكل واعلم

انه ورد في التداوي ما يدل على افضلية فعله قال عليه السلام ما من
داء الا وله دواء عرفه من عرفه وجهله من جهله الا الموت وفي الحديث انه
كان يكتحل كل ليلة ويحتجم كل شهر ويشرب الدواء كل سنة واوحى الله تعالى
الى موسى عليه السلام وقد امتنع من التداوي بما وصفوه له وعزتي وجلالي
لا ابرأتك حتى تداوي بما ذكروه لك فتداوى فبرئ فاوجس في نفسه من
ذلك فاوحى الله تعالى اليه اردت ان تبطل حكمتي بتوكلك علي وروي ان بعض
الانبياء عليهم السلام شكى الضعف فاوحى الله تعالى اليه كل اللحم باللبن فان
فيهما قوة قيل هو الضعف عن الجماع وروي ان قوما شكوا الى نبيهم قبح اولادهم
فاوحى الله تعالى اليه ان يطعموا نساءهم الحبالى السفرجل فانه يحسن الولد
ويفعل ذلك في الشهر الثالث والرابع اذ فيه يصور الله تعالى الولد وبالجملة
فكما ان الله تعالى سخر الخبز للشبع سهل السقمونيا للاسهال الا ان ذلك يعرفه
عامة الناس وهذا يعرفه الخواص واي فرق بين اخراج المهلك من الامعاء وبين
اخراج العقرب من الثياب فلا يضر المتوكل استعمال الدواء مع النظر الى مسبب
الاسباب دون الطبيب والدواء فان قيل فقد ترك التداوي جمع من الكبار
كابي بكر الصديق رضي الله عنه وابي الدرداء وابي ذر وعمر بن عبد العزيز
رضي الله عنهم فما السبب في ذلك قلنا تركهم كان لتحقق احد الاسباب احدها
ان يكون المريض كوشف بانه لا يبرأ وعليه يحمل ما قاله الصديق رضي الله عنه

الطبيب قد نظر الي وقد قال اني فعال لما اريد حين قالوا له في مرضه ما تشتكي
قال ذنوبي قالوا فما تشتهي قال مغفرة ربي قالوا الا ندعوا لك طبيبا
امرضني وقال سهل رحمه الله علل الاجسام رحمة وعلل القلوب عقوبة
الثاني ان يقصد استبقاء المرض صبرا على بلاء الله تعالى للثواب وفي الخبر
ان حمى يوم كفارة سنة قيل لانها تهد قوة سنة وقيل للانسان ثلث
مائة وستون مفصلا فتدخل الحمى في جميعها فيجد لكل واحد الما فيكون
كل الم كفارة ليوم ولما سمع زيد بن ثابت رضي الله كفارة الذنوب
بالحمى سأل الله تعالى ان لا يزال محموما فلم تكن تفارقه الحمى وكذا جماعة من
من الانصار رضي الله عنهم وهو ان الحمى اتت الى النبي صلى الله عليه وسلم مطلب الحمى
في صورة جارية سوداء فقال لها من انت فقالت انا ام ملدم انشف
الدم واكل اللحم واصفر الوجه وادق العظم قال اقصدي الانصار فان
لهم حقوقا فحم الانصار عن آخرهم فعادهم رسول الله صلى الله عليه وسلم
وقال لهم ابشروا فانها كفارة وطهور فقالوا ادع لنا ان يديمها علينا
اياما فاثنى الله تعالى عليهم وقال رجال يحبون ان يتطهروا الثالث ان
يستشعر من نفسه مبادي البطر والطغيان وطول الامل فيترك معالجة
المرض خوفا من معاودة ذلك وروي ان الله تعالى يقول الفقر سجني والمرض
قيدي احبس به من احب من خلقي وقال بعض العارفين انما قال مطلب فرعون

فرعون اللعين انا ربكم الاعلى لطول العافية لانه لبث اربعمائة سنة لم
يتصدع له راس فادعى الربوبية ولو اخذته الشقيقة كل يوم لشغلته
عن الفضول فضلا عن دعوى الربوبية وترك عليه السلام التزويج
بامراة لانها مرضت وطلق عمار بن ياسر رضي الله عنه امراته كذلك
وذكر عليه السلام الامراض والاوجاع كالصداع فقال رجل ما اعرفه فقال
عليه السلام اليك عني من اراد ان ينظر الى رجل من اهل النار فلينظر الى هذا و
قد ورد في الخبر واعلم ان كتمان المرض كنز من كنوز البر لان اظهاره شكوى ولذلك
كان احدهم اذا مرض اغلق عليه الباب حتى يبرأ منهم الفضيل ووهب وبشر
رحمهم الله وفي الخبر اذا مرض العبد امر الله الى الملكين انظروا الى عبدي ما يقول
لعواده ويجوز اظهار المرض على نية ان يظهر عجزه وافتقاره الى الله تعالى وعليه
يحمل ما روي انه قيل لعلي رضي الله عنه في مرضه كيف انت فقال بشر فنظر بعضهم
بعضا كانهم ينكرون عليه قوله وجاء اعرابي الى النبي صلى الله عليه وسلم
فقال يا رسول الله متى الساعة فقال ما اعددت لها كثرة صلوة ولا صيام
الا اني احب الله ورسوله فقال عليه السلام المرء مع من احب قال ابو موسى
رضي الله عنه قلت يا رسول الله الرجل يحب المصلين ولا يصلي ويحب الصوام
ولا يصوم حتى عدد اشياء فقال عليه السلام هو مع من احب قال انس رضي الله عنه
فما رأيت المسلمين فرحوا بشيء فرحهم بذلك فنظر بعضهم بعضا كانهم كرهوا

ذلك وظنوا انه شكوى فقال أجل على الله والله اعلم

كتاب المحبة والشوق

والأنس والرضى وفيه فصول الفصل الاول في شواهد الشرع في المحبة
وبيان حقيقتها واسبابها اما شواهد الشرع في حب العبد لله تعالى
فقد قال الله عز وجل والذين آمنوا اشد حبا لله وقال يحبهم ويحبونه
وهو دليل على اثبات الحب وقد جعل صلى الله عليه وسلم الحب لله من
شرط الايمان في اخبار كثيرة اذ قال ابو رزين العقيلي رضي الله عنه يا
رسول الله ما الايمان قال ان يكون الله ورسوله احب اليك مما تحبه
وفي حديث آخر لا يؤمن احدكم حتى يكون الله ورسوله احب اليه مما
سواهما وقال احبوا الله لما يغذوكم به من نعمة واحبوني لحب الله
وروى ان رجلا قال يا رسول الله اني احبك فقال استعد للفقر وقال
اي كن مستعد الفقر
اني احب الله قال استعد للبلاء وقال عبد الواحد بن زيد رضي الله
عنه مررت برجل نائم في الثلج فقلت اما تجد برد الثلج فقال من
شغله حب الله لم يجد برد الثلج وقال ابو بكر الصديق رضي الله عنه
من ذاق من خالص محبة الله شغله ذلك عن طلب الدنيا واوحشه
اي يدعو
من جميع البشر وعن سري السقطي رحمة الله عليه قال يدعى الامم يوم
القيمة بانبيائهم فيقال يا امة موسى ويا امة عيسى ويا امة محمد

والمحبين

والمحبين لله تعالى فانهم ينادون يا اولياء الله هلموا الى الله وفي خبر
مشهور ان ابرهيم الخليل صلوات الله عليه قال لملك الموت اذ جاءه ليقبض
روحه هل رايت خليلا يميت خليله فاوحى الله اليه هل رايت حبيبا يلقا
رق حبيبه
فقال يا ملك الموت الآن فاقبض فاعلم ان الموت سبب اللقاء انزع قلبه اليه
ولم يكن له محبوب غيره حتى يلتفت اليه قال يحيى بن معاذ رضي الله عنه
مثقال ذرة من الحب احب الى الله من عبادة سبعين سنة بلا حب وبالجملة
فالامة مجمعة على ان حب الله تعالى فريضة فكيف يفرض ما لا وجود له كما قال بعض
العلماء وانكر امكان المحبة وقال لا معنى لها الا المواظبة على طاعة الله تعالى وانكر الامر
الظاهر وقد ورد في ذلك الايات والاخبار والاثار ما لا يدخل في الحصر هذا
امر ظاهر وانما الغموض في تحقيق معناه فهذا شواهد الشرع في المحبة واما
حقيقتها فهو ان الحب عبارة عن ميل الطبع الى الشيء الملذ اللذيذ واذا تاكد ذلك
الميل وقوي يسمى عشقا والبغض عبارة عن نفرة الطبع عن الشيء المولم المتعب
فاذا تاكد وقوي سمي مقتا فهذا تحقيق معناه واما اسبابها في ان تعلم ان المستحق
للحب بالحقيقة هو الله تعالى لان اسباب المحبة خمسة وقد اجتمعت في حق الله تعالى
احدها ان الانسان لا يخفى انه يحب نفسه يعني ان المحبوب الاول عند كل حي نفسه
وذاته ومعنى حبه لنفسه ان في طبعه ميلا الى دوام وجوده ونفرة عن عدمه
وهلاكه فاذا المحبوب الاول للانسان وجوده وذاته ثم سلامة اعضائه

مطلب فرضية المحبة في الحصر

مطلب معنى العشق

ثم مما الهو عشيرته واصدقاوه والاعضاء محبوبة وسلامتها مطلوبة
لان كمال الوجود ودوامه موقوف عليها والمال محبوب لانه ايضا آلة في دوام
الوجود وكماله وكذا ساير الاسباب فان الانسان يحب هذه الاشياء لا
لاعيانها بل لارتباط حظه في دوام الوجود وكماله بها حتى ليحب ولده
لاجل نفسه لانه يخلفه في الوجود بعد عدمه فيكون في بقاء نسله نوع
بقاء له فلفرط حبه لبقاء نفسه يحب بقاء من هو قايم مقامه وكذلك
حبه لاقاربه وعشيرته يرجع الى حبه لكمال نفسه فانه يرى نفسه كبيرا بهم
قويا بسببهم فان العشيرة والمال والاسباب الخارجة كاجناح المكمل للانسان
وكمال الوجود ودوامه محبوبه بالطبع وهذا مما يوجب الله تعالى اذ به دوام
وجوده وقوام ذاته والى هذا اشار الحسن رضي الله عنه بقوله من عرف
الله احبه فالعجب ممن يهرب من حر الشمس الى ظل شجرة ويحب الظل ولا يحب
الشجرة التي تكون قوام الظل بها الثاني الاحسان فان الانسان عبد الاحسان
وقد جبلت القلوب على حب من احسن اليها وبغض من اساء اليها واليه الاشارة
بقوله عليه السلام لا تجعل لفاجر علي يدا فيحبه قلبي وهذا مما يوجب حب
الله تعالى في الحقيقة الا هو كما اشار اليه قوله تعالى وان تعدوا نعمة الله لا تحصوها
وقد بينا على ذلك في كتاب الشكر الثالث المحسن فانه يحبه وان لم يصله
منه نفع بل بمجرد كونه محسنا الى نوعه وهذا مما يوجب حب الله تعالى لما

سبق الرابع الجمال والحسن وهذا مما يوجب حب الله تعالى لانه ليس الجمال والكمال
المطلق الا الله تعالى فاذا ثبت ان الله تعالى جميل فكان لا محالة محبوبا عند من انكشف
جماله وجلاله واعلم ان حب الشيء لذاته لا لحظ ينال منه وراء ذاته الكريمة
بل يكون ذاته الكريمة عين حظه وهذا هو الحب الحقيقي لحب الجمال والحسن فان الجمال
محبوب لذاته ولا تنظف ان حب الصور الجميلة لا يتصور الا لاجل قضاء الشهوة
فان قضاء الشهوة لذة اخرى وقد تحب الصورة الجميلة لاجلها وعلى هذا الطبيب
الذي يكون سببا للصحة فيفرق بين حب الصحة وبين حب الطبيب الذي هو سبب
الصحة اذ الصحة مطلوبة لذاتها فالطبيب محبوب لا لذاته بل لانه سبب الصحة
وكذلك العلم محبوب لذاته والاستاد محبوب لكونه سببا للعلم المحبوب وكذلك
الطعام والشراب محبوب والدراهم محبوبة لكن الطعام محبوب لذاته والدراهم
محبوبة لانها وسيلة الى الطعام فاذا يرجع الفرق الى تفاوت الوتية والافكل
واحد يرجع الى محبة الانسان نفسه فكان من احب المحسن لاحسانه فما احب
ذاته تحقيقا بل احب احسانه وهو فعل من افعاله لو زال زال الحب مع بقاء
ذاته الخامس المناسبة الخفية بين المحب والمحبوب اذ رب شخص يحب شخصا
وان لم يكن جميل الصورة ولا لاليه سابقة لكن بمجرد تناسب الارواح كما
قال صلى الله عليه وسلم الارواح جنود مجندة فما تعارف منها ايتلف
وما تناكر منها اختلف والتعارف هو التناسب والتناكر هو التباين وهذا

السبب ايضا يقتضي حب الله تعا فمناسبة باطنه لا يرجع الي المشابهة
في الصور والاشكال بل الي معاني باطنه ولا شك ان الادمي اختص بسر
باطن ليس كما في الحيوانات علي ما اشار اليه قوله تعالي قل الروح من امر ربي
وهذا السر هو الذي اضل قوما حتي قال بالحلول وبعضهم بالاتحاد فاذا
رجع الحب الي خمسة وهو حب الانسان وجود نفسه وبقائه وحبه
من احسن اليه وحبه من كان محسنا في نفسه وحبه لكل ما هو جميل
في ذاته وحبه لمن بينه مناسبة خفية في الباطن فلو اجتمعت هذه
الاسباب في شخص واحد لتضاعف الحب لا محالة فان كانت هذه الصفات
في اقصي درجات الكمال كان الحب لا محالة في اعلى الدرجات فليس هذه الاسباب
لا يتصور اجتماعها وكمالها الا في حق الله تعالي ولا يستحق المحبة بالحقيقة
الا الله تعا **الفصل الثاني** في بيان ان اجل اللذات في الدنيا معرفة الله
تعا وان معرفته في الاخرة الذ وبيان السبب في قصور الافهام عن معرفة
الله تعا اعلم ان سبب قصور الخلق عن المعرفة امران احدهما اشتغالهم بحب
الدنيا والثاني ظهور الدلايل مع ضعفنا فان كل موجود في الارض والسماء
بل في العالم شاهد بلسان حاله على وجود الله تعا ووحدانيته وقدرته
وعلمه ولطفه وحكمته وهذا كما ان الخفاش ينظر بالليل ولا ينظر بالنهار
واستنارة الليل بل شدة ظهور النهار فان نظر الخفافيش ضعيف يبهره

نور الشمس

نور الشمس اذا اشرق فسبحان من احتجب باشراق نوره فاختفي عن الابصار
والبصاير بظهوره ولا الغناء بهذه المحدثات وفرضنا ان شخصا ولد
اعمي وبلغ ثم ابصر المصنوعات دفعة واحدة لا ينبهر من كثرة الدلالة الواضحة
ونحن في معرفة الله تعا كالمدهوش الذي يضرب به المثل اذا كان راكبا
لحمار وهو يطلب الحمار ولا يتعجب من اختفاء ذلك بسبب الظهور فان الاشياء
يستبان باضدادها ومثاله نور الشمس المشرق علي الارض فانا نعلم انه
عرض من الاعراض يحدث في الارض ويزول عند غيبوبة الشمس فلو كانت
الشمس دايمة الاشراق لا غروب لها لكنا نظن لا هيئة في الاجسام الا
لوانها وهي السواد والبياض وغيرهما فانا لا نشاهد في السواد وفي البياض
الا البياض فاما الضوء فلا ندركه وحده ولكن لما غابت الشمس واظلمت
المواضع ادركنا تفرقة الحالين فعلمنا ان الاجسام قد استضاءت بضوء
واتصفت بصفة فارقتها عند الغروب فعرفنا وجود النور بعدمه
وما كنا نطلع عليه لولا عدمه الا بعسر شديد وذلك لمشاهدتنا الا — جسام
مشابهة غير مختلفة في الظلام والنور هذا مع ان النور اظهر المحسوسات
اذ به يدرك ساير المحسوسات فهو ظاهر في نفسه ومظهر لغيره انظر كيف
يتصور استبهام امره بسبب ظهوره لولا طريان ضده فالله تعا هو
اظهر الامور وبه ظهرت الاشياء كلها ولو كان له عدم او غيبة او — تغير

لانهدمت السموات والارض وبطل الملك والملكوت وحقيق بان نقول

شعر لقد ظهرت فما تخفي على احد ٥ الا على اكمه لا يعرف القمرا ٥ لكن بطنت

بما اظهرت محتجبا ٥ وكيف يعرف من بالعرف استترا ٥ فهذا هو السبب

في تصور الافهام عن المعرفة واما بيان ان اجل اللذات لذة المعرفة اعلم

ان الانسان يشتمل على حواس وقوى ولكل قوة غريزة لذة ولذتها في نيلها

لمقتضى طبعها التي خلقت له فان هذه القوى ما ركبت في الانسان عبثا

ولا هزلا بل خلقت كل قوة غريزة لامر من الامور هي مقتضاها بالطبع فغريزة

الغضب خلقت للتشفي والانتقام فلا جرم لذتها الغلبة والانتقام الذي

هو مقتضى طبعها وكذلك لذة السمع والبصر والشم في الابصار والاسماع

فلا يخلوا غريزة من هذه الغرايز عن الم ولذة بالاضافة الى مدركاتها

فكذلك في القلب غريزة تسمى النور الالهي وبها يتميز الانسان عن البهايم

خلقت لدرك حقايق الامور فمقتضى طبعها المعرفة والعلم ولما كانت هذه

الغريزة اشرف ما في الانسان كانت اللذة التي ادركها الذ الاشياء فاذا العلم

اشرف الاشياء ثم شرف العلم بشرف المعلوم ولا شيء اشرف من الله تعالى

وصفاته وافعاله فلا علم اشرف العلم بذلك فلا لذة اجل منها ومثال

اطوار الخلق في لذاتهم ما نذكره وهو ان الصبي في اول حركته وتمييزه تظهر

فيه غريزة بها يستلذ في اللعب واللهو حتى يكون ذلك عنده الذ من ساير

او خلقه

الاشياء

الاشياء ثم تظهر بعد ذلك لذة الزينة ولبس الثياب ويستحقر معها اللعب

ثم تظهر بعد ذلك لذة الوقاع وشهوة النساء فيترك بها جميع ما قبلها

ثم تظهر لذة الرياسة والعلو والتكاثر وهي اخر لذات الدنيا واغلبها وكذلك

قال تعالى اعلموا انما الحيوة الدنيا لعب ولهو وزينة الاية ثم بعد هذا تظهر غريزة

اخرى يدرك بها معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وافعاله فيستحقر معها

جميع ما قبلها وهذا يكون عند الاربعين وكما ان الصبي يضحك على من ترك

اللعب ويشتغل بملاعبة النساء وطلب الرياسة فكذلك الرؤساء يضحكون

على من ترك الرياسة ويشتغل بمعرفة الله تعالى والعارفون يقولون لمن دونهم

ان تسخروا منا فانا نسخر منكم كما تسخرون ولما سيل الثوري رابعة رحمهما

الله عن محبتها وحقيقة ايمانها قالت ما عبدته خوفا لناره ولا رجاء

لجنته فاكون كالاجير السوء بل عبدته حبا وشوقا لهذا قال بعضهم

هجره اعظم من ناره ووصله اطيب من جنته وعن علي بن الموفق قال

رايت في النوم كاني دخلت الجنة فرايت رجلا في الجنة شخص بصره ينظر

الى الله تعالى فقلت لرضوان من هذا فقال معروف الكرخي عبد الله لا خوفا

من ناره ولا شوقا الى جنته بل حبا له فاباحه الله النظر اليه فبالجملة

من عرف الله تعالى عرف ان اللذات المقترنة بالشهوات المختلفة كلها تنطوي

تحت هذه اللذة والعبارة عن تلك اللذة ان يقال فلا تعلم نفس ما اخفي لهم

مطلب انواع اللذات

مطلب المعروف الكرخي رحمه الله

من قرة اعين وانه اعد لهم ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على
قلب بشر ثم ان المعرفة لا تكمل في الدنيا لمكان الشواغل البدنية فاذا زالت
الشواغل تمت المعرفة فزادت بسبب ذلك اللذة وذلك التمام زيادة بسبب (لاجل)
كشف نسبته الى تجليه بناءً على رؤية سابقة وهذا هو معنى الرؤية
لله تعالى في الآخرة واليه الاشارة بقوله تعالى يسعى نورهم بين ايديهم وبايمانهم
يقولون ربنا اتمم لنا نورنا اذ تمام النور لا يؤثر الا في زيادة كشف ولهذا
المعنى لم يصحح العارفون رؤية النبي عليه السلام لله تعالى في الدنيا وحملوا قوله
تعالى لا تدركه الابصار وقوله تعالى لموسى عليه السلام لن تراني على الرؤية
في الدنيا الآن بذر الرؤية في الآخرة المعرفة في الدنيا فانها تنقلب مشاهدة
في الجنة كما تنقلب النواة نخلة والحبة سنبلة فمن لا نواة له ولا حبة له لا
نخلة له ولا سنبلة ولا يكفي مجرد المعرفة في الدنيا بل ترك الشهوات وتصفية
القلب فالمنهمك في الشهوات الدنياوية تبقى في مرآة قلبه صدى بعد الموت ليحتاج
الى العرض على النار لازالته ويختلف ذلك في الكثرة والقلة الى ان يتجلى ومن ليست
له معرفة في الدنيا تفسد حديد مرآة قلبه وهو الطبع والرين فان قلت
محل هذه الرؤية العين ام القلب قلنا قد اختلف العلماء في ذلك والعاقل يأكل
البقل ولا يسال عن المبقلة ويحبه ويشتاق اليه ويقول كما قال بعضهم
شعر كانت لقلبي اهواء مفرقة ۝ فاجتمعت اذ راتك العين اهوائي ۝ فصار

يحسدني

يحسدني من كنت احسده ۝ وصرت مولى الورى اذ صرت مولائي ۝ تركت للناس
دنياهم ودينهم شغلا بذكرك يا ديني ودنيائي

الفصل الثالث

في معنى حب الله تعالى للعبد وحب العبد لله تعالى وعلامة المحبة اعلم ان
شواهد القرآن الكريم متظاهرة على ان الله تعالى يحب عبده فلا بد من معرفة
معناه ولنقدم شواهد الشرع على معنى محبته فقد قال تعالى يحبهم ويحبونه وقال
عز وجل ان الله يحب التوابين ويحب المتطهرين وقال تعالى والله يحب المحسنين (مطلب معنى محبة الله للعبد)
وقد روي عن انس بن مالك رضي الله عنه انه قال اذا احب الله عبدا لم يضره
ذنب والتائب من الذنب كمن لا ذنب له فمعناه انه اذا احبه تاب عليه قبل الموت
فلم يضره الذنوب الماضية وان كثرت كما لا يضره الكفر والمعاصي قبل الاسلام
وقال قال الله تعالى لا يزال العبد يتقرب الي النوافل حتى احبه فاذا احببته
كنت سمعه وبصره الحديث فهذه مما ورد من الاخبار على محبة الله تعالى للعبد
واما معنى حب العبد لله تعالى فقد عرفت ان محبة العبد عن ميل قلبه وذلك في
حق الله تعالى محال او حب العبد لله تعالى مأول اما على كشف الحجاب عن قلب العبد
ليعرفه واما على ارادته لذلك بانه اعيد الى الارادة فالمحبة منه تعالى قديمة
وان اعيد الى فعل الكشف فهي حادثة والى هذا وقعت الاشارة بقوله عليه (السلام)
حكاية عن ربه عز وجل لا يزال العبد يتقرب الي بالنوافل اي لا يزال يطهر قلبه
حتى اكشف الحجاب عنه فيعرفني وعلامة حب الله تعالى للعبد ما روي عن النبي

مطلب اعداد علامة حب الله للعبد

صلى الله عليه وسلم انه قال اذا احب الله عبداً جعل له واعظاً من نفسه
وزاجراً من قلبه يأمره وينهاه وقال اذا احب الله عبداً ابتلاه فان
احبه الحب البالغ افتناه قيل وما اقتناوه قال لم يترك له اهلا وما لا
واما حب العبد لله تعالى فله علامات احديها ان لا يكره الموت بل يحبه
فان من احب حبيباً احب لقاءه واما قوله عليه السلام لا يتمنين احدكم الموت
فمحمول على من يتمنى الموت للخلاص من ضرر قضاء الله تعالى عليه نعم يعذر المحب
في كراهة الموت اذا كان في مبداء امره ليتأتي بالطاعات فيكون بمثابة من
احب تاخير لقاء حبيبه ليتهياء له بما يقدمه اليه عند الاجتماع
الثانية ان يوثر ما يحبه الله تعالى على ما يحبه هو وذلك بان يأتي بالطاعات
ويجتنب المعاصي قال ابن المبارك رحمة الله شعر تعصي الاله وانت تظهر حبه
هذا لعمري في الفعال بديع لو كان حبك صادقاً لاطعته ان المحب لمن يحب
مطيع الثالثة حب القرآن وحب النبي صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى
قل ان كنتم تحبون الله فاتبعوني يحببكم الله وقال صلى الله عليه وسلم
احبوا الله لما يغذوكم من النعم واحبوني لحب الله الرابعة ان يكون انسه
بالخلوة والمناجاة اوحى الله الى داود عليه السلام كذب من ادعى محبتي
اذا جنه الليل نام عني اليس كل محب يحب لقاء حبيبه الخامسة ان لا
يتأسف على ما فات مما سوى الله تعالى بل يتذكر قوله تعالى وعسى ان تكرهوا شيأ

مطلب وحي داود

وهو خير لكم وان يكثروا الاستغفار عند الغفلة السادسة ان لا يستثقل
الطاعة بل يستلذها وقال بعضهم العمل على المحبة لا يدخله الفتور وقال
الجنيد رحمه الله عليه علامة المحبة دوام النشاط السابعة ان يكون كما قال
الله تعالى اشداء على الكفار رحماء بينهم الثامنة ان يكون في حبه خايفاً
من الاعراض واشد منه خوف الحجاب واشد منه خوفا الابعاد وهذا الذي
قال سيد المحبين صلى الله عليه وسلم لما سمع قوله تعالى الا بعداً لثمود الا
بعداً لمدين كما بعدت ثمود وسمع ابرهيم بن ادهم رحمة الله عليه في سياحته
قايلاً يقول شعر كل شيء لك مغفور سوى الاعراض عنا قد وهبنا لك
ما فات بقي ما فات منا فاضطرب وغشي عليه ولم يفق يوماً وليلة
التاسعة كتمان الحب تعظيما وهيبة فشان الاقوياء كتمان الحب والضعفا
والعاجزون لا يقدرون على كتمانها العاشرة الرضا على ما يستحضر وبالجملة
فجميع مكارم الاخلاق ثمرة الحب وجميع رذايل الاخلاق ثمرة الهوى و
الشهوة وعلى قدر خلوص المحبة تكون اللذة شعر قوم تخالجهم زهو
بسيدهم والعبد يزهو على مقدار مولاه تاهوا برويته عما سواه له
يا حسن رويتهم في عز ما تاهوا الفصل الرابع في معنى الحب في الله
والبغض في الله اعلم ان الحب للشيء يقع على اربعة اوجه لان ما يحب
فاما ان يحب لذاته لا يتوصل به الى محبوب ومقصود وراءه واما

ان يحب للتوصل به الي مقصود وذلك المقصود اما ان يكون مقصورًا
علي الدنيا وحظوظها واما ان يكون متعلقا بالآخرة او متعلقا بالله
تعالي فهذه اربعة اقسام الاول ان يحبه لذاته على معنى انه يلتذ برؤيته
ومعرفته ومشاهدة اخلاقه وذلك الحب اما لحسن الخلق او لحسن الخلق وهذا
كمال العقل ويتبع حسن الاخلاق حسن الافعال لامحالة ويتبع كمالة العقل غزارة
العلم وكل ذلك مستحسن فمستلذ ومحبوب بل ائتلاف القلوب امر غامض من هذا فانه
قد تستحكم المودة بين شخصين من غير ملاحة في صورة وحسن في خلق وخلق
ولكن لمناسبة باطنة توجب الالفة والموافقة واذ شبه الشيء منجذب اليه
بالطبع والاسباب الباطنة خفية ولها اسباب دقيقة ليس في قوة بشر
الاطلاع عليها وعنه عبر النبي عليه السلام حيث قال الارواح جنود مجندة
فما تعارف منها ائتلف وما تناكر منها اختلف فالتناكر نتيجة التباين والائتلاف
نتيجة التناسب الذي عبر عنه بالتعارف وفي بعض الالفاظ تلتقي فتشام
في الهوي وكني بعض العلماء عن هذا بان قال ان الله تعالي خلق الارواح بعضها
فلق والطافها فوق العرش فكل زوجين من فلقتين تعارفا هناك فالتقيا تواصلا
في الدنيا وقال صلي الله عليه وسلم ان ارواح المومنين يلتقيان علي مسيرة
يوم وما راي احدهما صاحبه قط وروي ان امراة كانت تضحك النساء
بمكة وكانت المدينة اخرى فنزلت المكية علي المدينة فدخلت على عايشة

رضي الله عنها

رضي الله عنها فقالت اين نزلت فذكرت وقالت صدق رسول الله صلي الله
عليه وسلم سمعته يقول الارواح جنود مجندة الحديث وفي الخبر لو ان مومنا
دخل الي مجلس فيه مائة منافق ومومن واحد لجاء حتي يجلس اليه وهذا يدل
على ان شبه الشيء فينجذب اليه بالطبع وان كان لا يشعر به وان اشكال
الناس كاجناس الطيور ولا يتفق نوعان من الطيور في الطيران الا بينهما
مناسبة فراي مالك بن دينار يوما غرابا مع حمامة فتعجب من ذلك وقال
اتفقا وليسا من شكل واحد ثم طارا فاذا هما اعرجان فقال من ههنا اتفقا
فقد ظهر من هذا ان الانسان قد يحب لذاته لا لفايدة تنال منه في حال او
مآل بل هو لمجرد المناسبة والمجانسة في الطباع الباطنة والاخلاق الخفية
ويدخل في هذا القسم الحب للجمال اذا لم يكن المقصود قضاء الشهوة فان
الصورة الجميلة مستلذة في عينها وان فقد اصل الشهوة حتى يستلذ المنظر
الي الفواكه والانوار والازهار والي الماء والخضرة من غير غرض سوي عينها وهذا
الحب لا يدخل فيه الحب لله تعالي بل هو الحب بالطبع وشهوة للنفس ويتصور ذلك
ممن لا يومن بالله تعالي الثاني ان يحبه لينال من ذاته ليتوسل به الي محبوب والوسيلة
الي المحبوب محبوب ولذلك احب الناس الذهب والفضة ولا غرض فيهما اذ لا يطعم
ولا يلبس ولكنهما وسيلة الي المحبوب فمن الناس من يحب كما يحب الذهب والفضة
من حيث انه وسيلة الي المقصود اذ يتوصل به الي نيل جاه او مال او علم كما يحب

ولو ان منافقا دخل الي
مجلس فيه مائة مومن وواحد منافق
لجاء حتي يجلس اليه
صح

الرجل سلطانا لا ينتفع بماله او جاه فالمتوسل اليه وان كان مقصور الفاترين
على الدنيا لم يكن من جملة الحب في الله وان لم يكن مقصور الفايدة على الدنيا ولكن
يقصد به الى الدنيا كحب التلميذ لاستاده فهو ايضا خارج عن الحب لله تعالى فانه
انما يحبه ليحصل منه العلم لنفسه فمحبوبه العلم فاذا كان لا يقصد العلم للتقرب
الى الله تعالى بل ينال به المال والجاه والقبول عند الخلق فمحبوبه الجاه
والقبول والعلم وسيلة اليه والاستاد وسيلة الى العلم فليس في شي من
ذلك حب الله تعالى اذ يتصور كل ذلك ممن لا يومن بالله عز وجل الثالث
ان يحب لا لذاته بل لغيره وذلك الغير ليس راجعا الى حظوظه في الاخرة
فهذا ايضا ظاهر لا غموض فيه وذلك كمن يحب استاده وشيخه لانه
يتوصل به الى تحصيل العلم وتحسين العمل ومقصوده من العلم والعمل الفوز
في الاخرة فهذا من جملة المحبين في الله تعالى بل اذا احب من يخدمه بنفسه
ويغسل ثيابه ويكنس بيته ويطبخ طعامه ويفرغه بذلك للعلم فهو محبه
في الله تعالى وبالجملة فكل ما كان معاونا على امر من امور الاخرة فحبه في الله تعالى
الرابع ان يحبه لمحض حب الله تعالى لا لينال منه علما ولا مالا ولا غيرهما وهذا
اعلى الدرجات وادقها واغمضها وهذا النوع من الحب لا يتصور الا اذا تصور
جميع لذات الدنيا وشهواتها وجميع محاسن اهل الدنيا كما قال الشاعر
يا من يعد محاسن الدنيا في ذاته ۝ وحلاوة الدنيا يذاق بفيه ۝ لا تهلكن جسمي

فانك

جسمي فانك روحه ۝ ولا تحرقن قلبي فانك فيه ۝ وهذا ايضا ممكن فان من
اثار غلبة الحب ان يتعدى من المحبوب وينا سبه ولو من بعد فمن احب انسانا
حبا شديدا احب محب ذلك الانسان واحب محبوبه واحب من يخدمه حتى
احب كلبه وداره وتشهد له التجربة في احوال العشاق كما قال مجنون بن عامر رحمه الله
شعر امر على جدار ديار ليلى ۝ اقبل ذا الجدار وذا الجدارا ۝ وما حب الديار شغفن قلبي
ولكن حب من سكن الديارا وقال آخر اقبل ارضا سار عنها جمالها ۝ واذا قوي
حب الله تعالى في علم او عمل واثر كل من فيه صفة مرضية عند الله تعالى من خلق
حسن وتاذب باداب الشرع وما من مومن محب للاخرة ومحب الله تعالى الا اذا اخبر عن
حال رجلين احدهما عالم عابد والاخر جاهل فاسق الا وجد في نفسه ميلا الى العالم
العابد قريبا كان او بعيدا حيا كان او ميتا مثل الصحابة والتابعين رضي الله عنهم
بحظوظ النفس وقد تكون الحب بحيث يترك به بعض الحظوظ دون بعض كمن
تسامح نفسه بان يشاطر محبوبه في نصف ماله او في ثلثه او في عشره فمقادير الاموال
موازين المحبة اذ لا يعرف درجة المحبوب الا بمحبوب يترك في مقابلته فمن استغرق
الحب جميع قلبه لم يبق له محبوب سواه فلا يمسك لنفسه شيئا مثل ابي بكر الصديق
رضي الله عنه فانه لم يترك لنفسه اهلا ولا مالا فسلم ابنته وبذل جميع ماله
واذا عرفت معنى الحب في الله تعالى عرفت معنى البغض في الله عز وجل فان من
احب شيئا بسبب ابغض لضده لا محالة واظهار البغض لا ينبغي في الله تعالى

تارة يكون بالاعراض عن المبغض وتارة بالسعي فيه اما بالقول او الفعل
واظهار البغض لا ينتهي الي حد الوجوب والبغض تارة يكون نظرًا الي
العقد كالكفر والبدعة وتارة يكون نظرًا الي الفعل ثم الفعل يتعدي ضرره
الي الغير كالظلم وقد لا يتعدي كشربه وحده وهذا امره اخف **الفصل
الخامس** في معني الانس بالله تعالي والانبساط والادلال والرضي والشوق
وحكايات المحبين اعلم ان الانس استبشار للقلب وفرحه بمطالعة الجمال
والشوق وانزعاج القلب الي طلب مطالعة الجمال وهما والخوف من اثار المحبة
الا ان هذه اثار مختلفة تختلف علي المحب بحسب نظره وما يغلب عليه في وقته
فاذا غلب عليه التطلع من وراء حجب الغيب الي منتهي الجمال واستشعر قصوره
عن الاطلاع علي كنه الجلال انبعث القلب الي الطلب وانزعج فيسمي هذه الحالة
في الانزعاج شوقا وهو بالاضافة الي امر غايب واذا غلب عليه الفرح بالقرب
ومشاهدة الحقايق بما هو حاصل من الكشف وكان نظره مقصورًا علي مطالعة
الجمال الحاضر المكشوف فيسمي استبشارا وانسا وان كان نظره الي صفات العز
والاستغناء فيسمي تالمه خوفا فعلم ان معني الانس استبشار القلب وفرحه
بمطالعة الجمال ومن ههنا نظر بعضهم حيث قيل له انت مشتاق فقال لا
انما الشوق الي الغايب فاذا كان الغايب حاضرًا فالي من يشتاق ومن غلبت
عليه حالة الانس لم تكن شهوته الا في الانفراد والخلوة ويكون ضيق

الصدر من معاشرة معني الانس بالله تعالي واما معني الانبساط والادلال
الذي يثمره الانس فهو ان الانس اذا دام وغلب اثمر الادلال والانبساط وهو
في الاقوال والافعال والمناجات مع الله تعالي وقد ينكر في الظاهر لما فيه من
الجراءة وقلة الهيبة ولكنه يحتمل ممن اقيم في مقام الانس ومن لم يقم في ذلك
المقام وتشبه بهم هلك به واشرف علي الكفر ومثاله مناجات برخ الاسود
الذي امر الله كليمه موسي عليه السلام ان يسأله ان يستسقي لبني اسرائيل
بعد ان قحطوا سبع سنين وخرج موسي عليه السلام يستسقي لهم في سبعين
الفا فاوحي الله تعالي اليه كيف استجيب لهم وقد ظلمت عليهم ذنوبهم سرايرهم
خبيثة يدعون علي غير يقين ويامنون مكري ارجع الي عبد من عبادي يقال له
برخ فقل له يخرج حتي استجيب له فسال عنه موسي عليه السلام فلم يعرف فبينما
موسي عليه السلام ذات يوم في طريق اذا بعبد اسود في شملة وبين عينيه
تراب من اثر السجود فعرفه موسي عليه السلام بنور الايمان والنبوة فسلم عليه
فقال له ما اسمك فقال اسمي برخ فقال انت مطلوبنا من حين خرجنا فاستسق لنا
فخرج فقال لما هذا من فعالك وما هذا من حلمك وما الذي بدا لك انفدت رحمتك
ام اشتد غضبك علي عبادك قال فما برح حتي اخضبت بني اسرائيل بالقطر فرجع
برخ فهذا وامثاله يجري لذوي الانس وليس لغيرهم ان يتشبه بهم **وروي**
انه وقع حريق في البصرة فجاء الخواص رحمه الله عليه وجعل يتخطي النار فقالوا

اجزلق

لم انظر لا تحترق بالنار فقال اني اقسمت على ربي ان لا يحرقني بالنار قالوا
فاعزم عليها ان تطفي فعزم عليها فطفئت وروي ان ابا حفص رحمة
الله عليه كان يمشي ذات يوم فاستقبله رستاقي مدهوش فقال له ما
اصابك فقال ضل حماري وما املك غيره قال فوقف ابو حفص وقال وعزتك
وجلالك لا اخطو خطوة ما لم ترد حماره فظهر الحمار في الوقت ومر ابو حفص
والانبساط يقبل من بعض العباد دون بعض الا ترى كيف احتمل من موسى
عليه السلام حيث قال ان هي الا فتنتك تضل بها من تشاء وتهدي من تشاء
واحتمل من عيسى عليه السلام حيث قال والسلام علي ولم يحتمل من يونس عليه السلام
وعاقبه بالحبس في بطن الحوت ونهى نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ان يقتدي به
فقال واصبر لحكم ربك ولا تكن كصاحب الحوت فانظر كيف احتمل لاخوة يوسف
ما فعلوا بيوسف عليهم السلام فغفر لهم وعفى عنهم ولم يحتمل من عزير مسئلة
واحدة سالها عنها في القدر حتى قيل انه محي من ديوان النبوة وكذلك بلعم باعوراء
كان من اكابر العلماء فاكل الدنيا بالدين فلم يحتمل له ذلك وهذه سنة الله تعالى
في عباده بالتفضيل والتقديم والتاخير على ما سبقت به مشيته الازلية
فهذا معنى الانبساط والادلال واما الرضا بقضائه فهو ايضا من ثمار المحبة
قال الله تعالى رضي الله عنهم ورضوا عنه وقال صلى الله عليه وسلم طوبى لمن
هدي الى الاسلام وكان رزقه كفافا ورضي به وقال من رضي من الله بقليل

من الرزق رضي الله تعالى عنه بقليل من العمل وقال اذا احب الله عبدا
ابتلاه فان صبر اجتباه فان رضي به اصطفاه وقال قال الله تعالى انني انا الله
لا اله الا انا من لم يصبر على بلائي ولم يرض بقضائي فليطلب ربا سواي
وقال ميمون بن مهران رحمة الله عليه من لم يرض بالقضاء فليس لحمقه
دواء وقال ابن مسعود رضي الله لان الحس جمرة احرقت ما احرقت وابقت
احب الي من ان اقول لشيء كان ليته لم يكن ليته كان ونظر رجل الى قرحة
في رجل محمد بن واسع رحمة الله فقال اني لارحمك من هذه القرحة فقال
اني لاشكرها منذ خرجت لم تخرج في عيني قال بعض السلف رحمهم الله ومن
حسن الرضا بقضاء الله تعالى ان لا تقول في الصيف هذا يوم حار وفي
الشتاء هذا يوم بارد وضاع لبعض الصوفية ولد ثلاثا لم يعرف له خبر
فقيل له لو سالت الله تعالى ان يرده عليك فقال الاعتراض على الله تعالى
اشد علي من ذهاب ولدي وقيل انه وقع الحريق في السوق فقيل لسري
رحمة الله عليه احترق السوق وما احترق دكانك فقال الحمد لله ثم قال لي
شخص كيف قلت الحمد لله على سلامتي دون المسلمين فتاب وترك الحانوت ثم
قال قلت مرة الحمد لله وانا استغفر الله لذلك الحمد منذ ثلاثين سنة وقال
الثوري رحمة الله عليه يوما عند رابعة رحمة الله عليها اللهم ارض عني
فقالت اما تستحيي من الله ان تساله الرضى وانت عنه غير راض فقال

مطلب الرضا

استغفر الله فقال جعفر بن سليمان رحمة الله عليه فمتى يكون راضيا عن
الله فقالت اذا كان سروره بالمصيبة مثل سروره بالنعمة ولما قدم
سعد بن ابي وقاص رضي الله عنه الى مكة وكان قد كف بصره جاءه الناس
يهرعون كل واحد يسأله ان يدعو له فيدعو لهذا ويدعو لهذا وكان مجاب
الدعوة فقال عبد الله السايب رحمه الله انت تدعو للناس فلو دعوت
لنفسك فرد الله بصرك فتبسم وقال قضاء الله عندي احسن من بصري وعن
بعض العباد رحمهم الله انه قال اذنبت ذنبا فانا ابكي عليه منذ ستين سنة
واتوب منذ لك قيل وما هو قال قلت لشيء ليته لم يكن وقال بعض السلف
رحمهم الله لو قرض جسمي بالمقاريض كان احب الي من ان اقول لشيء قضاه الله
ليته لم يقضيه واما معنى الشوق فلا بد من بيانه اعلم انا بينا وجود
الشوق الى الله تعالى وكون العارف مضطرا اليه بطريق النظر والاعتبار و
بطريق الاخبار والاثار اما طريق الاخبار والاثار فاكثر من ان تحصى
قال صلى الله عليه وسلم قال الله تعالى طال شوق الابرار الى لقاي
واني الى لقائهم لاشد شوقا وقال اوحى الله تعالى الى بعض الصديقين
ان لي عبادا من عبادي احبهم ويحبوني واشتاق اليهم ويشتاقون
الي واذكرهم ويذكروني قال يا رب وما علامتهم قال يراعون الظلال
بالنهار كما يراعي الراعي غنمه ويحنون الى غروب الشمس كما تحن الطير الى اوكارها

فاذا

(اي شفقت)
فاذا اجنهم الليل واختلط الظلام وفرشت الفروش وخلى كل حبيب بحبيبه
نصبوا الي اقدامهم وافترشوا الي وجوههم وناجوني بكلامي فبين صارخ
وباكي وبين متاوه وشاكي وبين قايم وقاعد وبين راكع وساجد فبعيني
ما يتحملون من اجلي وبسمعي ما يشتكون من حبي وقال اوحى الله تعالى
الى داود عليه السلام لو يعلم عني عبادي كيف انتظاري اليهم ورفقي بهم
وشوقي الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الى ترك معاصيهم لماتوا شوقا الي و
قطعت اوصالهم من محبتي يا داود هذا ارادتي في عيني فكيف بالمنقبين علي
وكان الخواص رحمة الله عليه يضرب على صدره ويقول واشوقاه لمن يراني
ولا اراه وروي ان يونس عليه السلام بكى حتى عمي وقام حتى انحنى وصلى
حتى اقعد وقال وعزتك لو كان بيني وبينك بحر من نار لخضته (اليك) فهذه و
نظايرها مما يدل على اثبات المحبة والشوق واما تحقيق معناه فينكشف
بطريق الاعتبار ويكفي في اثباته ما سبق في اثبات الحب وكل محبوب فهو مشتاق
اليه في غيبته فان الحاضر لا يشتاق اليه فان الشوق طلب وتشوق الى
نيل امر والموجود لا يطلب ولكن بيانه ان الشوق لا يتصور الا الى شيء ادرك
من وجه ولم يدرك من وجه فاما ما لا يدرك اصله فلا يشتاق اليه وهو
وجهين احدهما انه لا ينكشف الا بمثال من المشاهدات فمن غاب عنه معشوقه
وبقي في قلبه خياله بالرؤية والثاني ان يري وجهه ولا يرى شعره مثلا

مطلب ماهية الشوق

وفي سائر اعضائه فيشتاق الى ان ينكشف له ما لم يره قط والوجهان
جميعا متصوران في حق الله تعالى وانما اتضح للعارفين من الامور الا
لهية فان كانت في غاية الوضوح فكانه من وراء ستر رقيق وكذلك
يتضاف اليها شواغل الدنيا فاما كمال الوضوح بالمشاهدة وكمال اشراق
التجلي لا يكون الا في الآخرة وذلك بالضرورة يوجب الشوق فانه منتهى محبوب
العارفين فهذا هو احدى نوعي الشوق والثاني ان الامور الالهية لا نهاية
لها وانما ينكشف لكل عبد من العباد وتبقى امور لا نهاية لها والعارف
يعلم وجودها ولا يزال مشتاقا الى ان يحصل له اصل المعرفة ولا يزال العبد
عالما بانه بقي من الجمال والجلال ما لا يتضح له فلا يسكن قط شوقه وهذا
القدر كاف في معنى الشوق واما حكايات المشتاقين المحبين فقد روي
عن الجنيد رحمة الله عليه قال سالت السري السقطي رحمة الله عليه قال
سالت السري السقطي رحمة الله عليه هل يجد المحب الم البلاء قال لا قلت وان
ضرب بالسيف قال نعم وان ضرب بالسيف سبعين ضربة وقال بشر بن
الحارث مررت برجل وقد ضرب الف سوط في سرقة ببغداد ولم يتكلم ثم حمل
الى الحبس فتبعته فقلت له لم ضربت فقال لاني عاشق فقلت ولم سكت
قال لان معشوقي كان بحذائي ينظر الي فقلت ولو نظرت الى المعشوق الاكبر
قال فزعق زعقة فخر ميتا وقال يحيى بن معاذ اذا نظر اهل الجنة الى الله

مطلب حكايات الغريبة

تعالى ذهبت عيونهم في قلوبهم من لذة النظر الى الله تعالى ثمانمائة سنة لا ترجع
اليهم فما ظنك بقلوب وقعت بين جلاله وجماله اذا لاحظوا جلاله هابوا
واذا لاحظوا جماله تاهوا وقال بشر رحمة الله عليه قصدت عبادان
في بدايتي فاذا انا برجل اعمى مجذوم وقد صرع والنمل ياكل لحمه فرفعت راسه
فوضعته في حجري فلما افاق قال من هذا الفضولي الذي يدخل بيني وبين
ربي فوحقه لو قطعني اربا اربا لما ازددت له الا حبا وقال سعد بن احمد
رحمة الله عليه رايت بالبصرة شابا في خان عطاء بن مسلم وفي يده مدية
وهو ينادي باعلى صوته والناس حوله شعر يوم الفراق من القيامة اطول
والموت من الم التفرق اجمل قالوا الرحيل فقلت لست براحل لكن مهجتي التي ترحل
ثم قال هذا وخر مغشيا عليه فحركناه فاذا به ميت فسالت عن حاله فقيل
انه كان يهوى صبيا فحجب عنه يوما واحدا وانشد الشبلي رحمة الله عليه ان
المحبة للرحمن اسكرني فهل رايت محبا غير سكران وقال ابو عمرو بن الاشعث
ان اهل مصر مكثوا اربعة اشهر لم يكن لهم غذاء الا النظر وجه يوسف عليه السلام
كانوا اذا جاعوا نظروا الى وجهه فيشغلهم جماله عن الاحساس بالالم بل في القرآن
الكريم قطع النسوة ايديهن لاستغراقهن من ملاحظة جماله حتى احسسن فللمحبين
عجايب اعظم مما وصفناه فلا ينبغي ان ينكر من فقده من نفسه لانه فقد
لفقد سببه وهو فرط حبه ومن لم يذق من نفسه طعم الحب لم يعرف عجايبه و

مطلب حال يوسف

وروي عمر بن الحارث الرافقي رحمه الله قال كنت في مجلس عند صديق لي وكان معنا فتي يتعشق جارية مغنية وكانت في مجلس فضربت وغنت شعر
علامة ذل الهوى علي العاشقين البكاء لاسيما عاشق اذا لم يجد مشتكي
فقال لها الفتى احسنت يا سيدتي افتاذنين لي ان اموت فقالت مت قال فوضع راسه علي الوسادة واطبق فمه وغمض عينيه فمات روي عن محمد عبد الله البغدادي رحمه الله قال رايت بالبصرة شابا وقد اشرف علي الناس وهو يقول من مات عشقا فليمت هكذا لا خير في عشق بلا موت ثم رمي بنفسه الي الارض فحملوه ميتا وقال الجنيد رحمه الله عليه رايت رجلا متعلقا بكم صبي وهو يتضرع اليه ويظهر له المحبة فالتفت الصبي اليه وقال الي متي هذا النفاق والذي تظهر فقال محبته قد علم الله اني صادق فيما اقوله حتي لو قلت لي مت لمت قال ان كنت صادقا فمت قال فتنحي الرجل ومات في الحال فهذا وامثاله يصدق في حب المخلوق ففي حب الخالق اولي واجدر والله اعلم

كتاب النية والاخلاص والصدق

اعلم انه قد انكشف لارباب القلوب ببصيرة الايمان وانوار القرآن ان لا وصول الي السعادة الا بالعلم والعبادة والناس كلهم هلكي الا العالمون والعالمون كلهم هلكي الا العاملون والعاملون كلهم هلكي الا المخلصون والمخلصون علي خطر عظيم ونحن نذكر معاني الصدق والاخلاص

اراق واردى

مطلب العلم والاخلاص

في ثلثة ابواب الباب الاول في النية وفيه بيان تفضيل الاعمال المتعلقة بالنية وبيان ان النية لا تدخل تحت الاختيار اما فضيلة النية فقد قال الله تعالى ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغداة والعشي يريدون وجهه والمراد بتلك الارادة النية وقال صلي الله عليه وسلم الاعمال بالنيات الحديث وقال اكثر شهداء امتي اصحاب الفرش ورب قتيل بين الصفين الله اعلم بنيته وقال ان الله لا ينظر الي صوركم ولا الي اموالكم ولكن ينظر الي قلوبكم واعمالكم وانما نظر الي القلوب لانها مظنة النية وروي في الاسرائيليات ان رجلا مر بكثبان رمل في مجاعة فقال في نفسه لو كان هذا الرمل طعاما لقسمته بين الناس فاوحي الله تعالى الي نبيهم ان قل له ان الله تعالى قد قبل صدقتك وقد شكر حسن نيتك واعطاك ما لو كان طعاما فتصدقت به وقال صلي الله عليه وسلم اذا التقي المسلمان بسيفيهما فالقاتل والمقتول في النار قيل يا رسول الله هذا القاتل فما بال المقتول لانه اراد قتل صاحبه وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه من تزوج امراة علي صداق وهو لا ينوي اداؤه فهو زان ومن ادان دينا وهو لا ينوي قضاءه فهو سارق وقال الحسن رضي الله عنه انما خلد اهل الجنة في الجنة واهل النار في النار بالنيات وقال ابو هريرة رضي الله عنه مكتوب في التوراة ما اريد به وجهي فقليله كثير وما اريد به غير وجهي فكثيره قليل فهذا فضيلة النية واما حقيقتها في النية

ون

لنيات

ثليات

والارادة والصدق عبارة متواردة على معنى واحد وهو حالة وصفة
للقلب وفرعه وذلك ان كل عمل اعني كل حركة وسكون اختياري فانه لا يتم الا
بثلاثة امور علم وارادة وقدرة لانه لا يريد الانسان ما لا يعلمه فلا بد ان يعلم
ولا يعمل ما لم يرد فلا بد من ارادة ومعنى الارادة انبعاث القلب الى ما يراه
موافقا للغرض اما في الحال او في المآل واما سر قوله صلى الله عليه وسلم
نية المؤمن خير من عمله فظاهر على من اظهره الله تعالى واعلم ان الطاعة ينتظم
من نية وعمل فنية المؤمن من جملة طاعته من جملة طاعته خير من عمله الذى
هو من جملة طاعته وفي سبب تفضيلها على العمل اقوال قال بعضهم سبب هذا
الترجيح هو ان النية تدوم على آخر العمل والاعمال لا تدوم وقال بعضهم سبب
تفضيلها على العمل انها ميل القلب الذى هو امير الجوارح والعمل صفة الجوارح
التي هي خدم وصفة الامير اشرف من صفة الخدم ولذلك قال عليه السلام اللهم
اصلح الراعي والرعية واراد بالراعي القلب وبهذا يعرف معنى قوله عليه السلام
من هم بحسنة فلم يعملها كتبت له حسنة فان الهم ميل القلب الى الخير ورغبة
الحسنات واما بيان تفصيل الاعمال المتعلقة بالنية فهو على ثلثة اقسام
طاعات ومعاصي ومباحات الاول المعاصي وهي لا تتغير بالنية فلا ينبغي
ان يفهم الجاهل ذلك من قوله صلى الله عليه وسلم انما الاعمال بالنيات فيظن
ان المعصية تنقلب طاعة بالنية كالذي يتصدق بمال الغير ويغتاب انسانا

مطلب القلب

ليطيب قلب غيره او يبني مسجدا ويقصد به الخير فهذا كله جميل بل قصده الخير بعمل
الشر شر آخر الثاني الطاعات وهي منوطة بالنيات في اصل صحتها وفي تضاعف
فضلها اما الاصل فهو ان ينوي بها عبادة الله تعالى لا غير فان نوى الرياء صار
معصية واما تضاعف الفضل فكثرة النيات الحسنة فان الطاعة الواحدة حرة
يمكن ان ينوي بها خيرات كثيرة فيكون بكل نية ثواب ثم تضاعف كل حسنة
بعشر امثالها كما ورد به الخبر ومثاله القعود في المسجد فانه طاعة ويمكن ان
ينوي فيه نيات كثيرة احدها ان يعتقد انه بيت الله تعالى وان دخله زائرا يرا
لله تعالى رجاء لما وعد به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث قال من قعد
في المسجد فقد زار الله تعالى وثانيها ان يصلي ركعتي التحية ولها ثواب وثالثها
ان ينتظر الصلوة ومعنى قوله تعالى ورابطوا ورابعها ان ينوي الاعتكاف
وخامسها ان يعلم من يسيء الصلوة وغيرها الثالث المباحات وهي ايضا
تنقلب طاعات بالنية فما اعظم خسران من يغفل عنها ولا ينبغي ان يستحقر العبد
الخطرات واللحظات فكل ذلك يسأل عنها يوم القيمة حتى عن كحل عينيه وعن
فتات الطين باصبعه وعن لمسه ثوب اخيه وفي خبر آخر من طيب لله تعالى بث
جاء يوم القيمة وريحه اطيب من المسك ومن طيب لغير الله جاء يوم القيمة
انتن من الجيفة واما بيان ان النية لا تدخل تحت الاختيار اعلم ان النية
هي انبعاث القلب وذلك ليس الى اختيار العبد بل يتوسل اليه بمداومة

مطلب تضاعف الاعمال

مطلب ان النية لا تدخل تحت الاختيار

العلامة قال بعضهم انا في طلب نية عيادة مريض منذ شهر فما صحت لي بعد
وان ابن سيرين رحمة الله عليه لم يصل علي جنازة الحسن البصري رحمة الله
عليه وقال لم تحضرني نية وكان طاوس رحمة الله عليه لا يحدث الا
بنية فلا يحدث ولا يسئال فيبتدئ فقيل له في ذلك فقال اتحبون
ان احدث بغير نية اذا حضرت لي نية فعلت   الحسن رحمة الله
عليه ان الرجل ليتعلق بالرجل يوم القيمة فيقول بيني وبينك الله فيقول
والله لا اعرفك فيقول بلى انت اخذت تبنة من حائطي واخذت خيطا
من ثوبي   بعضهم صلى رجل مع سفيان رحمهما الله فرآه مقلوب
الثوب فعرفه فمد يده ليصلحه ثم قبضها فلم يسوه فسأله عن ذلك فقال
اني لبسته لله تعالى ولا اريد لغير الله

وفيه بيان فضيلته وحقيقته واقاويل الشيوخ
فيه ودرجات المكدرة للاخلاص اما فضيلته فقد قال الله تعالى وما
امروا الا ليعبدوا الله مخلصين له الدين   صلى الله عليه وسلم
الاخلاص سر من سري استودعته قلب من احبه من عبادي
ما من عبد يخلص العمل اربعين يوما الا ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه علي
لسانه وكان معروف الكرخي رحمة الله عليه يضرب نفسه ويقول يا نفس
اخلصي تخلصي وقيل لسهل التستري رحمة الله عليه اي شيء اشد

على النفس

على النفس قال الاخلاص اذ ليس لها فيه نصيب   كان رجل يخرج في زي
النساء ويحضر كل موضع يجتمع فيه النساء من عرس او مأتم فاتفق ان حضر
يوما موضعا فيه مجمع النساء فسرقت درة فصاحوا ان غلقوا الباب حتى
نفتش فكانوا يفتشون واحدة واحدة حتى بلغت النوبة للرجل وامراءة معه
فدعا الله تعالى بالاخلاص ان نجوت من هذه الفضيحة لا اعود الى مثل
هذا فوجدت الدرة مع تلك المراءة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدت
الدرة مع تلك المراءة فصاحوا ان اطلقوا الحرة فقد وجدت الدرة وقال بعضهم
في الاخلاص ساعة نجاة الابد   بعضهم اذا ابغض الله عبدا اعطاه الله
ثلاثا ومنعه ثلثا اعطاه صحبة الصالحين ومنعه القبول منهم واعطاه الحكمة
ومنعه الصدق واعطاه الاعمال ومنعه الاخلاص فيها واما حقيقته فهو ان
الاخلاص ازالة الشوب والمراد بالاخلاص ههنا تخليص العمل عن شوائب الامور الدنيوية
قليلها وكثيرها حتى يتجرد فيه قصد التقرب فلا يكون فيه باعث سواه وهذا لا
يتصور الا من محب الله تعالى المستهتر بها مستغرق الهم بالاخرة واما اقاويل الشيوخ فيه
فقد قال سهل رحمة الله عليه الاخلاص ان يكون سكون العبد وحركاته لله خاصة وهذه
كلمة جامعة محيطة بالغرض وفي معناه قول ابراهيم بن ادهم رحمة الله عليه الاخلاص صدق
النية مع الله وقال رويم الاخلاص في العمل هو ان لا يريد صاحبه عليه عوضا في الدارين
وقال ابو عثمان رحمة الله عليه الاخلاص نسيان رؤية الخلق بدوام النظر الى الخالق

مطلب حقيقة الاخلاص

وقال بعضهم الاخلاص ...

وهذه اشارة الى افة الريا وكذلك قول بعضهم لا يطلع عليه شيطان فيفسده ولا ملك
فيكتبه فانه اشارة الى مجرد الاخفاء وقال الجنيد رحمة الله عليه الاخلاص تصفية
الاعمال عن الكدورات واما درجات الشوايب والافات المذكورة للاخلاص
فهي ان الافات المشوشة للاخلاص بعضها جلية وبعضها خفية وبعضها
ضعيفة مع الجلاء وبعضها قوية مع الخفاء ولا يفهم درجاتها في الجلاء والخفاء
الا بمثال واظهر مشوشات الاخلاص الرياء فلنذكر فيه مثالا فنقول الشيطان يدخل
الافة على المصلي مهما كان مخلصا في صلاته ثم نظر اليه جماعة او دخل عليه داخل فيقول
حسن صوتك حتى اليك هذا الحاضر ويعتقدك وهذا هو الريا بل الاخلاص ان يكون
مشاهدة البهايم ومشاهدة الخلق واحدا وكان نفس هذا ليست تسمح باساءة الصلوة

مطلب الريا في صورة الاخلاص

بين اظهر الناس ثم يستحي من نفسه ان يكون من المرائين ويظن ان ذلك يزول بان
يستوي صلوته في الخلاء والملاء وهيهات بل زوال ذلك بان لا يلتفت الى الخلق كما لا
يلتفت الى الجمادات في الخلاء والملاء جميعا وهذا من المكايد الخفية للشيطان
وهذا الشرك اخفى في قلب ابن ادم من دبيب النملة السوداء في الليلة الظلماء ولا يسلم
من الشيطان الا من دق النظر في كل حركة من الحركات حتى في كحل العين وقص الشارب وتطيب
يوم الجمعة ولبس الثياب وان هذه سنن في اوقات مخصوصة وللنفس فيها
حظ خفي لارتباط نظر الخلق بها واستيناسها بها بالطبع فيدعوا الشيطان الى
فعل ذلك ويقول هذه سنة لا ينبغي ان يتركها فيكون انبعاث الخلق باطنا

لاجل

لاجل تلك الشهوات الخفية ولا يسلم عن هذه الافات الا الناقد البصير ولهذا
قيل ركعتان من عالم افضل من عبادة سنة من جاهل واريد به العالم البصير
بدقايق افات الاعمال حتى تخلص منها فان الجاهل نظره الى ظاهر العبادات واغتراره
بها كنظر السوادي الى حمرة الدينار المموه وزيوف في نفسه وقيراط من الخالص الذي
يرتضيه الناقد خير من دينار يرضيه الغر الغبي وهكذا يتفاوت امر
العبادات والله ولي التوفيق **الباب الثالث** في الصدق قال الله تعالى
من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه وقال صلى الله عليه وسلم
ان الصدق يهدي الى البر والبر يهدي الى الجنة وان الرجل ليصدق حتى يكتب
صديقا وان الكذب يهدي الى الفجور والفجور يهدي الى النار وان الرجل ليكذب
حتى يكتب عند الله كذابا يكفي في فضيلة الصدق فان الله تعالى وصف به الانبياء
عليهم السلام في معرض المدح والثناء وقال تعالى واذكر في الكتاب ابرهيم انه كان
صديقا نبيا واذكر في الكتاب ادريس الاية وقال الثوري رحمه الله في قوله تعالى
ويوم القيمة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة قال هم الذين ادعوا
محبة الله تعالى ولم يكونوا فيها صادقين واوحى الله تعالى الى داود عليه السلام
من صدق في سريرته صدقته عند المخلوقين في علانيته وقال رجل لحكيم
ما رايت صادقا فقال له لو كنت صادقا لعرفت الصادقين وقال ابو بكر
الوراق رحمة الله عليه احفظ الصدق فيما بينك وبين الله تعالى والرفق

فيما بينك وبين وقال الجنيد رحمة الله عليه في قوله تعالى ليسئل الصادقين
عن صدقهم يسال الصديقين عند انفسهم عن صدقهم عن ربهم واعلم ان لفظ
الصدق يطلق على ست معاني فمن اتصف بجميعها فهو صديق لا محالة لانه
مبالغة من الصدق بالصدق وفي بعضها فهو صادق بالاضافة الى ما فيه صدق
الاول صدق اللسان وذلك لا يكون الا في الاخبار والخبر اما ان يتعلق بالماضي
او بالمستقبل وقد ذكرناه في كتاب افات اللسان الثاني الصدق في النية
والارادة ويرجع حاصله الى الاخلاص لله تعالى وهو ان لا يكون له باعث
في الحركات والسكنات الا الله تعالى فان مازجه شوب من حظوظ النفس بطل
صدق النية وصاحبه يجوز ان يكون يسمى كاذبا كما روينا فضيلة الاخلاص
فيرجع احد معاني الصدق الى خلوص النية وهو الاخلاص فكل صادق لا بد
ان يكون مخلصا الثالث الصدق في العزم مثل ان يقول لئن رزقني الله مالا
لاتصدقت بجميعه او بشطره او لقيت عدوا في سبيل الله قاتلت وان
اعطاني الله ولاية عدلت فيها ولم اعص الله بظلم واذا رزقه الله ذلك وصدق
في عزيمته هو الذي يصادق عزيمته في الخيرات وهو كما قال عمر رضي الله عنه
لئن اقدم فيضرب عنقي احب الي من ان تأمر على قوم فيهم ابو بكر رضي الله عنه
فانه قد وجد من نفسه العزم الجازم بانه لا يتأمر مع وجود ابي بكر رضي الله
عنها الرابع الصدق في الوفاء بالعزم فان النفس قد تستخف بالعزم

في الحال

في الحال اذ لاء في الوعد ولذلك قال تعالى رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه
فمنهم من قضى نحبه ومنهم من ينتظر فقد روي عن انس ان عمه انس بن النضير
لم يشهد بدرا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم فشق عليه ذلك وقال اول
مشهد شهده رسول الله صلى الله عليه وسلم وانا غبت عنه والله لئن اراني
الله مشهدا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ليرى المؤمنون ما اصنع فحضر احدا
في العام القابل فقاتل حتى قتل فوجد في جسده بضع وثمانون رمية ونزلت
هذه الاية وقال ابو سعيد الخراز رحمة الله عليه رايت في المنام كان ملكين نزلا
من السماء فقالا لي ما الصدق قلت الوفاء بالعهد فقالا لي صدقت وعرجا الى
السماء الخامس الصدق في الاعمال وهو ان يجتهد ان يصير باطنه مصدقا
لظاهره وهذا مخالف للريا فان من مشى على هيئة السكينة والوقار من غير
التفات الى نظر الناس فليس بمراء ومع هذا لو كان باطنه غير موصوف بالسكينة
والوقار لم يكن مصدقا ولذلك قال عليه السلام اجعل سريرتي خيرا من علانيتي
باهى الله به الملائكة عليهم السلام فقال هذا عبدي حقا وقال زيد بن الحارث
اذا استوت سريرة العبد وعلانيته فذلك النصف وان كانت سريرته
افضل من علانيته فذلك الفضل وان كانت علانيته افضل من سريرته فذلك
الجور وانشدوا شعرا اذا السر والاعلان في المؤمن استوى ° فقد عز في
الدارين واستوجب الثناء ° فان خالف الاعلان سرا فما له على سعيه فضل

سوى

المكر والعنا كما خالص الدنيار في السوق نافق ومغشوشه مردود لا يقتني المنا
فاذا مساواة السر والعلانية احد انواع الصدق السادس وهو اعلي الدرجات
في الصدق في مقامات الدين كلها كالصدق في الخوف والرجا والتوبة وغير
ذلك قال الله انما المومنون الذين امنوا بالله ورسوله ثم لم يرتابوا الي قوله
اولئك هم الصادقون فلنختم الكتاب بحكايات تليق بهذا الموضع الاولي قيل
لابي يزيد البسطامي رحمة الله عليه حدثنا عن مشاهدتك من الله تعالى فصاح
وقال ويلكم لا يصلح ان تعلموا ذلك قيل فحدثنا عن مجاهدتك لنفسك في الله
تعالى فقال نعم دعوت نفسي الي الله تعالى فجمحت علي فعزمت عليها ان لا اشرب
الماء سنة ولا اذوق الماء سنة فوفت لي بذلك الثانية حكي ان ابا تراب
النخشبي كان معجبا ببعض المريدين فكان يدنيه ^(اي يدنيه فيها فيقوم اصالحه)^ ويقوم ببعض مصالحه
والمريد مشغول عنه بعبادته ومواجده فقال له ابو تراب يوما لو رايت ابا
يزيد فقال المريد اني عنه مشغول فلما اكثر عليه ابو تراب من قوله لو رايت ابا
يزيد هاج وجد المريد فقال ما اصنع بابي يزيد وقد رايت الله فاغناني عن
ابي يزيد فقال ابو تراب ويلك تغتر بالله تعالى لو رايت ابا يزيد مرة كان
انفع لك من ان تري الله سبعين مرة قال فكيف ذلك قال قلت انما تري
الله عندك فيظهر لك علي مقدارك وتري ابا يزيد عند الله تعالى قد ظهر له
علي مقداره فعرف المريد نحوا ابا يزيد فوقف علي تل ينتظره ليخرج من الغيضة وكان

مطلب حكايات لابي يزيد البسطامي

مطلب ابا تراب النخشبي

ياوي الي غيضة فيها سباع فخرج وقد قلب فروة علي ظهره فقيل له هذا ابو يزيد
فنظر اليه الفتى فخر ميتا رحمة الله فقيل له نظرة اليك فقتلته قال لا ولكن كان
صادقا واستكن في قلبه سر لم ينكشف له فلما رانا انكشف له من قلبه فضاق ق
عن حمله لانه كان في مقام ضعفاء المريدين فقتله ذلك الثالثة روي انه
لما دخل البصرة الزنج فقتلوا الانفس ونهبوا الاموال اجتمع الي سهل اخوانه رحمهم الله
فقالوا لو سالت الله تعالى دفعهم فسكت ثم قال الله تعالى عبادا في هذه البلدة لو
دعوا علي الظالمين لم يصبح علي وجه الارض ظالم الا مات في ليلة واحدة ولكن
لا يفعلون قيل لم قال لانهم لا يحبون ما لا يحب الله ولهذا اختلف العلماء في الافضل
من اهل معان ثلاثة رجل يحب الموت شوقا الي لقاء الله تعالى ورجل يحب الحيوة
لخدمة المولي عز وجل ورجل قال لا اختار شيئا ارضي بما اختاره الله عز وجل
ورفعت هذه المسئلة الي بعض العارفين فقال صاحب الرضا افضل لانه اقل
فضولا وقيل للشبلي رحمة الله عليه صف لنا العارف والمحب فقال العارف
ان تكلم هلك والمحب ان سكت هلك ثم انشد فقال شعر يا ايها السيد الكريم
حبك بين الحشا مقيم يا رافع النوم عن جفوني انت بما مر بي عليم ولغيره عجبت لمن
يقول ذكرت ربي وهل انسى فاذكر ما نسيت اموت اذا ذكرتك ثم احيي
فكم احيي عليك وكم اموت شربت الحب كاسا بعد كاس فما نفد الشراب وما
رويت كتاب المحاسبة والمراقبة

مطلب الفرق بين المحب والعارف

قال الله تعالى ان الله يعلم ما في انفسكم فاحذروه فعرف ارباب البصاير ان الله
تعالى لهم بالمرصاد وانهم يطالبون بمثاقيل الذر من الخطرات واللحظات وتحققوا
انه لا ينجيهم من هذه الاخطار والآفات الا لزوم المحاسبة في الانفاس والحركات
وصدق المراقبة في الخطرات واللحظات فمن حاسب نفسه قبل ان يحاسب خف
في القيمة وحضر عند السؤال جوابه وحسن منقلبه ومآبه ومن لم يحاسب نفسه
دامت حسراته وطالت في عرصات القيمة وقفاته وقادته الى الخزي والمقت
سيئاته فلما انكشف لهم ذلك علموا انه لا ينجيهم منه الا طاعة الله تعالى وقد امرهم
بالصبر والمرابطة فقال يا ايها الذين امنوا اصبروا وصابروا ورابطوا فرابطوا
انفسهم اولا بالمشارطة ثم بالمراقبة ثم بالمحاسبة ثم بالمعاقبة ثم بالمجاهدة ثم
بالمعاتبة فكانت لهم في المرابطة ست مقامات ولا بد من شرحها **المقام
الاول** المشارطة فكما ان المتعاملين في التجارة المشتركة يحتاج ان
يشارط شريكه اولا فيراقبه ثانيا ويحاسبه ثالثا ويعاتبه رابعا
فكذلك العقل الذي هو التاجر في طريق الاخرة يحتاج الى مشارطة النفس اولا
فيوظف عليها الوظايف ويشترط عليها الشروط فيرشدها الى تزكيتها اذ به
فلاحها قال الله تعالى قد افلح من زكاها وقد خاب من دسيها وانما فلاحها
بالاعمال الصالحة وان لا يغفل عن محاسبة نفسه في حركاتها وسكناتها
وخطراتها وخطواتها فان كل نفس من انفاس العمر شي لا يشترى بكنوز الارض

فانقضاؤها ضايعة خسران عظيم وينبغي ان يفرغ قلبه ساعة بعد صلاة
الصبح لمشارطة النفس كما ان التاجر عند تسليم البضاعة الى الشريك العامل
يفرغ المجلس لمشارطته فيقول للنفسه مالي بضاعة الا العمر ومهما فني فقد
فني راس المال ووقع الناس على التجارة وطلب الربح وهذا اليوم الجديد قد
امهلني الله تعالى فيه ولو توفاني لكنت اتمنى ان يرجعني الى الدنيا يوما واحدا حتى
اعمل فيه صالحا واجتهدي اليوم حتى لا تتحسري عند رؤية درجات المجتهدين
وان دخلت الجنة فالم الغبن والحسرة لا يطاق وان كان دون الم النار وقد
قال بعضهم هب ان المسيء عفي عنه اليس قد فاته ثواب المحسنين اشار به الى
الغبن والى الحسرة وقال تعالى يوم يجمعكم ليوم الجمع ذلك يوم التغابن فهو
وصية لنفسه فاذا فرغ منها استانف الوصية في اعضائه السبعة وهي
العين والاذن واللسان والبطن والفرج واليد والرجل وهي خادمة و
رعايا له في التجارة وبها تتم اعمال هذه التجارة وان لجهنم سبعة ابواب وانما
تتعين تلك الابواب لمن عصى الله بهذه الاعضاء فيوصيها بحفظها عن معاصيها
فاذا انفسه لم يحتج الى المشارطة كل يوم **المقام الثاني** المراقبة قال الله تعالى ان الله
كان عليكم رقيبا وقال والذين هم لاماناتهم وعهدهم راعون والذين هم بشهاداتهم
قائمون **وقال** ابن المبارك لرجل راقب الله تعالى فسأله عن تفسيره فقال كن
ابدا كانك ترى الله وقال ابن عطاء افضل الطاعات مراقبة الله على الدوام **وقال**

مطلب ابواب جهنم تهذيب

ابو حفص اذا جلست للناس فكن واعظا لنفسك وقلبك لا يغرنك
اجتماعهم فانهم يراقبون ظاهرك والله رقيب على باطنك ويروى ان الله
تعالى قال للملائكة انتم موكلون بالظاهر وانا رقيب على الباطن كما قال الله تعالى الم يعلم
بان الله يرى قال حميد بن الطويل لبعض العلماء عظني فقال لئن كنت عصيت
الله تعالى خاليا ظننت انه يراك لقد اجترأت على امر عظيم ولئن كنت
تظن انه لا يراك كفرت بالله وحكي انه كان لبعض المشايخ رحمهم الله تلميذ يدنيه ويكرمه فقال له
بعض اصحابه كيف تكرم هذا وهو شاب ونحن شيوخ فدعا بعدة طيور
وناول لكل واحد طيرا وسكينا وقال ليذبح كل واحد منكم طيره في موضع
لا يراه احد فرجع كل واحد بطيره مذبوحا ورجع الشاب وطيره حي في
يده فقال ما لك لم تذبح وقد ذبح اصحابك فقال لم اجد موضعا لا يراني فيه
احد اذ الله مطلع علي في كل مكان فاستحسنوا مراقبته وقالوا حق لك ان تكرم
وحكي ان زليخا خلت بيوسف عليهما السلام بيتها فقامت وغطت
وجه صنمها فقال يوسف عليه السلام اتستحيين من مراقبة جماد ولا
استحي من مراقبة الجبار وحكي عن بعض الاحداث انه راود جارية
عن نفسها فقالت الا تستحي فقال ممن استحي ولا يرانا الا الكواكب قالت
واين مكوكبها فتاب الحدث وقال عبد الله بن دينار خرجت حاجا
مع عمر بن الخطاب رضي الله عنهما فانحدر علينا راع من الجبل فقال له يا راعي

بع

بعني شاة من الغنم فقال اني مملوك فقال قل لسيدك اكلها الذئب قال فاين الله
فبكى عمر رضي الله عنه فاشتراه من مولاه فاعتقه وقال اعتقتك في الدنيا
هذه الكلمة وارجو ان تعتقك في الاخرة ايضا وفي الخبر اذا اردت امرا
فدبر عاقبته فان كان رشدا فامضه وان كان غيا فانته عنه وانه
ينشر للعبد في كل حركة ثلاث دواوين الاول لم والثاني كيف والثالث
لمن اي لم فعلت لمولاك او لهواك وكيف فعلت ابعلم ام بجهل وظن
ولمن فعلت الله ام بالرياء والسمعة ولا ينجو من ذلك الا العالم باسرار
الاعمال واغواء النفس ومكايد الشيطان فلهذا كانت ركعتان من عالم افضل
من الف ركعة من غير عالم فهذا هو الفقه في الحقيقة لا فصل الخصومات
المقام الثالث المحاسبة بعد العمل قال الله تعالى يا ايها الذين آمنوا
اتقوا الله ولتنظر نفس ما قدمت لغد واتقوا الله الآية وهذه اشارة على
المحاسبة على ما مضى من الاعمال وقال عليه السلام ينبغي ان يكون للعاقل
اربع ساعات ساعة يناجي بها ربه وساعة يحاسب فيها نفسه وساعة
يفكر في صنع الله تعالى وساعة يخلو فيها للمطعم والمشرب فان في هذه الساعة
عونا على بقية الساعات وينبغي ان يكون محاسبة نفسه آخر النهار كما يفعله
التاجر الشحيح الطالب للربح ورأس المال الفرائض والربح النوافل والخسران المعاصي
فاذا ظهر الربح شكر واذا ظهر له الخسران تدارك ثم ينبغي ان يحاسب

مطلب حكاية توبة بن الصامت

نفسه علي جميع عمره يومًا يومًا وساعة ساعة كما نقل عن توبة ابن الصامت
وكان محاسبًا لنفسه فحسب يومًا فاذا هو ابن ستين سنة فحسب
ايامها فاذا هي احدي وعشرين الف يوم وخمسمائه يوم فصرخ فقال
يا ويلتاه القا الملك باحدي وعشرين الف ذنب كيف وفي كل يوم عشرة
الآف ذنب ثم خر مغشيًا عليه فاذا هو ميت الي رحمة الله فهكذا ينبغي
ان يحاسب العبد علي انفاس وعلي معصية بالقلب والجوارح في كل ساعة
ولو رمي العبد لكل معصية حجرًا في داره لامتلاءة داره في مدة يسيرة
من عمره ولكنه يتسهل في حفظ المعاصي والملكان يكتبان ويحفظان عليه
ذلك احصاه الله ونسوه **شعر** اذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل خلوت
ولكن قل علي رقيب ولا تحسبن الله يغفل ساعة ولا ان ما تخفي عليه يغيب
الم تر ان اليوم اسرع ذاهب وان غدًا للناظرين قريب **المقام الرابع**
في معاتبة النفس علي تقصيرها عند ظهور الخسران وذلك بان ينفقد كل
عضو فان عصي الله بعينه بالنظر الي غير محرم عاقبها بمنعها عن النظر وان
عصاه باكل فيه شبهة عاقب نفسه بالجوع وكذلك يعاقب كل عضو بمنعها
عن شهواتها هكذا كانت عادة السلف ونظر بعضهم فجعل علي نفسه ان
لا يشرب الماء البارد طول حيوته وكان يشرب الماء الحار **وحكي** ان
حسان ابن ابي سفيان مر بغرفة فقال متي بنيت هذه الغرفة ثم اقبل

على نفسه

مطلب حكاية عابد بني اسرائيل

علي نفسه وقال لاعاقبنك بصوم سنة فصامها **وروي** ان عابدًا
في بني اسرائيل كان يتعبد في صومعته فاشرف ذات يوم فاذا هو بامراءة
فافتتن بها وهم بها فاخرج رجله لينزل فادركه الله تعالى بلطفه فقال
ما هذا الذي اريد ان اصنع فرجعت اليه نفسه وعصمه الله تعالى فندم
فلما اراد ان يعيد رجله الي الصومعة فقال هيهات رجل خرجت تريد ان تعصي
الله تعالي تعود معي في صومعتي لا يكون ذلك والله ابدًا فتركها متعلقة في
موضعه تصيبه الامطار والارياح والثلوج والشمس حتي تقطعت فسقطت
فشكر الله تعالى ذلك له وانزل في بعض الكتب ذكره **وحكي** ان تميم الداراني
رحمة الله عليه نام ليلة لم يقم يتهجد فقام سنة وما نام فيها عقوبة لما صنع
وتحكي عن الجنيد رحمة الله عليه قال سمعت بعض المشايخ رحمهم الله
يقول اصابتني ليلة جنابة احتجت ان اغتسل وكانت ليلة باردة فوجدت
في نفسي تاخيرًا وتقصيرًا حتي اصبح واسخن الماء او ادخل الحمام ولا اعين
علي نفسي فقلت واعجباه انا اعامل الله تعالى في طول عمري فيجب علي حق فلا اجد في
المسارعة وآخذ في الوقوف والتاخير فاليت ان لا اغتسل الا في ثوبي هذا
واليت لا اعصرها ولا اجففها في الشمس **المقام الخامس** المجاهدة وهو انه حاسب
نفسه فراها قارفت معصية فينبغي ان يعاقبها بالعقوبات التي مضت وان رآها
تتواني بحكم الكسل في شيء من الفضائل وورد من الاوراد فينبغي ان يؤدبها

بثقل الاوراد عليها وبلومها فنونا من الوظايف جبرا لما فات وتداركا لما فرط وهكذا
كان يعمل عمال الله تعالى فقد عاقب عمر رضي الله عنه نفسه حين فاتته صلوة
العصر في جماعة بان تصدق بارض له قيمتها مايتا الف درهم **وكان** ابن عمر رضي
الله عنهما اذا فاتته صلوة جماعة احيا تلك الليلة واخر صلوة المغرب ليلة
حتى طلع كوكبان فاعتق رقبتين فان لم تطعك نفسك فعليك باستماع
اوصاف المجتهدين والعاملين مما يحرك رغبة المريد في الاجتهاد با
لاقتداء بهم وكان بعضهم يقول اذا اعترتني فترة في العبادة نظرت
الى محمد بن واسع والى اجتهاده رحمة الله عليه فعملت عليه اسبوعا الا
ان هذا قد تعذر اذ فقد في عباد الله تعالى من يجتهد في العبادة اجتهاد
الاولين فينبغي ان يعدل من المشاهدة الى السماع فلا شيء انفع من سماع
احوالهم ومطالعة اخبارهم وقال عبد الله بن داود رحمه الله كان احدهم اذا
بلغ اربعين سنة طوى فراشه اي كان لا ينام طول الليل وكان همس بن
الحسن رضي الله عنهما يصلي كل ليلة الف ركعة ثم كان يبكي وكانت ابنة الربيع
بن خيثم تقول لابيها يا ابت ما لي ارى الناس ينامون وانت لا تنام فيقول
يا ابنتاه اباك يخاف البيات **وقال** الربيع اتيت اويسا رحمه الله عليهما
فوجدته جالسا قد صلى الصبح وجلست وقلت لا اشغله عن ورده فلبثت
مكانه حتى صلى الظهر ثم قام الى الصلوة العصر ثم جلس حتى صلى المغرب ثم

مطلب اويس

جلس

جلس حتى صلى العشاء ثم قام حتى صلى الصبح ثم جلس فغلبته عيناه فقال
اللهم اعوذ بك من عين نوامة ومن بطن لا يشبع فقلت حسبي هذا منه
وقال احمد بن حرب واعجبا لمن يعرف ان الجنة تزين فوقه وان النار تسعر
تحته كيف ينام بينهما وقيل مكث ابو بكر بن عياش رضي الله عنهما اربعين
سنة لا يضع جنبه على فراش وقال الجنيد رحمة الله عليه اتت على شيخي
سري ثمان وسبعين سنة وما رايته مضجعا الا في علة الموت **وقال**
ابو سليمان الداراني بت ليلة عند رابعة العدوية رحمهما الله فقامت
الى محرابها وقمت الى ناحية من البيت فلم تزل قائمة الى السحر فلما كان في السحر
قلت ما جزاء من قوانا على قيام هذه الليلة قالت جزاؤه نصوم له غدا
وقال بعض الصالحين رحمهم الله خرجت يوما الى السوق ومعي جارية حسنة
فاجلستها في موضع فقلت لا تبرحي حتى انصرف اليك وذهب فلما اتيت موضعها
لم اجدها فجئت الى منزلي وانا شديد الغضب عليها فلما راتني عرفت الغضب
في وجهي فقالت يا مولاي لا تغضب علي انك حبستني في موضع لم ار فيه ذاكر الله
تعالى فخفت ان يخسف ذلك الموضع فعجبت لقولها وقلت انت حرة لوجه الله
فحزنت فقالت ساء ما صنعت كنت اخدمك واخدم ربي فيكون لي اجران
واما الان فقد ذهب عني احدهما **وقال** ابو نعيم دخلت على داود الطائي
رحمهم الله فوجدت في سقف بيته جذعا مكسورا فاخبرته عن ذلك

فقال لي في هذا البيت منذ عشرين سنة ما نظرت الي السقف فكان يكره
فضول النظر كما يكره فضول الكلام وعن بعضهم رحمهم الله قال
دخلت علي فتح الموصلي رحمة الله عليه فرايته يبكي فدنوت منه فرايته
قد خالط دمعه الدم قال فرايته بعد موته في المنام فقلت له
ما فعل الله بك فقال غفر لي ربي فقلت فما صنع من دموعك قال قربني ربي
فقال يا فتح الدموع علي ماذا قلت يا ربي علي تخلفي عن واجب حقك قال والدم
علي ماذا فقلت علي دموعي ان لا تصح لي فقال يا فتح ما اردت بهذا كله وعزتي
وجلالي لقد صعد الي حافظاك اربعين سنة بصحيفتك ما رايت فيها
خطيئة وكانت رابعة العدوية اذا جاء النهار تقول هذا يومي الذي
اموت فيه فما تطعم حتى تمسي فاذا جاء الليل قالت هذه ليلتي التي اموت
فيها فتصلي حتى تصبح قال محمد بن اسحاق لما ورد علينا عبد الرحمن بن
الاسود رحمهم الله حاجا اعتلت احدي قدميه فقام يصلي علي قدم واحد
حتى يطلع الصبح بوضوء العشاء وقال بعضهم ما اخاف من الموت الا من
حيث يحول بيني وبين قيام الليل وقال الخواص رحمة الله عليه وكانت
خولة العابدة قد صامت حتى اسودت وبكت حتى عميت وصلت حتى
اقعدت وكانت تصلي قاعدة فدخلت عليها وذكرت شيئا من العفو
ليهون عليها الامر فبكت ثم قرات وبدا لهم من الله ما لم يكونوا يحتسبون

مطلب فتح موصلي

فعليك

فعليك ان تطالع احوال الرجال والنساء من المجتهدين لينبعث نشاطك
ويزيد حرصك علي الاجتهاد واياك ان تنظر الي اكثر اهل عصرك فيضلونك
عن سبيل الله قال الله تعالى وان تطع اكثر من في الارض يضلوك الاية

في المعاتبة للنفس وتوبيخها اعلم ان اعدا عدوك نفسك
التي بين جنبيك وخلقت امارة بالسوء ميالة الي الشر فرارة عن الخير
وامرت بتزكيتها وتقويمها وقودها بسلاسل القهر الي عبادة ربها وخالقها
ومنعها عن شهواتها وفطامها عن لذاتها فان اهملتها شردت وجمحت ولم تظفر بها
بعد ذلك وان لازمتها بالتوبيخ والمعاتبة والتهديد والملامة كانت
نفسك من النفس اللوامة التي اقسم الله بها ورجوت ان تصير النفس المطمئنة
المدعوة الي ان تدخل في زمرة عباد الله تعالى راضية مرضية فلا تغفلن ساعة
من تذكيرها ومعاتبتها ولا تشتغلن بوعظ غيرك ما لم تشتغل اولا بوعظ
نفسك فانه اوحي الي عيسى عليه السلام عظ نفسك بحكمتي وان اتعظت
فعظ الناس والا فاستحي مني وسبيلك ان تقول يا نفس ما اعظم جهلك
تدعين الفطنة وانت اشد الناس غباوة اما تعلمين ان كل ما هو آت قريب
قريب فما لك لا تستعدين للموت وهو اقرب اليك من كل قريب اما تدبرين
قوله تعالى اقترب للناس حسابهم وهم في غفلة معرضون ويحك ان كانت
جراتك علي المعصية لاعتقادك ان الله تعالى لا يراك فما اشد كفرك وان كان

مع اعتقادك انه يراك فما اشد وقاحتك اما تنظرين الي الذين جمعوا موالا
كيف تركوها وصاروا امنسيا ولو ان جميع ملك الارض لك اما تعلمين انه
بعد سنين يذهب كان لم يكن وتبقي الحسرة والندامة معك واعلم

كتاب التفكر وفيه فصلان

الفصل الاول في فضيلته وحقيقته اعلم ان الله تعالي امر بالتفكر وا
والتدبر في كتابه العزيز في مواضع واثني علي المتفكرين فقال ان في خلق
السموات والارض واختلاف الليل والنهار لايات لاولي الالباب وقال
صلي الله عليه وسلم تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في الله فانكم لن تقدروا
وقال الحسن رضي الله عنه تفكر ساعة خير من قيام ليلة وقيل كان
سفيان الثوري رحمه الله عليه يتمثل بهذا البيت اذا المرء كانت له فكرة
ففي كل شيء له عبرة وقال طاوس رحمه الله قال الحواريون لعيسي عليه السلام
يا روح الله هل علي الارض اليوم مثلك قال نعم من كان نطقه ذكرا وصمته
فكرا ونظره عبرة فانه مثلي وعن ابي سعيد الخدري رضي الله عنه قال قال
رسول الله صلي الله عليه وسلم اعطوا اعينكم حظها من العبادة قالوا
يا رسول الله وما حظها من العبادة قال النظر في المصحف والتفكر فيه
وحقيقته التفكر احضار المعرفتين في القلب ليستثمر منهما معرفة
ثالثة مثاله ان الابقاء اولي من الايثار ثم يعرف ان الاخرة ابقي فيحصل

مطلب عيسى عليه السلام

له من

له من هاتين المعرفتين معرفة ثالثة وهي ان الاخرة اولي بالايثار ويسمي
نظرا ايضا واما نفس احضار المعرفتين فقط هو التدبر وفائدة التفكر تو
المعارف في القلب ونفس العبور من المعرفتين الي المعرفة الثالثة هو الاعتبار
ثم المعرفة الثالثة اذا ركبت مع معرفة اخري وهكذا ما لم يعوق عايق
والتفكر اما بالتعليم او بالتوفيق الالهي كما في حق الانبياء عليهم السلام
ويحصل لهم المعارف وهو افضل من الذكر ولذلك قيل تفكر ساعة خير من عبادة
سنة الفصل الثاني في مجاري الفكر اعلم ان كل ما في الوجود مما سوى الله
تعالى فهو فعل الله تعالى وخلقه وكل ذرة من الذرات ففيها عجايب تظهر بها حكمة
الله تعالى وقدرته وجلاله وعظمته واحصاء ذلك غير ممكن ولكنا نشير
الي جمل ليكون ذلك كالمثال لما عداه فنقول الموجودات المخلوقات منقسمة
الي ما لا يعرف اصلها فلا يمكن التفكر فيها وكم من الموجودات التي لا نعلمها كما قال
الله تعالى سبحان الذي خلق الازواج كلها الي قوله ومما لا يعلمون وقال و
ننشئكم فيما لا تعلمون والي ما يعرف اصلها وجملتها ولا يعرف تفصيلها فيمكننا
ان نتفكر في تفصيلها وهي منقسمة الي ما ادركناه بحس النظر والي ما لا ندركه
بالبصر اما الذي لا ندركه بالبصر كالملائكة والجن والبصر والشياطين والعرش
والكرسي واللوح والقلم وغيرها ومجال التفكر فيه مما يغمض واما الذي
ندركه بحس البصر فكالسموات والارض وما بينهما من بحار وجبال وانهار

واشجار ونبات وحيوان وجميع ذلك مجال الفكر واما الفكر في ذات الله
تعا وصفاته ومعاني اسمائه فهو مما منع عنه حيث قال صلى الله عليه وسلم
تفكروا في خلق الله ولا تتفكروا في ذات الله وذلك لان العقول تتحير
فيه فلا تطيق مد البصر اليه الا الصديقون ثم لا يطيقون دوام النظر بل
ساير الخلق احوال ابصارهم بالاضافة الى جلال الله تعالى كحال بصر الخفاش
بالاضافة الى الشمس فانه لا يطيقه البتة وكذلك النظر الى ذات الله
تعا يورث الحيرة والدهشة واكثر العقول لا يحتمل فالقدر اليسير الذي
صرح به بعض العلماء وهو ان الله تعا مقدس عن المكان منزه عن الاقطار
والجهات وانه ليس داخل العالم ولا خارجه ولا متصل بالعالم ولا منفصل عنه
قد حير عقول اقوام حتى انكروه اذ لم يطيقوا سماعه ومعرفته بل ضعفت
طائفة عن احتمال اقل من هذا اذ قيل لهم تعا ان يكون له راس ويد ورجل
وعين وعضو ولو كان للذباب عقل وقيل له ليس لخالقك جناحان ولا يد
ولا رجل ولا له طيران لانكر ذلك وقال كيف يكون خالقي انقص مني فيكون
مقصوص الجناح او يكون زمنا لا يقدر على الطيران وعقول اكثر الخلق قريب
من هذا العقل كذلك اوحى الله تعا الى بعض انبيائه عليهم السلام لا تخبر
بعبادي وصفاتي فينكروني ولكن اخبرهم عني بما يفهمون وهو مخلوقاته
ومصنوعاته فانها تدل على جلاله وكبريائه وكمال علمه وحكمته فينظر الى

صفاته

صفاته فانا لا نطيق النظر الى صفاته كما انا نطيق النظر الى الارض مهما استنارت
بنور الشمس ونستدل به على عظم نور الشمس بالاضافة الى نور القمر والكواكب
لان نور الارض من اثار نور الشمس والنظر في الاثر يدل على المؤثر دلالة وان كان المؤثر
لا يقوم مقام النظر في نفس المؤثر وجميع موجودات الدنيا اثر من قدرة قدرة
الله تعالى ونور من انواره اذ قوام وجود الاشياء كلها بذاته الكريم القيوم
بنفسه كما ان قوام نور الاجسام بنور الشمس المضية بنفسها ومهما انكشف
بعض الشمس جرت العادة بان يوضع طشت ماء حتى ترى الشمس فيه ولا يمكن
النظر فيها فيكون الماء واسطة يشاهد فيها صفات الفاعل ولا يبهرنا نور الذات
بعد ان تباعدنا عنها بواسطة الافعال فهذا سر قوله صلى الله عليه وسلم تفكروا
في خلق الله ولا تفكروا في ذات الله فمن خلقه واياته الانسان المخلوق من النطفة
واقرب شيء اليك نفسك وفيك من العجايب الدالة على عظمة الله تعا وقدرته وقد
امرك الله تعا بالتدبر في نفسك في كتابه العزيز وفي انفسكم افلا تبصرون و
قال ومن اياته ان خلقكم من تراب الاية وقال الم يك نطفة من مني يمنى
وقال انا خلقنا الانسان من نطفة امشاج وقال الم نخلقكم من ماء مهين
وقال اولم ير الانسان انا خلقناه من نطفة فاذا هو خصيم مبين وهذا
اقرب مجال لفكرك واجلى شاهد على عظمة خالقك وانت غافل عنها مشغول
بطنك وفرجك لا تعرف من نفسك الا ان تجوع وتاكل وتشبع فتنام وتشتهي

صنّية
فجامع وتغضب فتقاتل وتشاركك في معرفة ذلك البهايم والسباع فاما خا
الانسان التي حجب البهايم عنها معرفة الله تعالي بالنظر في ملكوت السموات
والارض وعجايب الافاق والانفس اذ بها يدخل العبد في زمرة الملايكة و
النبيين عليهم السلام فاذا عرفت طريق الفكر في نفسك فتفكر في الارض
التي هي مقرك ثم انهارها وبحارها وجبالها ومعادنها ثم ارتفع منه الي ملكوت
السموات واما الارض فمن اياتها ان خلق الله تعالي الارض فراشا وجعلها
ذلولا يمشون في مناكبها وجعلها وقورًا لا تتحرك ووسع اكنافها حتي
عجزوا عن بلوغها وان طالت اعمارهم وكثر طوافهم فظهرها مقر للاحياء و
بطنها وطن للاموات ونباتها غذا للحيوانات ومناهها سبب للحيوة لهذا
اكثر الله تعالي في كتابه العزيز ذكر الارض والسماء ليتفكروا في عجايبها ومن
اياتها اصناف الحيوانات وانقسامها الي ما يطير والي ما يمشي علي رجلين والي
ما يمشي علي اربع وعلي مائة كما تشاهد في بعض الديوان ومن اياته البحار
العميقة المكتنفة لاقطار الارض التي هي قطع من البحر الاعظم المحيط بجميع
الارض ان جميع المكشوف من البوادي والجبال عن الماء بالاضافة الي الماء
كجزيرة صغيرة في بحر عظيم وبقية الارض مستورة بالماء قال صلي الله
عليه وسلم الارض في البحر كالاصطبل في الارض فتامل عجايب البحر فان عجايب
ما فيه من الحيوان والجواهر اضعاف جميع ما نشاهد علي وجه الارض كما

مطلب مدار الارض بالنسبة الى البحر

ان سعة

سعته اضعاف سعتها واعجب من كل ظاهر الماء وهو جسم لطيف سيال متصل
الاجزاء كانه شيء واحد مسخر للتصرف قابل للاتصال والانفصال به حيات
كل ما علي وجه الارض فلو احتاج العبد الي شربة ماء ومنع لبذل جميع ماله
في تحصيلها واذا شربه فمنع من اخراجه فيبذل جميع ماله في اخراجه ومن
اياته الهواء اللطيف المحبوس بين السماء والارض لا يدرك بحس اللمس عند هبوب
الريح جسمه ولا تري العين شخصه فاذا حركه الله تعالي وجعل ريحا ان شاء
ريح العذاب وان شاء ريح الرحمة ومن اياته السموات وما فيها من العجايب
ومن ادرك الكل وفاته عجايب السموات فقد فاته الكل تحقيقا والارض والبحار
والهواء وكل جسم سوي السموات بالاضافة الي السموات كقطرة في بحر واصغر
قال تعالي انتم اشد خلقا ام السماء بناها فانظر الي الملك والملكوت لتري عجايب
العز والجبروت ولا تظنن ان معني النظر الي الملكوت بان تمد اليه البصر فتري زر قة
السماء وضوء الكواكب وتفرقها فان البهايم تشاركونك في هذا النظر فان كان
هذا هو المراد فلم مدح الله تعالي ابرهيم عليه السلام بقوله الكريم وكذلك نري ابرا هيم
ملكوت السموات والارض وكيف لا يستحي من يقول راي قلبي ربي فبلوغ الاقصي
لا يكون الا بعد مجاورة الادني وادني شيء اليك نفسك ثم الارض ثم الهواء
المكتنف لك ثم النبات والحيوان وما علي وجه الارض ثم عجايب الجو وهو ما
بين السماء والارض ثم السموات السبع بكواكبها ثم الكرسي ثم العرش ثم

مطلب الهواء

الملايكة الذين هم حملة العرش ثم منه تجاوز النظر الى رب العرش فبينك
وبينه هذه المفاوز الشاسعة والعقبات الشاهقة وانت لم تفرغ
من العقبة القريبة النازلة له وهو معرفة ظاهر نفسك ثم صرت تطلق
اللسان بوقاحتك وتدعي معرفة ربك وتقول قد عرفته وعرفت خلقه
فتأمل من عجايب ما ذكرنا ففيها متسع للفكر ومجال وكل ذلك شواهد
متظاهرة وايات متناصرة ناطقة بلسان حالها مفصحة عن جلالة باريها
معربة عن كمال حكمته فيها منادية ارباب القلوب بنغماتها قايلة اما ترانى
وما ترى صورتي وتركيبي وصفاتي ومنافعي واختلاف حالاتي وكثرة فوايدي.
اتظن اني تكونت بنفسي او خلقني احد من جنسي وما تستحي ان تنظر في كلمة
مرقومة من ثلاثة احرف فتقطع بانها صنعة ادمي عالم قادر مريد متكلم
ثم تنظر الى عجايب الخطوط الالهية المرقومة على صفحات وجهي ثم ينفك قلبك
عن جلالة صانعه ويقول لارباب السمع والقلب لا للذين هم عن السمع لمعزولون
وكلما استكثرت من معرفة عجيب صنع الله تعالى كانت معرفتك بجلاله وعظمته
اتم وهذا كما انك تعظم عالما بسبب معرفتك بعلمه فلا تزال تطلع على غريبة
من تصنيفه او شعره فتزداد معرفة وتزداد بحسبه توقيرا وتعظيما
واحتراما فهكذا تأمل في العالم الذي هو تصنيف الله تعالى وتاليفه وخلقه
وانشاؤه والنظر والفكر فيه لا يتناهى ابدا فلنقتصر على ما ذكرناه ولنضف

مطلب تعظيم الاعلم

الي هذا ما ذكرناه في كتاب الشكر

كتاب الموت وما بعده

اعلم ان من له الموت مصرعه والتراب مضجعه والملكان
جليسه والديدان انيسه والقبر مقره والجنة والنار مستقره لجدير له بان
لا يكون له فكرة الا في الموت ولا ذكر الا له ولا استعداد الا لاجله ولا تدبر
الا فيه ونحن نذكر من امر الموت ومقدماته ولواحقه واحوال الاخرة من ذكر
القيمة والنار والجنة في ثلاثة ابواب **الباب الاول** في مقدمات
الموت وفيه فصول **الفصل** الاول في ذكر الموت قال الله تعالى قل ان الموت
الذي تفرون منه فانه ملاقيكم **وقال** رسول الله صلى الله عليه وسلم اكثروا
من ذكر هادم اللذات نغصوا بها اللذات حتى ينقطع ركونهم اليها فيقبلون على
الله تعالى **وقال** عليه السلام لو ان البهايم يعلم من الموت ما تعلمون ما اكلتم منها سمينا
وروي انه عليه السلام مر بمجلس قد استعلاه الضحك فقال شوبوا مجلسكم بذكر
مكدر اللذات قالوا وما مكدر اللذات قال الموت **وقالت** عايشة رضي الله عنها
يا رسول الله هل يحشر مع الشهداء احد قال نعم من يذكر الموت في اليوم والليلة
عشرين مرة وانما سبب هذه الفضيلة كلها ان ذكر الموت يوجب التجافي عن
دار الغرور ويقتضي الاستعداد للاخرة والغفلة عن الموت تدعو الى الانهماك
في شهوات الدنيا **وقال** الموت تحفة المؤمن وانما قال هذا لان الدنيا سجن المؤمن
اذ لا يزال منها في عناء من مقاساة نفسه ورياضة شهوته ومدافعة

شيطانه فالموت اطلاقه والاطلاق تحفة وقال الموت كفارة لكل مسلم اراد
بهذا المسلم حقا المؤمن صدقا الذي سلم المؤمنون من يده ولسانه وتحققت
فيه اخلاق المؤمنين فالموت يطهره ويكفر عنه الصغاير بعد اجتنابه
للكباير واقامته الفرايض وقال كفى بالموت واعظا وذكر عند رسول الله
صلى الله عليه وسلم رجل فاحسنوا الثناء عليه فقال كيف كان ذكر صاحبكم
للموت قالوا ما كنا نكاد نسمعه يذكر الموت قال فان صاحبكم ليس هنالك وقال
ابن عمر رضي الله عنهما اتيت النبي صلى الله عليه وسلم فقال رجل من الانصار
ما اكيس الناس واكرم يا رسول الله قال اكثرهم للموت ذكرا واشدهم له استعدادا
اولئك هم الاكياس وقال عليه السلام لعايشة رضي الله عنها اكثري ذكر
الموت وان كنت واسع العيش ضيقته عليك وان كنت ضيق العيش و
سعته عليك وقال الا للدين ابناء وللدنيا ابناء فكونوا من ابناء الدين
ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وانكم في يوم عمل ليس فيه حساب وانكم توشكون
في يوم حساب ليس فيه عمل الاثار قال الحسن رضي الله عنه فضح الموت الدنيا
فلم تترك لذي لب فرحا وقال التميمي شيئان قطعا عني لذات الدنيا ذكر
الموت والوقوف بين يدي الله تعا وقالت ابو سليمان الداراني رحمة الله
عليه لام هارون اتحبين الموت قالت لا قلت ولم قالت لو عصيت ادميا
ما اشتهيت لقاءه فكيف احب لقاءه وقد عصيته وقالت صفية

رضي الله

رضي الله عنها ان امراة شكت الى عايشة رضي الله عنها قساوة قلبها فقالت
اكثري ذكر الموت يرق قلبك ففعلت فرق قلبها لهذا كان الربيع بن خثيم حفر
قبرا في داره وكان ينام في اللحد مرات حتى يستديم له ذكر الموت واعلم ان الموت
مع خطره قل من يذكره واحدا كان قلبه مشغولا بالامور الدنيوية فلا يوثر
فيه اذ قلبه مملو بحب الدنيا فطريقه ان يقطع نظره عن كل شي ويفرغ قلبه
ويتفكر في اقاربه واخوانه ومعارفه الذين مضوا كيف ارملوا نسائهم و
ايتموا اولادهم وضيعوا اموالهم وخلت منهم ديارهم وخلوا في التراب واكل التراب
اعضاهم وبلت اجزاوهم فعند ذلك ينظر في نفسه انه مثلهم وغفلته كغفلتهم
وستكون عاقبته كعاقبتهم والى هذا اشار ابن مسعود رضي الله عنه السعيد من
وعظ بغيره فملازمة هذه الافكار وامثالها تجدد ذكر الموت في القلب ويعين
على ذلك عيادة المرضى وشهود الجنايز وزيارة المقابر ومهما طاب قلبك بشي
من الدنيا ينبغي ان تتذكر في الحال انك لا بد لك من مفارقته ونظر ابن مطيع
يوما الى داره فاعجبه حسنها ثم بكى فقال لولا الموت لكنت بك مسرورا ولولا ما نصير اليه
من ضيق القبور لقرت اعيننا وفي الخبر قال الله تعالى لمحمد صلى الله عليه وسلم
احب الدنيا ما شئت فانك مفارقه واعمل من الاعمال ما شئت فانك لاقيه
غدا وعش كيف شئت فانك ميت عن قريب قال صلى الله عليه وسلم
ما من بيت الا وملك الموت يقف على بابه ويدور حول داره في كل يوم خمس مرات

وما من احدٍ من بني آدم الا وينظر اليه ملك الموت في كل يوم وليلة سبعين
نظرة فاذا وجد الانسان قد نفد اكله ودنا اجله التي عليه غم الموت فغيشته
كرباته وغمرته غلواته فمن اهل بيته الناشرة شعرها والضاربة وجهها
والباكية لشجوها والصارخة بويلها فيقول ملك الموت ويلكم مم الفزع
وفيما الجزع ما قبضت روح احدٍ حتى استامرت وقال صلى الله عليه وسلم
فو الذي نفس محمد بيده لو يرون مكانه ويسمعون كلامه لذهلوا عن ميتهم
وليبكوا على انفسهم وروي ان الحسن البصري رحمة الله عليه قال انا شهدت
وفاة عمرو بن العاص وكثر بكاء اهله عليه قال عمرو لامراته مما بكاؤك قالت
ابكي لاني ابقى ارملة وقال لها انك تبكي لنفسك لا لي وقال لاولاده مم بكاؤكم
قالوا الان نبقى ايتاما قال لهم ايضا كذلك ثم قال لخدمه مم بكاؤكم فقالوا نتفرق
بعدك ونكون كالغنم بلا راع قال لهم ايضا كذلك ثم قال ان كل واحدٍ منكم يبكي
على نفسه وانا احق ان ابكي على نفسي فبكى حتى مات رضي الله عنه وروي
ان فاطمة رضي الله عنها لما ماتت كان علي بن ابي طالب رضي الله عنه يزور
قبرها كل يوم ويبكي فاقبل ذات يوم حتى اتى على قبرها وانشد شعر
مالي مررت على القبور مسلمًا ○ قبر الحبيب فلم يرد جوابي ○ فاجابه هاتف
قال الحبيب وكيف لي بجوابكم وانا رهين جنادل وترابي الفصل
الثاني في طول الامل وقصره وسبب طوله وكيفية معالجته اما فضيلة

قصر الامل قال رسول الله صلى الله عليه لعبد الله بن عمر رضي الله عنهما اذا
اصبحت فلا تحدث نفسك بالمساء واذا امسيت فلا تحدث نفسك بالصباح
وخذ من حياتك لموتك ومن صحتك لسقمك فانك يا عبد الله لا تدري ما اسمك
غدًا وعن علي رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان اخوف ما اخاف
عليكم خصلتان اتباع الهوى وطول الامل فاما اتباع الهوى فانه يصد عن الحق
واما طول الامل فانه يزيد الحرص على الدنيا ثم قال الا ان للدنيا ابناء وللآخرة ابناء
فكونوا من ابناء الآخرة ولا تكونوا من ابناء الدنيا الا وانكم في يوم ليس فيه حساب
وانكم توشكون في يوم حساب ليس فيه عمل وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه
اشترى اسامة بن زيد ابن ثابت وليدة الى شهر فسمعته صلى الله عليه وسلم
يقول اما تعجبون من اسامة المشتري الى شهر ان اسامة لطويل الامل والله ما طرفت
عيناي الا ظننت اني لا التفت حتى يقبض الله روحي ولا لقمت لقمة الا ظننت
ان لا اسيغها حتى اغص بها من الموت وعن ابن عباس رضي الله عنهما
قال ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يخرج يهريق الماء فيتمسح بالتراب فاقول يا رسول
ان الماء منك قريب فيقول ما يدريني لعلي لا ابلغه وقال ابن منذر اذا اطلع علينا
رسول الله صلى الله عليه وسلم ذات عشية فقال ايها الناس اما تستحيون
قالوا وما ذاك يا رسول الله قال تجمعون ما لا تاكلون وتاملون ما لا تدركون
وتبنون ما لا تسكنون وعن انس رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله

عليه وسلم يهرم بن آدم ويشيب فيه خصلتان الحرص والامل يعني حب
المال وحب الامل الاثار قال سلمان الفارسي رضي الله عنه ثلاث اعجبني
حتى اضحكني مؤمل الدنيا والموت يطلبه وغافل ليس بمغفول عنه وضاحك
ملاء فيه لا يدري اساخط عليه ربه ام راضي وقال سعيد بن
عبد الرحمن انما عمرت الدنيا بقلة عقول اهلها وقال سفيان رضي الله
عنه يا ابا سعيد الزهد في الدنيا قصر الامل ليس باكل الغليظ ولا بلبس العبا.
وقيل للحسن رضي الله عنه يا ابا سعيد الا تغسل قميصك قال الامر اعجل
من ذلك وقال بعضهم رحمهم الله انا كرجل مد عنقه والسيف عليه ينتظر متى
يضرب عنقه وحكي انه جاء شقيق البلخي الي استاذ له يقال له ابو هاشم
الرماني رحمهما الله وفي طرف كسائه شي مصرور فقال له يا شقيق
ايش هذا معك فقال لوزات دفعهن الي اخ لي احب ان افطر عليها فقال يا
شقيق وانت تحدث نفسك انك تبقي الي الليل واما بيان السبب في طول
الامل وعلاجه فاعلم ان طول الامل له سببان احدهما حب الدنيا فانه
يحمله علي التسويف الي قضاء اربه وهو خطاء عظيم مما قضي منها احد
اربه الثاني الجهل يعتقد ان الموت ياتيه عند الشيخوخة اما علاج
حب الدنيا فقد سبق واما علاج الجهل فهو ان الانسان قد يعول علي
شبابه فيستبعد قرب الموت مع الشباب فليس يتفكر المسكين ان الموت

في الشباب

في الشباب اكثر فالي ان يموت شيخ واحد يموت الف صبي واذا تفكر هذا العاقل
وعلم ان الموت ليس له وقت مخصوص من شاب وشيخ وصيف وشتاء وخريف
ومن ليل ونهار اشتغل بالاستعداد ولا علاج في تقرير الموت في القلب مثل
النظر الي من مات من الاقران وانهم كيف جاءهم الموت في وقت لم يحتسبوا اما من
كان مستعدا فقد فاز فوزا عظيما واما من كان مغرورا بطول الامل فقد خسر
خسرانا مبينا وقال عليه السلام لرجل وهو يعظه اغتنم خمسا قبل خمس شبابك
قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وغناك قبل فقرك وفراغك قبل شغلك وحياتك
قبل موتك وقال عليه السلام مثل الدنيا كمثل ثوب شق من اوله الي آخره فبقي متعلقا
بخيط في آخره فيوشك ذلك الخيط ان ينقطع وقيل ان من ابلغ العظات النظر الي
محلة الاموات وروي عن مالك ابن دينار رحمة الله عليه انه قال دخلت المقابر
ليلا فناديت ٥ اتيت القبور فناديتهم ٥ فاين المعظم والمحتقر ٥ واين المدلي
اذا ما دعي ٥ واين القوي اذا ما قدر ٥ قال سمعت مجيبا يجيبني بصوت يبجي علوا
تفانوا جميعا فما مخبر ٥ وماتوا جميعا ومات الخبر ٥ تروح وتغدوا بنات الثرى ٥
وتبلي محاسن تلك الصور ٥ فيا سائلي عن اناس مضوا ٥ اما تري لك فيما تري معتبر ٥
الفصل الثالث في سكرات الموت وشدته ودواهيه اعلم ان للموت ثلاث
دواهي الداهية الاولي الالم الحاصل بسكرات الموت وذلك لا يعرفها بالحقيقة
الا من ذاقها وروي انه كان عند النبي صلي الله عليه وسلم قدح فيه ماء

فجعل يدخل يده في الماء ثم يمسح بها وجهه ويقول اللهم هون علي سكرات الموت
وقالت فاطمة رضي الله عنها لما سمعت قوله هذا واكرباه لكربك يا ابتاه
فقال لا كرب علي ابيك بعد اليوم وعن زيد بن اسلم عن ابيه رضي الله عنهما اذا
بقي علي المؤمن من درجاته شيء لم يبلغها بعمله شدد عليه الموت ليبلغ بسكرات
الموت وكربه درجته في الجنة واذا كان للكافر معروف لم يجز به في الدنيا
هون عليه الموت ليستكمل ثواب معروفه فيصير الي النار وقيل ان الموت
اشد من مائة ضربة بالسيف ونشر بالمناشير وقرض بالمقاريض لان الم القطع
يسري من العضو الي الروح فبقدر الي الروح يتألم والالم يتفرق علي اللحم والدم
وساير الاجزاء فلم يصيب الروح الا بعض الاثر فان نزل الالم بنفس الروح فاستغرق
جميع اجزائه حتي لم يبق جزء من اجزاء الروح المنتشر في اعماق البدن الا وقد
حل به الالم وروي ان عليا رضي الله عنه كان يحرض علي القتال ويقول ان لم
تقتلوا تموتوا الذي نفسي بيده الضربة بالسيف اهون من موت علي
الفراش وهو اشد من نشر بالمناشير وقرض بالمقاريض وغلي في القدور
وقال الاوزاعي رحمه الله عليه بلغنا ان الميت يجد الم الموت ما لم يبعث
من قبره وروي عن مكحول انه قال صلي الله عليه وسلم لو ان شعرة من
شعر الميت وضعت علي اهل السموات والارض لماتوا الان في كل شعرة الموت
ولا يقع الموت بشيء الا مات ويروي لو ان شيا من الم الموت وضع علي

جبال

مطلب تشديد الموت للمؤمن

ما يسري

مطلب

جبال الارض كلها لذابت وانما يستغيث المضروب ويصيح لبقاء قوته
علي قلبه وفي لسانه وانما انقطع صوت الميت وصياحه مع شدة المه
لان الكرب قد بالغ فيه وتصاعد علي قلبه وغلب علي كل موضع فيه فهد
كل قوة وضعف كل جارحة فلم يترك له قوة الاستغاثة فالالم منتشر في
داخله وخارجه حتي يرتفع الحدقتان الي اعلي جفونه ويتقلص اللسان
الي اصله ويرتفع الانثيان الي موضعهما وتخضر الانامل وتبس الشفتان
ويتربد اللون حتي كانه يظهر منه التراب الذي هو اصل فطرته فلا عن بدن
هذا حالة يجذب منه كل عرق من عروقه ولو كان المجذوب عرقا واحدا
كان المه عظيما فكيف من جميع العروق ثم يموت كل عضو من اعضائه تدريجا
فتبرد اولا قدماه ثم فخذاه وهكذا حتي يبلغ الي الحلقوم فعند ذلك ينقطع
نظره عن الدنيا واهلها وينقطع عمله ويغلق عليه باب التوبة وتحيط
الحسرة والندامة فعند ذلك تبدو اله صفحة وجه ملك الموت الداهية
الثانية مشاهدة صورة ملك الموت ودخول الروع والخوف منه علي القلب
ولو راي صورته التي عليها يقبض روح العبد المذنب اعظم الرجال قوة
لم يطق رؤيته وروي عن الخليل عليه السلام انه قال له هل تستطيع ان
تريني الصورة التي تقبض فيها روح الفاجر قال لا تطيق ذلك قال بلي قال
فاعرض عني فاعرض عنه ثم التفت فغشي علي ابرهيم عليه السلام ثم افاق

به

وقد عاد ملك الموت الى الصورة الاولى فقال يا ملك الموت لو لم يلق الفاجر
عند موته الا صورتك هذه لكان حسبه قيل لو يرى احد صورته في
منامه ليلة لتنغص عليه بقية عمره فكيف برؤيته في مثل تلك الحالة
وقال وهب بن منبه كان ملك اراد ان يركب الى ارض فدعا بثياب ليلبسها
فلم تعجبه حتى اوتي بدواب فركب احسنها فجاء ابليس اللعين فنفخ في منخره نفخة
فملاه كبرا ثم سار وسارت معه الخيول وهو لا ينظر الى الناس كبرا فجاءه رجل
رث الهيئة فسلم فلم يرد عليه السلام فاخذ بلجام دابته فقال ارسل اللجام
فقد تعاطيت امرا عظيما فقال ان لي اليك حاجة فقال اصبر حتى انزل فقال
اذكرها فاذن قال هو سر فادنى اليه راسه وقال انا ملك الموت فتغير لون
الملك واضطرب لسانه ثم قال دعني حتى ارجع الى اهلي واودعهم قال لا فقبض
روحه وهو على فرسه ومنها مشاهدة الملكين الحافظين وقال وهب
رضي الله عنه بلغنا ما من ميت يموت حتى يترايا له ملكاه الكاتبين عمله فان
كان مطيعا قالا له جزاك الله عنا خيرا وان كان عاصيا قالا لا فرب مجلس
صدق ما اجلستنا ورب عمل غير صالح احضرتنا وكلام قبيح اسمعتنا فلا
جزاك الله عنا خيرا فذلك شخوص بصر الميت اليهما لا يرجع الى الدنيا ابدا
الداهية الثالثة مشاهدة العصاة مواضعهم من النار وقد قال
صلى الله عليه وسلم لن يخرج احدكم من الدنيا حتى يعلم اين مصيره وحتى يرى

مقعده من الجنة او النار ولما حضر ابرهيم النخعي الوفاة بكى فقيل ما يبكيك
فقال القدوم على الله شديد ونظر ابراهيم الزيات الى اناس يترحمون
على ميت فقال لو تترحمون على انفسكم لكان خيرا لكم انه نجا من اهوال ثلثة
من مرارة الموت قد ذاق وخوف الخاتمة قد آمن ووجه ملك الموت قد راى
وعن الاعمش رحمة الله عليه قال دخل ملك الموت على سليمان بن داود
عليهما السلام فجعل ينظر على رجل من جلسائه ويديم النظر اليه فلما خرج قال
الرجل من هذا قال سليمان هذا ملك الموت قال لقد رايته ينظر الي كانه يريدني
قال فماذا تريد قال اريد ان تخلصني منه فامر الريح ان تحملني الى اقصى الهند
ففعلت الريح ذلك ثم قال سليمان لملك الموت عليهما السلام بعد اتاه ثانيا
رايتك تديم النظر الى واحد من جلسائي قال نعم كنت اتعجب من ذلك لاني
امرت بقبض روحه اليوم بالهند وبينه وبين الهند مسيرة سنة وقال
الاعمش كنا نشهد الجنائز فلا ندري من نعزي لحزن جميع خاتمة فيما يستحب
من احوال المحتضر وهي ثلث احدها في صورته وهي الهدو والسكون قال
عليه السلام ارقبوا الميت عند ثلث اذا رشح وذرفت عيناه ويبست شفتاه
فهو من رحمة الله تعالى قد نزلت به وقد يتفق الشديد على المومن وروى
زيد بن اسلم عن ابيه رضي الله عنهما انه قال اذا المومن شيء من درجاته لم
يبلغها بعمله شدد عليه عند الموت ليبلغ بسكرات الموت وكربه درجته

في الجنة واذا كان للكافر معروف ولم يجز في الدنيا هون عليه الموت
ليستكمل ثواب معروفه فيصير الي النار الثانية في لسانه بان يقول لا اله
الا الله فانه ما من عبد يختم له بها عند موته الا كانت زاده الي الجنة و
ينبغي للملقنين ان يتلطفوا فربما لا ينطلق لسان المريض فيشق عليه
ذلك فيستثقله ويكرهه فيؤدي به الي سوء الخاتمة والمقصود من هذه
الكلمة ان يموت المسلم وليس في قلبه شئ غير الله تعالى فان كان بقي في قلبه
شئ غير الله تعالى من حب الدنيا فهو علي خطر وقيل للجنيد رحمة الله عليه عند
النزع قل لا اله الا الله قال ما نسيته حتى اذكره الثالث حسن الظن بالله
تعالى فهو مستحب قال عليه السلام لا يموتن احدكم الا وهو حسن الظن
بالله وقال احمد بن حنبل عند الموت لابنه رحمهما الله اذكر لي الاخبار
التي فيها الرجاء وحسن الظن وانما كان الرجاء افضل حال الموت لامرين
احدهما ان المقصود من الخوف الحث على العمل ولم يبق وقت العمل الثاني انه
اذا رجا الله تعالى احب لقاءه ومن احب لقاء الله تعالى احب الله لقاءه
وصلى الله على سيدنا محمد واله

الباب الثاني في اللواحق وفيه فصول

الفصل الاول في حقيقة الموت وبيان بقاء الروح بعد الموت

اما حقيقة الموت فقد عرفت ان الموت لا يعرف الا بعد معرفة الروح والروح
الجسماني هو بخار لطيف يتصاعد من الاخلاط الاربعة ومستقره القلب

مطلب حقيقة الروح

ويسري في جميع البدن بواسطة العروق الضوارب فلا ينتهي الي جزء
من اجزاء البدن الا ويحدث عند وصوله في تلك الاجزاء ما يحتاج اليه
من قوة حس وادراك وقوة وحركة وغيرها كالسراج الذي يدار على ما
في اطراف البيت فلا يصل الي جزء الا ويحصل بسبب وصوله ضوء علي
اجزاء البيت من خلق الله تعالى واختراعه ولكنه جعل السراج سببا له بحكمته
وهذا البخار اللطيف هو الذي تسميه الاطباء الروح ومحله القلب ومثاله
جرم نار السراج والقلب له كالمسرجة والدم الاسود الذي في باطن القلب
كالفتيلة والغذاء له كالزيت والحيوة الظاهرة في ساير اعضاء البدن بسببه
كالضوء للسراج في جميع البيت فكما ان السراج اذا انقطع زيتها ينطفي فسراج
الروح ايضا ينطفي مهما انقطع غذاؤه وكما ان السراج تارة ينطفي بسبب
من داخله لكثرة الزيت وتارة بسبب خارج لريح عاصفة فكذلك الروح تارة
ينطفي بسبب من داخل وتارة بسبب من خارج وهو القتل وكما انطفاء السراج
بفناء الزيت او بفساد الفتيلة او بريح عاصف او باطفاء انسان ولا يكون
الا باسباب مقدرة في علم الله تعالى وكذلك انطفاء الروح اما بترك الغذاء
او بكثرته او بالقتل وكما ان السراج اذا انطفي اظلم البيت كله فالروح ايضا
اذا انطفي اظلم البدن كله وهذه الروح تبطل بالموت وهذا الموت يشارك فيه
البهايم للانسان واما الروح التي هي اللطيفة المتحملة للامانة فلا تبطل بالموت

وتلك الامانة كالشمس الزاهرة وانما هبطت الى هذه القالب الفاني وغربت
فيه وستطلع هذه الشمس عند خراب القالب من مغربها وتعود الى باريها
وخالقها وهذه الروح تبقى بعد مفارقة البدن اذ البدن آلات لها
فكما يتعطل بعض الالات كاليد مثلا وتبقى كذلك يتعطل جميع الآلات
وتبقى قائمة عالمة وانما شابكت البدن ليقتنص المعارف بواسطته
كما بطلت الشبكة ليقتنص بها الصيد والتخلص من الشبكة بعد فراغ
الاصطياد وحصول مقصوده غنيمة واليه الاشارة بقوله عليه السلام
الموت تحفة المؤمن نعم هلاك الشبكة قبل الاصطياد خسارة واليه الاشارة
بقوله تعالى رب ارجعون لعلي اعمل صالحا فيما تركت فحقيقة الموت بالنسبة
الى هذه الروح انه زمانة مطلقة في جميع الاعضاء ببطلان قواها فالموت
تغير حال من وجهين احدهما انه سلب عن اعضائه وامواله واهله و
جاهه وكان في حيوته تسلب هذه الاشياء عنه وتولمه عند سلبه عنها
كالمه عند سلبها عنه فان من نهب وتركت امواله يتالم قلبه كمن نهبت
امواله وترك هواه فالموجب للالم هو الفراق وقد تحقق فمن لم يكن ما يشغله
غير ذكر الله تعالى يتالم بالمفارقة بل ذلك انسه وفرحه الثاني انه ينكشف له
بالموت ما كان يجهله في حال الحيوة مع انه كان مسطورا في كتاب مطوي في
سر القلب فاذا زالت الشواغل البدنية بعد حصول المعارف الحقيقية ادرك

ما كان

مطلب انواع الارواح

ما كان يجهله واليه الاشارة بقوله عليه السلام الناس نيام فاذا ماتوا انتبهوا
واعلم ان الارواح ثلثة ارواح السابقين وارواح المقتصدين وارواح الظالمين
فارواح الظالمين لا يقبضها الا ملك الموت واليه الاشارة بقوله تعالى ملك الموت
الذي وكل بكم وارواح المقتصدين لا يقبضها الا الملائكة المقربون عليهم السلام
واليه الاشارة بقوله تعالى الذين تتوفيهم الملائكة طيبين وارواح السابقين
لا يقبضها الا الله تعالى واليه الاشارة بقوله تعالى الله يتوفى الانفس حين موتها
ولهذا قيل الموت طرب المشتاقين ولهذا كان صلى الله عليه وسلم يتمنى الموت
شوقا الى لقائه عز وجل ويقول واشوقاه الى لقاء ربه ومن هذا السر الذي
لا يجد المحبون الم النزع عند المشاهدة كما ان النسوة اللاتي قطعن ايديهن لم
يجدن الالم لمشاهدة يوسف عليه السلام وهو مخلوق فكيف يجد الم الموت من
يشاهد الحق سبحانه وتعالى فاذا لا يكون للمؤمن وقت اطيب من وقت الموت ونزل
على هذا حكاية مكحول الشامي رحمة الله عليه فانه كان الغالب عليه الحزن فدخلوا
عليه في مرض موته وهو يضحك فقيل له في ذلك وقال لم لا اضحك وقد دنا قدوم
من كنت ارجوه واوتله وروي ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

مطلب كلام ملك الموت

دخل على مريض وقت نزعه فقال يا ملك الموت ارفق به فانه مؤمن فسمع
صوتا ولم ير شخصا وقال يا رسول الله اني بكل مؤمن رفيق واليه الاشارة
بقوله عليه السلام الموت تحفة المؤمن والموت راحة المؤمن واعلم ان المؤمن

ينكشف له عقيب الموت من جلال الله تعالى ما يكون الدنيا بالاضافة اليه
كالسجن المضيق فيه انواع الازهار والاشجار والطيور والثمار فلا يشتهي
العود الي السجن المظلم وقد ضرب رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا
فقال لرجل مات اصبح هذا مرتحلا من الدنيا وتركها لاهلها وان كان
قد رضي فلا يسره ان يرجع الي الدنيا كما لا يسر احدكم ان يرجع الي بطن امه
فعرفك بهذا ان نسبة سعة الآخرة الي الدنيا كحال الجنين في بطن كنسبة
سعة الدنيا الي ظلمة الرحم قال صلى الله عليه وسلم ان مثل المؤمن في
الدنيا كمثل الجنين في بطن امه اذا خرج من بطنها بكي علي مخرجه حتي
اذا راي الضوء لم يحب ان يرجع الي مكانه وكذلك المؤمن يخرج من الدنيا
فاذا افضي الي ربه لم يحب ان يرجع الي الدنيا واما ما يدل علي بقاء الروح
بعد الموت بقوله تعالى ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتا بل
احياء الآية وروي انه عليه السلام نادي قتلاء بدر يا فلان يا فلان
هل وجدتم ما وعد ربكم حقا فقيل يا رسول الله اتناديهم وهم اموات
فقال والذي نفسي بيده ما انتم باسمع بكلامي منهم ولكن لا يقدرون
علي الجواب وقال صلى الله عليه وسلم لا تحزنوا امواتكم بسوء اعمالكم
فانها تعرض عليهم وقال ابو سعيد الخدري رضي الله عنه سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله

مطلب بقاء الروح بعد الموت

ومن يدفنه

ومن يدفنه الفصل الثالث في بيان كلام القبر للميت وسؤال منكر ونكير
وبيان عذاب القبر اما بيان كلام القبر للميت فهو اما بلسان المقال او بلسان
الحال الذي هو افصح في تفهيم الموت من لسان المقال في تفهيم الاحياء
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر للميت حين يوضع فيه
ويحك ما غرك بي الم تعلم اني بيت الفتنة وبيت الظلمة وبيت الوحدة وبيت
الدود فان كنت في حياتك مطيعا لله تعالى كنت عليك اليوم رحمة وان كنت
عاصيا فانا اليوم عليك نقمة انا الذي من دخلني مطيعا خرج مسرورا ومن
دخلني عاصيا خرج مثبورا وقال محمد بن الصبيح بلغني ان الرجل اذا وضع
في قبره عاصيا ناداه جيرانه من الموتي ايها المخلف في الدنيا بعد اخوانه
وجيرانه اما كان لك فينا معتبر اما كان لك في تقدمنا فكرة اما رايت انقطاع
اعمالنا عنا وانت في المهلة وقال عبد الله بن عبيد في جنازة بلغني
ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يقعد ويسمع خطو مشيعه
فلا يكلمه شيء الا قبره ويقول ويحك اليس قد حذرتني وحذرت ضيقي
ونتني وهولي ودودي فما اعددت لي قال عليه السلام ما رايت
منظرا الا والقبر افظع منه وروي عن عثمان رضي الله عنه انه قال سمعت
رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول القبر اول منزل من منازل الآخرة
فان نجا منه صاحبه فما بعده ايسر وان لم ينج منه فما بعده اشد

قال مجاهد رضي الله عنه اول ما يكلم ابن آدم اذا مات قبره يقول انا بيت
الغربة انا بيت الوحدة انا بيت الوحشة انا بيت الظلمة هذا ما اعددت
لك فماذا اعددت لي وكان الحسن ابن صالح رحمهما الله اذا اشرف على المقابر
يقول ما احسن ظواهرك وانما الدواهي في بواطنك وقيل وجد على قبر
مكتوب بيتا ش وما ينفع المقبور عمران قبره ٭ اذا كان فيه جسمه
يتهدم ٭ وقيل وجد على قبر آخر مكتوبا شعر ان الحبيب من الاحباب مختلس ٭
لا يمنع الموت بواب ولا حرس ٭ فكيف تفرح بالدنيا ولذتها ٭ يا من يعد
عليه اللفظ والنفس ٭ كم اخرس الموت في قبر وقفت به ٭ على الجواب
لسانا ما به الخرس ٭ قد كان قصرك معمورا له شرف ٭ فقبرك اليوم في
الاجداث مندرس وقال محمد بن السماك رحمة الله عليه لا يغرنك
استواء القبور فما اشد التفاوت فيها ولا يغرنك سكوت اهل القبور
فما اكثر المغمومين فيها وقال ابو الدرداء رضي الله عنه الا اخبركم
بيوم فقري يوم اوضع قبري وروي ان حسين بن علي رضي الله عنهما
لما نظر الى المقابر قال ان امرا هذا آخره لحقيق ان يزهد في اوله وان امرا هذا
آخره لجدير ان يخاف في آخره وروي ان الميت اذا وضع على نعشه رفرفت
روحه فوق النعش وتنادي يا اهلي ويا احبابي لا تغرنكم الدنيا كما غرتني
ولا تعبن بكم الدنيا كما لعبت بي جمعت المال من حله ومن غير حله ثم

اي الميت

خلفته

اي العيش الطيب والفرح والسرور

اي الموت والعقاب

خلفته لغيري فالمهناة له والتبعة علي فاحذروا مثل ما حل بي وقال
حاتم الاصم رحمة الله عليه من مر بالمقابر فلم يتفكر لنفسه ولم يدع للاموات
فقد خان نفسه وخانهم واما سؤال منكر ونكير ففي حديث برا ابن عازب
وروي عطاء رضي الله عنهما قالا قال رسول الله صلى الله عليه وسلم
لعمر رضي الله عنه يا عمر كيف اذا نزل بك الموت فانطلق قومك ووضعوك
في التراب اتاك منكر ونكير اصواتهما كالرعد القاصف واعينهما كالبرق
الخاطف يجران اشعارهما ويبحثان القبر بانيابهما كيف بك عند ذلك فقال
عمر رضي الله عنه او يكون معي عقلي الآن قال نعم قال اذا اكفيهما وهذا
نص في ان العقل لا يتغير بالموت قال بعضهم في معنى قوله يثبت الله الذين
امنوا بالقول الثابت في الحياة الدنيا وفي الآخرة التثبيت في ثلاثة مواضع
عند الموت حتى تخرج روحه على الاسلام وعصم عن الكفر والثاني في القبر
حتى يجيب والثالث على الصراط حتى يمر قال بعضهم من اراد ان
ينجو من عذاب القبر فليلزم اربعة الصلوة والقراءة القرآن والزكوة وكثرة
التسبيح ويجتنب اربعة الكذب والخيانة والنميمة والبول يدل على
هذا قول النبي صلى الله عليه السلام استنزهوا من البول فانه عامة
عذاب القبر منه ومن الخيانة وروي عن عبد الحميد انه قال كنت جالسا
عند ابن عباس رضي الله عنهما فاتاه قوم فقالوا مات منا واحد فهيئنا له

مطلب سؤال منكر ونكير

مطلب عدم التغير في العقل

مطلب نجاة عذاب

قبراً فاذا نحن باسود قد ملاءت اللحد فتركناه فحفرنا له قبراً آخر
فوجدناها قد ملاءت اللحد فحفرنا له مكاناً ثالثاً فهتف بنا هاتف
فوالله لو حفرتم له الارض كلها لوجدتموها فيها فانطلقنا ودفناه فقال
ابن عباس رضي الله عنهما فاذهبوا فاسئلوه عن اهله وعن عمله فذهبنا
الي اهله وسئالناهم عنه وعن عمله فقال كان يبيع الطعام ويخلطه
شيئاً آخر يعني يخلط الحنطة غيرها وهذا دليل على ان الخيانة سبب
لعذاب القبر وفي حديث ابي هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم
المؤمن في قبره في روضة خضراء ويرحب له في قبره سبعون ذراعاً و
عذاب الكافر في قبره يسلط عليه تسعة وتسعين تنيناً هل تدرون
ما التنين تسعة وتسعون حية لكل حية سبعة رؤس يحوشونه
الي يوم يبعثون واما عذاب القبر فالاحاديث فيه مشهورة وروت
عايشة رضي الله عنها ان رسول الله عليه السلام قال ان للقبر ضغطة
ولو سلم او نجا منها احد لنجا سعد بن معاذ ولا ينبغي ان تتعجب من هذا القدر
علي الخصوص فان اعداد هذه الحيات والعقارب بقدر اعداد الاخلاق المذمومة
من الكبر والريا والحسد وغيرها من الصفات وهي باعيانها تنقلب عقارب
وحيات والقوي منها تلدغ لدغ التنين والضعيف يلدغ لدغ العقرب
وارباب القلوب يشاهدون بانوار البصيرة هذه المهلكات وانشعاب

فروعها

فروعها الآن مقدار عددها لا يتوقف عليه الا بنور النبوة وامثال هذه الاخبار لها
ظواهر صحيحة واسرار خفية فمن لم ينكشف له حقايقها فلا ينبغي ان ينكر
ظواهرها فان قلت نحن نشاهد الكافر في قبره مدة ونراقبه ولا نشاهد شياء
من ذلك اعلم ان له مقامات في التصديق بامثال هذا احدها وهو الاظهر و
الاوضح ان يصدق بانها موجودة وهي يلدغ الميت ولكنك لا تشاهد ذلك
فان هذه العين لا تصلح لمشاهدة امور الملكوت وما يتعلق بالاخرة فهو من
عالم الملكوت اما تري الصحابة رضوان الله عليهم كيف كانوا يؤمنون بنزول
جبريل عليه السلام وما كانوا يشاهدونه ويؤمنون بانه يشاهده
صلى الله عليه وسلم وكما ان الملك لا يشبه الادميين والحيات والعقارب
التي تلدغ في القبر ليست من جنس حيات عالمنا بل هي جنس آخر الثاني ان
تذكر امر النايم وانه يري في نومه حية تلدغه وهو يتألم بذلك حتى تراه
في نومه يصيح ويعرق جبينه وقد ينزعج من مكانه كل ذلك يدركه من نفسه
ويتأذى به كما يتأذى اليقظان وهو يشاهده وانت تري ظاهره ساكناً
ولا تري حواليه حية والحية موجودة في حقه والعذاب حاصل الثالث
انك تعلم ان الحية بنفسها لا تولم بل الذي يلقاك منها وهو السم ليس الالم بل
عذابك في الاثر الذي يحصل فيك من السم فاذا حصل مثل ذلك الاثر من غير سم

كان العذاب قد توفر وكان لا يمكن تعريف ذلك النوع من العذاب الا بان يضاف
الى السبب الذي هو آلته في العادة فانه لو خلقت في الانسان لذة الوقاع
مثلا من غير مباشرة صورة الوقاع لم يمكن تعرفه الا بالاضافة اليه لتكون
الاضافة بالتوقيف بالسبب وتكون ثمرة السبب حاصلة وان لم يحصل
صورة السبب والسبب يراد لثمرته لا لذاته وهذه الصفات المهلكات تنقلب
موذيات ومولمات في النفس عند الموت فتكون الامها كالآم لذغ الحيات
من غير وجود حيات وانقلاب الصفة موذية تضاهي العشق موذيا عند
موت المعشوق فانه كان لذيذا فصار مولما حتى نزل بالقلب من انواع العذاب عند
ما يتمنى معه انه لم يكن قد يتنعم بالعشق والوصال بل هذا بعينه هو
احد انواع عذاب الميت فانه قد سلط العشق على نفسه في الدنيا فصار
يعشق ماله وعقاره وجاهه وولده واقاربه ومعارفه ولو اخذ جميع
ذلك في حيوته فما ذا يكون حاله اليس يشتد عذابه ويتمنى ويقول
ليته لم يكن مال قط ولا جاه قط فكنت لا اتاذي بفراقه فالموت عبارة
عن مفارقة المحبوب الدنياوية كلها دفعة واحدة وان كان مخفا سلم وهو
معنى قوله عليه السلام نجا المخففون وان كان مثقلا عظم عذابه وكما
ان حال من يسرق منه دينارا اخف من حال من يسرق منه عشرة دنانير و

كذلك

عليه السلام

كذلك حال صاحب الدرهم اخف من حال صاحب الدرهمين وهو المعنى بقوله
صاحب الدرهم اخف حسابا من صاحب الدرهمين وما من شيء من الدنيا يتخلف
عنك عند الموت الا وهو حسرة عليك بعد الموت فان شئت فاستكثر من الحسرة
وان شئت فاستقلل منها ورآى ابو سعيد الخدري رضي الله عنه ابنا له قد مات
فقال له يا بني عظني فقال لا تخالف الله تعالى فيما يريد ولا تجعل بينك وبين الله
قميصا ثلاثين سنة **الفصل الثالث** فيما عرف من احوال الموتى بالكشف
في المنام **قال** صلى الله عليه وسلم من رأني فقد رأني فان الشيطان لا يتمثل بي
وقال عمر رضي الله عنه رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام فقلت
يا رسول الله فالتفت الي وقال الست المقبل وانت صايم فوالله لا اقبل امرأة
وانا صايم **وقال** العباس لما توفي عمر رضي الله عنهما فاشتهيت ان اراه
في المنام فما رايته الا عند قرب الحول فرايته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول
هذا اوان فراغي **وروي** ان رجلا من المشايخ الكبار راى ابا حنيفة رحمهما الله
في المنام فقال يا امام المسلمين ما فعل الله بك فقال غفر لي ربي واحسن مابي
فقال بالعلم قال هيهات للعلم شروط وافات قل من ينجوا منها ولكن غفر لي
~~ربي واحسن مابي فقال بالعلم قال هيهات للعلم شروط وافات قل من ينجوا~~
بان الناس يقولون في ما لم اكن عليه **وحكي** عن بعض المشايخ انه قال رايت
الجنيد رحمهما الله في المنام فقلت له يا ابا القاسم بحق الحق انت في دار الحق

مطلب ابو حنيفة

ولا تقول للخلق فهل للدنيا مقدار قال فاخذ خيطا من كفنه وقال والله
لا قدر لها مثل هذا فاشار الي الخيط وقال الكتاني رحمه الله رايت الجنيد
رحمة الله في المنام فقلت ما فعل الله بك فقال هيهات طاحت الاشارات
وذهبت العبارات وما حصلنا الا علي ركعتين كنا نصليها في الليل
وقال ابراهيم بن ادهم رحمة الله عليه بلغني ان الحسن البصري رحمة الله عليه
راي في منامه النبي عليه السلام يا رسول الله عظني فقال من استوا يوماه فهو
مغبون ومن كان غده شر من يومه فهو ملعون وقال ابو الخير الاقطع
رايت النبي عليه السلام في النوم فقلت له يا رسول الله عظني فقال يا ابا
الخير عليك بالصلوة فاني استوعظت ربي فاوصاني بالصلوة وروي
مالك بن انس رضي الله عنه فقيل له ما فعل الله بك فقال غفر لي بكلمة
كان يقولها عثمان رضي الله عنه عند رؤية الجنازة سبحان الحي الذي لا يموت — مطلب الصلوة الخمس
وقيل رؤي الجاحظ في المنام فقيل له ما فعل الله بك فقال فلا تكتب
بكفك غير شيء يسرك في القيمة ان تراه وراي ايوب السجستاني جنازة
عاص فدخل الدهليز يصلي عليها فراي بعضهم في النوم الميت فقال له ما
فعل الله بك فقال غفر لي وقال قل لايوب السجستاني قل لو انتم تملكون
خزاين رحمة ربي الآية وقال الجنيد رحمة الله عليه رايت ابليس في المنام
عريانا فقلت له اما تستحيي من الناس فقال اين الناس ولو كانوا هؤلاء

من الناس لما كنت العب بهم طرفي النهار كما يلعب الصبيان بالكرة بل الناس اقوام
من الصوفية في مسجد الشونيزية اضنوا جسدي واحرقوا كبدي قال الجنيد
رحمة الله عليه فلما انتبهت غدوت الي المسجد فرايت جماعة وضعوا رؤسهم
علي ركبهم يتفكرون فلما راوني قالوا لا يغرنك حديث الخبيث وقال بعضهم
رايت الشبلي رحمة الله عليه بعد موته بثلاثة ايام في المنام فقلت له كيف
حالك فقال حاسبونا فدققوا ثم منوا فاعتقوا وروي الحسن البصري رحمة
الله عليه في الليلة التي مات فيها كان ابواب السماء مفتحة وكان مناديا ينادي — دي
الا ان الحسن قدم علي الله وهو عنه راض

الباب الثالث

في احوال الآخرة من ذكر هول القيمة والنار وفيه فصول

فصل الاول

في بيان ان لنا قيامتين اعلم ان القيمة قيامتان احديهما القيمة الصغري و
الثانية عامة علي كافة الخلق اما القيمة الخاصة فالموت قال عليه السلام
من مات فقد قامت قيامته وفي هذه القيمة يكون العبد وحده وعندها
يقال ولقد جئتمونا فرادي كما خلقناكم اول مرة وفيها يقال كفي بنفسك اليوم
عليك حسيبا وهذه القيمة الصغري اما القيمة الكبري الجامعة لكافة الخلائق
لا يكون فيها وحده بل ربما يحاسب علي ملاء من الخلق وفيها يساق المتقون الي الجنة
والمجرمون الي النار والهول الاول هول القيمة الصغري ولجميع اهوال القيمة
الكبري نظير في القيمة الصغري مثل زلزلة الارض مثلا فان ارضك الخاصة

بك تزلزل في الموت فانك تعلم ان الزلزلة اذا نزلت ببلدة صدق ان يقال زلزلت
ارضهم ولو لم تزلزل البلاد بل لو زلزل مسكن الانسان وداره فقد حصلت
الزلزلة في حقه فحظك من زلزلة الارض كانها زلزلة بدنك فقط فهي ارضك
لان بدنك ارضي مخلوق من التراب وعظامك جبال ارضك وراسك سماء
ارضك وقلبك شمس ارضك وسمعك وبصرك وساير حواسك نجوم سمائك
ومغيض العرق من بدنك بحار ارضك وشعورك نبات ارضك واطرافك
اشجار ارضك وهكذا الي جميع اجزائك فاذا انهد بالموت اركان بدنك فقد
زلزلت الارض زلزالها فاذا انفصل العظام من اللحوم فقد حملت الارض
والجبال فدكتا دكة واحدة فاذا رمت العظام فقد نسفت الجبال نسفا

كتر للاية

فاذا اظلم قلبك عند الموت فقد كورت الشمس تكويرا فاذا بطل سمعك
وبصرك وساير حواسك فقد انكدرت النجوم انكدارا فاذ تشقق
دماغك فقد انشقت السماء انشقاقا فاذا انفجرت من هول الموت
عرق جبينك فقد فجرت البحار تفجيرا فاذا التفت احدي ساقيك بالاخري
وهما مطياك فقد عطلت العشار تعطيلا فاذا فارقت الروح الجسد
فقد حملت الارض فمدت حتي القت ما فيها وتخلت وبالجملة فكل ما
في القيمة الكبري له نظير في القيمة الصغري فبمجرد الموت تقوم عليك
هذه القيمة ولا يفوتك من القيمة شي مما يخصك بك ما يخص غيرك

فانبقاء

فان بقاء الكوكب في حق غيرك ماذا ينفعك وقد انتثرت حواسك التي بها تنتفع
بالكواكب والاعمي يستوي عنده الليل والنهار وكسوف الشمس وانجلاؤها
لانه قد نسفت في حقه دفعة واحدة وهو حصته منها فالانجلاء بعد ذلك
حصة غيره ومن انشق راسه فقد انشقت سماؤه اذ السماء عبارة عما يلي جهة
الراس فمن لا راس له لا سماء له فمن اين ينفعه بقاء السماء لغيره واعلم ان هذه

مطلب قيمة الكبري والقيامة الصغري

الصغري وان طولنا في وصفها فانا لم نذكر بعد عشر عشير اوصافها فهي بالنسبة
الي القيمة الكبري كالولادة الصغري بالنسبة الي الولادة الكبري فان للانسان
ولادتين احديهما الخروج من الصلب والترايب الي الارحام وله في سلوكه الي
الكمال منازل واطوار من نطفة وعلقة ومضغة وغيرها الي ان يخرج من مضيق
الرحم الي فضاء العالم فنسبة عموم القيمة الكبري الي خصوص القيمة الصغري
كنسبة سعة فضاء العالم الي فضاء الرحم ونسبة سعة العالم الذي
يقدم عليه العبد بالموت الي سعة فضاء الدنيا كنسبة فضاء الدنيا ايضا
الي الرحم بل اوسع واعظم فقس الاخرة والاولي فما خلقكم ولا بعثكم الا كنفس واحدة
انشاءة الثانية فما هي الا علي قياس النشاءة الاولي بل اعداد النشاءة
ليست محصورة في اثنتين واليه الاشارة بقوله تعا وننشئكم فيما لا تعلمون فالمقر
بالقيامتين مؤمن بعالم الغيب والشهادة وموقن بالملك والملكوت والمقر بالقيامة
الصغري دون الكبرا ناظر بالعين العوراء الي احد العالمين وذلك هو الجهل والضلال

آدم

والاقتداء بالاعور الدجال وقد قال صلى الله عليه وسلم قال الله شتمني ابن
وما ينبغي له ان يشتمني وكذبني وما ينبغي له ان يكذبني اما شتمه اياي
فيقول ان الله ولدا واما تكذيبه فقوله لن يعيدني كما بداني **الفصل**
الثاني في ذكر هول يوم القيمة من نفخ الصور وصفة ارض الحشر وصفة
العرق وصفة القيمة ودواهيها اما صفة نفخ الصور فقد قال تعا ونفخ
في الصور فصعق من في السموات ومن في الارض اي يموتون بها الا من شاء الله
وهو بعض الملائكة ومات كل حيوان من شدة الفزع الا من شاء الله هو
جبرائيل وميكائيل واسرافيل وملك الموت بان يقبض روح جبرائيل ثم ميكائيل ثم
اسرافيل ثم يامر الله تعا ملك الموت فيموت ثم يلبث الخلق بعد النفخة الاولى
في البرزخ اربعين سنة ثم يحيي الله عز وجل اسرافيل عليه السلام فيامره بان ينفخ
الثانية فذلك قوله تعا ثم نفخ فيه اخرى فاذا هم قيام ينظرون واما صفة
الحشر فانهم يساقون بعد البعث والنشور وهم حفاة عراة الى ارض الحشر
ارض بيضاء قاعا صفصفا لا ترى فيها عوجا ولا امتا ثم اذ ساقهم
بالراجفة تتبعها الرادفة والراجفة هي النفخة الاولى والرادفة هي
الثانية وحقيقة لتلك القلوب ان تكون يومئذ واجفة ولتلك الابصار
ان تكون خاشعة **قال** عليه السلام يبعث الله الناس حفاة عراة
غرلا قد الجمهم العرق وبلغ شحوم الاذنان **قالت** سودة زوج النبي

صلى الله عليه وسلم واسوأتاه ينظر بعضنا الى بعض قال شغل عن ذلك
لكل امرئ منهم يومئذ شان يغنيه **وقال** ابو هريرة رضي الله عنه قال
رسول الله صلى الله عليه وسلم يحشر الناس يوم القيمة ثلاثة اصناف ركبانا
ومشاة وعلى وجوههم واما صفة العرق فقد قال الله تعالى يوم يقوم الناس
لرب العالمين **وقال** صلى الله عليه وسلم يعرق الناس يوم القيمة حتى
يذهب عرقهم في الارض سبعين باعا ويبلغ اذانهم وذلك من ازدحام الخلايق
واجتماعهم حتى اجتمع على الموقف اهل السموات السبع والارضين من ملك وجن
وانس وشيطان ووحش وسبع وطاير واشرقت عليهم الشمس وقد تضاعف
حرها وادنيت من رؤس الخلايق فمن غاية الحر وتدافع الخلق واشتداد الزحام
واختلاف الاقدام والانضاف شدة الخجلة والحياء اليها عن رب السماء وحر
الانفاس واحتراق القلوب بنار الحياء والخوف فقام العرق من اصل كل شعرة
حتى سالت عن صعيد القيمة ثم ارتفعت الى ابدانهم فبعضهم بلغ العرق ركبتيه
وبعضهم حقويه وبعضهم الى شحمة اذنيه وبعضهم كاد يغيب فيه **واما**
صفة يوم القيمة واهوالها فقد قال قتادة رضي الله عنه في قوله تعالى
يوم يقوم الناس لرب العالمين يقومون مقدار ثلاثمائة عام شاخصة ابصارهم
منفطرة قلوبهم لا يتكلمون كلمة ولا ينظرون نظرة ولا ياكلون فيه اكلة ولا يشربون
فيه شربة قال الحسن رضي الله عنه ما ظنك بقوم قاموا على اقدامهم مقدار

خمسين الف سنة لم ياكلوا فيها اكلة ولم يشربوا فيها شربة فتامل في طول
هذا اليوم وشدة الانتظار فيه حتي يخف واما اسماؤه في القرآن الكريم
فهي يوم القيمة ويوم الحشر ويوم التلاق ويوم التناد ويوم الحساب ويوم
الحق ويوم عظيم ويوم عقيم ويوم عسير ويوم الدين ويوم معلوم ويوم
معهود ويوم الازفة ويوم العبوس ويوم تبلى السراير ويوم يفر المرء
من اخيه ويوم لا يجزي والد عن ولده ويوم لا ينفع مال ولا بنون
واما صفة المسائلة فقد روي عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال
ان لله تعالي ملكا ما بين شعرتي عينيه مسيرة خمسمائة عام فما ظنك
بنفسك اذا شاهدت مثل هؤلاء الملائكة ارسلوا اليك ليأخذوك الي
مقام العرض وقال لا يزال يقدم عبد بين يدي الله تعالي حتي يسئله عن
اربع خصال عن عمره فيما افناه وعن عمله ما عمل فيه وعن جسده فيما ابلاه وعن
ماله من اين اكتسبه وفيما انفقه يدعى ادم عليه السلام فيقال له كيف
حال الف امرنا ويدعى نوح عليه السلام فيقال له هل بلغت قومك فيقول نعم
فيقال لامته هل بلغكم فيقولون ما اتانا من نذير ويؤتى بعيسي عليه السلام
فيقول الله له انت قلت للناس اتخذوني وامي الهين من دون الله فيبقى متسخطا
تحت هذا السؤال سنين فاذا راى الخلايق ما يقام بالسياسة على الانبياء عليهم
السلام يشتد فزع العصاة فيفر الوالد من ولده والاخ من اخيه والزوج

من زوجة

من زوجته ثم يؤخذ واحد واحد فيسأله الله تعالي عن قليل عمله وكثيره وسره
وعلانيته واما صفة الميزان فقد قال الله تعالى ونضع الموازين القسط
ليوم القيمة الآية وروي انه صلى الله عليه وسلم كان راسه في حجر عايشة
رضي الله عنها فنعس فذكرت الآخرة فبكت حتى سالت دموعها على خده فانتبه
فقال ما يبكيك يا عايشة قالت ذكرت الآخرة وهل تذكرون اهليكم قال والذي
نفسي بيده لا يذكر احد احدا في ثلاث مواطن الا نفسه اذا وضعت ووزنت الاعمال
حتي ينظر ايخف ميزانه ام يثقل وعند الصحف حتي ينظر ابيمينه يأخذ ام بشماله
وعند الصراط وعن انس رضي الله عنه يؤتى بابن آدم يوم القيمة حتي
يوقف بين يدي الميزان فان ثقل ميزانه نادي الملك الموكل به بصوت يسمع الخلايق
سعد فلان سعادة لا يشقي بعدها ابدا وان خف ميزانه نادي ذلك الملك شقي
فلان شقاوة ابدية لا يسعد بعدها ابدا واما صفة الخصماء فقد عرفت انه
لا ينجو من خطرات الحساب والميزان الا من حاسب نفسه في الدنيا ووزن فيها بميزان
الشرع اعماله واقواله وخطراته ولحظاته كما قال عمر رضي الله عنه حاسبوا
انفسكم قبل ان تحاسبوا وزنوا قبل ان توزنوا وانما حسابه لنفسه ان يتوب عن
كل معصية قبل الموت ويتدارك ما فرط من تقصير في فرايض الله تعالي ويرد
المظالم حبة بعد حبة ويستحل كل من تعرض له بلسانه ويده وسوء ظنه بقلبه
ويطيب قلوبهم حتي يموت ولم يبق عليه فريضة ولا مظلمة فهذا يدخل الجنة بغير حساب

فان مات قبل رد المظالم احاطت به خصماؤه فهذا ياخذ بيده وهذا يقبض
بناصيته هذا يقول ظلمتني وهذا يقول شتمتني وهذا يقول ذكرتني
في الغيبة وهذا يقول وجدتني محتاجا فقيرا وكنت غنيا فما اطعمتني
وهذا يقول رايتني مظلوما وكنت قادرا فما اغثتني وانت مبهوت متحير
من كثرتهم عاجز فقير مفلس لا تقدر ان ترد حرفا او تظهر عذرا فعند
ذلك يوخذ حسناتك وتنقل الى خصمائك عوضا عن حقوقهم قال
ابو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم اتدرون من المفلس
قالوا يا رسول الله ان المفلس فينا من لا درهم له ولا متاع له قال ان المفلس
من امتي من اتى يوم القيمة بصلوة وصيام وزكوة ويأتي قد شتم هذا وقذف
هذا واكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطي هذا من حسناته
فان فنيت حسناته قبل ان يقضي ما عليه اخذ من خطاياهم فطرحت
عليه ثم يطرح في النار وكيف ترجو الخلاص من المظالم في يوم ينتقم فيه
للجماء من القرناء كما ورد في الخبر ومن اجتمعت عليه مظالم وقد تاب
منها وعسر عليه استحباب ارباب المظالم فليكثر من الحسنات بالاخلاص
حتى لا يطلع عليها الا الله تعالى كما روي عن انس رضي الله عنه ما يضحكك
يا رسول الله قال رجلان اجثيا من امتي بين يدي الله تعالى فقال احدهما
يا رب خذ مظلمتي من اخي فقال الله تعالى اعط اخاك مظلمته فيقول يا رب

لم يبق

لم يبق من حسناتي شيء فقال الله تعالى للطالب كيف تصنع ولم يبق من حسناته
شيء قال يتحمل عني من اوزاري قال وفاضت عينا رسول الله صلى الله
عليه وسلم بالبكاء فقال الله تعالى للطالب ارفع راسك فانظر في الجنان
فرفع راسه فقال يا رب ارى مكانا لا اقدر ان اصفه لاي نبي هذا لاي
شهيد هذا قال لمن اعطى الثمن قال يا رب ومن يملك ثمنه قال ومن يملك
ثمنه قال انت تملكه قال ما هو قال عفوك عن اخيك قال يا رب قد عفوت عنه
قال تعالى خذ بيد اخيك فادخله الجنة واما صفة الصراط فهو جسر
ممدود احد من السيف وادق من الشعر من استقام في الدنيا على الصراط
المستقيم نجا ومن عدل عن الاستقامة في الدنيا وعصى واثقل الظهر بالاوزار
يعثر على اول قدم من الصراط وتردى فتفكر كيف تكون هناك حالك وانت
تزحف عليه وتصعد اليه وانت مثقل الظهر باوزارك تلتفت يمينا وشمالا
الى الخلق وهم يتهافتون والرسول عليهم السلام يقولون رب سلم رب سلم و
الزعقات بالويل والثبور قد ارتفعت اليك من قعر جهنم لكثرة من زل عن الصراط
من الخلائق فكيف بك لو زل قدمك ولم ينفعك ندمك فما اعظم خسرانك اذ لم
ينفعك ايمانك فينبغي ان تتفكر في هذه الاهوال فان اسلم الناس عن اهوال اليوم
من طال فكره فيه في الدنيا فان الله تعالى لا يجمع على عبد بين خوفين فمن خاف
من هذه الاهوال في الدنيا امنها في الاخرة ولست اعني بالخوف رقة كرقة النساء

تدمع عينيك ويرق قلبك ثم تعود الي لهوك ولعبك فما ذلك الخوف برقة في شي
بل من خاف شياء هرب منه ومن اسبابه ومن رجا شياء طلبه فلا ينجيك على الطاعات صح
الاخوف يمنعك عن المعاصي ويحثك واما صفة الشفاعة فان كل من له
عند الله جاه بحسن معاملته من الانبياء والصديقين والعلماء الصالحين
فان له شفاعة في اهله وقرابته واصدقائه ومعارفه فكن حريصًا علي
ان تكتسب لنفسك وعندهم رتبة الشفاعة وذلك بان لا تحقر آدميًا اصلاً
فان الله تعالي خبا ولايته في تخلقه وشواهد الشفاعة في القرآن والاخبار
كثيرة فيها قوله تعالي ولسوف يعطيك ربك فترضي ومنها قوله عليه انا سيد عباده
ولد آدم ولا فخر وانا اول من تنشق عنه الارض وانا اول شافع مشفع بيدي
لواء الحمد آدم ومن دونه تحتم وقال اني لاشفع لاكثر مما علي وجه الارض من
حجر ومدر وقال ابو هريرة رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم يجمع
الله الناس الاولين والآخرين في صعيد واحد فيبلغ الناس من الكرب
والغم ما لا يطيقون ولا يحتملون فيقول الناس بعضهم لبعض الا ترون ما
قد بلغكم الا ترون من يشفع لكم الي ربكم فيقول بعض الناس لبعض عليكم
بآدم عليه السلام فيأتونه فيقولون انت ابو البشر خلقك الله بيده و
الملائكة بالسجود لك اشفع لنا الي ربك الا تري الي ما نحن فيه فيقول آدم
عليه السلام ان ربي قد غضب علي وانه وقد نهاني عن الشجرة فعصيته اذهبوا

الي غيري فيأتون نوحًا عليه السلام فيقولون انت اول الرسل الي اهل الارض
وقد سماك الله تعالى عبدا شكورا اشفع لنا الي ربك الا تري الي ما نحن فيه
فيقول اني قد دعوت علي قومي فهلكوا وان ربي قد غضب علي نفسي نفسي فيا تون
ابرهيم عليه السلام فيقول اني كذبت ثلث كذبات نفسي نفسي اذهبوا
الي غيري فيأتون موسي عليه السلام فيقول اني قتلت نفسًا اذهبوا الي
غيري فيأتون عيسي عليه السلام فيقول انا مشغول بنفسي اذهبوا الي
محمد فيأتون اليه صلي الله عليه وسلم فيقولون اما ترى الي ما نحن فيه فانطلق
الي تحت العرش فاقع ساجدًا لربي فيقول الله تعالي يا محمد ارفع راسك سل
تعط واشفع تشفع فارفع راسي فاقول امتي يا رب فيقول ادخل من امتك
من لا حساب عليهم الجنة فهذه شفاعة النبي صلي الله عليه وسلم وللآحاد امته
من العلماء الصالحين شفاعة ايضًا حتي وقال صلى الله عليه وسلم يدخل
الجنة بشفاعة رجل من امتي اكثر من ربيعة ومضر وهو اويس القرني رحمة
الله عليه واما صفة جهنم فهي خارجة عن حد الوصف وشعاب اوديتها
بحسب شعاب شهوات الدنيا وعدد ابوابها بعدد الاعضاء السبعة التي بها
يعصي العباد بعضها فوق بعض الاعلي جهنم ثم سقر ثم لظى ثم الحطمة ثم
السعير ثم الجحيم ثم الهاوية فان لا حد لعمقها كما لا حد لعمق شهوات الدنيا

مطلب جهنم

فاعلم انك اخطاءت في القياس فان نار الدنيا لاتناسب نار جهنم
وهيهات لو وجد اهل الجحيم مثل هذه النار لخاضوها طايعين هربا مما هم
فيه وعن هذا عبر في بعض الاخبار قال عليه السلام نار الدنيا غسلت
بسبعين ماء من مياه الرحمة حتى اطاقها اهل الدنيا بل صرح صلى الله عليه وسلم
بصفة نار جهنم فقال اوقدت تلك النار الف سنة حتى احمرت ثم
اوقد عليها الف سنة حتى ابيضت ثم اوقد عليها الف سنة حتى اسودت
فهي سوداء مظلمة فهذا مكانهم ثم انظر في نتن الصديد التي تسيل من
ابدانهم حتى يغرقون فيه وهو الغساق قال ابو سعيد الخدري
رضي الله عنه قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لو ان دلوا من
غساق جهنم القي في الدنيا لانتن اهل الارض فهذا شرابهم ثم انظر
الي طعامهم وهو الزقوم كما قال تعالى ثم انكم ايها الضالون المكذبون لا
كلون من شجر من زقوم الآية وعن ابن عباس رضي الله عنهما لو ان
قطرة من الزقوم قطرت في انهار الدنيا افسدت على اهل الارض معايشهم
فكيف من يكون طعامه ذلك فهذا طعامهم وشرابهم عند جوعهم وعطشهم
فانظر الآن الي حيات جهنم وعقاربها والي شدة سمومها وعظم اشخاصها
قال صلى الله عليه وسلم ان في النار لحيات من اعناق البخت

وان فيها

وان فيها لعقارب كالبغال الموكفة وهذه العقارب والحيات انما تسلط على
من تسلط عليه في الدنيا البخل وسوء الخلق وايذاء الناس ثم تفكر بعد
هذا في عظم اجسام اهل النار وعن ابي هريرة رضي الله عنه انه قال
عليه السلام ضرس الكافر مثل احد وقس على هذا ساير اعضائه شفته
السفلى ساقطة على صدره والعليا قالصة قد غطت وجهه تاكلهم النار
كل يوم سبعين الف مرة كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا
العذاب الفصل الثالث في صفة الجنة واوصاف نعيمها اعلم
ان من اراد ان يعرف صفة الجنة فليقراء القرآن فليس وراء بيان الله
تعالى بيان وليقراء من قوله تعالى ولمن خاف مقام ربه جنتان الي
آخر السورة وتامل اوصاف الجنان قال صلى الله عليه وسلم في هذه
الآية جنتان من فضة وجنتان من ذهب ثم انظر الي ابواب الجنة فانها
بحسب اصول الطاعات كما ان ابواب النار بحسب اصول المعاصي وعن ابي سعيد
الخدري رضي الله عنه قال صلى الله عليه وسلم ان اهل الدرجات
العلي ليرون من تحتهم كما يرون النجم الطالع في افق من افاق السماء وان
ابابكر وعمر منهم وقال جابر رضي الله عنه قال عليه السلام الا احدثكم
بغرف الجنة قلت بلى قال ان في الجنة غرفا وفيها من النعيم واللذات
والسرور ما لا عين رأت ولا اذن سمعت قلت ولمن هذه الغرف يا رسول الله

مطلب غرف الجنة

قال لمن افشي السلام واطعم الطعام وادام الصيام وصلي بالليل والناس
نيام قلت يا رسول الله ومن يطيق ذلك قال من لقي اخاه فسلم عليه
فقد افشي السلام ومن اطعم اهله وعياله حتى يشبعهم فقد اطعم
الطعام ومن صام رمضان ومن كل شهر ثلثة ايام فقد ادام الصيام
ومن صلي العشاء الآخرة وصلي الغداة مع الجماعة فقد صلي بالليل
والناس نيام اليهود والنصاري والمجوس وسئل صلي الله
عليه وسلم عن قوله تعالي ومساكن طيبة في جنات عدن قال
قصر من لؤلؤة في ذلك القصر سبعون دارا من ياقوتة حمراء في كل
قصر بيت من زمردة خضراء في كل بيت سرير علي كل سرير فراش
علي كل فراش زوجة من الحور العين ويعطي المؤمن في غداة من القوة
ما ياتي علي ذلك اجمع وقال عليه السلام جرد مرد مكحلين
ابناء ثلاثا وثلثين قدهم علي قد آدم ستون ذراعا وصورهم
علي صورة يوسف وقال عليه السلام ادني اهل الجنة من له ثمان الف
خادم واثني واسبعون زوجة وقال اذا استقر اهل الجنة في
الجنة اشتاق الاخوان الي الاخوان فيسير سرير هذا الي سرير هذا
فيلتقيان فيتحدثان ما كان بينهما في الدنيا وقال ان الرجل من
اهل الجنة ليولد له الولد كما يشتهي يكون حمله وفصاله وشبابه

في ساعة واحدة وقال ان في الجنة سوقا ما فيها بيع ولا شراء الا
الصور من الرجال والنساء فاذا اشتهي احد صورة دخل فيها واحد
ما يريد وقال ان في الجنة شجرة يسير الراكب تحت ظلها مائة عام ما
يقطعها كما قال عز وجل وظل ممدود وقال ان احد اهل الجنة
ليعطي قوة مائة رجل في المطعم والمشرب والجماع وحاجتهم عرق
يفيض من جلودهم مثل المسك وقال يحيي
بن معاذ ترك الدنيا شديد وفوت الجنة
اشد وترك الدنيا مهر الآخرة وهذا
آخر ما كتبناه من مختصر احياء
علوم الدين والحمد لله
وصلي الله علي
سيدنا محمد
وآله
وسلم

[illegible]

تمت في شهر رمضان المبارك يوم اول
سنة
١٠٢٥